

# الكشف والبيان عن تفسير القرآن للتعلي

## منهج الإمام الثعلبي في تفسيره

- يذكر السورة ثم يذكر مكان نزولها ، وبعد ذلك يذكر عدد آياتها وكلماتها وحروفها .
- ثم يذكر الأحاديث الدالة على فضل هذه السورة والأحاديث والآثار المتعلقة بالسورة بشكل عام .
- ثم يبدأ بتفسير السورة فيفسر الآية بآية أخرى إن وجد فيقول مثلاً نظيرها كذا ، أو ومثله كذا ، ثم يفسر بما ورد من أقوال الصحابة والتابعين بلا إسناد اكتفاءً بذكر الإسناد في أول الكتاب فيقول : قال ابن عباس وقال عكرمة وقال ... وأحياناً يسند .
- إن كان في الآية قراءة أخرى ذكرها غالباً وبوجه القراءة أحياناً ، ويذكر أحياناً ما في الآية من قراءات شاذة .
- ويتعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها إن كان لها مجال في الآية ، ويشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصريفها .
- ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي .
- ويذكر ما يتعلق بالآية من أحكام فقهية وربما عقد الفصول استطراداً في ذلك أو في نواح علمية متعددة ربما يخرجها عن دائرة التفسير .
- ويذكر الإسرائيليات بدون تعقب ويستطرد فيها ، فهو مولع بالقصص وله كتاب خاص في ذلك .

(1/1)

---

## تفسير فاتحة الكتاب

أسماءُها أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان وأخبرنا محمد بن أحمد بن عبدوس أخبرنا محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب حدثنا خلف بن هشام حدثنا محمد بن حسان عن المعافي ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع آيات أولهن بسم الله الرحمن الرحيم وهي السبع المثاني وهي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب نزولها واختلفوا في نزولها أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قراءة أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله المروزي قال حدثنا عبد الله بن محمود السعدي حدثنا أبو يحيى القصري حدثنا مروان بن معاوية عن الولاء بن المسيب عن الفضل بن عمرو عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش وعلى هذا أكثر العلماء يدل عليه ما أخبرنا الحسن بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن محمود حدثنا أبو لبابة محمد بن مهدي حدثنا أبي عن صدقة بن عبد الرحمن عن روح بن القاسم العبدي عن عمر ابن شرحبيل قال إن أول ما نزل من القرآن الحمد لله رب العالمين وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إلى خديجة رض وقال لقد خشيت أن يكون خالطني شيء فقالت وما ذاك قال إني إذا خلوت سمعت النداء فأفر قال فانطلق به أبو بكر إلى ورقة بن نوفل فقال له ورقة إذا أتاك فاجث له فاتاه جبريل فقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

(1/2)

---

وحدثنا الحسن بن جعفر حدثنا محمد بن محمود حدثنا عمرو بن صالح عن ابن عباس حدثنا أبي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فقالت قريش دق الله فاك وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو زيد حدثنا أبو حاتم بن محبوب الشامى أخبرنا عبد الجبار العلاء عن معن عن منصور عن مجاهد قال فاتحة الكتاب أنزلت في المدينة وقال الحسن بن الفضل لكل عالم هفوة وهذه منكورة من مجاهد لأنه تفرد بها والعلماء على خلافه وصح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب أنها من أول ما نزل من القرآن وأنها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا اختلاف ومعلوم أن الله تعالى لم يمتن عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة ثم أنزلها بالمدينة ولا يسعنا القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بمكة يصلي عشر سنوات بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول قال الأستاذ وقلت قال بعض العلماء وقد لفق بين هذين القولين أنها مكية ومدنية نزل بها جبرئيل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين حلها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما وتفضيلا لهذه السورة على ما سواها ولذلك سميت مثاني والله أعلم أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفرات أخبرنا أبو موسى عمران بن موسى حدثنا جعفر ابن محمد بن سوار أخبرنا أحمد بن نصر أخبرنا سعيد بن منصور حدثنا سلام عن زيد العمي عن ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب شفاء من السم وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أيوب حدثنا أبو عبد الله محمد بن صاحب حدثنا المأمون بن أحمد حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو معاوية الضربير عن أبي مالك الأشجعي عن ابن حمران عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه

(1/3)

وسلم إن القوم ليعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله عز وجل فيرفع عنهم ذلك العذاب أربعين سنة

وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هاني حدثنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم الصفار عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة ومن قرأها فكانما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان في فضل التسمية حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا جعفر بن محمد بن صالح وحدثنا محمد بن القاسم الفارسي حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الشيباني أخبرنا أحمد بن كامل بن خلف حدثنا علي بن حماد بن السكن أخبرنا أحمد بن عبد الله الهروي حسام بن سليمان المخزومي عن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس وخير من

يمشي على جديد الأرض المعلمون فكلما خلق الدين جدوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم من النار وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل المولى أخبرنا أبو علي الأسفرائيني الحافظ حدثنا ابن الحسن البصري حدثنا محمد بن مروان أبو جعفر حدثنا أبي حدثنا عمر بن زر عن عطاء عن جابر قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بأذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته أن لا يسمى اسمه على شيء إلا شفاه ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك عليه ومن قرأ بسم الله الرحمن

(1/4)

---

الرحيم دخل الجنة وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن محمد بن الحسن أخبرنا الحسن بن علي بن نصر حدثنا عبد الله بن هاشم أخبرنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال من أراد أن ينجيته الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد التفسير وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله بسم الله الرحمن الرحيم أعلم أن هذه الباء زائدة وهي تسمى باء التضمين أو باء الإلصاق كقولك كتبت بالقلم فالكتابه لاصقة بالقلم وهي مكسورة أبداً والعلة في ذلك أن الباء حرف ناقص ممال والإمالة من دلائل الكسر قال سيبويه لما لم يكن للباء عمل إلا الكسر كسرت وقال المبرد العلة في كسرها ردها إلى الأصل ألا ترى إذا أخبرت عن نفسك فإنك قلت بيبيت فرددتها إلى الياء والياء أخت الكسرة كما أن الواو أخت الضمة والألف أخت الفتحة وهي خافضة لما بعدها فلذلك كسرت ميم الاسم وطولت هاهنا وشبهت بالألف واللام لأنهم لم يريدوا أن يفتتحوا كتاب الله إلا بحرف مفخم معظم قاله القيسي قال وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيماً لكلام الله تعالى وقال أبو خالد بن يزيد المرادي العلة فيها إسقاط الألف من الاسم فلما أسقطوا الألف ردوا طول الألف إلى الباء ليكون دالا على سقوط الألف منها ألا ترى أنهم لما كتبوا اقرأ باسم ربك بالألف ردوا الباء إلى صيغتها وإنما حذفوا الألف من اسم هنا فالكثرة دورها على الألسن عملاً بالخفة ولما لم يكثر أضرارها كثرتها أثبتوا الألف بها وفي الكلام إضمار واختصار تقديره قل أو ابدأ بسم الله وقال آدم الاسم فيه صلة مجازة بالله الرحمن الرحيم هو واحتجوا بقول لبيد تمنى ابتناي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً

(1/5)

---

فقد اعتذر  
 أي ثم السلام عليكما ومعناه بالله تكونت الموجودات وبه قامت المخلوقات  
 وأدخلوا الاسم فيه ليكون فرقا بين المتيمن والتميمن به فأما معنى الاسم فهو  
 المسمى وحقيقة الموجود وذات الشيء وعينه ونفسه واسمه وكلها تفيد معنى  
 واحدا والدليل على أن الاسم عين المسمى قوله تعالى إنا نبشرك بغلام اسمه  
 يحيى فأخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم وخاطبه فقال يا يحيى فيحيى هو  
 الاسم والإسم هو يحيى وقوله تعالى وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها  
 وأراد الأشخاص المعبودة لأنهم كانوا يعبدون المسميات وقوله تعالى سبح اسم  
 ربك الأعلى و تبارك اسم ربك وقوله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه  
 وسلم لتضرين مضر عباد الله حتى لا يعبد له إسم أي حتى لا يعبد هو ثم يقال  
 رأينا للتسمية اسم واستعمالها في التسمية أشهر وأكثر من استعمالها في  
 المسمى ولعل الاسم أشهر وجمعه أسماء مثل قنو وأقناء وحنو وأحناء فحذفت  
 الواو للاستئصال ونقل حركة الواو إلي الميم فأعربت الميم ونقل سکون  
 الميم إلى السين فسكنت ثم أدخلت ألف مهموزة لسكون السين لأجل الابتداء  
 بذلك عليه التصغير والتصريف يقال سمي وسمية لأن كل ما سقط في  
 التصغير والتصريف فهو غير أصلي واشتقاقه من سما يسمو فكان المخبر عنه  
 بأنه معدوم ما دام معدوما فهو في درجة يرتفع عنها إذ وجد وعلو بدرجة وجوده  
 على درجة عدمه والإسم الذي هو العبارة والتسمية للمخبر والصفة للمنظر  
 وأصل الصفة ظهور الشيء وبروزه والله أعلم فأما ما ورد في تفسيرها  
 بتفصيلها فكثير ذكرت جل أقاويلها في حديث وحكاية أخبرنا الأستاذ أبو القاسم  
 بن محمد بن الحسن المفسر حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدون  
 المذكر أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد حدثنا أحمد بن هشام  
 الأنطاكي حدثنا الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عباس عن إسماعيل عن يحيى  
 عن أبي مليكة عن مسعود بن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1/6)

إن عيسى بن  
 مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليتعلم فقال له المعلم قل باسم الله قال عيسى  
 وما باسم الله فقال له المعلم ما أدري قال الباء بهاء الله والسين سناء الله  
 والميم مملكة الله وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول سمعت أبا  
 إسحاق بن ميثم بن محمد بن يزيد النسفي بمرور يقول سمعت أبا عبد الله ختن  
 أبي بكر الوراق يقول سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول في بسم الله  
 إنها روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة فالباء على ستة  
 أوجه باريء خلقه من العرش إلى الثرى بيان قوله إنه هو البر الرحيم بصير  
 بعباده من العرش إلى الثرى بيانه إنه على كل شيء بصير باسط الرزق من  
 العرش إلى الثرى بيانه الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وباق بعد فناء خلقه  
 من العرش إلى الثرى بيانه كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال  
 والإكرام باعث الخلق بعد الموت للثواب والعقاب بيانه وأن الله يبعث من في  
 القبور بار بالمؤمنين من العرش إلى الثرى بيانه قوله أنه هو البر الرحيم  
 والسين على خمسة أوجه سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى بيانه

قوله تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون سيد قد بلغ سؤدده من العرش إلى الثرى بيانه الله الصمد سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى بيانه والله سريع الحساب سلم خلقه من ظلمه من العرش إلى الثرى بيانه السلام المؤمن

(1/7)

---

غافر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى بيانه قوله غافر الذنب وقابل التوب والميم على اثني عشر وجها ملك الخلق من العرش إلى الثرى بيانه الملك القدوس مالك خلقه من العرش إلى الثرى بيانه قل اللهم مالك الملك منان على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه بل الله يمن عليكم مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه ذو العرش المجيد مؤمن آمن خلقه من العرش إلى الثرى بيانه قوله وأمنهم من خوف مهيمن اطلع على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه المؤمن المهيمن مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه في مقعد صدق عند مليك مقتدر مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه وكان الله على كل شيء مقيتا متكرم على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه ولقد كرمتنا بني آدم منعم على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه قوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة متفضل على خلقه من العرش إلى الثرى بيانه ولكن الله ذو فضل على العالمين مصور خلقه من العرش إلى الثرى بيانه الخالق البارئ المصور وقال أهل الحقائق في بسم الله التيمن والتبرك وحث الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم ب بسم الله لما افتتح الله عز وجل كتابه به والله أعلم الله أن أصل هذه الكلمة إله في قول أهل الكوفة فأدخلت الألف واللام فيها تفخيما وتعظيما لما كان اسم الله عز وجل فصار إله فحذفت الهمزة استثقالا لكثرة جربانها على الألسن وحولت هويتها إلى لام التعظيم فالتقى لآمان فأدغمت الأولى في الثانية فقالوا الله

(1/8)

---

وقال أهل البصرة أصلها لاه فألحقت بها الألف واللام فقالوا الله وأنشدوا كحلقة من أبي رباح يسميها الآه الكبار فأخرجه على الأصل وقال بعضهم أدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة المحذوفة في إله فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة لو أجريت على الأصل ولهذا لم يدخل عليه في النداء ما يدخل على الأسماء المعرفة من حروف التشبيه فلم يقولوا يا أيها الله دفع أقاويل أهل التأويل في هذا الاسم مبنية على هذين القولين ثمة واختلفوا فيه فقال الخليل بن أحمد وجماعة الله اسم علم موضوع غير مشتق بوجه ولو كان مشتقا من صفة كما لو كان موصوفا بتلك الصفة أو بعضها قال الله هل تعلم له سميا الله اسم موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد قال الله تعالى هل تعلم له سميا يعني أن كل اسم مشترك بينه وبين غيره له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختص به لأن فيه معنى الربوبية والمعاني كلها تحته ألا ترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقي لله وإذا أسقطت من لله اللام الأولى بقي له وإذا أسقطت من لله اللام بقي هو قالوا وإذا أطلق هذا الاسم على غير الله

فإنما يقال بالإضافة كما يقال لاه كذا أو ينكر فيقال لله كما قال تعالى إخباراً عن قوم موسى ج اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وأما الله و الإله فمخصوصان لله تعالى وقال قوم أصله لاهاً بالسريانية وذلك أن في آخر أسمائهم مدة كقولهم للروح روحاً وللقدس قدساً وللمسيح مسيحاً وللابن ابناً فلما طرحوا المدة بقي لاه فعربه العرب وأقروه ولا اشتقاق له وأكثر العلماء على أنه مشتق واختلفوا في اشتقاقه فقال النضر بن إسماعيل هو من التأله وهو التنسك والتعبد قال رؤية لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي ويقال آله إلهة كما يقال عبد عبادة وقرأ ابن عباس ويذكر وإلهتك أي عبادتك فمعناه عبادتك المعبود الذي تحق له العبادة

(1/9)

---

وقال قوم هو من الإله وهو الاعتماد يقال ألهمت إلى فلان آله إلهها أي فزعت إليه واعتمدت عليه قال الشاعر ألهمت إليها والركائب وقف ومعناه أن الخلق يفرعون ويتضرعون إليه في الحوادث والحوادث فهو يألههم أي يجيرهم فسمي إلهها كما يقال إمام للذي يؤتم به ولحاف ورداء وإزار وكساء للثوب الذي يلتحف به ويرتدي به وهذا معنى قول ابن عباس والضحاك وقال أبو عمرو بن العلاء هو من ألهمت في الشيء إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه قال زهير ياله العين وسطها مخففة وقال الأخطل ونحن قسمنا الأرض نصفين نصفها لنا ونرامي أن تكون لنا معاً بتسعين ألفاً تأله العين وسطها متى ترها عين الطرامة تدمعاً ومعناه أن العقول تتحير في كنه صفته وعظمتها والإحاطة بكيفيته فهو إله كما قيل للمكتوب كتاب وللمحسوب حساب وقال المبرد هو من قول العرب ألهمت إلى فلان أي سكنت إليه قال الشاعر ألهمت إليها والحوادث جمة فكان الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره قال الله تعالى إلا بذكر الله تطمئن لقلوب وسمعت أبا القاسم الحسن سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحيم القناد يقول أصله من الوله وهو ذهاب العقل لفقدان من يعز عليك وأصله آله بالهمزة فأبدل من الألف واو ف قيل الوله مثل إشاح ووشاح و وكاف وإكاف وأرخت الكتاب وورخته و ووقنت وأقتت قال الكميت

(1/10)

---

ولهمت نفسي الطروب إليهم ولها حال دون طعم الطعام فكانه سمي بذلك لأن القلوب توله لمحبتة وتضطرب وتشتاق عند ذكره وقيل معناه محتجب لأن العرب إذا عرفت شيئاً ثم حجب عن أبصارها سمته إلهها قال لاهت العروس تلوه لونها إذ حبيت قال الشاعر لاهت فما عرفت يوماً بخارجة يا ليتها خرجت حتى رأيناها والله تعالى هو الظاهر بالربوبية بالدلائل والأعلام وهو المحتجب من جهة الكيفية عن الأوهام وقيل معناه المتعالي يقال لاه أي ارتفع وقد قيل من إلهتك فهو كما قال الشاعر تروحنا من اللعناء قصراً وأعجلنا الألهة أن تؤوبا وقيل هو مأخوذ من قول العرب ألهمت بالمكان إذا أقمت فيه قال الشاعر ألهنا بدار ما تبين رسومها كان بقاياها وشام على اليد فكان معناه الدائم الثابت الباقي وقال قوم أن يقال ذاته وهي قدرته على الإخضاع وقال الحارث بن أسد

المجلسي أبو عبد الله البغدادي الله من ألهمهم فإلعباد مولوهون إلى بارئهم أي محتاجون إليه في المنافع والمضار كالواله المضطر المغلوب وقال شهر بن حوشب الله خالق كل شيء وقال أبو بكر الوراق هو وغلظ بعض بقراءة اللام من قوله الله حتى طبقوا اللسان به الحنك لفخامة ذكره وليصرف عند الابتداء بذكره وهو الرب الرحمن الرحيم قال قوم هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم و سلمان

(1/11)

---

وسليم وهوان وهوين ومعناهما ذو الرحمة والرحمة إرادة الله الخير بأهله وهي على هذا القول صفة ذات وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة وفعل الخير إلى من لم يستحق وعلى هذا القول صفة فعل يجمع بينهما للاتساع كقول العرب جاد مجد قال طرفة فما لي أراني وابن عمي مالكا متى أدن منه ينا عني ويبعد وقال آخر وألفي قولها كذبا ومينا وفرق الآخرون بينهما فقال بعضهم الرحمن على زنة فعلان وهو لا يقع إلا على مبالغة القول وقولك رجل غضبان للممتلئ غضبا وسكران لمن غلب عليه الشراب فمعنى الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وقال بعضهم الرحمن العاطف على جميع خلقه كافرهم ومؤمنهم برهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم قال الله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء و الرحيم بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا والجنة والرؤية في العقبى قال تعالى وكان بالمؤمنين حيماء ف الرحمن خاص اللفظ عام المعنى و الرحيم عام اللفظ خاص المعنى و الرحمن خاص من حيث إنه لا يجوز أن يسمى به أحد إلا الله تعالى عام من حيث إنه يشمل الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع و الرحيم عام من حيث اشتراك المخلوقين في المسمى به خاص من طريق المعنى لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق وهذا قول جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وقول ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق حدثنا الحسن بن محمد بن جابر حدثنا عبد الله بن هاشم أخبرنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال الرحمن بأهل الدنيا والرحيم بأهل الآخرة وجاء في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وقال الضحاك الرحمن بأهل السماء حين أسكنهم السماوات وطوقهم الطاعات

(1/12)

---

وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطاعم واللذات والرحيم بأهل الأرض حين أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وأعذر إليهم في النصيحة وصرف عنهم البلياء وقال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي حدثناه أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي بمرو حدثنا أبو هريرة وأحمد بن محمد بن شاردة الكشي حدثنا جارود ابن معاذ أخبرنا عمير بن مروان عن عبد الملك أبي سليمان عن عطاء عن أبي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عبادة يوم القيامة وفي رواية أخرى إن الله تعالى قابض هذه إلى تلك فمكملها مائة يوم القيامة يرحم بها عبادة وقال ابن المبارك الرحمن الذي إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل غضب يدل عليه ما حدثنا أبو القاسم المفسر حدثنا أبو يوسف رافع بن عبد الله بمرو الروذ حدثنا خلف ابن موسى حدثنا محمود بن خدّاش حدثنا هارون بن معاوية حدثنا أبو الملح وليس الرقي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يسأل الله يغضب عليه نضمه الشاعر فقال إن الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب وسمعت الحسن بن محمد يقول سمعت إبراهيم بن محمد النسفي يقول سمعت أبا عبد الله وهو ختن أبي بكر الوراق يقول سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول الرحمن بالنعماء وهي ما أعطي وحبا والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوي وقال محمد بن علي المزدي الرحمن بالإنقاذ من النيران وبيانه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها والرحيم بإدخالهم الجنان بيانه ادخلوها بسلام آمين وقال المحاسبي الرحمن برحمة النفوس والرحيم برحمة القلوب

(1/13)

---

وقال السري بن مغلّس الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفران الذنوب وقال عبد الله بن الجراح الرحمن ب الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق وقال مطهر بن الوراق الرحمن بغفران السيئات وإن كن عظيّمات والرحيم بقبول الطاعات وإن كن قليلات وقال يحيى بن معاذ الرازي الرحمن بمصالح معاشهم والرحيم بمصالح معادهم وقال الحسين بن الفضل الرحمن الذي يرحم العبد على كشف الضر ودفع الشر والرحيم الذي يرق وربما لا يقدر على الكشف وقال أبو بكر الوراق أيضا الرحمن بمن جده والرحيم بمن وحده والرحمن بمن كفر والرحيم بمن شكر والرحمن بن قال ندا والرحيم بمن قال فردا في أن التسمية من الفاتحة أو لا واختلف الناس في أن التسمية هل هي من الفاتحة فقال قراء المدينة والبصرة وقراء الكوفة إنها افتتاح التيمن والتبرك بذكره وليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور ولا تجب قراءتها وأن الآية السادسة قوله تعالى أنعمت عليهم وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي وأبي حنيفة رحمهم الله ورووا ذلك عن أبي هريرة أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن النيسابوري حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسن الكابلي أخبرنا علي بن عبد العزيز الحلبي حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي حدثنا الحجاج عن أبي سعيد الهذلي عن عن أبي هريرة قال أنعمت عليهم الآية السادسة فزعمت فرقة أنها آية من أم القرآن وفي سائر السور فصل فليست هاهنا أنها يجب قراءتها وقال قوم إنها آية من فاتحة الكتاب روي ذلك عن سعيد بن المسيب وبه قال قراء مكة والكوفة وأكثر قراء الحجاز ولم يعدوا أنعمت عليهم آية وقال الشافعي والشعبي وهو رأي عبد الله أنها نزلت في الآية الأولى من فاتحة الكتاب

(1/14)



---

وهي من كل سورة آية إلا التوبة والدليل عليه الكتاب والسنة أما الكتاب سمعت أبا عثمان بن أبي بكر الزعفراني يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن موسى يقول سمعت الحسن بن المفضل يقول رأيت الناس في النمل أن بسم الله الرحمن الرحيم فيها من القرآن فوجدتها بخطها ولو أنها مكررات في القرآن فعرفنا أماكنها منه بل حتى فباي آلاء ربكما تكذبان ويل يومئذ للمكذبين لما كانا في القرآن كانت مكرراتهما من القرآن وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزلت وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها فكتب بسم الله حتى نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب مثلها فلما كانت هذه وحيث أن يكون منه ثم افتخر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وحق له ذلك حدثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوراق أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه حدثنا محمد ابن يحيى بن سهل حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا سلمة بن الأحمر عن يزيد بن أبي خالد عن عبد الكريم بن أمية عن أبي بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى قال بأي شيء تفتتح إذا افتتحت القرآن قلت بسم الله الرحمن الرحيم فقال هي هي وفي هذا الحديث دل دليل على كون التسمية آية تامة من الفاتحة وفواتح السور لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين لفظ الآية كلها والتي في سورة النمل ليست بآية وإنما هي بعض الآية وبالله التوفيق وأما الأخبار الواردة فيه فأخبرنا أبو القاسم السدوسي حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري حدثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو سفيان المعمرى عن إبراهيم بن يزيد قال قلت لعمر بن دينار إن الفضل الرقاشي زعم أن بسم الله الرحمن الرحيم

(1/15)

---

ليس من القرآن قال سبحان الله ما أجراً هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت آية بسم الله الرحمن الرحيم علم أن السورة قد ختمت وفتح غيرها وحدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي حدثنا أبو محمد إسماعيل ابن عيسى الواسطي حدثنا عبد الله بن نافع عن جهم بن عثمان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة قال أقول الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وحدثنا الحسن بن محمد أخبرنا أبو الحسين حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد حدثنا عمر بن هارون البلخي عن أبي صالح عن أبي مليكة عن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يعني يقطعها آية آية حتى عد سبع آيات عد الأعراب أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ حدثنا محمد

ابن جعفر حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وكان يقول هي تمام السبع المثاني والقرآن العظيم وأخبرنا الحسين بن محمد بن جعفر حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي حدثنا جعفر بن حيان عن عبد الملك بن جريح عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني قال فاتحة الكتاب وقيل لابن عباس أين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم وعدّها في يديه ثم قال أخرجها لكم وما أجد فيها أمركم أخبرنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا يزيد بن سنان حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا نوح بن أبي بلال قال سمعت المقبري عن أبي هريرة

(1/16)

أنه قال إذا قرأتم أم القرآن فلا تبرحوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها إحدى آياتها وإنها السبع المثاني وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري حدثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ حدثنا أحمد بن نصر حدثنا آدم بن إياس عن أبي سمعان عن العلا عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله قسمت الصلاة

بيننا وبين عبادي نصفين فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي وإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض إلي أمره عبدي وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل وأخبرنا علي بن محمد بن الحسن المقرئ أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد القصار حدثنا محمد بن بكر البصري حدثنا محمد بن علي الجوهري حدثنا حدثني أبو إسماعيل بن يحيى حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ دخل رجل يصلي وافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رجل قطعت على نفسك الصلاة أما علمت أن بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها فقد ترك آية ومن ترك آية منه فقد قطعت عليه صلاته لا تكون الصلاة إلا بفاتحة الكتاب ومن ترك آية فقد بطلت صلاته وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن هشام أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا حكيم بن الحسين حدثنا سليمان بن مسلم المكي عن نافع عن أبي مليكة عن طلحة بن عبيدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم

(1/17)

---

فقد ترك آية من كتاب الله وقد عدّها علي ج فيما عد من أم الكتاب وأما الإجماع فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الوراق أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الضبعي حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن يحيى حدثنا علي بن المدني حدثنا عبدالوهاب بن فليح عن عبد الله بن ميمون عن عبيد بن رفاعة أن معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة ف صلى بالناس صلاة يجهر فيها ولما قرأ أم القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وقضى صلاته ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية أنسيت أين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القرآن فأعادها لهم معاوية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم

(1/18)

---

الكلام في جزئية البسمة من باقي السور هذا في الفاتحة فأما في غيرها من السور فأخبرنا أبو القاسم الحبيبي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج عن عبد الله بن عثمان بن خيثم أن أبا بكر بن حفص بن عاصم قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ للسورة التي بعدها حتى قضى صلاته فلما سلم ناداه المهاجرون من كل مكان يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت ف صلى بهم صلاة أخرى وقرأ فيها للسورة التي بعدها وما النظر بآيات السور مقاطع القرآن على ضربين متقاربة ومتشاكلة والمتشاكلة نحو ما في سورة القمر والرحمن وأمثالهما والمتقاربة قيل في سورة ق والقرآن المجيد بل عجيبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب وما ضاهاها ثم نظرنا في قوله قبلهم فلم يكن من المتشاكلة ولا من المتقاربة ووجدنا أواخر أي القرآن على حرفين ميم ونون أو حرف صحيح قبلها نا مكسورة فأولها أو واو مضموم ما قبلها أو ألف مفتوح ما قبلها ووجدنا سبيلهم هو هو مخالف لنظم الكتاب هذا ولم نر غير مبتدأ آية في كتاب الله إذ يقول أيضا إن التسمية لا تخلو إما أن تكون مكتوبة للفصل بين السور أو في آخر السور أو في أوائلها أو حين نزلت كتبت وحيث لم تنزل لم تكتب فلو كتبت للفصل لكتبت وتراخ ولو كتبت في الابتداء لكتبت في براءة ولو كتبت في الانتهاء لكتبت في آخر قل أعوذ برب الناس فلما أبطلت هذه الوجوه علمنا أنها كتبت حيث نزلت وحيث لم تنزل لم تكتب يقول أيضا إنا وجدناهم كتبوا ما كان غير قرآن من الآي والأخرى أو خضرة وكتبوا التسمية بالسواد فعلمنا أنها قرآن وباللغة التوفيق حكم الجهر بالبسمة في الصلاة ثم الجهر بها في الصلاة سنة لقول الله تعالى اقرأ باسم ربك فأمر رسوله أن يقرأ القرآن بالتسمية وقال قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فأوجب الفلاح لمن

(1/19)

---

صلى بالتسمية  
وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر حدثنا أبو صخر محمد بن مالك

السعدي بمر وحدثنا عبد الصمد بن الفضل الأملي حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي بغوطة دمشق قال صليت خلف المهدي أمير المؤمنين فجهر ب بسم الله الرحمن الرحيم فقلت ما هذه القراءة يا أمير المؤمنين فقال حدثني أبي عن أبيه عن عبد الله بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم هر ب بسم الله الرحمن الرحيم قلت أأثرها عنك قال نعم وحدثنا الحسن بن محمد بن الحسن قال حدثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن حابس بمر و الروذ إملاء حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري حدثنا عبد الرزاق عن عمر بن دينار أن ابن عمر وابن عباس كانا يجهران ب بسم الله الرحمن الرحيم وحدثنا الحسن بن محمد بن زكريا العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحاق ابن إبراهيم أخبرنا خيثمة بن سليمان قال سمعت ليثا قال كان عطاء وطاووس ومجاهد يجهرون ب بسم الله الرحمن الرحيم وحدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المروزي حدثنا الحسن ابن علي بن نصير الطوسي حدثنا أبو ميثم سهل بن محمد حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعي عن عمار بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان أن العبادلة كانوا يستفتحون القراءة ب بسم الله الرحمن الرحيم يجهرون بها عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان وحدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو نصر منصور بن عبد الله الاصفهاني حدثنا أبو القاسم الاسكندراني حدثنا أبو جعفر الملطبي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه قال اجتمع آل محمد على الجهر ب بسم الله الرحمن الرحيم وعلى أن يقضوا ما فاتهم من صلاة الليل بالنهار وعلى أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن القول وفي صاحبهما وبهذا الإسناد قال سئل الصادق عن الجهر بالتسمية فقال الحق الجهر به وهي التي التي ذكر الله عز وجل وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا

(1/20)

على أديارهم نفورا وحدثنا الحسن حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب العدل حدثنا الحسين ابن أحمد بن الليث حدثنا محمد بن المعلى المرادي حدثنا أبو نعيم عن خالد بن إياس عن سعيد ابن أبي سعيد المقرئ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وكبر فجهر ب بسم الله الرحمن الرحيم وحدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدون حدثنا الشرقي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ونافع بن أيوب قال حدثنا عقيل عن الزهري قال من سنة الصلاة أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب فإن لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لم يقرأ السورة وقال إن أول من ترك بسم الله الرحمن الرحيم عمرو ابن سعيد بن العاص بالمدينة واحتج من أن إتيان التسمية أنها من الفاتحة والجهر بها في الصلاة بما أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل النيسابوري القطان حدثنا محمد بن إبراهيم الجرجاني حدثنا إبراهيم بن عمار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن إسماعيل العماري حدثنا يزيد بن أحمد بن يزيد حدثنا أبو عمرو حدثنا محمد بن عثمان حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يجهرون ويخفون بسم الله الرحمن الرحيم فعلم بهذا الحديث أنه لم ينف كون هذه الآية من جملة السورة لكنه تعرض لترك الجهر فقط على أنه أراد بقوله لا يجهرون أنهم لا يتكلفون في رفع الصوت ولم يرد الإسراء والتخافت أو تركها أصلا ويدل عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي

(1/21)

---

أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام الوراق وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قالا حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا يحيى بن آدم أخبرنا شريك عن ياسر عن سالم الأفطس عن ابن أبي ليلى عن سعيد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ب بسم الله الرحمن الرحيم جهر بها صوته فكان المشركون يهزؤون بمكة ويقولون يذكر إله اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب ويسمونهم الرحمن فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيهزؤون ولا تخافت عن أمك ولا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا واحتجوا أيضا بما أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر المطيري حدثنا بشر

(1/22)

---

ابن مطر عن سفيان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القراءة ب الحمد لله رب العالمين وإنما عني بها أنهم كانوا يستفتحون الصلاة بسورة الحمد فعبر بهذه الآية عن جميع السورة كما يقول قرأت الحمد لله و البقرة أي سورة الحمد لله وسورة البقرة أي رويتها نحكم على هذين الحديثين وأمثالهما وباللله التوفيق قوله تعالى الحمد لله على نفسه نعيما منه على خلقه ولفظه خبر ومعناه أمر تقريره قولوا الحمد لله قال ابن عباس يعني الشكر منه وهو من الحمد والحمد لله نقيض الذم وقال ابن الأنباري هو مقلوب عن المدح كقوله جبل و جلب و بض وضب واختلف العلماء في الفرق بين الحمد والشكر فقال بعضهم الحمد الثناء على الرجل بما فيه من الخصال الحميدة تقول حمدت الرجل إذا أثبتت عليه بكرم أو حلم أو شجاعة أو سخاوة ونحو ذلك والشكر له الثناء عليه أو لآله فالحمد الثناء عليه بما هو به والشكر الثناء عليه بما هو منه وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال حمدته على معروفه عندي كما يقال شكرته ولا يوضع الشكر موضع الحمد ف لا يقال شكرته على علمه وحلمه والحمد أعم من الشكر لذلك ذكره الله فأمر به فمعنى الآية الحمد لله على صفاته العليا وأسمائه الحسنى وعلى جميع صنعه وإحسانه إلى خلقه وقيل الحمد باللسان قولا قال الله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقال قل الحمد لله وسلام على عبادة الذين اصطفى والشكر

بالأركان فعلا قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقيل الحمد لله على ما حبا  
وهو النعماء والشكر على ما زوى وهو الأواء وقيل الحمد لله على النعماء  
الظاهرة والشكر على النعماء الباطنة قال الله تعالى وأسبغ عليكم نعمه  
ظاهرة وباطنة

(1/23)

---

وقيل الحمد ابتداء والشكر حدثنا الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظا  
حدثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي حدثنا محمد بن علي الترمذي حدثنا  
عبدالله بن العباس الهاشمي حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد  
الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله  
عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وحدثنا الحسن بن  
محمد أخبرنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه حدثنا عبد الله بن محمود  
السعدي حدثنا علي بن حجر حدثنا شعيب بن صفوان عن مفضل بن فضالة عن  
علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن الحمد لله قال  
كلمة شكر أهل الجنة في إعراب الحمد لله الحمد لله رب العالمين الرحمان  
الرحيم وقد اختلف القراء في قوله الحمد لله فقرأت العامة بضم الدال على  
الابتداء وخبره فيما بعده وقيل على التقديم والتأخير أي لله الحمد وقيل على  
الحكاية وقرأ هارون بن موسى الأعور ورؤية بن العجاج بنصب الدال على  
الإضمار أي أحمد الحمد لأن الحمد مصدر لا يثنى ولا يجمع وقرأ الحسن  
البصري بكسر الدال أتبع الكسرة الكسرة وقرأ إبراهيم بن أبي عيلة الشامي  
بضم الدال واللام أتبع الضمة الضمة رب العالمين قرأ زيد بن علي رب  
العالمين بالنصب على المدح وقال أبو سعيد ابن أوس الأنصاري على معنى  
أحمد رب العالمين وقرأ الباقر بن الرب العالمين بكسر الباء أي خالق الخلق  
أجمعين ومبدئهم ومالكهم والقائم بأمورهم والرب بمعنى السيد قال الله تعالى  
أذكرني عند ربك أي سيدك قال الأعشى واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب  
معين خبت وعرعر

(1/24)

---

ورب عمر والرومي من رأس حضية وأنزلن بالأسباب رب المشقرة يعني  
رئيسها وسيدها ويكون بمعنى المالك قال النبي صلى الله عليه وسلم أرب إبل  
أنت أم رب غنم فقال من كل قد آتاني الله فأكثر وأطنب وقال طرفة كقنطرة  
الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقمرمذ وقال النابغة وإن يك رب أدواد  
فحسبي أصابوا من لقاتك ما أصابوا ويكون بمعنى الصاحب قال أبو ذؤيب فدنا  
له رب الكلاب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع ويكون بمعنى المرعى يقول رب  
يرب ربابة وربوبا فهو رب مثل بر وطب قال الشاعر يرب الذي يأتي من  
العرف إنه إذا سئل المعروف زاد وتمما ويكون بمعنى المصلح للشيء قال  
الشاعر كانوا كسائله حمقاء إذحقت سلاءها في أديم غير مربوب أي غير  
مصلح وقال الحسين بن الفضل الرب اللبث من غير إثبات أحد يقال رب  
بالمكان وأرب ولبث وألبث إذا أقام وفي الحديث أنه كان يتعوذ بالله من فقر

ضرب أو قلب قال الشاعر رب بأرض تخطاها الغنم لب بأرض ما تخطاها الغنم وهو الاختيار لأن المتكلمين أجمعوا على أن الله لم يزل ربا وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول سمعت أبي يقول سئل أبو بكر محمد بن موسى الواسطي عن الرب فقال هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفا بالألف

(1/25)

---

واللام وإنما يقال على الإضافة هو رب كذا لأنه لا يملك الكل غير الله والألف واللام تدلان على العموم وأما العالمون فهم جمع عالم ولا واحد له من لفظه كالأنام والرهط والجيش ونحوها واختلفوا في معناه حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أخبرنا أبو إسحاق بن أسعد بن الحسن بن سفيان عن جده عن أبي نصر ليث بن مقاتل عن أبي معاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع بن أنس عن شهر بن حوشب عن أبي بن كعب قال العالمون هم الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملكا منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب وأربعة آلاف والكهف الثالث من الدنيا وأربعة آلاف وخمسمائة ملك في الكهف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام مسير الشمس أربعين يوما طولها لا يعلمه إلا الله عز وجل مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته فهم العالمون منتهاهم إلى حملة العرش وقال أبو معاذ النحوي هم بنو آدم وقال أبو هيثم خالد بن يزيد هم الجن والإنس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وهي رواية عطية العوفي وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسين بن الفضل العالمون الناس واحتج بقوله تعالى أتاتون الذكران من العالمين وقال العجاج بخلاف هذا العالم وقال الفراء وأبو عبيدة هو عبارة عن يعقل وهم أربع أمم الملائكة والجن والإنس والشياطين لا يقال للبهائم عالم وهو مشتق من العلم قال الشاعر ما إن سمعت بمثلهم في العالمينا وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني هم أهل التنزية من الخلق وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم هم المرتزقون وقال الخضر بن إسماعيل هو اسم الجمع الكثير قال ابن الزبيري

(1/26)

---

إني وجدتك يا محمد عصمة للعالمين من العذاب الكارث وقال أبو عمرو بن العلاء هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذي روح دب على وجه الأرض وقال سفيان بن عيينة هو جمع للأشياء المختلفة وقال جعفر بن محمد الصادق العالمون أهل الجنة وأهل النار وقال الحسن وقتادة ومجاهد هو عبارة عن جميع المخلوقات واحتجوا بقوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما واشتقاقه على هذا القول من العلم والعلامة لظهورهم ولظهور أثر الصنعة فيهم ثم اختلفوا في مبلغ العالمين وكيفيةهم فقال سعيد بن المسيب لله ألف عالم منها ستمائة في البحر وأربعمائة في

البر وقال الضحاك فمنهم ثلاثمائة وستون عالما حفاة عراة لا يعرفون من خالقهم وستون عالما يلبسون الثياب وقال وهب لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء وقال أبو سعيد الخدري إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد وقال أبو القاسم مقاتل بن حيان العالمون ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر وأربعون ألفا في البحر وقال مقاتل بن سليمان لو فسرت العالمين لاحتجت إلى ألف جلد كل جلد ألف ورقة وقال كعب الأحبار لا يحصي عدد العالمين إلا الله قال الله وما يعلم جنود ربك إلا هو مالك يوم الدين مالك يوم الدين اختلف القراء فيه من عشرة أوجه الوجه الأول مالك بالألف وكسر الكاف على النعت وهو قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وابن عباس وأبي ذر وأبي هريرة وأنس ومعاوية ومن التابعين وأتباعهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري ومسلمة بن زيد والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبيرة وأبو رزين وإبراهيم وطلحة بن عوف وعاصم بن أبي النجود وبن عمر

(1/27)

الهمذاني وشيبان ابن عبد الرحمن وعلي بن صالح بن حي وابن أبي ليلى وعبد الله بن إدريس وعلي بن حمزة الكيسائي وخلف بن هشام والحسين بن أبي الحسن البصري من أهل البصرة وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله المزني وقتادة بن دعامة السدوسي ويحيى بن يعمر وعيسى بن عمر النفعي وسلام بن سليمان أبو المنذر ويعقوب بن أعين الحضرمي وأيوب بن المتوكل وأبو عبيدة و وسعيد بن مسعدة الأخفش وخالد بن معدان والضحاك بن مزاحم أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن علي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا ابن عبد الحكم حدثنا بن سويد الحميري عن يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يقرؤون مالك يوم الدين وأخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم أخبرنا محمد بن محمد بن خلف العطار حدثنا المنذر بن المنذر الفارسي حدثنا هارون بن حاتم حدثنا إسحاق بن منصور الأسدي عن أبي إسحاق عن مالك بن دينار عن أنس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً يقرؤون مالك يوم الدين وأول من قرأها ملك يوم الدين مروان بن الحكم والوجه الثاني ملك بغير ألف وكسر الكاف على التفسير أيضا وهو قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وشعيب بن يزيد والمسور بن المخزومي ومن التابعين وأتباعهم عروة بن الزبير وأبو بكر بن عمر بن حزم ومروان بن الحكم و عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبان بن عثمان وأبو جعفر يزيد بن المفضل ونسيبة بن نصح ونافع بن نعيم ومجاهد وابن كثير وابن محسن وحميد بن معين ويحيى بن وثاب وحمزة بن حبيب ومحمد بن سيرين وعبد الله بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبد الله بن عامر النصيبى وروي ذلك أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وعن عثمان وعلي عليه السلام أخبرنا ابن حمدوية أخبرنا ابن



أيوب المنقري أخبرنا ابن حامد وابن قالا أخبرنا حامد بن محمد حدثنا وأخبرنا ابن عمر حدثنا الرفاء قالوا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبد الملك بن جريح عن عبد الله ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين والوجه الثالث ملك بجزم اللام على النعت وهو رواية الحسن بن علي الجعفي وعبد الوارث بن سعيد وروي عن ابن عمر والوجه الرابع أن مالك بالألف ونصب الكاف على النداء وهي قراءة الأعمش ومحمد بن السميع وعبد الملك قاضي الجند وروي ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال في بعض غزواته يا مالك يوم الدين والوجه الخامس ملك بنصب الكاف من غير ألف على النداء أيضا وهي قراءة عطية والوجه السادس مالك بالألف ورفع الكاف على معنى هو مالك وهي قراءة عزيز العقيلي والوجه السابع ملك برفع الكاف من غير ألف وهي قراءة أبي حمزة وابن سيرين والوجه الثامن مالك بالإمالة والإضجاع البليغ روي ذلك عن يحيى بن يعمر وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم عن عن الكلبي والوجه التاسع ملك يوم الدين على الفعل وهي قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وأبي حمزة وأبي حنيفة الفرق بين ملك ومالك أما الفرق بين مالك ومالك فقال قوم هما لغتان بمعنى واحد مثل فرهين و فارهين و حذرين و حاذرين و فكهين و فاكهين بينهما فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم مالك أجمع وأوسع وأمدح ألا ترى أنه يقال الله مالك الطير والدواب والوحش وكل شيء ولا يقال ملك كل شيء وإنما يقال ملك الناس قالوا ولا يكون مالك الشيء إلا هو يملكه ويكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم ملك العرب والعجم والروم

وقالوا أيضا إن المالك يجمع الفعل والاسم وقال بعضهم في مالك ومالك قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنة وقال أبو عبيد الذي نختار ملك مرويا عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم أثبت ومن قرأ بها من أهل العلم أكثر وهي مع هذا في المعنى أصح لقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق و الملك القدوس و ملك الناس و لمن الملك اليوم ولم يقل لمن الملك اليوم والملك مصدر الملك وغيره وملك يصلح للمالك والمليك يقال ملك الشيء يملكه ملكا فهو مالك ومليك و ملكه يملكه ملكا فهو ملك لا غير وهما بعد الناس ومعناهما الرب لأن العرب تقول رب الدار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالكة ولا يفرقون بين قولهم ربها ومالكها ومن قال إن المالك والملك هو القادر على استخراج الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر في الحقيقة على إخراجها إلا الله المالك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ملك إلا الله فأما غيره فيسمى مالكا وملكاً على المجاز والمراد بذلك أنه

مأذون له في التصرف فيه وقال عبد العزيز بن يحيى المالك يمكن بما يملكه منفرد به عن أبناء جنسه تعود منافعه إليه والمالك الثاني الذي بيده الشيء ويستولي عليه ويصرفه فيما يريدته تقول العرب ملكك زمام البعير وملكت العجين إذا شدته وأملكت المرأة إملاكا قال الشاعر وجبرئيل أمين الله املكها معنى قوله الدين وأما معنى قوله مالك يوم الدين فقال ابن عباس والسدي ومقاتل قاضي يوم الحساب ودليله قوله عز وجل ذلك الدين القيم أي الحساب المستقيم الضحاك وقتادة الدين الجزاء يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم دليله قوله أننا لمدينون أي مجربون قال لبيد

(1/30)

---

حصادك يوما ما زرعت وإنما يدان الفتى يوما كما هو دائن وقال عثمان بن زيات يوم القهر والغلبة تقول العرب مدان فدان أي قهرته فخضع وذل وقال الأعشى هو دان الرباب إذ كرهو الدين دراكا بغزوة وارتحال ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد الأديب يقول سمعت أبا المضر محمد بن أحمد ابن منصور يقول سمعت أبا عمر غلام ثعلب يقول كان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى ودان إذا عز وكان إذا ذل ودان إذا قهر وقال الحسن بن الفضل يوم الإطاعة قال زهير لئن حللت بواد في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك أي في طاعة وكل ما أطيع الله فيه فهو دين وقال بعضهم يوم العمل قال الفراء دين الرجل خلقه وعمله وعادته وقال المثقب العبيدي تقول إذا درات وضيئي لها أهذا دينه أبدا وديني وقال محمد بن كعب القرظي مالك يوم لا ينفع فيه وحالت بيننا فدك أي في طاعة وكل ما أطيع الله فيه فهو دين وقال بعضهم يوم العمل قال الفراء دين الرجل خلقه وعمله وعادته وقال المثقب العبيدي تقول إذا درات وضيئي لها أهذا دينه أبدا وديني وقال محمد بن كعب القرظي مالك يوم لا ينفع فيه إلا الدين وهذه من قول الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وقوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا وإنما خص يوم الدين بكونه مالكا له لأن الأملاك في ذلك اليوم زائلة فينفرد تعالى بذلك وهي باطلة والأملاك خاصة وقيل خص يوم الدين بالمالك فيه لأن ملك الدنيا قد اندرج في قوله رب العالمين فأثبت أنه مالك الآخرة بقوله مالك يوم الدين ليعلم أن الملك له في الدارين وقيل إنما خص يوم الدين بالذكر تهويلا وتعظيما لشأنه كما قال تعالى يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ولا خفاء بهم في كل الأوقات عن الله عز وجل

(1/31)

---

سورة الفاتحة من الآية إياك نعبد وإياك نستعين رجع من الخبر إلى الخطاب على التلويح وقيل فيه إضمار أي قولوا إياك وإيا كلمة ضمير لكنه لا يكون إلا في موضع النصب والكاف في محل الخفض بإضافة إيا إليها وخص بالإضافة إلى الضمير لأنه يضاف إلى الاسم المضمّر إلا يقول الشاعر فدعني وإيا خالد لأقطعن عري نياطه وحكى الخليل عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه

وإياكم ويستعمل مقديا على الفعل مثل إياك أعني و إياك أسأل ولا يستعمل مؤخرا على الفعل إلا أن به حين الفعل فيقال ما عبدت إلا إياك ونحوها وقال أبو ميثم سهل ابن محمد إياك ضمير منفصل والضمير ثلاثة أقسام ضمير متصل نحو الكاف والهاء والياء في قولك أكرمك وأكرمه وأكرمني سمي بذلك لاتصاله بالفعل وضمير منفصل نحو إياك وإياه وإياي سمي بذلك لانفصاله عن الفعل وضمير مستكن كالضمير في قولك قعد وقام سمي بذلك لأنه استكن في الفعل ولم يستبق في اللفظ ويعم أن فيه ضمير الفاعل لأن الفعل لا يقوم إلا بفاعل ظاهر أو مضمّر وقال أبو زيد إنما هما ياءان الأولى للنسبة والثانية للنداء تقديرها أي يا فادغمت وكسرت الهمزة لسكون الياء وقال أبو عبيد أصله أو ياك فقلبت الواو ياء فادغموه وأصله من أوى يؤوي إيواء كان فيه معنى الانقطاع والقصد وقرأ الفضل الرقاشي إياك يفتح الألف وهي لغة وإنما لم يقل نعيديك لأنه يصح في العبارة وأحسن الإشارة لأنهم إذا قالوا إياك نعيدي كان نظرهم منه إلى العبادة لا من العبادة إليه وقوله نعيدي أي نوحدي ونخلص ونطيع ونخضع والعبادة رياضة النفس على حمل المشاق في الطاعة وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذلة يقال طريق معبد إذا كان مذلا موطوءا بالأقدام قال طرفة تباري عتاقا ناجيات وأتبعن وظيفا وظيفا فوق مور معبد

(1/32)

---

وبعير معبد إذا كان مطليا بالقطران قال طرفة إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد وسمي العبد عبدا لذته وانقياده لمولاه وإياك نستعين نستوفي ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها يقال استعنته واستعنت به وقرأ يحيى بن رثاب نستعين بكسر النون قال الفراء تميم وقيس وأسد وربيعة يكسرون علامات المستقبل إلا الياء فيقولون إستعين ونستعين ونحوها ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة وقريش وكنانة يفتحونها كلها وهي الأفصح والأشهر وإنما كرر إياك ليكون أدل على الأخلاص والاختصاص والتأكيد لقول الله تعالى خبرا عن موسى كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ولم يقل كي نسبحك ونذكرك كثيرا وقال الشاعر وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا ولم يقل بين النهار والليل وقال الآخر بين الأشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود وقال أبو بكر الوراق إياك نعيدي لأنك خلقتنا وإياك نستعين لأنك هديتنا وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحمن الفران وقد سئل عن الآية فقال إياك نعيدي لأنك الصانع وإياك نستعين لأن المصنوع لا غنى به عن الصانع إياك نعيدي لتدخلنا الجنان وإياك نستعين لتنقذنا من النيران إياك نعيدي لأننا عبيد وإياك نستعين لأنك كريم مجيد إياك نعيدي لأنك المعبود بالحقيقة وإياك نستعين لأننا العباد بالوثيقة إهدنا الصراط المستقيم إهدنا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأبي بن كعب أرشدتنا فهذا كما يقال للرجل الذي يأكل كل والذي يقرأ إقرأ وللقاتم قم لي حتى أعود لك أي دم على ما أنت

(1/33)

---

عليه وقال السدي ومقاتل أرشدنا يقال هديته للدين وهديته إلى الدين هدى وهداية قال الحسن بن الفضل الهدي في القرآن على وجهين الوجه الأول هدى دعاء وبيان كقوله وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم وقوله ولكل قوم هاد و أما ثمود فهديناهم الوجه الثاني هدى توفيق وتسديد كقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقوله إنك لا تهدي من أحببت و الصراط المستقيم الطريق الواضح المستوي قال عامر بن الطفيل خشونا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط وقال جرير أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم الإختلاف في قراءة الصراط وفي الصراط خمس قراءات بالسین وهو الأصل سمي الطريق صراطاً لأنه يستترط المارة أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن حمدوية حدثنا محمود بن آدم حدثنا سفيان عن عمر عن ثابت قال سمعت ابن عباس قرا الصراط بالسین وبه قرأ ابن كثير من طريق ويعقوب من طريق وبإشمام السین وهي رواية أبي حمدون عن الكسائي وبالزاي وهي رواية أبي حمدون عن سليم عن حمزة وبإشمام الزاي وهي قراءة حمزة في أكثر الروايات والكسائي في رواية نهشل والشيرازي وبالصاد قراءة الباقيين من القراء وكلها لغات فصيحة صحيحة إلا إن الاختيار الصاد لموافقة المصحف لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد ولأن آخرتها بالطاء لأنهما موافقتان في الاطباق والاستعلاء واختلف المفسرون في الصراط المستقيم فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد وأبو

(1/34)

القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قال أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا الحسين بن علي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أبي أخ الحرث الأعسر عن الحرث عن علي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن محمد حدثنا محمد بن شاذان الجوهري حدثنا زكريا بن عدي عن مقتضي عن منصور عن أبي وإئيل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل وأخبرنا عبد الله أخبرنا عبد الرحمن بن محمد حدثنا ليث حدثنا عقبة بن سليمان حدثنا الحسين بن صالح عن أبي عقيل عن جابر قال الصراط المستقيم الإسلام وهو أوسع مما بين السماء والأرض وإنما كان الصراط المستقيم الإسلام لأن كل دين وطريق غير الإسلام فليس بمستقيم وروي عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه قال عاصم فذكرت ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح وقال بكر بن عبد الله المزني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقال سعيد بن جبیر يعني طريق الحق وقال السدي أرشدنا إلى دين يدخل صاحبه به الجنة ولا يعذب في النار أبدا ويكون خروجه من قبره إلى الجنة وقال محمد بن الحنفية هو دين الله الذي لا يقبل من عباده غيره أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله العائني حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي ببغداد حدثنا أبو القاسم ابن نهار حدثنا أبو حفص المستملي حدثنا أبي حدثنا حامد بن سهل حدثنا عبد الله بن محمد العجلي حدثنا إبراهيم بن جابر عن مسلم بن حيان عن أبي بريدة في قول الله

تعالى أهدنا الصراط المستقيم قال صراط محمد صلى الله عليه وسلم وآله  
عليهم السلام

(1/35)

---

وقال عبد العزيز بن يحيى يعني طريق السواد الأعظم وقال أبو بكر الوراق  
يعني صراطا لا تزيع به الأهواء يمينا وشمالا وقال محمد بن علي النهدي يعني  
طريق الخوف والرجاء وقال أبو عثمان الداراني يعني طريق العبودية وسمعت  
أبا القاسم الحسن بن محمد يقول سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله بهرات  
يقول سمعت أبا الحسن عمر بن واصل العنبري يقول سمعت سهل بن عبد  
الله التستري يقول طريق السنة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة  
وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر حدثنا أبو العباس  
محمد بن يعقوب الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أخبرنا أبو بكر بن  
عياش عن عاصم عن زر عن أبي وائل عن عبد الله قال خط رسول الله صلى  
الله عليه وسلم خطين خطأ عن يمينه وخطا عن شماله ثم قال هذه السبل  
وعلى كل سبل منهما شيطان يدعو إليه وهذا سبل الله ثم قرأ وأن هذا  
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وأخبرنا عبد  
الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا معمر بن سفيان الصغير  
حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثنا معاوية  
بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نصر حدثه عن أبيه جبير عن نواس بن  
معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم أنه قال ضرب  
الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جانبي الصراط ستور مرخاة فيها أبواب مفتحة  
وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا  
الصراط ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد فتح شيء من تلك  
الأبواب قال وبلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه بالصراط الإسلام والستور  
حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على الصراط كتاب الله  
عز وجل والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم صراط الذين أنعمت  
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين صراط بدل من الأول الذين أنعمت  
عليهم يعني طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق

(1/36)

---

والرعاية والتوحيد والهداية وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في  
قوله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا  
قال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيروا نعم الله عليهم  
وقال شهر بن حوشب هم أصحاب الرسول صلى الله عليه ورضي عنهم وأهل  
بيته عليهم السلام وقال عكرمة أنعمت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة  
وقال علي بن الحسين بن داود أنعمت عليهم بالشكر على السراء والصبر على  
الضراء وقال بن بما قد سنة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسين بن  
الفضل يعني أتممت عليهم النعمة فكم من منعم عليه وأصل النعمة المبالغة

والزيادة يقال دقت الدواء فأنعمت دقة أي بالغت في دقة ومنه قول العرب النبي صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة يتراءون الغرفة منها كما يتراءون الكوكب الدرّي الشرقي أو الغربي في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم أي زاداً عليه وقال أبو عمرو بالغاً في الخير وقرأ الصادق صراط من أنعمت عليهم وبه قرأ عمرو بن الزبير وعلي حرف اللام يجر ما بعده وفي عليهم سبع قراءات الأولى عليهم بكسر الهاء وجزم الميم وهي قراءة العامة والثانية عليهم بضم الهاء وجزم الميم وهي قراءة الأعمش وحمزة وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه والثالثة عليهم بضم الهاء والميم وإلحاق الواو وهي قراءة عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق والرابعة عليهمو بكسر الهاء وضم الميم وإلحاق الواو وهي قراءة ابن كثير والأعرج والخامسة عليهم بكسر الهاء والميم وإلحاق الياء وهي قراءة الحسن والسادسة عليهم بكسر الهاء وضم الميم مضمومة مختلصة وهي رواية عبد الله بن عطاء الخفاف عن أبي عمرو والسابعة عليهم بكسر الهاء والميم وهي قراءة عمرو بن حامد

(1/37)

فمن ضم الهاء رده إلى الأصل لأنه لو أفرد كان مضموماً عند الابتداء به ومن كسره فلأجل الياء الساكنة ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه يستثقل الضم مع مجاورة الياء الساكنة والياء أخت الكسرة والخروج من الضم إلى الكسر ثقيل ومن ضم الهاء والميم أتبع فيه الضمة ومن كسر الهاء وضم الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء وضم الميم على الأصل والأختلاص للاستخفاف وإلحاق الواو والياء للإتباع والله أعلم قال الشاعر في الميم المختلصة والله لولا شعبة من الكرم وسطة في الحي من خال وعم لكنت فيهم رجلاً بلا قدم غير المغضوب غير صفة الذين والذين معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف إلا إن الذين ليس بمعرفة موقفة ولكنه بمنزلة قولك إني لأمر بالصادق غير الكاذب كأنك قلت من يصدق لا من يكذب ولا يجوز مررت بعبد الله غير الظريف ومعنى كلامه غير صراط الذين غضبت عليهم في معنى الغضب واختلفوا في معنى الغضب من الله عز وجل فقال قوم هو إرادة الانتقام من العصاة وقيل هو جنس من العقاب يضاد الرضا وقيل هو ذم العصاة على قبح أفعالهم ولا يلحق غضب الله تعالى العصاة من المؤمنين بل يلحق الكافرين ولا الضالين عن الهدى وأصل الضلال الهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا خفي وذهب ورجل ضال إذا أخطأ الطريق و مضلل إذا لم يتوجه لخير قال الشاعر ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا قال الزجاج وغيره وإنما جاز أن يعطف ب لا على غير لأن غير متضمن معنى النفي فهو بمعنى لا مجازه غير المغضوب عليهم وغير الضالين كما تقول فلان غير محسن ولا مجمل فإذا كان غير بمعنى سوى لم يجز أن يعطف عليها ب لا لأنه لا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد وروي الخليل بن أحمد عن ابن كثير غير المغضوب نصياً وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وغير الضالين وقرأ السخيتاني ولا الضالين بالهمزة لالتقاء الساكنين والله أعلم

فأما التفسير فأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا أحمد بن حنبل ومحمد بن دينار قال حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال سمعت عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم قال اليهود ولا الضالين قال النصارى وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي أخبرنا أبو زكريا العنبري حدثنا محمد بن عبد الله الوراق أخبرنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى على فرسه فسأله رجل من القين فقال يا رسول الله من هؤلاء الذين يقاتلونك قال المغضوب عليهم وأشار إلى اليهود فقال من هؤلاء الطائفة الأخرى فقال الضالون وأشار إلى النصارى وتصديق هذا الحديث حكم الله تعالى بالغضب على اليهود في قوله هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وحكم الضلال على النصارى في قوله ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا وقال الواقدي غير المغضوب عليهم بالمخالفة والعصيان ولا الضالين عن الدين والإيمان وقال التستري غير المغضوب عليهم البدعة ولا الضالين عن السنة فصل في أمين والسنة المستحبة أن يقول القارئ بعد فراغه من قراءة فاتحة الكتاب أمين سواء كان في الصلاة أو غير الصلاة لما أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني أخبرنا محمد بن جعفر المطيري حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري حدثنا أبو داود عن سفيان وأخبرنا عبد الله قال وأخبرنا عبدوس بن الحسين حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا ابن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة عن حجر أبي العنيس الحضرمي عن أبي قایل بن حجر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ولا الضالين قال أمين ورفع بها صوته

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لقنني جبرائيل صلى الله عليه وسلم أمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال إنه كالأختم على الكتاب وفيه لغتان أمين بقصر الألف وأنشد تباعد مني فعطل إذ سألته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وأمين بمد الألف وأنشد يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وهو مبني على الفتح مثل أين واختلفوا في تفسيره فأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب أخبرنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا عبيد بن يعيش عن محمد ابن الفضل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وسلم عن معنى أمين قال رب افعل وقال ابن عباس وقتادة معناه كذلك يكون وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكّي بن عبدان حدثنا عبد الله بن حاتم حدثنا عبد الله بن نمير أخبرنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قال أمين اسم من أسماء الله تعالى وبذلك قال مجاهد وقال سهل بن عبد الله معناه لا يقدر على هذا أحد سواك وقال محمد بن علي النهدي معناه لا تخيب رجانا

وقال عطية العوفي أمين كلمة ليست بعربية إنما هي عبرية أو سريانية ثم تكلمت به العرب فصار لغة لها وقال عبد الرحمن بن زيد أمين كُنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله أحد إلا الله عز وجل وقال أبو بكر الوراق أمين قوة للدعاء واستنزال للرحمة وقال الضحاك بن مزاحم أمين أربعة أحرف مقطوعة من أسماء الله تعالى وهو خاتم رب العالمين يختم به براءة أهل الجنة وبراءة أهل النار وهي الجائزة التي منها يجوزون إلى الجنة والنار

(1/40)

---

يدل عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله حدثنا محمد بن علي الحافظ حدثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه حدثنا سعيد بن جبير حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن بن عياش الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمين خاتم رب العالمين على عبادة المؤمنين أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءتي عليه في صفر سنة ثمان وأربعمائة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين بن الشرقي حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافق إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر أخبرنا محمد أبو الحسن محمد بن الحسن بهراة حدثنا رجاء بن عبد الله حدثنا مالك بن سليم عن سعيد بن سالم عن ابن جريج عن عطاء قال أمين دعاء وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال ما حسدكم اليهود على شيء كما حسدوكم على أمين وتسليم بعضكم على بعض وقال وهب بن منبه أمين على أربع أحرف يخلق الله تعالى من كل حرف ملكا يقول اللهم أغفر لمن قال آمين فصل في أسماء هذه السورة هي عشرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى الأول فاتحة الكتاب سميت بذلك لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة وهي مفتحة بالآية التي تفتح بها الأمور تيمنا وتبركا وهي التسمية وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقال الحسين بن الفضل لأنها أول سورة نزلت من السماء والثاني سورة الحمد لأن فيها ذكر الحمد كما قيل سورة الأعراف و الأنفال و التوبة ونحوها والثالث أم الكتاب والقرآن سميت بذلك لأنها أول القرآن والكتب المنزلة فجميع ما

(1/41)

---

أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة فهي أصل لها كالأم للطفل وقيل سميت بذلك لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أم القرى لأنها أشرف البلدان وقيل سميت بذلك لأنها مقدمة على سور القرآن فهي أصل وإمام لما يتلوها من السور كما أن أم القرى أصل جميع البلدان دحيت الأرض من تحتها وقيل سميت بذلك لأنها مجمع العلوم والخيرات كما أن الدماغ يسمى أم



الرأس لأنها مجمع الحواس والمنافع وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد المفسر يقول سمعت أبا بكر القفال يقول سمعت أبا بكر البريدي يقول الأم في كلام العرب الراية ينصبها العسكر قال قيس بن الخطيم نصبنا أمانا حتى ابذعروا وصاروا بعد إفتهم شللا فسميت أم القرآن لأن مفزع أهل الإيمان إليها كمفزع العسكر إلى الراية والعرب تسمى الأرض أما لأن معاد الخلق إليها في حياتهم وبعد مماتهم قال أمية بن أبي الصلت والأرض معقلنا وكانت أمانا فيها مقابرنا وفيها نولد وأنشدني أبو القاسم قال أنشدنا أبو الحسين المظفر محمد بن غالب الهمداني قال أنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال أنشدنا أبي قال أنشدني أحمد بن عبيدة ناوي إلى ام لنا تعصب كما ولها أنف عزيز وذنب وحاجب ما إن نواربها الغصب من السحاب ترتدي وتنتقب يعني نصبه كما وصف لها وسميت الفاتحة أما لهذه المعاني وقال الحسين بن الفضل سميت بذلك لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل صلاة و تقدم على كل سورة كما أن أم القرى إمام لأهل الإسلام وقال ابن كيسان سميت بذلك لأنها تامة في الفضل والرابع السبع المثاني وسيأتي تفسيره في موضعه إن شاء الله والخامس الوافية حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري حدثنا أبي عن أمه عن محمد بن نافع السنجري حدثنا أبو يزيد محبوب الشامي حدثنا عبد الجبار بن العلاء قال كان يسمى سفيان بن عيينة فاتحة الكتاب الوافية وتفسيرها لأنها لا تنصف ولا تحتمل الأجزاء إلا ان كل سورة من سور القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة

(1/42)

كان جائزا ولو نصفت الفاتحة وقرئت في ركعتين كان غير جائز والسادس الكافية أخبرنا أبو القاسم السدوسي أخبرنا أبو جعفر محمد بن مالك المسوري حدثنا أبو عبد الله محمد بن عمران قال حدثنا سهيل بن محمد حدثنا عفيف بن سالم قال سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال عن الكافية تسأل قلت وما الكافية قال أما علمت أنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها إياك أن تصلي إلا بها وتصديق هذا الحديث ما حدثنا الحسن بن محمد بن جعفر المفسر حدثنا عبد الرحمن بن عمر ابن مالك الجوهري بمرور حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يسار عن محمد بن عباد الاسكندراني عن أشهب بن عبد العزيز عن ابن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا والسابع الأساس حدثنا أبو القاسم الحسين بن محمد المذكر حدثنا أبو عمرو بن المعبر محمد بن الفضل القاضي بمرور حدثنا أبو هريرة مزاحم بن محمد بن شاردة الكشي حدثنا جارود بن معاذ أخبرنا وكيع قال إن رجلا أتى الشعبي فشكا إليه وجع الخاصرة فقال عليك أساس القرآن قال وما أساس القرآن قال فاتحة الكتاب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس غير مرة يقول إن لكل شيء أساسا وأساس العمارة مكة لأنها منها دحيت الأرض وأساس السماوات غريبا وهي السماء السابعة وأساس الأرض عجيبا وهي الأرض السابعة السفلى وأساس الجنان جنة عدن وهي سرّة الجنان وعليها أسست الجنان وأساس النار جهنم وهي الدرّة السابعة السفلى وعليها أسست الدرّكات وأساس الخلق آدم عليه

السلام وأساس الأنبياء نوح عليه السلام وأساس بني إسرائيل يعقوب وأساس الكتب القرآن وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى والثامن الشفاء حدثنا أبو القاسم بن أبي بكر المكتب لفظا حدثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله

(1/43)

---

الرفاء أخبرنا محمد بن أيوب الواقدي حدثنا أبو عمرو بن العلاء حدثنا سلام الطويل عن زيد العمي عن محمد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسن الصفار الفقيه حدثنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال مر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواتهم على رجل مقعد متربع فقروا بعضهم في أذنه شيئاً من القرآن فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أم القرآن وهي شفاء من كل داء أخبرنا أحمد بن أبي الخوجاني أخبرنا الهيثم بن كليب الشامي حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا سعيد بن الحجاج عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه قال جاء عمي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمروا بحي من الأعراب فقالوا أنا نراكم قد جئتم من عند هذا الرسول إن عندنا رجلاً مجنوناً مخبولاً فهل عندكم من دواء أو رقية فقال عمي نعم فجيء به فجعل عمي يقرأ أم القرآن وبزاقه فإذا فرغ منها بزق فجعل ذلك ثلاثة أيام فكانما أهبط من جبال قال عمي فأعطوني عليه جعلاً فقلت لا نأكله حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كله فمن الحل ترقيه بذلك لقد أكلت برقية حق والتاسع الصلاة قد تواترت الأخبار بأن الله تعالى سمي هذه السورة وهو ما يعرف أنه لا صلاة إلا بها أخبرنا عبد الله بن حامد وأحمد بن يوسف بقراءتي عليهما قالاً أخبرنا مكّي بن عبد الله حدثنا محمد بن يحيى قال وفيما قرأته على ابن نافع وحدثنا مطرف عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة يعني هذه السورة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها

(1/44)

---

لي ونصفها لعبدي فإذا قرأ العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي وإذا قال العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وإذا قال العبد إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبي ما سألت فإذا قال العبد أهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها قال هذه لعبدي ولعبي ما سألت والعاشر سورة تعلم المسألة لأن الله تعالى علم فيه عبادة آداب السؤال فبدأ بالثناء ثم الدعاء وذلك سبب النجاح والفلاح القول في وجوب قراءة هذه السورة في

الصلاة أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر الطبري حدثنا بشر بن مطير حدثنا

(1/45)

سفيان حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنه سمع أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة فلم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاث مرات غير تمام وأخبرنا عبد الله قال أخبرنا ابن عباس حدثنا عبد الرحمن بن بشر حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخبرنا عبد الله أخبرنا عبدوس بن الحسين حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا أبو قبيصة حدثنا سفيان عن جعفر بن علي بياع الأنماط عن أبي هريرة قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب وأخبرنا عبد الله أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أخبرنا أبو المثنى حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث بن حنظلة السدوسي قال قلت لعكرمة إني ربما قرأت في المغرب قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس وأن الناس يعيرون علي ذلك فقال سبحان الله إقرأ بهما فإنهما من القرآن ثم قال حدثنا ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فصلى ركعتين لم يقرأ فيهما إلا بفاتحة الكتاب لم يزد على ذلك غيره وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي حدثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان حدثنا الشافعي حدثنا سفيان عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب واحتج من أجاز الصلاة بغيرها بقوله فاقروا ما تيسر من القرآن وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بقراءتي عليه أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا أبو المثنى حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عمر قال حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل وصلى ثم جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرجع فصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات قال الرجل والذي بعثك بالحق نبيا

(1/46)

ما أحسن غير هذا فعلمني قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع وهذه اللفظة يحتمل أنه أراد أن كل ما وقع عليه اسم قرآن وجهل إنما يراد سورة بعينها فلما احتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم صلى بفاتحة الكتاب وأمر بها وشدد على من تركها فصار هذا الخبر مجملا والأخبار التي رويناها مفسرة والمجمل يدل على المفسر وهذا كقوله فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ثم لم يجز أحد ترك الهدى بل ثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم بالصفة أن لا يكون أعور ولا أعرج ولا معيوباً فكذلك أراد بقوله عز وجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما فسر بالصفة التي بينها أن تكون سورة الحمد إذا أحسنها وقدرها إذا لم يحسنها فبالعلة التي أوجبوا قراءة آية تامة مع قوله ما تيسر له وجه ظاهرة العلم والله أعلم ذكر وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام واختلاف الفقهاء فيه قال مالك بن أنس يجب عليه قراءتها إذا خافت الإمام فأما إذا جهر فليس عليه شيء وبه قال الشافعي في القديم وقال في الجديد يلزمه القراءة أسر الإمام أو جهر وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يلزمه القراءة خافت أو جهر واتفق المسلمون على أن صلاته صحيحة إذا قرأ خلف الإمام والدليل على وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام ما أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا مكّي بن عبد الله حدثنا أبو الأزهر حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن أبي إسحاق حدثنا مكحول وأخبرنا عبد الله أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن سهل حدثنا سهل بن عمار حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود ابن الربيع عن عبادة ابن الصامت قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته أقبل علينا بوجهه وقال إني لأراكم تقرؤون خلفي قلنا أجل والله يا رسول

(1/47)

الله هذا قال فلا تفعلوا إلا بأمر الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن عباس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وهشام بن عامر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وعائشة وأبي هريرة وجماعة كبيرة من التابعين وأئمة المسلمين روي عنهم جميعاً أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة ووجه القول القديم ما روى سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن ذكوان عن أبي هريرة وعائشة أنهما كانا يأمران بالقراءة وراء الإمام إذا لم يجهر واحتج أبو حنيفة وأصحابه بما أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الوليد بن حماد اللؤلؤي حدثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي حدثنا أبو حنيفة عن الحسن بن عبد الله بن شداد بن الماد عن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى خلف إمام فإن قراءة الإمام له قراءة وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا أحمد بن يونس حدثنا الحسن بن صالح عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له إمام فقراءته له قراءة فإما حديث عبد الله بن شداد فهو مرسل رواه شعبة وزائدة وابن عينية وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجريز وأبو الأحوص ومرسلاً والمرسل لا تقوم به حجة والوليد بن حماد والحسن لا يدري من هما وأما خبر جابر الجعفي فهو ساقط قال زائدة جابر كذاب وقال أبو حنيفة ما رأيت أكذب من جابر وقال ابن عينية كان جابر لا يوقن بالرجعة وقال شعبة قال لي جابر دخلت إلى محمد بن علي فسقاني شره وحفظت عشرين ألف حديث ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه وقد روي عن جابر بن عبد الله ما خالف هذه الأخبار أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو بكر بن إسحاق حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا

(1/48)

---

سعد بن عامر عن شعبة عن مسعر عن يزيد بن الفقير عن جابر بن عبد الله قال كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام ومحال أن يروي جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قراءة الإمام قراءة المأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا أيضا بما روي عن عاصم بن عبد العزيز عن أبي سهيل عن عوان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكفيك قراءة الإمام جهر أو لم يجهر وهذا الحديث أيضا لا يثبت أهل المعرفة بالحديث لأنه غير متن الحديث وإنما الخبر الصحيح فيه عن أبي هريرة ما أخبرنا أبو عمرو الفراتي أخبرنا الهيثم بن كليب حدثنا العباس ابن محمد الدوري حدثنا بشر بن كلب حدثنا شعبة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه

(1/49)

---

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج غير تمام قال فقلت له إذا كان خلف الإمام قال فأخذ بذراعي وقال يا فارسي أو قال يا بن الفارسي اقرأ بها في نفسك واحتجوا أيضا بما روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال كانوا يقرؤون خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال خلطتم علي القرآن وهذا الخبر فيه نظر ولو صح لكان المنع من القراءة كما رواه النضر بن شميل أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم يقرؤون القرآن ويجهرون به خلطتم علي القرآن فليس في نهيه عن القراءة خلف الإمام جهرا ما يمنع عن القراءة سرا ونحن لا نجيز الجهر بالقراءة خلف الإمام لما فيه من سوء الأدب والضرر الظاهر وقد روى يحيى بن عبد عن محمد بن إبراهيم عن أبي حازم عن البياضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إحداكم يصلي فإنه يناجي ربه فلينظر بما يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن زياد الأشعري قال صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود خلف الإمام فسمعتة يقرأ في الظهر والعصر وكذلك الجواب عن احتجاجهم بخبر عمران بن الحصين قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر فلما انصرف قال أيكم قرا سبح اسم ربك الأعلى قال رجل أنا ولم أرد به إلا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرفت أن بعضكم خالجنها واحتجوا أيضا بحديث أبي هريرة فإذا قرأ فأنصتوا وليس الانصات بالسكوت فقط إنما الإنصات أن تحسن استماع الشيء ثم يؤدي كما سمع يدل عليه قوله تعالى في قصة الجن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا وقد يسمى الرجل منصتا وهو قارىء مسبح إذا لم يكن جاهرا به ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم

(1/50)

---

قال من أتى الجمعة فأنصت ولم يبلغ حتى يصلي الإمام كان له كذا وكذا فسماه منصتا وإن كان مصليا ذاكرا وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقول أيضا قال أقول اللهم اغسلني من خطاياي فدل أن الإنصات وهو ترك الجهر بالقراءة دون المخافته بها يدل عليه ما أخبرنا به أبو القاسم الحسين حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو الدرداء هاشم بن محمد حدثنا عبيد بن السكن حدثنا إسماعيل بن عباس أخبرنا محمد بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة مكتوبة أو سبحة فليقرأ بأم القرآن قال قلت يا رسول الله إنني ربما أكون وراء الإمام قال صلى الله عليه وسلم اقرأ إذا سكت إنما جعل الإمام ليؤتم به قد رواه الثقات الأثبات عن أبي هريرة مثل الأعرج وهمام بن منبه وقيس بن أبي حازم وأبي صالح وسعيد المقبري والقاسم بن محمد وأبي سلمة ولم يذكرها وإذا قرأ فأنصتوا وأما احتجاجهم بقوله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا فسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى آخر السورة وباللغة التوفيق

(1/51)

---

سورة البقرة  
مدنية وهي مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وهي سند أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي خمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا يعقوب ابن سفيان الصغير حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا شعيب بن زرين عن عطاء الخراساني عن عكرمة قال أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة فضلها أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها أخبرنا دعلج بن أحمد الشجري ببغداد حدثنا محمد بن أحمد بن هارون حدثنا خندف عن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا خالد بن شعيب المزني عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخل في بيته شيطان ثلاثة أيام وأخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد المرتب بقراءتي عليه حدثنا أبو عمرو بن مطرف حدثنا أبو عبد الله محمد بن المسيب حدثنا عبد الله بن الحسين حدثنا يوسف بن الأسباط حدثنا حسن بن المهاجر عن عبد الله بن يزيد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسن المقرئ حدثنا أبو أحمد عبد الله بن علي الحافظ أخبرنا محمد بن يحيى بن مندة حدثنا أبو مصعب حدثنا عمران بن طلحة الليثي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء إنسان منهم

(1/52)

---

فقال ماذا معك من القرآن حتى أتى على آخرهم وهو أحدثهم سنا فقال ما معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم أمين قالوا يا رسول الله هو أحدثنا سنا قال معه سورة البقرة التفسير ال م ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم قوله تعالى ألم اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتحة بها السور فذهب كثير منهم إلى أنها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل إلى الله تأويلها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب عليه السلام إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وفسره الآخرون فقال سعيد بن جبير هي أسماء الله مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ألا ترى أنك تقول الر وتقول حم وتقول ن فيكون الرحمن وكذلك سائرهما على هذا الوجه إلا أنا لا نقدر على وصلها والجمع بينها وقال قتادة هي أسماء القرآن وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هي أسماء للسور المفتحة بها وقال ابن عباس هي أقسام أقسم الله بها وروي أنه ثناء أثني الله به على نفسه وقال أبو العالية ليس منها حرف إلا وهو مفتاح لإسم من أسماء الله عز وجل وليس منها حرف إلا وهو في الآية وبلائه وليس منها حرف إلا في مدة قوم وأجال آخرين

(1/53)

---

وقال عبد العزيز بن يحيى معنى هذه الحروف أن الله ذكرها فقال اسمعوها مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وكذلك تعلم الصبيان أولا مقطعة وكان الله أسمعهم مقطعة مفردة ليعرفوها إذا وردت عليهم ثم أسمعهم مؤلفة وقال أبو روق إنها تكتب للكفار وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلها وكان المشركون يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فرما صفقوا وربما صفروا وربما لفظوا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى رسول الله ذلك أسر في الظهر والعصر وجهر في سائرهما وكانوا يضايقونه ويؤذونه فأنزل الله تعالى هذه الحروف المقطعة فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليظه فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا إلى انتفاعهم وقال الأخفش إنما أقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأصول كلام الأمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه وكأنه أقسم بهذه الحروف إن القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه وقال النقيب هي النبهة والاستئناف ليعلم أن الكلام الأول قد انقطع كقولك ولا إن زيدا ذهب وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها أنها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين والعرب تعبر

بعض الشيء عن كله كقوله تعالى وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون أي صلوا لا يصلون وقوله واسجد واقترب فعبر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها وقال ذلك بما قدمت أيديكم أراد جميع أبدانكم وقال سنسمه على الخرطوم أي الأنف فعبر باليد عن الجسد وبالأنف عن الوجه وقال الشاعر في امرأته لما رأيت امرها في خطي وفنكت في كذب ولط أخذت منها بقرون شمط فلم يزل ضربني بها ومعطي

(1/54)

---

فعبر بلفظه خطي عن جملة حروف أبجد ويقول القائل أ ب ت ث وهو لا يريد هذه الأربعة الأحرف دون غيرها بل يريد جميعها وقرأت الحمد لله وهو يريد جميع السورة ونحوها كثير وكذلك عبر الله بهذه الحروف عن جملة حروف التهجي والإشارة فيه أن الله تعالى نبه العرب وتحداهم فقال إني قد نزلت هذا الكتاب من جملة الثمانية والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم وعليها مباني كلامكم فإن كان محمد هو النبي يقوله من تلقاء نفسه فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله فلما عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنه معجزة هذا قول المبرد وجماعة من أهل المعاني فإن قيل فهل يكون حرفا واحدا عودا للمعنى وهل تجدون في كلام العرب أن يقال الم زيد قائم وحم عمرو ذاهب قلنا نعم هذا عادة العرب يشيرون بلفظ واحد إلى جميع الحروف ويعبرون به عنه قال الراجز قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف أي قف أنت وأنشد سيبويه لغيلان نادوهم ألا الجموا ألا تا قالوا جميعا كلهم ألا فا أي لا تركبون فقالوا ألا فاركبوا وأنشد قطرب في جارية قد وعدتني أم عمرو أن تا تدهن رأسي وتغليني تا أراد أن تأتي وتمسح وأنشد الزجاج بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا أراد بقوله فا وإن شرا فشر له ويقولون تا إلا أن تشاء قال الأخفش هذه الحروف ساكنة لأن حروف الهجاء لا تعرب بل توقف على كل حرف على نية السكت ولا بد أن تفصل بالعدد في قولهم واحد اثنان ثلاثة أربعة

(1/55)

---

قال أبو النجم أقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف تكتبان في الطريق لام الألف فإذا أدخلت حرفا من حروف العطف حركتها وأنشد أبو عبيدة إذا اجتمعوا على ألف وواو وباء هاج بينهم جدال وهذه الحروف تذكر على اللفظ وتؤنث على توهم الكلمة قال كعب الأحبار خلق الله العلم من نور أخضر ثم أنطقه ثمانية وعشرين حرفا من أصل الكلام وهياها بالصوت الذي سمع وينطق به فنطق بها العلم فكان أول ذلك كله فنظرت إلى بعضها فتصاغرت وتواضعت لربها تعالى وتمايلت هيبة له فسجدت فصارت همزة فلما رأى الله تعالى تواضعها مدها وطولها وفضلها فصارت ألفا فتلفظه بها ثم جعل القلم ينطق حرفا حرفا إلى ثمانية وعشرين حرفا فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبادات كلها إلى يوم القيامة وجميعها كلها في أبجد وجعل الألف لتواضعها مفتاح أول أسمائه ومقدما على الحروف كلها فأما قوله



عز وجل ألم فقد اختلف العلماء في تفسيرها عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى ألم قال أنا الله أعلم أبو روق عن الضحاك في قوله ألم أنا الله أعلم مجاهد وقتادة ألم اسم من أسماء القرآن الربيع بن أنس ألف مفتاح اسم الله و لام مفتاح اسمه لطيف و ميم مفتاح اسمه مجيد خالد عن عكرمة قال ألم قسم محمد بن كعب الألف آلاء الله و اللام لطفه و الميم ملكه

(1/56)

---

وفي بعض الروايات عن ابن عباس الألف الله و اللام جبرئيل أقسم الله بهم إن هذا الكتاب لا ريب فيه ويحتمل أن يكون معناه على هذا التأويل أنزل الله هذا الكتاب على لسان جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال أهل الإشارة ألف أنا لام لي ميم مني وعن علي بن موسى الرضا عن جعفر الصادق وقد سئل عن قوله ألم فقال في الألف ست صفات من صفات الله الابتداء لأن الله تعالى ابتداء جميع الخلق و الألف ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جائر و الألف مستو في ذاته والانفراد والله فرد والألف فرد وإتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق فهم يحتاجون إليه وله غني عنهم وكذلك الألف لا يتصل بحرف فالحروف متصله وهو منقطع عن غيره والله باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الإلفة فكما أن الله سبب إلفه الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب إلفتها وقالت الحكماء عجز عقول الخلق في ابتداء خطابه وهو محل الفهم ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلا بعلمهم فالعجز عن معرفة الله حقيقة خطابه وأما محل ألم من الإعراب فرفع بالابتداء وخبره فيما بعده وقيل ألم ابتداء و ذلك ابتداء آخر و الكتاب خبره وجملة الكلام خبر الابتداء الأول ذلك قرأت العامة ذلك بفتح الذال وكذلك هذه وهاتان وأجاز أبو عمرو الإمالة في هذه ذ للاسم واللام عماد والكاف خطاب وهو إشارة إلى الغائب و الكتاب بمعنى المكتوب كالحساب والعماد قال الشاعر بشرت عيالي إذ رأيت صحيفة أتتك من الحج تتلى كتابها أو مكتوبها فوضع المصدر موضع الاسم كما يقال للمخلوق خلق وللمصور تصوير وقال دراهم من ضرب الأمير أي هي مضروبة وأصله من الكتب وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض مأخوذ من قولهم كتب الخرز إذا خرزته قسمين ويقال للخرز كتبة وجمعها كتب قال ذو المرجة

(1/57)

---

وفراء غربية أثاي خوارزها مشلشل ضيعته فبينها الكتب ويقال كتبت البغل إذا حرمت من سفرتها الخلقة ومنه قيل للجند كتبية وجمعها كتائب قال الشاعر وكتيبة جاءوا ترفل في الحديد لها ذخر واختلفوا في هذا الكتاب قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل هو القرآن وعلى هذا القول يكون ذلك بمعنى هذا كقول الله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم أي هذه وقال خفاف بن ندبه السلمى إن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمدا على عين تيممت مالكا أقول له الرمح ياطر منته تأمل خفافا إنني إنا ذالكا يريد هذا وروي

أبو الضحى عن ابن عباس قال معناه ذلك الكتاب الذي أخبرتك أن أوجه إليك وقال عطاء بن السائب ذلك الكتاب الذي وعدتكم يوم الميثاق وقال يمان بن رئاب ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل وقال سعيد بن جبير هو اللوح المحفوظ عكرمة هو التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة وقال الفراء إن الله تعالى وعد نبيه أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هو الكتاب الذي وعدتك وقال ابن كيسان تأويله أن الله تعالى أنزل قبل البقرة بضع عشرة سورة كذب بكلها المشركون ثم أنزل سورة البقرة بعدها فقال ذلك الكتاب يعني ما تقدم البقرة من القرآن وقيل ذلك الكتاب الذي كذب به مالك بن الصيف اليهودي

(1/58)

---

لا ريب فيه لا شك فيه إنه من عند الله قال هدى أي هو هدى وتم الكلام عند قوله فيه وقيل هو نصب على الحال أي هاديا تقديره لا ريب في هدايته للمتقين قال أهل المعاني ظاهره نفي وباطنه نهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الهدى والبيان وما يهتدي به ويستبين به الإنسان فصل في التقوى هدى للمتقين اعلم أن التقوى أصله وقى من وقيت فجعلت الواو تاء كالتكلان فأصله وكلان من وكلت والتخمة أصلها وخمة من وخم معدته إذا لم يستمرئ واختلف العلماء في معنى التقوى وحقيقة المتقي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جماع التقوى في قول الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال ابن عباس المتقي الذي يتقى الشرك والكبائر والفواحش وقال ابن عمر التقوى أن لا يرى نفسه خيرا من أحد وقال الحسن المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خير مني وقال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار حدثني عن التقوى فقال هل أخذت طريقا ذا شوك قال نعم وقال فما عملت فيه قال حذرت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه ابن المعتز فقال خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى واضع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحتقرن صغيرة إن الجبال من الحصى وقال عمر بن عبد العزيز ليس التقوى قيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق بعد ذلك فهو خير على خير

(1/59)

---

وقيل لطلق بن حبيب أجمل لنا التقوى فقال التقوى عمل يطلبه الله على نور من الله رجاء ثواب الله والتقوى ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله وقال بكر بن عبد الله لا يكون الرجل تقيا حتى يكون يتقى الطمع ويتقى الغضب وقال عمر بن عبد العزيز المتقي لمحرم لا تحرم يعني في الحرم وقال شهر بن حوشب المتقي الذي يترك ما لا ياتمن به حذرا لما به بأس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما سمي المتقون لتركهم ما لا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس وقال سفيان الثوري والفضيل هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه وقال الجنيد بن محمد ليس المتقي الذي يحب الناس ما

يحب لنفسه إنما المتقي الذي يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه أتدرون ما وقع لأستاذي سري بن المفلس سلم عليه ذات يوم صديق له فرد عليه وهو عابس لم يبش له فقلت له في ذلك فقال بلغني أن المرء المسلم إذا سلم على أخيه ورد عليه أخوه قسمت بينهما مائة رحمة فتسعون لأجلهما وعشرة للآخر فأحببت أن يكون له التسعون محمد بن علي الترمذي هو الذي لا خصم له السري بن المفلس هو الذي يبغض نفسه الشبلي هو الذي يبغى ما دون الله قال جعفر الصادق أصدق كلمة قالت العرب قول ليبد ألا كل شيء ما خلا الله باطل الثوري هو الذي اتقى الدنيا وأقلها محمد بن يوسف المقرئ مجانية كل ما يبعده عن الله القاسم بن القاسم المحافظة على آداب الشريعة وقال أبو زيد هو التورع عن جميع الشبهات وقال أيضا المتقي من إذا قال لله وإذا سكت لله وإذا ذكر لله تعالى الفضيل يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه كما يأمنه صديقه

(1/60)

---

وقال سهل المتقي من تبرأ من حوله وقوته وقال التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك وقيل هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو أن تتقي بقلبك عن الغفلات وبنفسك من الشهوات وبحلقك من اللذات وبجوارحك من السيئات فحينئذ يرجى لك الوصول لما ملك الأرض والسموات أبو القاسم حكيم هو حسن الخلق وقال بعضهم يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر على ما فات وقيل المتقي من اتقى متابعة هواه وقال مالك حدثنا وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير أن لأهل التقى علامات يعرفون بها الصبر عند البلاء والرضا بالقضاء والشكر عند النعمة والتذلل لأحكام القرآن وقال ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وقال أبو تراب بين يدي التقوى عقبات من لا يجاوزها لا ينالها اختيار الشدة على النعمة واختيار القول على الفضول واختيار الذل على العز واختيار الجهد على الراحة واختيار الموت على الحياة وقال بعض الحكماء لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق فيطاف به في السوق لم يستحي من شيء عليها وقيل التقوى أن تزين سررك للحق كما تزين علانيتك للخلق وقال أبو الدرداء يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا يقول المرء فائدي وذخري وتقوى الله أفضل ما استفادا

(1/61)

---

فصل في الإيمان الذين يؤمنون بالغيب اعلم أن حقيقة الإيمان هي التصديق بالقلب لأن الخطاب الذي توجه عليها بلفظ آمنوا إنما هو بلسان العرب ولم يكن العرب يعرفون الإيمان غير التصديق والنقل في اللغة لم يثبت فيه إذ لو صح النقل عن اللغة لروي عن ذلك كما روي في الصلاة التي أصلها الدعاء إذا كان الأمر كذلك وجب علينا أن نمثل الأمر على ما يقتضيه لسانهم كقوله

تعالى في قصة يعقوب عليه السلام وبينه وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق لنا ولو كنا صادقين وبدل عليه من هذه الآية أنه لما ذكر الإيمان علقه بالغيب ليعلم أنه تصديق الخبر فيما أخبر به من الغيب ثم أفرد بالذکر عن سائر الطاعات اللازمة للأبدان وفي الأموال فقال ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والدليل عليه أيضا أن الله تعالى حيث ما ذكر الإيمان نسبه إلى القلب فقال من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال وقلبه مطمئن بالإيمان وقال أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ونحوها كثير فأما محل الإسلام من الإيمان فهو محل الشمس من الضوء كل شمس ضوء وليس كل ضوء شمسا وكل مسك طيب وليس كل طيب مسكا كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا إذا لم يكن تصديقا لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع يدل عليه قوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا من خوف السيف وقول النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان سرا وأشار إلى صدره والإسلام علانية وقوله صلى الله عليه وسلم يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه وكذلك اختلف جوابه لجبرائيل في الإسلام والإيمان فأجاب في الإيمان بالتصديق وفي الإسلام بشرائع الإيمان وهو ما روى أبو بريدة وهو يحيى بن معمر قال أول من قال في القدر بالبصرة سعيد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه عما يقول هو ما في القدر فوافقنا عبد الله ابن عمر بن

(1/62)

الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام لي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويفتقرون إلى العلم وذكر من لسانهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف فقال إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال أخبرنا أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن إماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة شاهقون في البنيان قال ثم انطلق فلبث علينا ثم قال يا عمر من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبرائيل عليه أتاكم ليعلمكم دينكم ثم يسمى اقرار اللسان وأعمال الأبدان إيمانا بوجه من المناسبة وضرب من

المقاربة لأنها من شرائعه وتوابعه وعلاماته وإماراته كما نقول رأيت الفرح في وجه فلان ورأيت علم زيد في تصنيفه وإنما الفرح والعلم في القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون بابا

(1/63)

---

أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان الحسن بن علي قال حدثني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان وعن علي بن الحسين زين العابدين قال حدثنا أبي سيد شباب أهل الجنة قال حدثنا أبي سيد الأوصياء قال حدثنا محمد سيد الأنبياء قال الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول وأما الغيب فهو ما كان مغيبا عن العيون محصلا في القلوب وهو مصدر وضع موضع الاسم فقبل للغائب غيب كما قيل للصائم صوم وللزائر زور وللعادل عدل الربيع بن أبي العالية يؤمنون بالغيب قال يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله عمر بن الأسود عن عطاء بن أبي رباح الذين يؤمنون بالغيب قال بالله من آمن بالله فقد آمن بالغيب سفيان عن عاصم بن أبي النجود في قوله يؤمنون بالغيب قال الغيب القرآن وقال الكلبي بما نزل من القرآن وبما لم يجىء بعد الضحاك الغيب لا إله إلا الله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقال زر بن حبیش وابن جريج وابن واقد يعني بالوحي نظيره قوله تعالى أعنده علم الغيب فهو يرى وقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وقوله وما هو على الغيب بضنين الحسن يعني بالآخرة عبد الله بن هاني هو ما غاب عنهم من علوم القرآن وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فقال أتدرون أي أهل الإيمان أفضل قالوا يا رسول الله الملائكة قال هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله تعالى بالمنزلة التي أنزلهم بل غيرهم قلنا يا رسول الله الأنبياء قال هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعهم بل غيرهم قلنا يا

(1/64)

---

رسول الله فمن هم قال أقوام يأتون من بعدي هم في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يرونني يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانا وروى حسن بن الحرث بن قيس عن عبد الله بن مسعود عند الله يحتسب ما سبقتونا إليه يا أصحاب محمد من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن مسعود نحن عند الله نحتسب إيمانكم بمحمد ولم تروه ثم قال عبد الله إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله إلا

هو ما آمن مؤمن أفضل من إيمان الغيب ثم قرأ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة أي يديمونها ويحافظون عليها بمواقيتها وركوعها وسجودها وحقوقها وحدودها وكل من واطب على شيء وقام به فهو مقيم له يقال أقام فلان الحج بالناس وأقام القوم سوقهم ولم يعطلوها قال الشاعر فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم أي أراد بالصلاة هاهنا الصلوات الخمس فذكرها بلفظ الواحد كقوله فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب أراد الكتب وأصل الصلاة في اللغة الدعاء ثم ضمت إليها عبادة سميت مجموعها صلاة لأن الغالب على هذه العبادة الدعاء وقال أبو حاتم الخارزمي اشتقاقها من الصلا وهو النار فأصله من الرفق وحسن المعانة للشيء وذلك إن الخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها سحنوها بالنار قوموها بين خشبتين فلذلك المصلي ينبغي أن يتأنى في صلاته ويحفظ حدودها ظاهرا وباطنا ولا يجعل فيها ولا يخف ولا يعرف قال الشاعر فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم أي ما قوم أمرك كالمباني ومما رزقناهم أعطيناهم والرزق عند أهل السنة ما صح الإنتفاع به فإن كان طعاما فليتعدي به وإن كان لباسا فلينقى والتوقي وإن كان مسكنا فللانتفاع به سكنى وقد ينتفع المنتفع بما هيئ الانتفاع به على الوجهين حلالا وحراما فلذلك قلنا إن الله رزق الحلال والحرام وأصل الرزق في اللغة هو الحظ والبخت ينفقون يتصدقون وأصل الإنفاق الإخراج عن اليد أو عن الملك يقال نفق المبيع إذا كثر مشترؤه وأسرع خروجه ونفقت الدابة إذا خرجت روحها ونافقاء البربوع من ذلك لأنه إذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانفق وأنفق إن خرج منه والنفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر يخرج إليه والذين يؤمنون أي يصدقون بما أنزل إليك يا محمد يعني القرآن وما أنزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة مثل صحف إبراهيم وموسى والزبور والأنجيل وغيرها

وبالآخرة أي بالدار الآخرة وسميت آخرة لأنها تكون بعد الدنيا ولأنها أخرت حتى تفنى الدنيا ثم تكون هم يوقنون يعلمون ويتيقنون أنها كائنة ودخل هم تأكيدا يسميه الكوفيون عمادا والبصريون فصلا أولئك أهل هذه الصفة وأولاء أسم مبنى على الكسر ولا واحد له من لفظه والكاف خطاب ومحل أولئك رفع بالابتداء وخبره في قوله على هدى رشد وبيان وصواب من ربهم وأولئك ابتدائان وهم عماد المفلحون خبر الابتداء وهم الناجون الفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار وقيل هم الباقيون في الثواب والنعيم المقيم وأصل الفلاح في اللغة البقاء قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو فلاحا بعد عاد وحمير وقال آخر لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح ابو براء يدرة المسياح وقال مجاهد أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآياتان بعدهما نزلت في الكافرين وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين إن الذين كفروا يعني مشركي العرب وقال الضحاك نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته وقال

الكلبي يعني اليهود وقيل المنافقون والكفر هو الجحود والإنكار وأصله من الكفر وهو التغطية والستر ومنه قيل للحراث كافر لأنه يستر البذر قال الله تعالى أعجب الكفار نباته يعني الزراع وقيل للبحر كافر وللليل كافر قال لبيد حتى إذا ألقى يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها في ليلة كفر النجوم غمامها

(1/67)

ومنه المتكفر بالسلاح وهو الشاكي الذي غطى السلاح جميع بدنه فيسمى الكافر كافرا لأنه سائر للحق ولتوحيد الله ونعمة ولنبوته أنبيائه سواء عليهم أي واحد عليهم ومتساوي لديهم وهو اسم مشتق من التساوي أنذرتهم أخوتهم وحذرتهم قال أهل المعاني الإنذار والإعلام مع تحذير يقال أنذرتهم فندروا أي أعلمتهم فعملوا وفي المثل وقد أعذر من أنذر وفي قوله أنذرتهم وأخواتها أربع قراءات تحقيق الهمزتين وهي لغة تميم وقراءة أهل الكوفة لأنها ألف الإستفهام دخلت على ألف القطع وحذف الهمزة التي وصلت بفاء الفعل وتعويض مده منها كراهة الجمع بين الهمزتين وهي لغة أهل الحجاز وادخال ألف بين الهمزتين وهي قراءة أهل الشام في رواية هشام وإحدى الروايتين عن أبي عمرو قال الشاعر تطاولت فاستشرقت قرابته فقلن له أنت زيد لا بل قمر والأخبار اكتفاء بجواب الإستفهام وهي قراءة الزهري أم حرف عطف على الإستفهام لم حرف جزم لا يلي إلا الفصل لأن الجزم مختص بالأفعال تنذرهم تحذرهم لا يؤمنون وهذه الآية خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب في سابق علم الله وظاهرها إنشاء ومعناها إخبار ثم ذكر سبب تركهم للإيمان فقال ختم الله أي طبع على قلوبهم والختم والطبع بمعنى واحد وهما التغطية للشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء آخر فمعنى الآية طبع الله على قلوبهم وأغلقها وأقفلها فليست تعي خبرا ولا تفهمه يدل عليه قوله أم على قلوب أقفالها وقال بعضهم معنى الطبع والختم حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يقال للرجل ختمت عليك أن لا تفلح أبدا وعلى سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به وإنما وحده لأنه مصدر والمصادر

(1/68)

لا تثنى ولا تجمع وقيل أراد سمع كل واحد منهم كما يقال آتني برأس كبشين أراد برأس كل واحد منهما قال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص وقال سيبويه توحيد السمع يدل على الجمع لأنه لا توحيد جمعين كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور يعني الأنوار قال الراعي بها جيف الحسري فأما عظامها فيبيض وأما جلدها فصليب وقرأ ابن عبلة وعلى أسماعهم وتم الكلام عند قوله وعلى سمعهم ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة أي غطاء وحجاب فلا يرون الحق ومنه غاشية السرج وقرأ المفضل بن محمد الضبي غشاوة بالنصب كأنه أضمر له فعلا أو جملة على الختم أي وختم على أبصارهم غشاوة يدل عليه قوله تعالى وجعل على بصره غشاوة وقرأ الحسن غشاوة بضم الغين وقرأ الخدري غشاوة بفتح الغين وقرأ أصحاب عبد الله

غشوة بفتح الغين من غير ألف ولهم عذاب عظيم القتل والأسر في الدنيا والعذاب الأليم في العقبي والعذاب كل ما يعني الإنسان ويشق عليه ومنه عذبه السواط ما فيها من وجود الألم وقال الخليل العذاب ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لأنه يمنع من العطش ثم نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي ومعتب بن بشر وجد بن قيس وأصحابهم حين قالوا تعالوا إلى خلة نسلم بها من محمد وأصحابه ونكون مع ذلك مستمسكين بديننا فأجمعوا على أن يقرأوا كلمة الإيمان بألسنتهم واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولاكن لا يشعرون وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولاكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا

(1/69)

---

إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزى ء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن الناس من يقول ءامنا صدقنا بالله واليوم الآخر أي يوم القيامة قال الله تعالى وما هم بمؤمنين والناس هم جماعة من الحيوان المتميز بالصورة الإنسانية وهو جمع إنسان وإنسان في الأصل إنسيان بالياء فأسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنسانا الا ترى إنك إذا صغرته رددت الياء إليه فقلت أنيسيان واختلف العلماء في تسميته بهذا الاسم فقال ابن عباس سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي قال الله تعالى وعهدنا إلى آدم من قبل فنسي وقال الشاعر وسميت إنسانا لأنك ناسي وقال بعض أهل المعاني سمي إنسانا لظهوره وقدس البصير أياه من قولك أنست كذا أي أبصرت فقال الله تعالى أنس من جانب الطور نارا وقيل لأنه استانس به وقيل لما خلق الله آدم أنسه بزوجه فسمي إنسانا يخادعون الله أي يخالفون الله ويكذبونه وأصل الخدع في اللغة الإخفاء ومنه قيل للبيت الذي يحيا فيه المتاع مخدع والمخادع يظهر خلاف ما يضمر وقال بعضهم أصل الخداع في لغة الفساد قال الشاعر أبيض اللون لذيد طعمه طيب الريق إذا الريق خدع أي فسد فيكون معناه ليفسدون بما أضمرنا بأنفسهم وبما أضمرنا في قلوبهم وقيل معناه يخادعون الله بزعمهم وفي ظنهم يعني إنهم اجترؤوا على الله حتى أنهم ظنوا أنهم يخادعون وهذا كقوله تعالى وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا يعني بظنك وعلى زعمك وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع فيما بينهم وقيل معناه يخادعون رسوله

(1/70)

---



كقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم أي أسخطونا وقوله إن الذين يؤذون الله أي أولياء الله لأن الله سبحانه لا يؤذى ولا يخادع فيبين الله تعالى أن من آذى نبيا من أنبيائه ووليا من أوليائه استحق العقوبة كما لو آذى رسوله وخادعه يدل عليه الخبر المروي إن الله تعالى يقول من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة وقيل إن ذكر الله سبحانه في قوله يخادعون الله تحسین وتزيين لسامع الكلام والمقصد بالمخادعة للذين آمنوا كقوله تعالى واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه للرسول ثم المخادعة على قدر المعالجة وأكثر المفاضلة إنما تجيء في الفعل المشترك بين اثنين كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة وقد يكون أيضا من واحد كقولك طارقت النعل وعاقبت اللص وعافاك الله قال الله عز وجل وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين وقال قاتلهم الله والمخادعة هنا عبارة عن الفعل الذي يختص بالواحد في حين الله تعالى لا يكون منه الخداع والذين آمنوا أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين وقال بعضهم من خداعهم المؤمنين هو أنهم كانوا يجالسون المؤمنين ويخالطونهم حتى يأنس بهم المؤمنون ويعدونهم من أنفسهم فيبتون إليهم أسرارهم فينقلونها إلى أعدائهم قال الله تعالى وما يخدعون إلا أنفسهم لأن وبال خداعهم راجع إليهم كأنهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم وذلك أن الله تعالى لمطلع نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على أسرارهم ونفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب الشديد في العقبى قال أهل الإشارة إنما يخادع من لا يعرف البواطن فأما من عرف البواطن فإن من خادعه فإنما يخدع نفسه واختلف القراء في قوله وما يخدعون فقرا شبيهة ونافع وابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء يخادعون بالألف جعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد وقد ذكرنا خبره وتصديقها الحرف الأول وقوله يخادعون الله لم يختلفوا فيه إلا ما روي عن أبي حمزة الشامي إنه قرأ يخدعون الله وقرأ

(1/71)

الباقون وما يخدعون على أشهر اللغتين وأضبطهما واختاره أبو عبيد وما يشعرون وما يعلمون إنها كذلك في قلوبهم مرض شك ونفاق ومنه يقال فلان يمرض في الوعد إذا لم يصححه وأصل المرض الضعف والفتور فسمي الشك في الدين والنفاق مرض به يضعف البدن وينقص قواه ولأنه يؤدي إلى الهلاك بالعذاب كما أن المرض في البدن يؤدي إلى الهلاك والموت فزادهم الله مرضا شكا ونفاقا وهلاكا ولهم عذاب أليم وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم وهو بمعنى مؤلم كقول عمرو بن معدي كرب أمن ربحانة الداعي السميع يورقني وأصحابي هجوع أي المسموع يعني خيالها بما كانوا يكذبون ما مصدرية أي بتكذيبهم على الله ورسوله في السر وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء وتخفيف الذال أي بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين وإذا حرف توقيت بمعنى حينئذ وهي تؤذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى الجزاء قيل فعل ماض مجهول وكان في الأصل قول مثل قيل فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت كسرتها إلى فاء الفعل فانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها هذه اللغة العالية وعليها العامة وهي اختيار أبي عبيد وقرأ الكسائي ويعقوب قيل وغيض وحيل وسبق وجيء وشيء وشيت بإشمام الضمة فيها لتكون دالة على الواو المنقلبة

وفاصلة بين الصدر والمصدر لهم يعني المنافقين وقيل لليهود قال لهم المؤمنون لا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعصية وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد والقرآن وقال الضحاك تبديل الملة وتغيير السنة وتحريف كتاب الله قالوا إنما نحن مصلحون ألا كلمة تنبيه إنهم هم عماد وتأكيذ المفسدون ولكن لا يشعرون ما أعد لهم من العذاب وإذا قيل لهم يعني قال المؤمنون لليهود آمنوا كما آمن الناس وهم عبدالله ابن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب

(1/72)

---

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الجهال قال الله ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون بأنهم كذلك وقيل لا يؤدون العلم حقه وقال المؤرخ السفيه البيهات الكذاب المتعمد لخلاف ما يعلم قطرب السفيه العجول الظلوم يعمل خلاف الحق واختلف القراء في قوله السفهاء ألا فحقق بعضهم الهمزتين وهو مذهب أهل الكوفة ولغة تميم وأما أبو عمرو وأهل الحجاز فإنهم همزوا الأولى ولينوا الثانية طلباً للخفة واختار الفراء حذف الأولى وهمز الثانية واحتج بأن ما يستأنف أي بالهمزة مما يسكت عليه وإذا لقوا الذين آمنوا قال جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال كان عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة وكان إذا لقي سعدا قال نعم الدين دين محمد وكان إذا رجع إلى رؤساء قومه قالوا هل نكفر قال سدوا أيديكم بدين آبائكم فأنزل الله هذه الآية وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي محتجا به وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله بن أبي لأصحابه أنظروا كيف أدرأ هؤلاء السفهاء عنكم فذهب وأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار والباذل نفسه وماله له ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي كف لله واتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة الله فقال له عبدالله مهلاً أبا الحسن إلي تقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال عبدالله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأتوا عليه خيراً وقالوا لانزال معك ما عشت فرجع المسلمون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فأنزل الله

(1/73)

---

وإذا لقوا أي رأوا يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كان لقوا في الأصل لقيوا فإستثقلت الضمة على الياء فبسطت على القاف وسكنت الواو والياء ساكنة فحذفت لإجتماعهما وقرأ محمد بن السميعة وإذا لاقوا وهما بمعنى واحد الذين آمنوا يعني أبا بكر وأصحابه قالوا آمنا كإيمانكم وإذا خلوا رجعوا ويجوز أن تكون من الخلوة تقول خلوت به وخلوت إليه وخلوت معه كلها بمعنى واحد

وقال النضر بن شميل إلى ها هنا بمعنى مع كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم أي مع نسائكم وقوله لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم وقوله من أنصاري إلى الله النابغة ولا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب أي مع الناس وقال آخر ولوح ذراعين في بركة إلى جوجورهل المنكب أي مع جوجو إلى شياطينهم أي رؤسائهم وكبرائهم وقادتهم وكهنتهم قال ابن عباس هم خمسة نفر من اليهود ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له كعب ابن الأشرف بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبدالله في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبدالله بن السوداء بالشام والشيطان المتمرد العاصي من الجن والإنس ومن كل شيء ومنه قيل للحية النضاض الشيطان قال الله تعالى طلعتها كأنه رؤوس الشياطين أي الحيات وتقول العرب إتق تلك الدابة فإنها شيطان وفي الحديث إذا مر الرجل بين يدي أحدكم وهو يمتطي فليمنعه فإن أبا فليقاتله فإنه شيطان وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه نظر إلى رجل يتبع حماما طائرا فقال شيطان يتبع شيطانا

(1/74)

---

أراد الراعي الخبيث الداعي ويحكى عن بعضهم إنه قال في تضاعيف كلامه وكل ذلك حين ركبني شيطان قيل له وأي الشياطين ركبك قال الغضب وقال أبو النجم إنني وكل شاعر من البشر شيطانه أنشئ وشيطاني ذكر قالوا إنا معكم أي على دينكم وأنصاركم إنما نحن مستهزؤون بمحمد وأصحابه الله يستهزى بهم أي يجازيهم جزاء استهزائهم فسمى الجزاء باسم الابتداء إذ كان مثله في الصورة كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها فسمى جزاء السيئة سيئة وقال عمرو بن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وقال آخر نجازيهم كيل الصواع بما أتوا ومن يركب ابن العم بالظلم يظلم فسمى الجزاء ظلما وقيل معناه الله يوبخهم ويعرضهم وبخطيء فعلهم لأن الاستهزاء والسخرية عند العرب العيب والتجهيل كما يقال إن فلانا يستهزأ به منذ اليوم أي يعاب قال الله إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها أي تعاب وقال أخبارا عن نوح إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون وقال الحسن معناه الله يظهر المؤمنين على نفاقهم وقال ابن عباس هو أن الله يطلع المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار فيقولون لهم أتحبون أن تدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب من الجنة ويقال لهم ادخلوا فيسبحون ويتقبلون في النار فإذا انتهوا إلى الباب سد عليهم وردوا إلى

(1/75)

---

النار وبضحك المؤمنين منهم فذلك قوله إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون إلى قوله فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون الأعمش عن خيشمة عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا إلى ما أعد الله فيها لأهلها من الكرامة نودوا أن اصرفوهم عنها قال ويرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلائق بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أربتنا كان

أهون علينا فيقول الله جل جلاله هذه الذي أردت بكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتتم الناس ولم تجلونني وكنتم تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما كنتم ترونني من قلوبكم فالיום أذيقكم من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي وقيل هو خذلانه إياهم وحرمانهم التوفيق والهداية وهو قوله فيما بعد ويمدهم يتركهم ويمهلهم ويطيل لهم وأصله الزيادة ويقال مد النهر ومدة زمن آخر وقرأ ابن محيصة وشبل ويمدهم بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد لأن المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير قال الله عز وجل في المد ونمد له من العذاب مدا وقال في الإمداد وأمددناكم بأموال وبنين وقال يحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين وقال ويمدكم بأموال وبنين في طغيانهم كفرهم وضلالتهم وجهالتهم وأصل الطغيان مجاوزة القدر يقال ميزان فيه طغيان أي مجاوزة للقدر في الإستواء قال الله تعالى إنا لما طغى الماء أي جاوز حده الذي قدر له وقال لفرعون إنه طغى أي أسرف في الدعوى حينما قال أنا ربكم الأعلى يعمهون يمضون يترددون في الضلالة متحيرين يقال عمه يعمه عمها وعموها وعمها فهو عمه وعمه إذا كان جائرا عن الحق قال رؤبة ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالجاهلين العمه

(1/76)

---

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه إنهم استبدلوا الكفر على الإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعا لأن الشرى والتجارة راجعان إلى الإستبدال والإختيار وذلك أن كل واحد من البيعين يختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه وقال الشاعر أخذت بالجمعة رأسا إزعا وبالثنايا الواضحات الدرورا وبالطويل العمر عمرا جيدا كما اشتري المسلم إذ تنصرا أي اختار النصرانية على الإسلام وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق اشتروا الضلالة بكسر الواو لأن الجزم يحرك إلى الكسرة العدوى بفتحها حركة إلى أخف الحركات فما ربحت تجارتهم أي فما ربحوا في تجارتهم تقول العرب ربح بيعك وخسرت صفقتك ونام ليالك أي ربحت وخسرت في بيعك ونمت في ليالك قال الله عز وجل فإذا عزم الأمر وقال بل مكر الليل والنهار قال الشاعر وأعور من نيهان أما نهاره فأعمى وأما ليله فبصير وقال آخر حارث قد فرجت عني همي فنام ليلي وتجلي غمي وقرأ إبراهيم ابن أبي عبله فما ربحت تجارتهم بالجمع وما كانوا مهتدين من الضلالة وقال مصيبين في تجارتهم قال سفيان الثوري كلكم تاجر فلينظر امرؤ ما تجارته قال الله فما ربحت تجارتهم وقال هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم

(1/77)

---

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في صلبهم فلا يبصرون أبصارهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم

وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير مثلهم شبههم كمثل الذي بمعنى الذين دليله سياق الآية نظير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال أولئك هم المتقون وقال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد استوقد أوقد ناراً كما يقال أجاب واستجاب قال الشاعر وداع دعانا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب فلما أضاءت النار ما حوله يقال ضاء القمر يضيء ضواءً وأضاء يضيء إضاءةً وأضاء غيره فلما أضاءت النار يكون لازماً ومتعدياً وقرأ محمد بن السميع ضاءت بغير ألف و حوله نصب على الظرف ذهب الله بنورهم أي أذهب الله نورهم وإنما قال بنورهم والمذكور في أول الآية النار لأن النار شيئان النور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي نزلت هذه الآية في المنافقين يقول مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فأستضاء بها فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف فأمن فبينما هو كذلك إذ طفت نارُه فبقي مظلماً خائفاً متحيراً كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتزوا بعزها وناكحو المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم فاذا ماتوا عادوا الى الخوف والظلمة وهووا في العذاب والنقمة

(1/78)

وقال مجاهد إضاءة النار إقبالهم الى المسلمين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم الى المشركين والضلالة سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء ويمان بن رثاب نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك بأن قريظة والنضير وبنو قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حتى إنقطعت النبوة من بني إسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان يغشاهم رجل من بني إسرائيل يقال له عبدالله بن هيبان قبل أن يوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سنة فيعظهم على طاعة الله تعالى وإقامة التوراة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم رسول إذا خرج فلا تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا منه ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل وقال الضحاك لما أضاءت النار أرسل الله عليه ريحاً قاصفاً فأطفأها فكذلك اليهود كلما أوقدوا ناراً لحرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله ثم وصفهم جميعاً فقال صم أي هم صم عن الهدى فلا يسمعون بكم عنه فلا يقولون عمي عنه فلا يرونه وقيل صم يتصاممون عن سماع الحق بكم يتصاممون عن قول الحق عمي يتعامون عن النظر الى الحق بغير إعتبار وقرأ عبد الله صمما بكمما عمياً على معنى وتركهم كذلك وقيل على الذم وقيل على الحال فهم لا يرجعون عن الضلالة والكفر الى الهداية والإيمان ثم قال أو كصيب هذا مثل آخر ضربه الله لهم أيضاً معطوف على المثل الأول مجازه مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ومثلهم أيضاً كصيب قال أهل المعاني أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى

أم تريدون وأنشد الفراء وقد زعمت سلمى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها  
فجورها

(1/79)

---

وأُنشد أبو عبيدة يصيب قد راح يروي الغدرا فاستوعب الأرض لما أن سرا  
وأصله من صاب يصوب صوبا إذا نزل قال الشاعر فلست لأنسي ولكن لملاك  
تنزل من جو السماء يصوب وقال أمرء القيس كأن المدام وصوب الغمام وريح  
الخرامي ونشر القطر فسمي المطر صيبا لأنه ينزل من السماء واختلف النحاة  
في وزنه من الفعل فقال البصريون هو على وزن فيعل بكسر العين ولا يوجد  
هذا المثال إلا في المعتل نحو سيد وميت ولين وهين وضيق وطيب وأصله  
صهيب ف جعلت الواو ياء فأدغمت إحدى اليائين في الأخرى وقال الكوفيون هو  
وأمثاله على وزن فعييل بكسر العين وأصله صيب فاستثقلت الكسرة على  
الياء فسكنت وأدغمت إحداهما في الأخرى وحركت الى الكسر والسماء كل ما  
علاك فأظلك وأصله سماو لأنه من سما يسمو فقلبت الواو همزة لأن الألف لا  
تخلو من مدة وتلك المدة كالحركة وهو من أسماء الأجناس يكون واحدا أو  
جمعا قال الله ثم استوى الى السماء ثم قال فسواهن سبع سماوات وقيل هو  
جمع واحدها سماوة والسموات جمع الجمع قال الراجز سماوة الهلال حتى  
احقوقفا طي الليالي زلفا فزلفا فيه أي في الصيب وقيل في الليل كناية عن  
ضمير مذكور وقيل في السماء لأن المراد بالسماء السحاب وقيل هو عائذ الى  
السماء على لغة من يذكرها

(1/80)

---

قال الشاعر فلو رفع السماء إليه قوما لحقنا بالسماء مع السحاب والسماء  
يذكر ويؤنث قال الله تعالى السماء منفطر به وقال إذا السماء انفطرت  
ظلمات جمع ظلمة وضمت اللام على الإتياع بضم الظاء وقرأ الأعمش ظلمات  
بسكون اللام على أصل الكلام لأنها ساكنة في التوحيد كقول الشاعر وهو ذو  
الرمة أبت ذكر من عودن أحشاء قلبه خفوقا ورفصات الهوى في المفاصل  
ونزل الفاء ساكنة على حالها في التوحيد وقرأ أشهب العقيلي ظلمات بفتح  
اللام وذلك إنه لما أراد تحريك اللام حركها الى أخف الحركات كقول الشاعر  
فلما رأونا باديها ركبائنا على موطن لا نخلط الجد بالهزل ورعد وهو الصوت  
الذي يخرج من السحاب وبرق وهو النار الذي تخرج منه قال مجاهد الرعد ملك  
يسبح بحمده يقال لذلك الملك رعد والصريم أيضا رعد والبرق ملك يسوق  
السحاب وقال عكرمة الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي  
الإبل شهر بن جوشب الرعد ملك يزجي السحاب كما يحث الراعي الإبل فاذا  
انتبذت السحاب ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق

(1/81)

---

ربيعة بن الأبيض عن عليج قال البرق مخاريق الملائكة وقال أبو الدرداء الرعد للتسيح والبرق للخوف والطمع والبرد عقوبة والصواعق للخطيئة والجراد رزق لقوم وزجر لآخرين والبحر بمكياال والجبال بميزان وأصل البرق من البريق والضوء والصواعق المهالك وهو جمع صاعقة والصاعقة والصاعقة والصعقة المهلكة ومنه قيل صعق الإنسان إذا غشي عليه وصعق إذا مات حذر الموت أي مخافة الموت وهو نصب على المصدر وقيل لنزع حرف الصفة وقرأ قتادة حذار الموت والله محيط بالكافرين أي عالم بهم يدل عليه قوله وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقيل معناه والله مهلكهم وجامعهم دليله قوله إلا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا وأمال أبو عمرو والكسائي الكافرين في حال الخفض والنصب ولكسرة الفاء والراء يكاد البرق أي يقرب يقال كاد أي قرب ولم يفعل والعرب تقول كاد يفعل بحذف أن فاذا سبوه بقي قالوا كاد أن يفعل والأول أوضح وأظهر قال الشاعر قد كاد من طول البلى أن تمسحا يخطف أبصارهم أي يخطفها ويشغلها ومنه الخطاف وقرأ أبي يتخطف وقرأ ابن أبي إسحاق نصب الخاء والتشديد يخطف فأدغم وقرأ الحسن كسر الخاء والطاء مع التشديد أتبع الكسرة الكسرة وقرأ العامة التخفيف لقوله فتخطفه الطير وقوله إلا من خطف الخطفة كلما حرف علة ضم إليه ما الجزاء فصار أداة للتكرار وهي منصوبة بالظرف ومعناها متى ما

(1/82)

أضاء لهم مشوا فيه وفي حرف عبد الله وإذا أظلم عليهم قاموا أي أقاموا ووقفوا متحيرين القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما قوله تعالى أو كصيب أي كأصحاب صيب كقوله واسأل القرية شبههم الله في كفرهم ونفاقهم وحيرتهم وترددهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة فأصابهم مطرفيه ظلمات من صفتها إن الساري لا يمكنه المشي من ظلمته فذلك قوله إذا أظلم عليهم قاموا ورعد من صفته أن يضع السامع يده إلى أذنه من الهول والفرق مخافة الموت والصعق ذلك قوله تعالى يجعلون أصابعهم في أذانهم من الصواعق حذر الموت وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويذهب بضوئها ونعيمها من كثرته وشدة توقده وذلك قوله يكاد البرق يخطف أبصارهم وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن واجماع الناس والكافرين معه فالمطر هو القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان فيه ظلمات وهو ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن ورعد وهو ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والزواج والنواهي وبرق وهو ما في القرآن من الشفاء والبيان والهدى والنور والرعد وذكر الجنة فكما أن أصحاب الرعد والبرق يجعلون أصابعهم في أذانهم حذر الموت كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدون أذانهم عند قراءة القرآن ولا يصغون إليه مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيمان لأن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عندهم كفر والكفر موت وقال قتادة هذا مثل ضربه الله للمنافق لجبنه لا يسمع صوتا إلا ظن أنه قد أتى ولا يسمع صياحا إلا ظن إنه ميت أجبن قوم وأخذ له للحق كما قال في آية أخرى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو

(1/83)

وقوله كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا يعني المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان أمنوا وصارت لهم نورا فإذا ماتوا عادوا الى الخشية والظلمة قتادة والمنافق إذا كثر ماله وحسن حاله وأصاب في الإسلام رخاء وعافية ثبت عليه فقال أنا معكم وإذا ذهب ماله وأصابته شدة قام متحيرا وخفق عندها فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها وتفسيره في سورة الحج ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية الوالبي عن ابن عباس هم اليهود لما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدر طمعوا وقالوا هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية فلما نكب بأحد ارتدوا وسكتوا ولو حرف تمنى وشك وفيه معنى الجزاء وجوابه اللام ومعنى الآية ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أي أسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنية حتى صاروا صما بكما عميا إن الله على كل شيء قدير قادر وكان حمزة يكسر شاء وجاء وأمثالها لانكسار فاء الفعل إذا أخبرت عن نفسك قلت شئت وجئت وزدت وطبت وغيرها يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون يا أيها الناس قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب أهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة وهو ها هنا عام اعبدوا وحدوا وأطيعوا ربكم الذي خلقكم أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا والذين أي وخلق الذين من

(1/84)

قبلكم لعلكم تتقون لكي تنجوا من السحت والعذاب قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله الذي جعل لكم الأرض فراشا بساطا ومقاما ومناما والسماء بناء سقفا مرفوعا محفوظا وأنزل من السماء من السحاب ماء وهو المطر فأخرج به من الثمرات من الوان الثمرات وأنواع النبات رزقا طعاما لكم وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله أندادا أي أمثالا وأعدالا وقرأ ابن السميع ندا على الواحد كقول جرير أتيتما تجعلون إلي ندا وما تيم لذي حسب نديد وأنتم تعلمون إنه واحد وأنه خالق هذه الأشياء قال ابن مسعود في قوله فلا تجعلوا لله أندادا قال أكفاء من الرجال تطيعوهم في معصية الله وقال عكرمة هو قول الرجل لولا كلبنا لدخل اللص دارنا وإن كنتم في ريب الآية نزلت في الكفار وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن ما يشبه هذا كلام الله وأنا لفي شك منه فأنزل الله تعالى وإن كنتم يا معشر الكفار وإن لفظه جزاء وبشرط ومعناه إذ لأن الله تعالى علم إنهم شاكون كقوله وأنتم الأعلى إن كنتم مؤمنين وقوله يا أيها الذين آمنوا إتقوا



الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين قال الأعشى بانث وقد أسفرت  
في النفس حاجتها بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا قال المؤرخ أصلها من السورة  
وهي الوثبة تقول العرب سرت إليه وثبت إليه قال العجاج ورب ذي سرادق  
محجور سرت إليه في أعالي السور قال الأعشى

(1/85)

---

وسمعت حلفتها التي حلفت إن كان سمعك غير ذي وقر في ريب أي في شك  
وتهمة مما نزلنا على عبدنا محمد يعني القرآن فأتوا لم يأتوا بمثله لأن الله علم  
عجزهم عنه بسورة أصلها في قول بعضهم من أسارت أي أفضلت فحذفت  
الهمزة كأنها قطعة من القرآن وقيل هي الدرجة الرفيعة وأصلها من سور البناء  
أي منزلة بعد منزلة قال النابغة ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك  
دونها يتذبذب من مثله يعني مثل القرآن و من صلة كقوله تعالى قل للمؤمنين  
يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن كقول النابغة ولا  
أرى ملكا في الناس يشبهه ولا أخا لي من الأقوام من أحد أي أحدا وقيل في  
قوله مثله راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه فأتوا بسورة من مثله  
أي من رجل أمني لا يحسن الخط والكتابة وادعوا شهداءكم يعني استعينوا  
بأهتكم التي تعبدونها من دون الله وقال مجاهد والقرظي ناسا يشهدون لكم  
وإنما ذكر الاستعانة بلفظ الدعاء على عادة العرب في دعائم القائل في  
الحروب والشدائد يال قال الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالهم دعوا يا لكعب  
واعترينا لعامر

(1/86)

---

إن كنتم صادقين إن محمدا أسر قوله من تلقاء نفسه فلما تحداهم وعجزوا  
قال الله تعالى فإن لم تفعلوا أي فإن لم تحيثوا بمثل القرآن ولن تفعلوا ولن  
تقدروا على ذلك وقيل فإن لم تفعلوا فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي فاتقوا  
النار التي وقودها حطبها وعلفها الناس والحجارة قال الحسن ومجاهد وقودها  
بضم الواو حيث كان وهو رديء لأن الوقود بضم الراء المصدر وهو الالتهاب  
والوقود بالفتح وهو ما يوقد به النار كالظهور والبرود ومثليهما ومثل الوضوء  
والوضوء وقرأ عبيد بن عمير وقيدها الناس والحجارة قيل تلك الحجارة كجت  
الأرض النائية مثل الكبريت يجعل في أعناقهم إذا اشتعلت فيها النار أحرق  
توهجها وجوههم فذلك قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب اختلفوا في  
الحجارة فقال ابن عباس وأكثر المفسرين إنها حجارة الكبريت الأسود وهي  
أشد الأشياء حرا وقال حفص ابن المعلى أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم  
كانت معمولة من الحجر دليله قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم  
أنتم لها واردون وقيل هي أن أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشأ  
سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم إليها فتمطرهم  
حجارة عظاما كحجارة الرحا فتزداد النار اتقادا والتهابا كنار الدنيا إذا زيد حطبها  
زاد لهيبها وقيل ذكر الحجارة ها هنا تعظيما لأمر النار لأنها لا تأكل الحجارة إلا  
إذا كانت فظيعة وهائلة أعدت خلقت وهيئت للكافرين وفي هذه الآية دليل على

أن النار مخلوقة لأن المعد لا يكون إلا موجودا وبشر أي وأخبر الذين آمنوا وأصل التبشير إيصال الخبر السار على مسامح الناس ويستبشر به وأصله من البشارة لأن الإنسان إذا فرح بان ذلك في وجهه وبشرته ثم كثر حتى وضع موضع الخبر فيما ساء وسر قال الله تعالى فبشرهم بعذاب أليم

(1/87)

---

وعملوا الصالحات أي الخصال والفعلات الصالحات نعت لأسم مؤنث محذوف وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في وعملوا الصالحات معناه أخلصوا الأعمال يدل عليه قوله فليعمل عملا صالحا أي خالصا لأن المنافق والمرائي لا يكون عمله خالصا وقال أقاموا الصلوات المفروضات دليله قوله تعالى وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين من المسلمين وقال ابن عباس عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم وقال العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال سهل بن عبدالله لموا السنة لأن عمل المبتدع لا يكون صالحا وقيل أدوا الأمانة يدل عليه قوله وكان أبوهما صالحا أي أميناً وقيل تابوا ودليله قوله تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين أي التائبين أن لهم محل أن نصب بنزع حرف الصفة أي بأن لهم جنات في محل نصب فخفض لأنها جمع التانيث وهي جمع الجنة وهي البستان سميت جنة لاحتنائها بالأشجار تجري من تحتها الأنهار أي من تحت شجرها ومساكنها وقيل بأمرهم كقوله وهذه الأنهار تجري من تحتي أي بأمرى والأنهار جمع نهر سمي نهرًا لسعته وضيائه ومنه النهار وأنشد أبو عبيدة ملكة بها كفي فأنهت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها أي وسعتها يصف طعنة وأراد بالأنهار المياه على قرب الجوار لأن النهر لا يجري وقد جاء في الحديث أنهار الجنة تجري في غير إحدود

(1/88)

---

كلما متى ما رزقوا أطعموا منها من الجنة من ثمرة أي ثمره و من صلة رزقا طعاما قالوا هذا الذي رزقنا أطعمنا من قبل طعامهما وقيل معناه هذا الذي رزقنا من قبل أي وعدنا الله في الدنيا وهو قول عطاء و قبل رفع على الغاية قال الله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد وأتوا وجيئوا به بالرزق قرأ هارون بن موسى وأتوا بفتح الألف أراد أتاهم الخدم به متشابهة اختلفوا في معناه فقال ابن عباس ومجاهد والربيع والسدي متشابهة في الألوان مختلفا في الطعوم الحسن وقتادة متشابهة في الفضل خيارا كله لأن ثمار الدنيا تبقى ويرذل منها وإن ثمار الجنة لا يرذل منها شيء محمد بن كعب وعلي بن زيد بمعنى يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب وقال بعضهم متشابهة في الإسم مختلفا في الطعم قال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا غير الأسماء ولهم فيها في الجنات أزواج نساء وجوار يعني الحور العين قال ثعلب الزوج في اللغة المرأة والرجل والجمع والفرد والنوع واللون وجميعها أزواج مطهرة من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمنى والولد وكل قدر ودنس وقال إبراهيم النخعي في الجنة جماع ما شئت ولا ولد وقيل مطهرة عن مساويء الأخلاق وقال يمان مطهرة من الأثم والأذى قال النبي صلى الله عليه

وسلم إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون قيل فما بال الطعام قال جشاً ورشح تجري من أعرافهم كريح المسك يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس

(1/89)

وهم فيها خالدون دائمون مقيمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها الحسن عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة يحيى ولا يموت وينعم ولا يبؤس ولا تبلى ثيابه ولا شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبننة من فضة ولبننة من ذهب بلاطها مسك أذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران وقال يحيى بن أبي كثير إن الحور العين لتنادين أزواجهن بأصوات حسان فيقلن طالما انتظرناكم نحن الراضيات الناعمات الخالدات أنتم حينا ونحن حبكم ليس دونكم مقصد ولا وراءكم معذر وقال الحسن في هذه الآية هن عجائزكم الغمض الرمض العمش طهرن من قدرات الدنيا إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أول صلى الله عليه وسلم أئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا هذه الآية نزلت في اليهود وذلك أن الله تعالى ذكر في كتابه العنكبوت والذباب فقال إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الآية وقال الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت الآية ضحكت اليهود وقالوا ما هذا الكلام وماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخبيثة في كتابه وما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله تعالى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا أي لا يترك ولا يمنع الحياء أن يضرب مثلا أن تصف للحق شيئا ما بعوضة ما صلة وبعوضة نصب يدل على المثل فما فوقها ابن عباس يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة يعني فما دونها فأما الذين آمنوا

(1/90)

بمحمد والقرآن فيعلمون يعني أن هذا المثل هو أنه الحق الصدق الصحيح من ربهم وأما الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع والتمام كقوله وله الدين واصبا فأجابهم الله تعالى فقال أراد الله بهذا المثل يضل به كثيرا من الكافرين ذلك أنهم ينكرونه ويكذبونه ويهدي به كثيرا من المؤمنين يعرفونه ويصدقون وما يضل به إلا الفاسقين الكافرين وأصل الفسق الخروج قال الله تعالى ففسق عن أمر ربه أي خرج تقول العرب فسقت الرطبة عن القشر أي خرجت ثم وصفهم فقال الذين ينقضون أي يتركون

ويخالفون وأصل النقص الكسر عهد الله أمره الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله تعالى ألسنت بربكم قالوا بلى وما عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وضمنه نعته وصفته من بعد ميثاقه توكيده وتشيده وهو مفعال من الوثيقة ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني الأرحام وقيل هو الإيمان بجميع الرسل والكتب وهو نوع من الصلة لأنهم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض فقطعوا وقال المؤمنون لا نفرق بين أحد من رسله فوصلوا ويفسدون في الأرض بالمعاصي وتعييق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أولئك هم الخاسرون أي المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة ثم قال لمشركي مكة علي التعجب كيف تكفرون بالله وكنتم واو الحال أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فأحياكم في الأرحام في الدنيا ثم يميتكم عند إنقضاء آجالكم ثم يحييكم للبعث ثم إليه ترجعون تأتون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم وقرأ يعقوب ترجعون وبيانه بفتح الأول وكسر الجيم جعل الفعل لهم هو الذي خلق لكم لأجلكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء أي قصد وعمد الى خلق السماء

(1/91)

فسواهن سبع سماوات أي خلق سبع سماوات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا علامة فوقها وهو بكل شيء عليم عالم وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالو صلى الله عليه وسلم اأتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني صلى الله عليه وسلم أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هاؤلا صلى الله عليه وسلم ء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني صلى الله عليه وسلم أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا صلى الله عليه وسلم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وإذ قال ربك يعني وقد قال وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله و إذ و إذا حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي و إذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد إذا جاء إذ مع المستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله واذ يمكر بك واذ يقول يريد واذ مكر واذ قال وإذا واذ جاء مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى فاذا جاءت الصاخة إذا جاء نصر الله أي يجيء وقال الشاعر ثم جزاه الله عنا إذ جزا جنات عدن والعلأ إلى العلاء أي يجزيه

(1/92)

---

للملائكة الذين كانوا في الأرض والملائكة الرسل واحدها ملك وأصله مالك وجمعه ملائكة وهي من الملكة والمالكة والألوك الرسالة ويقال ألكني الى فلان أي كن رسولي إليه فقلبت فليل ملاك قال الشاعر فليست لأنسي لكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب ثم حذف الهمزة للخفة وكثير استعماله فليل ملك قال النضر بن شميل في الملك إن العرب لا تشتق فعله ولا تصرفه وهو مما فات علمه إني جاعل في الأرض خليفة أي بدلا منكم ورافعكم إلي سمي خليفة لأنه يخلف الذهاب ويحيى بعده فالخليفة من يتولى إمضاء الأمر عن الأمر وقرأ زيد بن علي خليفة بالقاف قال المفسرون وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهرًا طويلًا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فاقتتلوا وأفسدوا فبعث الله إليهم جنًا من الملائكة يقال لهم الجن رأسهم عدو الله إبليس وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن عن وجهها فالحقوهم بشعوب الجبال وجزائر البحر وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأحبوا البقاء في الأرض لذلك وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك سماء الدنيا وخزانة الجنان فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فلما رأى ذلك دخله الكبر والعجب وقال في نفسه أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه وأعظمهم منزلة لديه فلما ظهر الكبر جاء العزل فقال الله له ولجنده اني جاعل في الأرض خليفة فلما قال لهم ذلك كرهوا لأنهم كانوا أهون في الملائكة عبادة ولأن العزل شديد قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك يصب الدماء بغير حق فإن قيل كيف علموا ذلك وهو غيب والجواب عنه ما قال السدي لما قال الله لهم ذلك قالوا وما يكون من ذلك الخليفة قال تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا عند ذلك أتجعل فيها ومعناه فقالوا فحذف فاء التنسيق كقول الشاعر

(1/93)

---

لما رأيت نبطًا أنصارًا شممت عن ركبتني الأزارا كنت لهم من النصاري جارا أي فكنت لهم وقال أكثر المفسرين أرادوا كما فعل بنو الجان فأسوا بالشاهد على الغائب وقال بعض أهل المعاني فيه إضمار واختصار معناه أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يسفك الدماء لقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل يعني كمن هو غير قانت وهو اختيار الحسن بن الفضل ونحن نسبح بحمدك قال الحسن يقولون سبحان الله وبجمده وهو صلاة الخلق وتسيحهم وعليها يرزقون يدل عليه الحديث المروي عن أبي ذر إنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام أفضل قال ما أصطفاه الله تعالى لملائكته سبحان الله وبجمده وقيل معناه ونحن نصلي لك بأمرك والتسيح يكون بمعنى التنزيه ويكون بمعنى الصلاة ومنه قيل للصلاة سبحة وقيل معناه نصلي ونقرأ فيها فاتحة الكتاب ونقدس لك وننزهك واللام صلة وقيل هي لام الأجل أي ونطهر لأجلك قلوبنا من الشرك بك وأبداننا من معصيتك وقال بعض العلماء في الآية تقديم وتأخير مجازها ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك لأنه إذا

حملت الآية على التأويل الأول تنافي قول الملائكة المتزكية بالإدلال بالعمل وإذا حملت على هذا التأويل ضاهي قولهم التحدث بنعمة الله وإضافة إلى الله فكأنهم قالوا وأن سبحنا وقدسنا وأطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بأنفسنا قال الله إني أعلم ما لا تعلمون من استخلافي في الأرض ووجه المصلحة فيه فلا تعترضوا علي في حكمي وتدييري وقيل أراد أني أعلم أن في من استخلفه في الأرض أنبياء وأولياء وعلماء وصلحاء وقيل أني أعلم إنهم يذنبون وأغفر لهم قال بعض الحكماء إن الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل أن يدخله فيها لقوله

(1/94)

---

أنني جاعل في الأرض خليفة ثم كان خروجه من الجنة بذنبه يدل أنه كان بقضاء الله وقدره ابن نجيب عن مجاهد في قوله أني أعلم ما لا تعلمون قال علم من إبليس المعصية وخلقها لها ابن شهاب عن حميد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله لرسالته وكلامه ثم تلومني على أمر قدر قبل أن أخلق فحج آدم موسى فصل في معنى الخليفة قيل سأل أمير المؤمنين الخطاب طلحة والزبير وكعبا وسلمان ما الخليفة من الملك فقال طلحة والزبير ما ندري فقال سلمان الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله فقال كعب ما كنت أحسب أن في المجلس أحدا يعرف الخليفة من الملك غيري ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكما وعلمًا وعدلاً وروى زاذان عن سلمان إن عمر قال له أملك أنا أم خليفة فقال سلمان إن أنت جيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ووضعت في غير حقه فأنت ملك قال فاستعبر عمر رضي الله عنه وعن يونس إن معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر أيها الناس إن الخلافة ليست لجمع المال ولا تفريقه ولكن الخلافة بالحق والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عز وجل وعلم آدم الأسماء كلها وذلك إن الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فلما أعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضل الله تعالى عليهم آدمج بالعلم فعلمه الأسماء كلها وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة واختلف العلماء في هذه الأسماء فقال الربيع وابن أنس أسماء الملائكة وقال عبد الرحمن بن زيد أسماء الذرية وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك علمه الله اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة

(1/95)

---

قال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان والجماد وغيرها ثم علم آدم أسماءها كلها فقال له يا آدم هذا فرس وهذا بغل وهذا حمار حتى أتى على آخرها ثم عرض تلك الأشياء كما عرض الموجودات على الملائكة فكذلك قال ثم عرضهم ولم يقل عرضها ورده إلى الشخصوس والمسميات لأن الأعراض لا تعرض وقيل

علم الله آدم ج صنعة كل شيء جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال علم الله آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال والسياب وأسماء الطير والشجر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله عز وجل بارئها إلى يوم القيامة وعرض تلك الأسماء على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين إن الخليفة الذي أجعله في الأرض يفسد فيها ويسفك الدماء أراد الله تعالى بذلك كيف تدعون علم ما لم يكن بعد وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون وقال الحسن وقتادة إن كنتم صادقين إني لا أخلق خلقا إلا كنتم أعلم وأفضل منه قالت الملائكة إقرارا بالعجز واعتذارا قالوا سبحانك تنزيها لك عن الاعتراض لعلمك في حكمك وتديرك وهو نصب على المصدر أي نسيح سبحانا في قول الخليل وقال الكسائي خارج عن الوصف وقيل على النداء المضاف أي يا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم بخلقك الحكيم في أمرك وللحكيم معنيان أحدهما المحكم للفعل كقوله عذاب أليم وحز وجيع قال الشاعر أمن ربحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هموع أي المؤلم والموجع والمسمع فعيل بمعنى مفعول وعلى هذا التأويل هو صفة فعل والآخري بمعنى الحاكم العالم وحينئذ يكون صفة ذات وأصل الحكمة في كلام العرب المنع يقال أحكمت اليتيم عن الفساد وحكمته أي منعه قال جرير

(1/96)

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا ويقال للحديدة المعترضة في فم الدابة حكمة لأنها تمنع الدابة من الأعوجاج والحكمة تمنع من الباطل وما لا يجمل فلا يحل في المحكم من الأمر بمنعه من الخلل وفي هذه الآية دليل على جواز تكليف ما لا يطاق حيث أمر الله تعالى الملائكة بإنشاء ما لم يعلموا وهو عالم بعجزهم عنه فلما ظهر عجزهم قال الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم فسمى كل شيء باسمه وألحق كل شيء بجنسه فلما أنبأهم أخبرهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم يا ملائكتي أني أعلم غيب السماوات والأرض ما كن فيها وما يكون وأعلم ما تبدون من الخضوع والطاعة لآدم وما كنتم تكتمون تخفون في أنفسكم من العداوة له وقيل ما تبدون من الإقرار بالعجز والاعتذار وما كنتم تكتمون من الكراهية في استخلاف آدم قال ابن عباس هو أن إبليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال لأمر ما خلق هذا ثم دخل من فيه وخرج من دبره وقال إنه لا يتماسك إلا بالجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرايتم أن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع أمر ربنا فقال إبليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لأهلكته ولئن سلط علي لأعصيه فقال الله تعالى وأعلم ما تبدون يعني الملائكة من الطاعة وما تكتمون يعني إبليس من المعصية قال الحسن وقتادة ما تبدون يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون يعني قولهم لن يخلق خلقا أفضل ولا أعلم ولا أكرم عليه منا القول في حد الاسم وأقسامه فقال أصحابنا الاسم كل لفظة دلت على معنى ما وشيء ما وهو مشتق من السمة وهي العلامة التي يعرف بها الشيء وأقسامه ثمانية منها اسم علم مثل زيد وعمرو وفاطمة وعائشة ودار وفرس ومنها اسم لازم كقولك رجل وامرأة وشمس وقمر وحجر ومدر ونحوها سمي لازما لأنه لا ينقلب ولا يفارق فلا يقال للشمس قمر ولا

للقمر حجر ومنها اسم مفارق مثل صغير وكبير وطفل وكهل وقليل وكثير وقيل له مفارق لأنه

(1/97)

كان ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه المعنى المسمى به ومنها اسم مشتق ككاتب وخطاط وصانع وصباغ فالاسم مشتق من فعله ومنها اسم مضاف مثل غلام جعفر وركوب عمرو ودار زيد ومنها اسم مشبهة كقولك فلان أسد وحمار وشعلة نار ومنها اسم منسوب يثبت بنفسه ويثبت غيره كقولك أب وأم وأخ وأخت وابن وبنت وزوج وزوجة فإذا قلت أب فقد أثبتته وأثبت له الولد وإذا قلت أخ أثبت له الأخت ومنها اسم الجنس وهو إسم واحد ويدل على أشياء كثيرة كقولك حيوان وناس ونحوهما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة نظيره قوله في قصة يوسف وخرروا له سجدا وكان ذلك تحية الناس ويعظم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه على الأرض وإنما كان الإنحناء والتكبير والتقيل فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسلام وفي الحديث إن معاذ بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجه رسول الله فقال ما هذا قال رأيت اليهود يسجدون لأخبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى إنما السجود لله تعالى وقال بعضهم كان سجودا على الحقيقة جعل آدم قبلة لهم والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله تعالى قال ابن مسعود أمرهم الله تعالى أن يأتوا بآدم فسجدت الملائكة وآدم لله رب العالمين وقال أبي بن كعب معناه أقروا لآدم إنه خير وأكرم علي منكم فأقروا بذلك والسجود على قول عبدالله وأبي بمعنى الخضوع والطاعة والتذلل كقول الشاعر ترى الأكم فيه سجدا للحوافر وآدم على وزن أفعل فلذلك لم يصرقه السدي عن حدثه عن ابن عباس قال إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ومنهم من قال سمي بذلك لأنه خلق من التراب والتراب بلسان العبرانية آدم وبعضهم من قال

(1/98)

سمي بذلك لأدمته لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال ليس في الجنة أحد يكنى إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد وقرأ العامة للملائكة بخفض التاء وقرأ أبو جعفر بضم التاء تشبها لتاء التأنيث بألف الوصل في قوله اسجدوا لأن ألف الوصل يذهب في الوصل ولأنها زائدة غير أصلية وكذلك تاء التأنيث زائدة غير أصلية ولا ثابت جواب ألف اسجدوا وقيل كره ضمة الجيم بعد كسرة التاء لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لتقلها وهي قراءة ضعيفة جدا وأجمع النحاة على تغليطه فيها فسجدوا يعني الملائكة إلا إبليس وكان اسمه عزازيل فلما عصى غيرت صورته وغير اسمه فقيل إبليس لأنه أبلس من رحمة الله كما يقال يا خبيث ويا فاسق وهو منصوب على الاستثناء ولا يصرف لاجتماع العجمة والمعرفة أبي أي امتنع ولم يسجد واستكبر أي تكبر وتعظم عن السجود وكان أي فصار من الكافرين وحال بينهما



الموج فكان من المغرقيين وقال أكثر المفسرين معناه فكان في علمه السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان عنه يبكي فيقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار زياد بن الحصين عن أبي العالية قال لما ركب نوح السفينة إذا هو بابليس على كوثها فقال له وبحك قد شق أناس من أجلك قال فما تأمرني قال تب قال سل ربك هل لي من توبة قال فقيل له أن توبته أن يسجد لقبر آدم قال تركته حيا واسجد له ميتا وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وذلك أن آدم ج كان في الجنة وحشا ولم يكن له من يجالسه ويؤانسه فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيراه من شقه الأيسر من غير أن يحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم من ذلك لما عطف رجل على امرأة فلما هب آدم من نومه إذا هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من

(1/99)

أنت قالت أنا زوجتك خلقتني الله لك لتسكن إلي وأسكن إليك فقالت الملائكة عند ذلك امتحانا لعلم آدم يا آدم ما هذه قال امرأة قالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لأنها خلقت من حي قالوا تحبها يا آدم قال نعم فقالوا لحواء أتحيينه قالت لا وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه قالوا فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء مسألة قالت القدرية إن الجنة التي أسكنها الله آدم وحواء لم تكن جنة الخلد وإنما كان بستانا من بساتين الدنيا واحتجوا بأن الجنة لا يكون فيها إبتلاء وتكليف والجواب إنا قد أجمعنا على أن أهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلفون بذلك وجواب آخر إن الله تعالى قادر على الجمع بين الأضداد فأرى آدم المحنة في الجنة وأرى إبراهيم النعمة في النار لئلا يأمن العبد ربه ولا يقنط من رحمته وليعلم أن له أن يفعل ما يشاء واحتجوا أيضا بأن من دخل الجنة يستحيل الخروج منها قال الله تعالى وما هم عنها بمخرجين والجواب عنه إن من دخلها للثواب لا يخرج منها أبدا وأدم لم يدخلها للثواب ألا ترى أن رضوان خازن الجنة يدخلها ثم يخرج منها وإبليس أيضا كان داخل الجنة وأخرج منها وكلا منها رعدا واسعا كثيرا حيث شئتما كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما ولا تقربا هذه الشجرة قال بعض العلماء وقع النهي على جنس من الشجر وقال آخرون بل وقع على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي شجرة الكافور وقال قتادة شجرة العلم وفيها من كل شيء ومحمد بن كعب ومقاتل هي السنبل وقيل هي الحبله وهي الأصل من أصول الكرم أبو روق عن الضحاك أنها شجرة التين فتكونا فتصيرا من الظالمين لأنفسكما بالمعصية وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فأزلهما يعني استمال آدم وحواء فأخرجهما ونحاهما وقرأ حمزة فأزالهما الشيطان وهو إبليس وهو فيعال من شطن أي بعد

(1/100)

---

وقيل إنه من شاط والنون فيه غير أصلية ونودي شيطان سمي بذلك لتمرده  
وبعده عن الخير وعن رحمة الله تعالى عنها عن الجنة وقيل عن الطاعة  
وأخرجهما مما كانا فيه من النعيم وذلك إن إبليس أراد أن يدخل الجنة  
ويوسوس لآدم ولحواء فمنعته الخزنة فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب لها  
أربع قوائم كقوائم البعير وكان من خزان الجنة وكان لأبليس صديقا فسألها أن  
تدخله في فمها فأدخلته في فمها وممرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته  
الجنة وكان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة قال لو أن  
خلدا فأغتنم الشيطان ذلك منه وأتاه من قبل الخلد ولما دخل الجنة وقف بين  
يدي آدم وحواء لا يعلمان إنه إبليس ففاح عليهما نياحة أحزنهما وبكى وهو أول  
من ناح فقالا لم تبكي قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من  
النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما وإغتما ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال  
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومملك لا يبلى فأبى أن يقبل منه فقاسمهما  
بالله إنه لهما لمن الناصحين فأغترا وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا  
فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها وروى محمد بن  
إسحاق عن يزيد بن عبدالله بن قسط قال سمعت سعيد بن المسيب يحلف  
بالله ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر  
حتى إذا سكر قادتة اليها فأكل فلما أكلا تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما  
وأخرجا من الجنة وذلك قوله تعالى وقلنا يعني لآدم وحواء وإبليس والحية  
اهبطوا أي أنزلوا الى الأرض بعضكم لبعض عدو فهبط آدم بسرنديب من أرض  
الهند على جبل يقال له نودة وقيل وإشتم وحواء بجدة وإبليس بالأبلة وقيل  
بميسان والحية بأصفهان ولكم في الأرض مستقر ومتاع بلغة ومستمتع الى  
حين الى حين اقتضاء أجالكم ومنتهى أعماركم وعن إبراهيم بن الأشعث قال  
سمعت إبراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا فتلقى فلن آدم حفظ  
حين لقن وأفهم حين ألهم

(1/101)

---

وقرأ العامة آدم برفع الميم كلمات بخفض التاء وقرأ ابن كثير ب نصب الميم  
بمعنى جاءت الكلمات لآدم ج من ربه كلمات كانت سبب قبول توبته واختلفوا  
في تلك الكلمات  
قال ابن عباس هي أن آدم قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ  
في من روحك قال بلى قال ألم تسبق رحمتك بي غضبك قال بلى قال ألم  
تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال بشؤم معصيتك قال أي رب  
أرأيت لو تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال بلى قال فهو الكلمات قال  
عبيد بن عمير هو أن آدم قال يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته على نفسي  
أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك  
قال يا رب كما قدرته علي فأغفر لي همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال تحاج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي  
أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة الى الأرض فقال له آدم أنت موسى الذي  
أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته قال نعم قال

أتلومني على أمر كان قد كتب علي أن أفعله من قبل أن أخلق قال فحج آدم موسى وقال محمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءا وظلمت نفسي فاعفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين عكرمة عن سعيد بن جبير في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قالوا قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قاله الحسن ومجاهد وقال بعضهم نظر آدم ج الى العرش فرأى على ساقه مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فقال يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فغفر له وقيل هذا التأويل ما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بي الى السماء

(1/102)

---

رأيت على ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق وقيل هي ثلاثة أشياء الخوف الرجاء البكاء أبو بكر الهذلي عن شهر بن حوشب قال بلغني أن آدم لما أهبط الى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى وقال ابن عباس بكاء آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فتاب عليه فتجاوز عنه إنه هو التواب يقبل توبة عباده الرحيم بخلقه قلنا اهبطوا منها يعني آدم وحواء وقيل آدم وحواء وابليس والحية فإما يأتينكم يا ذرية آدم مني هدى كتاب ورسول فمن تبع هداي هداي فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا والذين كفروا جحدوا وكذبوا بآياتنا يعني القرآن أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون فيها يابنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل اذكروا نعمتي التي صلى الله عليه وسلم أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم وإياي فارهبون وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا كافرين صلى الله عليه وسلم أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون يابنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي صلى الله عليه وسلم أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون يا بني إسرائيل أولاد يعقوب ومعنى إسرائيل صفوة الله وإيل هو الله عز وجل وقيل معناه عبد الله وقيل سمي بذلك لأن يعقوب وعيسا كانا توأمين واقتلا في بطن أمهما فأراد يعقوب أن يخرج فمعه

(1/103)

---

عيس وقال والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي فلاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيس وأخذ يعقوب يعقب عيس فخرج عيس قبل يعقوب وسمي عيس لما عصى فخرج قبل يعقوب وكان عيس أحبهما الى أبيه وكان يعقوب أحبهما الى أمة وكان عيس ويعقوب أبناء إسحاق وعمي قال لعيس يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي وكان عيس رجلا أشعر وكان يعقوب رجلا أمرد فخرج عيس بطلب الصيد فقالت أمه ليعقوب يا بني إذهب الى الغنم فاذبح منه شاة ثم اشوه والبس جلدھا وقدمھا الى أبيك فقل له أنك عيس ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال يا أبته كل قال من أنت قال ابنك عيس قال خمسه فقال المس مس عيس والريح ريحة

(1/104)

---

يعقوب قالت أمه هو ابنك فادع له قال قدم طعامك فأكل منه ثم قال أدن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك وقام يعقوب وجاء عيس فقال قد جئتك بالصيد الذي أمرتني به فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيس وقال والله لأقتلنه قال يا بني قد بقيت لك دعوة فهل أدع لك بها فدعا له فقال تكون ذريتك عددا كثيرا كالتراب ولا يملكهم أحد غيرهم اذكروا روى الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والمحدث بنعمة الله شاكر وتاركها كافر والجماعة رحمة والفرقة عذاب أراد نعمي أعطها وهي واحد بمعنى الجمع وهو قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعدد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على أجدادكم وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من فرعون وأهلك عدوهم فأورثهم ديارهم وأموالهم وظلل عليهم الغمام في التيه من حر الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر وأنزل عليهم المن والسلوى وفجر لهم اثني عشرة عينا وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون إليه في نعم من الله كثيرة لا تحصى أوفوا بعهدي الذي عهدت اليكم أوف بعهدكم أدخلكم الجنة وأنجز لكم ما وعدتكم فقرأ الزهري أوف بالتشديد على التأكيد يقال وفى وأوفى كلها بمعنى واحد وأصلها الاتمام قال الكلبي عهد الى بني إسرائيل على لسان موسى إني باعث من بني إسماعيل نبيا أميا فمن إتبعه وأمن به عفوت عن ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين إثنين وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه يعني أمر محمد صلى الله عليه وسل

(1/105)

---

قتادة هو العهد الذي أخذ الله عليهم في قوله ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وقوله تعالى قرضا حسنا فهذا قوله أوفوا بعهدي ثم قال لأكفرن عنكم سيئاتكم الآية فهذا قوله أوف بعهدكم فقال وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا

الله الآية الحسن هو قوله وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الآية إسماعيل بن زياد ولا تفروا من الزحف أدخلكم الجنة دليله قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وقيل أوفوا بشرط العبودية أوف بشرط الربوبية وقال أهل الإشارة أوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي أوف عهدكم في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي وإياي فارهبون فخافوني في نقض العهد وسقطت الياء بعد النون في هذه الآيات وفي كل القرآن على الأصل وحذفها الباقون على الخط إتباعا للمصحف وآمنوا بما أنزلت مصدقا موافقا لما معكم يعني التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع نزلت في كعب وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم ولا تكونوا أول كافر به يعني أول من يكفر بالقرآن وقد بايعتنا اليهود على ذلك فتبوعوا بآثامكم وآثامهم ولا تشتروا آياتي أي ببيان صفة محمد ونعته ثمنا قليلا شيئا يسيرا وذلك أن رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم يأخذون منهم شيئا معلوما كل عام من زروعهم فخافوا أن تبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبايعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة فاختاروا الدنيا على الآخرة وإياي فاتقون فإخشوني في أمر محمد لا فيما يفوتكم من الرياسة والمآكل ولا تلبسوا الحق ولا تخلطوا يقال لبست عليهم الأمر البسه لبسا إذا خلطته عليهم أي خلطت وشبهت الحق الذي أنزل اليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم

(1/106)

---

بالباطل الذي تكتمونونه وهو تجدونه في كتبكم من نعته وصفته وقال مقاتل إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا واختلفوا في ذلك فقال الله عز وجل ولا تلبسوا الحق الذي تقرون به وتبينونه بالباطل يعني بما تكتمونونه فالحق بيانهم والباطل كتمانهم وقيل معناه ولا تلبسوا الحق من الباطل صفة أو حال وتكتموا الحق يعني ولا تكتموا الحق كقوله تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون إنه نبي مرسل وأقيموا الصلاة يعني وحافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها وأركانها وركوعها وسجودها وآتوا الزكاة يعني وأدوا زكاة أموالكم المفروضة وأصل الزكاة الطهارة والنماء والزيادة واركعوا مع الراكعين يعني وصلوا مع المصلين محمد وأصحابه يخاطب اليهود فعبر بالركوع عن الصلاة إذ كان ركنا من أركانها كما عبر باليد عن العطاء كقوله ذلك بما قدمت أيديكم وقوله فيما كسبت أيديكم وبالعنق عن البدن في قوله ألزمناه طائره في عنقه والأنف عن أتأمرون الناس بالبر الطاعة والعمل الصالح وتنسون أنفسكم تتركون وأنتم تتلون الكتاب تويخ عظيم أفلا تعقلون أي أفلا تمنعون أنفسكم من مواجهة هذه الحال المردية لكم واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة عليهما ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها فرد

(1/107)

---

الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة لأنها الأفضل والأهم وإنما واحد منهما أراد بأن كل خصلة منهما لكبيرة وقيل رد الكناية إلى كل واحد منهما قال تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين أراد جعلنا كل واحد منهما آية حسن من علم يزينه حلم ومن ناله قد فاز بالفرح أي من نال كل واحد منهما وقال آخر لكل هم من الهموم سعة والمسي والصبح لا فلاح معه وقيل رد الهاء إلى الصلاة لأن الصبر داخل في الصلاة كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولم يقل يرضوهما لأن رضا الرسول داخل في رضا الله فرد الكناية إلى الله وقال الشاعر وهو حسان إن شرح الشباب والشعر الأسود وما لم يعاص كان جنونا ولم يقل يعاصيا رده إلى الشباب لأن الشعر الأسود داخل فيه وقال الحسين بن الفضل رد الكناية إلى الاستعانة معناه وأن الإستعانة بالصبر والصلاة لكبيرة ثقيلة شديدة إلا على الخاشعين يعني المؤمنين وقال ابن عباس يعني المصلين الوراق العابدين المطيعين مقاتل بن حيان المتواضعين الحسن الخائفين قال الزجاج الخاشع الذي يرى أثر الذل والخنوع عليه وكخشوع الدار بعد الاقواء هذا هو الأصل وقال النابغة رماد ككحل العين ما أن تبينه ونؤي كحذم الحوض أثلم خاشع الذين يظنون يعلمون ويستيقنون كقوله تعالى إني ظننت أني ملاق حسابه أي أيقنت به وقال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

(1/108)

---

يعني أيقنوا والظن من الأضداد يكون شكاً وبقينا كالرجاء يكون أملاً وخوفاً أنهم ملاقوا ربهم معانينوا ربهم في الآخرة وأنهم إليه راجعون فيجزبهم بأعمالهم يا بني إسرائيل إذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين يعني عالمي زمانكم واتقوا يوماً أي واحذروا يوماً واخشوا يوم لا تجزي أي لا تقضي ولا تكفي ولا تغني ومنه الحديث عن أبي بردة بن ديان في الأضحى لا تجزي عن أحد بعدك وقرأ أبو السماك العدوي لا تجزي مضمومة التاء مهموزة الياء من أجزاء يجزي إذا كفي قال الشاعر وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ليجزى إلا كامل وابن كامل وقال الزجاج وفي الآية إضمار معناه لا تجزي نفس عن نفس شيئاً من الشدائد والمكاره وأنشد الشاعر ويوم شهدناه سليمان وعامراً أي شهدناه فيه وقيل معناه ولا تغني نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة ولا يقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة قرأ أهل مكة والبصرة بالتاء لتأنيث الشفاعة وقرأ الباقر بالباء لتقديم الفعل وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة بياء مفتوحة ونصب الشفاعة أي لا يقبل الله ولا يؤخذ منها عدل فداء كانوا يأخذون في الدنيا وسمي الفداء عدلاً لأنه يعادل المفدى وبماثله قال الله عز وجل أو عدل ذلك صياماً ولا هم ينصرون أي يمنعون من عذاب الله

(1/109)

---

قال الزجاج كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم عند الله عز وجل فأياسهم الله من ذلك وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سو صلى الله عليه وسلم العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلا صلى

الله عليه وسلم ء من ربكم عظيم وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا ء آل فرعون وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا صلي الله عليه وسلم إلى بارئكم فاقتلوا صلي الله عليه وسلم أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ نجيناكم يعني أسلافكم وآباءكم فأعتدها منة عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم ومآثر الآباء مفاخر الأبناء وقوله فأنجيناكم أصله ألقيناكم على النجاة وهو ما ارتفع واتسع من الأرض هذا هو الأصل ثم سمي كل فائز ناجيا كأنه خرج من الضيق والشدة إلى الرخاء والراحة وقرأ إبراهيم النخعي وإذ نجيناكم على الواحد من آل فرعون أي أشياعه وأتباعه وأسرته وعزته وأهل دينه وأصله من الأول وهو الرجوع كأنه يؤول إليك وكان في الأصل همزتان فعوضت من إحداهما مد وتخفيف وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من العماليق يسومونكم سوء العذاب يعني يكلفونكم ويذيقونكم أشد العذاب وأسوأه وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدما وعبيدا وصنفهم في أعمالهم فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمون ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال فعليه الجزية يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقرأ ابن محيصن بالتخفيف فتح إلياء والباء من الذبح والتشديد على التكثير وذلك أن فرعون رأي في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فهاله ذلك ودعا بالسحرة والكهنة وسألهم عن رؤياه

(1/110)

فقالوا إنه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهم لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت ووكل بهن من يفعلن ذلك وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له إن الموت قد وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء من ربكم في إنجائكم منهم نعمة عظيمة والبلاء تنصرف على وجهين النعماء والنقماء وإذ فرقنا بكم البحر وذلك إنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله عز وجل موسى أن يسري ببني إسرائيل وأمرهم أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح وأخرج الله عز وجل كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وأخرج من بني إسرائيل كل ولد زنا منهم إلى القبط حتى رجع كل واحد منهم إلى أبيه وألقى الله عز وجل على القبط الموت فمات كل بكرا فاشتغلوا بدفنه عن طلبهم حتى طلعت الشمس وخرج موسى ج في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يتعدون ابن العشرين أصغرهم ولا ابن الستين أكبرهم سوى الذرية فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى ج مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن

ذلك فقالوا إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ على إخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك أنسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي فكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كلما سألتك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره الله عز وجل بايتاء سؤلها فقالت إني عجوز كبيرة

(1/111)

---

لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل بغرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت إنه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحبس عنه الماء فدعا الله فحبس عنه الماء ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من المرمر فحملة حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق

فساروا وموسى على ساقاتهم وهارون على مقدمتهم وعلم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألف من دهم الخيل سوى سائر الثيات وسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة نظروا فإذا هم بفرعون وذلك حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع وما الحيلة فرعون خلفنا والبحر أمامنا قال موسى كلا أن معي ربي سيهدين فأوحى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطمعه فأوحى الله إليه أن كنه فضربه موسى بعصاه وقال انفلق أبا خالد بإذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيها اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وأرسل الله عز وجل الريح والشمس على مقر البحر حتى صار يبسا وقال سعيد بن جبير أرسل معاوية إلى ابن عباس فسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة فكتب إليه إنه المكان الذي انفلق منه البحر لبني إسرائيل فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبه الماء كالجيل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد غرق كل إخواننا فأوحى الله إلى حال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر أي فلقنا وميزنا الماء يمينا وشمالا فأنجيناكم من آل فرعون والغرق وأغرقنا آل فرعون وذلك إن فرعون لما وصل إلى البحر

(1/112)

---

فرآه منغلقا قال لقومه انظروا إلى البحر انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا وأقتلهم أدخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى وإنما كانت كلها ذكور فجاء جبرائيل على فرس أنثى وديق



فتقدمهم فخاص البحر فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى  
خاصوا كلهم في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول  
لهم إلقوا بأصحابكم حتى إذا خرج جبرائيل من البحر وهم أولهم أن يخرج أمر  
الله تعالى البحر أن يأخذهم والتطم عليهم فأغرقهم أجمعين وذلك بمراى من  
بني إسرائيل وذلك قوله وأغرقنا آل فرعون

(1/113)

---

وأتم تنظرون إلى مصارعهم وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة وذلك أن بني  
إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة  
ينتهون إليها فوعدهم الله عز وجل موسى أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى  
لقومه إني ذاهب إلى ميقات ربي وأتيكم بكتاب فيه تبيان ما تأتون وما تذررون  
فواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة واستخلف  
عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد جاء جبرئيل على فرس يقال لها فرس  
الحياة لا يصيب شيئا إلا حيي ليذهب بموسى إلى ربه فلما رآه السامري وكان  
رجلا صائغا من أهل باجرو واسمه ميخا وقال ابن عباس إسمه موسى بن ظفر  
وكان رجلا منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل قلبه حب  
البقر فلما رأى جبرئيل على ذلك الفرس قال إن لهذا شأنا وأخذ قبضة من تربة  
حافر فرس جبرئيل وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون  
حين أرادوا الخروج من مصر لعدة عرس لهم فأهلك الله عز وجل قوم فرعون  
فبقيت تلك الحلبي في يد بني إسرائيل فلما وصل موسى قال السامري إن  
الأمته والحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة ولا تحل لكم فاحفروا  
حفرة وادفنها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه ففعلوا ذلك فلما  
اجتمعت الحلبي صاغها السامري ثم ألقى القبضة التي أخذها من تراب فرس  
جبرئيل فيه فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة  
قال السدي كان يخور ويمشي ويقول هذا ألهمك واله موسى فنسي أي تركه ها  
هنا وخرج بطلبه وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم والليلة يومين  
فلما مضت عشرون يوما ولم يرجع موسى ج وأوا العجل وسمعوا قول  
السامري أفتن بالعجل ثمانية ألف رجل منهم وعكفوا عليه يعبدونه من دون  
الله عز وجل وإذ واعدنا موسى قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب واعدنا بغير  
ألف في جميع القرآن وقرأ الباقون واعدنا بالألف وهي قراءة ابن مسعود فمن  
قرأ بغير ألف قال لأن الله عز وجل هو المتفرد بالوعد

(1/114)

---

والقرآن ينطق به كقوله تعالى وعد الله وقوله إن الله وعدكم وعد الحق ومن  
قرأ بالألف قال قد يجيء المفاعلة من واحد كقولهم عاقبت اللص وعافاك الله  
وطارقت النعل  
قال الزجاج واعدنا جيد لأن بالطاعة والقبول بمنزلة المواعدة فكان من الله  
الوعد ومن موسى القبول وموسى هو عمران بن بصير بن فاهث  
بن لاوي بن يعقوب أربعين ليلة وقرأ زيد بن علي أربعين بكسر الباء وهي لغة و

ليلة نصب على التمييز والتفسير وإنما قرن التاريخ بالليل دون النهار لأن شهور العرب وضعت على مسير القمر والهلال إنما يهل بالليل وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء والليل خلق قبل النهار قال الله عز وجل وآية لهم الليل نسلخ منه النهار الآية ثم اتخذتم العجل يقول أبو العالية إنما سمي العجل لأنهم تعجلوه قبل رجوع موسى ج من بعده من بعد انطلاق موسى إلى الجبل للميعاد وأنتم ظالمون مشاؤون لأنفسكم بالمعصية وواضعون العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم أي تركناكم فلم نستأصلكم من قول له ج أحفوا الشوارب واعفوا للحي وقيل محونا ذنوبكم من قول العرب عفت الريح المنازل فعفت من بعد ذلك أي من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم واختلف العلماء في ماهية الشكر فقال ابن عباس هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية وقال الحسن شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث الفضل شكر كل نعمة ألا يعصى الله بعد تلك النعمة أبو بكر بن محمد بن عمر الوراق حقيقة الشكر معرفة المنعم وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظا بل تراها من الله عز وجل قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله يدل عليه ما روى سيف بن ميمون عن الحسين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى ج يا رب كيف استطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك خلقتك بيدك وأسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك فأوحى الله إليه إن آدم علم إن ذلك كله مني ومن عندي فذلك شكر

(1/115)

---

وعن إسحاق بن نجیح الملطي عن عطاء الخرساني عن وهب بن منبه قال قال داودج إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكري إلا بنعمتك فأوحى الله تعالى إليه ألسنت تعلم أن الذي بك من النعم مني قال بلى يا رب قال أرضى بذلك لك شكرا وقال وهب وكذلك قال موسى يا رب أنعمت علي بالنعم السوايغ وأمرتني بالشكر لك عليها وإنما شكري لكل نعمة منك علي فقال الله يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوته علم حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني ومن عندي قال الجنيد حقيقة الشكر العجز عن الشكر وروى ذلك عن داودج إنه قال سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال بعضهم الشكر أن لا يرى النعمة البتة بل يرى المنعم أبو عثمان الخيري صدق الشكر لا تمدح بلسانك غير المنعم أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر الرازي عن الشبلي الشكر التواضع تحت رؤية المنة وقيل الشكر خمسة أشياء مجانية السيئات والمحافضة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات ومراقبة رب السموات قال الثعلبي سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول سئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القناد في الجامع بحضرة أبي بكر بن عدوس وأنا حاضر من أشكر الشاكرين قال الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعداد الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا يعد نفسه من المفلسين فهذا أشكر الشاكرين بكر بن عبد الرحمن عن ذي النور الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال وإذ أتينا موسى الكتاب والفرقان قال مجاهد والفراء هما شيء واحد

والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على التوهم وأنشد الفراء وقدمت  
الأديم لراهشيه وألقى قولها كذبا ومينا

(1/116)

---

وقال عنتره حبيت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم وقال الزجاج  
وهذا هو القول لأن الله عز وجل ذكر لموسى الفرقان في غير هذا الموضع  
فقال ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وقال الكسائي الفرقان نعت للكتاب  
يريد وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان فرق بين الحلال والحرام والكفر  
والإيمان والوعد والوعيد فزيدت الواو فيه كما يزداد في النعوت من قولهم فلان  
حسن وطويل وأنشد إلى الملك العزم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم  
ودليل هذا التأويل قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا  
لكل شيء وقال قطرب أراد به الفرقان وفي الآية إضمار ومعناه وإذا آتينا  
موسى الكتاب ومحمد الفرقان لعلكم تهتدون لهذين الكتابين فترك أحد  
الإسمين كقول الشاعر تراه كان الله يجده أنفه وعينيه إن مولاه بات له وفر  
وقال ابن عباس أراد بالفرقان النصر على الأعداء نصر الله عز وجل موسى  
وأهلك فرعون وقومه يدل عليه قوله عز وجل وما أنزلنا على عبدنا يوم  
الفرقان يوم التقى الجمعان يوم بدر يمان بن رباب الفرقان إنفراق البحر وهو  
من عظيم الآيات يدل عليه قوله تعالى وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وإذا قال  
موسى لقومه الذين اتخذوا العجل يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم أي ضررتم  
أنفسكم باتخاذكم العجل إليها فقالوا فأي شيء صنع وما الحيلة قال فتوبوا

(1/117)

---

فأرجعوا إلى بارئكم أي خالقكم وكان أبو عمرو يختلس الهمزة إلى الجزم في  
قوله بارئكم و يأمركم وينصركم طلبا للخفة كقول امرؤ القيس فالיום أشرب  
غير مستحقب إنما من الله ولا واغل وأنشد وإذا أعوججن قلت صاحب قوم  
بالدو أمثال السفين العوم قال فاقتلوا أنفسكم ليقتل البريء المجرم ذلكم  
القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن جرير فأبى الله عز وجل أن يقبل توبة بني  
إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل  
عقوبة عبدة العجل القتل لأنهم إرتدوا والكفر يبيح الدم وقرأ قتادة فأقبلوا  
أنفسكم من الأقالمة أي استقبلوا العثرة بالتوبة فلما أهم موسى بالقتل قالوا  
نصير لأمر الله تعالى فجلسوا بالأفنية مختبئين وأصلت القوم عليهم الخناجر  
وكان الرجل يرى ابنه وأباه وعمه وقومه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي  
لأمر الله وقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله ضيابة وسحابة سوداء لا يبصر  
بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو إتقى بيد أو  
رجل فهو طعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر فيهم القتل  
دعا هارون وموسى وبكيا وجزعا وتضرعا وقالوا يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية  
البقية فكشف الله عز وجل السحاب وأمرهم أن يرفعوا السلاح عنهم ويكفوا  
عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله  
إليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة وكان من قتل منهم شهيدا

ومن بقي منهم نكفر عنه ذنوبه فذلك قوله فتاب عليكم يعني ففعلتم بأمره فتاب عليكم وتجاوز عنكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولاكن كانوا صلى الله عليه وسلم أنفسهم يظلمون وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب

(1/118)

---

سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية وذلك أن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختر سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا ذلك فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فلما وصل ذلك الموضوع قالوا اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال القوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه ف ضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى إني أنا الله لا اله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فأعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا وقال وهب أرسل الله عز وجل عليهم جندا من السماء فلما سمعوا بحسها ماتوا يوما وليلة والصاعقة المهلكة فذلك قوله وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لن نصدقك حتى نرى الله جهرة قرأه العامة بجزم الهاء وقرأ ابن عباس جهرة بفتح الهاء وهما لغتان مثل زهره وزهره جهرة أي معاينة بلا سائر بيننا وبينه وأصل الجهر من الكشف قال الشاعر يجهر أجواف المياه السدم وانتحابها على الحان فأخذتكم الصاعقة قرأ عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم الصعقة بغير ألف وقرأ الباقر الصاعقة بالألف وهما لغتان وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وذلك أنهم لما هلكوا جعل موسى يبكي

(1/119)

---

ويتضرع ويقول يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ولو شئت أهلكتهم من قبل ويا ربي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشده ربه حتى أحياهم الله تعالى جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم أحييناكم من بعد موتكم لتستوفوا بقية أعمالكم وأرزاقكم وأصل البعث إثارة الشيء من مكمنه يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام في التيه تقيكم حر الشمس وذلك أنهم كانوا في التيه ولم يكن لهم كن يستترهم فشكوا ذلك الى

موسى فأنزل الله عليهم غماما أبيضاً رقيقاً وليس بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد والغمام ما يغم الشيء أي يستره وأظلمهم فقالوا هذا الظل قد جعل لنا فإين الطعام فأنزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد وهو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد الضحاك هو الطرنجيين وقال وهب الخبز الرقاق السدي غسل كان يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه عكرمة شيء أنزله الله عليهم مثل الزيت الغليظ ويقال هو الزنجبيل وقال الزجاج جملة المن ما يمن الله مما لا تعب فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماءؤها شفاء للعين وكان ينزل عليهم هذا المن كل ليلة تقع على أشجارهم مثل الملح لكل إنسان منهم صاع كل ليلة قالوا يا موسى مللنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فدعا عليه السلام فأنزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو طائر يشبه السماني أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعث الله سبحانه فمطرت ذلك الطير في عرض ميل وقدر طول رمح في السماء بعضه على بعض

(1/120)

---

عكرمة طير يكون بالهند أكبر من عصفور المؤرخ هو المعسل بلغه كنانة وقال شاعرهم وقاسمها بالله حقاً لأنتم الذ من السلوى إذا ما نشورها وكان يرسل عليهم المن والسلوى فيأخذ كل واحد منه ما يكفيه يوماً وليلة وإذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل إليهم يوم السبت فذلك قوله وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أي وقلنا لهم كلوا من طيبات حلالات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبأوا لغد فقطع الله عز وجل ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروا فذلك قوله عز وجل وما ظلمونا ضرورنا بالمعصية ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يصرون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مؤونة ولا مشقة في الدنيا ولا تبعه ولا حساب في العقبى خلاص بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بني إسرائيل لم يخنز الطعام ولم يخبث اللحم ولولا حواء لم تخن أشى زوجها وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ابن عباس هي أريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عناق وقيل هي بلقا وقال ابن كيسان هي الشام الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر مجاهد بيت المقدس مقاتل إيليا وكلوا منها حيث شئتم رعداً موسعا عليكم وادخلوا الباب يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب سجدا منحنين متواضعين وأصل السجود الخضوع قال الشاعر بجمع يضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر وقال وهب قيل لهم ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله عز وجل وذلك

(1/121)

---

أنهم أذنبوا بإيائهم دخول أريحا فلما فصلوا من التيه أحب الله عز وجل أن يستنقذهم من الخطيئة وقولوا حطة قال قتادة حط عنا خطايانا وهو أمر

بالاستغفار وقال ابن عباس يعني لا اله الا الله لأنها تحط الذنوب وهي رفع علي الحكاية في قول أبي عبيدة وقال الزجاج سألتنا حطة تغفر لكم خطاياكم وقرأ أهل المدينة بياء مضمومة وأهل الشام بياء مضمومة وسنزيد المحسنين إحسانا وثوابا والسلام فبدل الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية وقيل كفروا وقال مجاهد كموطيء لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم فلم يخفصوا ولم يركعوا ولم يسجدوا فدخلوا مترجعين على أشباههم قولا يعني وقالوا قولا غير الذي قيل لهم وذلك إنهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حطا يعنون حنطه حمراء استخفافا بأمر الله فأنزل على الذين ظلموا رجزا عذابا من السماء وذلك أن الله تعالى أرسل الله عليهم ظلمة وطاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا بما كانوا يفسقون يعني يلعبون ويخرجون من أمر الله عز وجل وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وإذا قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون إن الذين ءامنوا والذين هادوا وال نصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

(1/122)

وإذا استسقى موسى لقومه السنين فيه سين المسألة مثل استعلم واستخبر ونحوهما أي سأل السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من أين لنا الشراب فاستسقى لهم موسى فأوحى الله عز وجل إليه فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكان من أس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان متقدتان في الظلمة نورا واسمه غليق وكان آدمج حمله معه من الجنة إلى الأرض فتوارثته الأصغر عن الأكبر حتى وصل إلى شعيب فأعطاه لموسى الحجر واختلفوا فيه فقال وهب بن منبه كان موسى صلى الله عليه وسلم يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجر منها لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم يسيل في كل عين جدول إلى السبط الذي أمر سقيهم ثم أنهم قالوا إن فقد موسى عصاه فأوحى الله تعالى إلى موسى لا تفر عن الحجارة ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون فقالوا كيف بنا لو أفضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليست فيها حجارة فحمل موسى معه حجرا فحيث نزلوا ألقاه وقال الآخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فأدخل الألف واللام للتعريف مثل قولك رأيت الرجل ثم اختلفوا فيه ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر أن يحمله وكان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه وفي بعض الكتب إنها كانت رخاما وقال أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فرات فيأخذه فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يستسقي كل يوم ستمائة ألف وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل حين رموه

بالأدرة ففر الحجر بثوبه ومر به على ملاً من بني إسرائيل حتى ظهر إنه ليس بأدر فلما وقف الحجر أتاه جبرئيل فقال لموسى إن الله يقول إرفع هذا الحجر فان فيه قدرة فلك فيه معجزة وقد ذكره الله تعالى في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند

(1/123)

---

الله وجيها فحمله موسى ووضع في مخلاته فكان إذا احتاج الى الماء ضربه بالعصا وهو ما روي عن أبي هريرة إنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا إنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع موسى ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمع موسى في أثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة وقد رأينا بالحجر ندبا ستة أو سبعة أثر ضرب موسى وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني كانت ضربة موسى اثني عشرة ضربة وظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة ثم انفجر بالأنهار المطردة وهو قوله فانفجرت وفي الآية اضممار واختصار تقديرها ضرب فانفجرت أي سالت وأصل الانفجار الانشقاق والانتشار ومنه فجر النهار منه اثنتا عشرة عينا قرأ العامة بسكون الشين على التخفيف وقرأ العباس بن الفضل الأنصاري بفتح الشين على الأصل وقرأ أبو بكسر الشين قد علم كل أناس مشربهم موضع شربهم ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل المخرج كلوا واشربوا أي قلنا لهم كلوا من المن واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة ولا تعثوا في الأرض مفسدين يقال عثى يعثى عثيا وعتا يعثو عثوا وعات يعث عيثا وعيوثا بثلاث لغات وهو شدة الفساد قال ابن الرقاع لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم وإذ قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية وذلك أنهم ملوا المن والسلوى وسئموها قال الحسن كانوا تتانى أهل كرات وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عاداتهم عليه فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكفوا عن المن والسلوى وإنما قالوا واحد وهما اثنان لأن العرب تعبر عن اثنين بلفظ

(1/124)

---

الواحد ولفظ الواحد عن الاثني كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرجان من المالح منهما دون العذب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا يعجنون المن والسلوى فيصير طعاما واحدا فيأكلونه فادع فسأل وادع لنا لأجلنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها قراءة العامة بكسر القاف وقرأ يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأشيب العقيلي وقتائها بضم القاف وهي لغة تميم وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز تقول العرب فوموا لنا أي اختبزوا لنا عطاء وأبو مالك هو الحنطة وهي لغة قديمة قال الشاعر قد كنت

أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم هو الحبوب كلها الكلبى والنضر بن شميل والكسائي والمعرج هو الثوم وأنشد المعرج لحسان وأنتم أناس لثام الأصول طعامكم الفوم والحوقل يعني الثوم والبصل فالعرب تعاقب بين الفاء والثاء فتقول للصبغ العرفط مغاثير ومغاثير وللقبر جدف ووجدت ودليل هذا التأويل أنها في مصحف عبدالله وثومها وعدسها وبصلها عن الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يرقق القلب ويكثر الدمعة وإنه برك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى ج فقال لهم موسى عند ذلك أتستبدلون وفي مصحف أبي أتبدلون الذي هو أدنى أخس وأردى حكى الفراء عن زهير العرقى إنه قرأ أدناء بالهمزة والعامية على ترك الهمزة وقال بعض النحاة هو أدون فقدمت النون وحولت الواو ياء كقولهم أولى من الويل

(1/125)

---

بالذي هو خير أشرف وأفضل ومعناه أتتركون الذي هو خير وتريدون الذي هو شر ويجوز أن يكون هذا الخير والشر منصرفين إلى أجناس الطعام وأنواعه ويجوز أن يكونا منصرفين إلى اختيار الله لهم واختيارهم لأنفسهم اهبطوا مصرا يعني فإن أبيتتم إلا ذلك فاهبطوا مصرا من الأمصار ولو أراد مصر بعينها لقال مصر ولم يصرفه كقوله ادخلوا مصر إن شاء الله وهذا معنى قول قتادة الضحاك هي مصر موسى وفرعون وقال الأعمش هي مصر التي عليها صالح بن علي ودليل هذا القول قراءة الحسن وطلحة مصر بغير تنوين جعلها معرفة وكذلك هو في مصحف عبدالله وأبي بغير ألف وإنما صرف على هذا القول لخفته وقلة حروفه مثل دعد وهند وحمل ونحوها قال الشاعر وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا فإن لكم ما سألتكم من نبات الأرض وضربت جعلت عليهم وألزموا الذلة الذل والهوان قالوا بالجزية يدل عليه قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال هو الكستينج وزنة اليهودية والمسكنة يعني ذي الفقر فتراهم كأنهم فقراء وأن كانوا مياسير وقيل المذلة وفقر القلب فلا يرى في أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود والمسكنة مفعلة من السكون ومنه سمي الفقير مسكينا لسكونه وقلة حركاته يقال ما في بني فلان أسكن من فلان أي أفقر وبأوا بغضب من الله أي رجعوا في قول الكسائي وغيره أبو روق استحقوا والباء صلة أبو عبدة احتملوا وأقروا به ومنه الدعاء الماثور أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وغضب الله عليهم ذمه لهم وتوعده إياهم في الدنيا وإنزال العقوبة عليهم في العقبى وكذلك بغضه وسخطه

(1/126)

---

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وإنه الرحيم في التوراة والإنجيل والفرقان ويقتلون قراءة العامة بالتخفيف من القتل وقرأ السلمي بالتشديد من التقتيل النبيين القراءة المشهورة بالتشديد من غيرهم وتفرد نافع بهمز النبيين ومدّه فمن همز معناه المخبر من قول



العرب أنبا النبي أنباءً ونباً ينبئاً بمعنى واحد فقال الله عز وجل فلما نبأها به قالت من أنباك هذا ومن حذف الهمز فله وجهان أحدهما إنه أراد الهمز فحذفه طلباً للخفة لكثرة استعمالها والوجه الآخر أن يكون بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع يقال نبيء الشيء عن المكان أي ارتفع قال الشاعر إن جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الطراب وفيه وجه آخر قال الكسائي النبي بغير همز الطريق فسمى الرسول نبياً وإنما دقائق الحصى لأنه طريق إلى الهدى ومنه قول الشاعر لأصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكائب ومعنى الآية ويقتلون النبيين بغير الحق مثل أشعيا وزكريا ويحيى وسائر من قتل اليهود من الأنبياء وفي الخبر إن اليهود قتلوا سبعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنان عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهوههم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي إن الذين آمنوا والذين هادوا يعني اليهود واختلف العلماء في سبب تسميتهم به فقال بعضهم سموا بذلك لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة العجل كقوله أخباراً عنهم إنا هدنا إليك

(1/127)

---

وأنشد أبو عبيدة إني امرؤ من مدحه هائد أي تائب وقال بعضهم لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى يقال هاد يهود هوداً إذا مال قال امرؤ القيس قد علمت سلمى وجاراتها أني من الناس لها هائد أي إليها مائل وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة وقرأ أبو السماك العدوي واسمه قعنب هادوا بفتح الدال من المهادة أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم والنصارى واختلفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم فقال الزهري سموا نصارى لأن الحواريين قالوا نحن أنصار الله مقاتل لأنهم تولوا قرية يقال لها ناصرة فنسبوا إليها وقال الخليل بن أحمد النصارى جمع نصران كقولهم ندمان وندامى وأنشد تراه إذا دار العشي محنفاً ويضحى لربه وهو نصران شامس فنسبت فيه ياء النسبة كقولهم لذي اللحية لحياني ورقابي لذي الرقية فقال الزجاج يجوز أن يكون جمع نصري كما يقال بعير حبري وإبل حباري وإنما سموا نصارى لاعتزائهم إلى نصره وهي قرية كان ينزلها عيسى وأمه والصابئين قرأ أهل المدينة بترك الهمزة من الصابئين والصابئون الصابيين والصابون في جميع القرآن وقرأ الباكون بالهمز وهو الأصل يقال صبا يصبوا صبواً إذا مال وخرج من دين إلى دين

(1/128)

---

قال الفراء يقال لكل من أحدث ديناً قد صباً وأصبأ بمعنى واحد وأصله الميل وأنشد إذا أصبأت هوادي الخيل عنا حسبت بنحرها شرق البعير واختلفوا في الصابئين من هم قال عمرهم طائفة من أهل الكتاب ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب وبه قال السدي وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم

وقال مجاهد هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من أهل الكتاب وهو رأي أبي حنيفة وقال قتادة ومقاتل هم قوم يقرون بالله عز وجل ويعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئاً الكلبى هم قوم بين اليهود والنصارى يخلقون أوساط رؤوسهم ويحبون ذاكرهم عبد العزيز بن يحيى درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر من أمن بالله واليوم الآخر اختلفوا في حكم الآية ومعناها ولهم فيها طريقان أحدهما إنه أراد بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق وعقد التصديق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبئوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقيس بن ساعدة وزيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل والبراء السندي وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي ويحيى الراهب ووفد النجاشي آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فمنهم من أدركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنو الأمم الماضية وقيل المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ج ولم يبدلوا ولم يغيروا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ج ولم يبدلوا وماتوا على ذلك قالوا وهذان اسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق

(1/129)

فبقي الاسم عليهم كما بقي الإسلام على أمة محمد صلى الله عليه وسلم والصابئين زمن استقامتهم من أمن منهم أي مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان المؤاخاة قال ويجوز أن تكون الواو فيه مضمراً أي ومن أمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة والطريق الآخر إن المذكورين في أول الآية بالإيمان إنما هو على طريق المجاز والتسمية دون الحكم والحقيقة ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم إن الذين آمنوا بالأنبياء الماضين والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا بكتابتك وقال آخرون يعني به المنافقين أراد إن الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم ونظير هذه الآية قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والذين هادوا أي اعتقدوا اليهودية وهي الدين المبديل بعد موسى ج والنصارى هم الذين اعتقدوا النصرانية والدين المبديل بعد عيسى والصابئين يعني أصناف الكفار من أمن بالله من جملة الأصناف المذكورين في الآية وفيه اختصار وإضمار تقديره من أمن منهم بالله واليوم الآخر لأن لفظ من يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى ومنهم من يستمع إليك ومنهم من ينظر إليك ومنهم من يستمعون إليك قال ومن يقنت منكن لله ورسوله وقال الفرزدق في التشبيه تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ناديت يصطحبان ولا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم بالخلود في النار ولا يحزنون بقطيعه الملك الجبار ولا خوف عليهم من الكبائر وإنني أغفرها ولا هم يحزنون على الصغائر فأنى أكفرها وقيل لا خوف عليهم فيما تعاطوا من الإجمام ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم من الإسلام الآثام

(1/130)

---

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه  
لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من  
الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة  
خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين وإذ قال  
موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالو صلى الله عليه وسلم ا  
أنتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما  
هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون  
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها  
تسير الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإن إن  
شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث  
مسلمة لا شنية فيها قالوا الثان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون وإذ قتلتم  
نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك  
يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون وإذ أخذنا ميثاقكم يا معشر اليهود  
ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم وقالوا ليس من  
لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن وقال أبو عبيدة والحذاق من العلماء لا يجوز  
أن تكون في القرآن لغة غير لغة العرب لأن الله تعالى قال قرأنا عربيا وقال  
بلسان عربي مبين وإنما هذا وأشباهه وفاق بين اللغتين وقد وجدنا الطور في  
كلام العرب وقال جرير فإن ير سليمان الجن يستأنسوا بها وإن ير سليمان  
أحب الطور ينزل وقال المفسرون وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على  
موسى وأمر قومه بالعمل بأحكامه فأبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للأضرار  
والأثقال التي فيها وكانت شريعته ثقيلة فأمر الله تعالى جبرئيل بضع جبلا على  
قدر عسكره وكان فرسخا في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل  
أبو صالح عن ابن عباس أمر

(1/131)

---

الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم  
مثل الظلة عطاء عن ابن عباس رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث نارا من  
قبل وجوههم وآتاهم  
البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم أي أعطيناكم بقوة بجد  
ومواظبة وفيه إضمار أي وقلنا لهم خذوا واذكروا ما فيه أي احفظوه واعلموه  
واعملوا به و في حرف أولي فاذكروا بذا ل مشددة وكسر الالف المشددة و في  
حرف وانه وتذكروا ما فيه ومعناها اتعضوا به لعلكم تتقون لكي تنجوا من  
الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا  
رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في البحر وأحرقتمكم بهذه النار فلما رأوا أن لا  
مهرب لهم قبلوا لك وسجدوا خوفا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصارت  
سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا  
موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك ثم توليتم أعرضتم وعصيتم من  
بعد ذلك أي من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل فلولا فضل الله عليكم ورحمته  
بتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين لصرتم من المغلوبين بالعقوبة

وذهب الدنيا والآخرة ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت وذلك أنهم كانوا من داود بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من الماء لأنها فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن البحر فذلك قوله تعالى إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيهم فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج لبعدها وعمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا فكثر أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقسست قلوبهم وأصروا على الذنب وقالوا ما نرى السبت

(1/132)

---

إلا قد أحل لنا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم يمه وبينه وصنف انتهك الحرمة وكان الذين نهوا اثنا عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحتهم قال الناهون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسما القرية بجدار وغيروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عز وجل عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا أبوابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطأوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعا قرده فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا فذلك قول عز وجل فقلنا لهم كونوا قرده أمر تحويل خاسئين مطرودين صاغرين بلغة كنانة قاله مجاهد وقتادة والربيع

(1/133)

---

قال أبو روق يعني خرسا لا يتكلمون دليله قوله عز وجل قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل مبعدون من كل خير فجعلناها أي القرده وقيل القرية وقيل العقوبة نكالا عقوبة وعبرة وفضيحة شاهرة وأصله من النكل وهو القيد وجمعه أنكال ويقال للجام نكل لما بين يديها وما خلفها قال أبو العالية والربيع معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم قتادة جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصيد وما خلفها من العصيان بأخذ الحيتان بعد النهي وقيل لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من نصيحتهم في دنياهم فيذكرون بها إلى يوم قيام الساعة وقيل في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فجعلناها وما خلفها مما أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السبت وموعظة وعبرة للمتقين للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفعلون مثل فعلهم وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية وذلك إنه وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يدروا قاتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله فقال عطاء والسدي كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم

مسكين لاوارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه وقال بعضهم وكان تحت عاميل بنت عم له لم يكن لها مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال فقتله ابن عمه لينكحها وقال ابن الكلبي قتله ابن أخيه لينكح إبنته فلما قتله حمله من قريته إلى قرية أخرى وألقاه هناك وقيل ألقاه بين قريتين عكرمة كان لبني إسرائيل مسجد له إثنا عشر باباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط

(1/134)

---

قيل وجر إلى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم إحتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب بثاره ودمه ويدعيه عليه قال فجاء أولياء القتل إلى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجدوا فاشتبه أمر القتل على موسى ووقع بينهم خلاف وقال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتخذنا هزوا يا موسى أي أتستهزيء بنا حين نسألك عن القتل وتأمركنا بذبح البقرة وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه وقرأ ابن محيصن أتخذنا بالياء قال يعنون الله ولا يستبعد هذا من جهلهم لأنهم الذين قالوا إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وفي هذا ثلاثة لغات هزوا بالتخفيف والهمز ومثله كفوا وهي قراءة الأعمش وحمزة وخلف وإسماعيل وهزوا وكفوا مثقلان مهموزان وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز والشام واختيار الكسائي وأبي عبيد وأبي حاتم وهزوا وكفوا مثيلان بغير همزة وفي رواية حفص بن سليمان البزاز عن عاصم وكلها لغات صحيحة معناها الاستهزاء فقال لهم موسى ج قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم إن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل سألوه الوصف قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وإنما كان تشديدهم تقديراً من الله عز وجل وحكمة وكان السبب في ذلك على ما ذكره السدي وغيره إن رجلاً في بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من بره به إن رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل فقال للبايع أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن قال فأيقظ أباك واعطني المال قال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف

(1/135)

---

فانتظرتني حتى ينتبه أبي فقال الرجل فأنا أعطيتك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد قال وأنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت إنتباه أبي ففعل ولم يوقظ الرجل أباه فأعقبه بره بأبيه أن جعل تلك البقرة عنده وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل

وكان له عجل فأتى بالعجل الى غيضة وقال اللهم إني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فسيبت العجلة في الغيضة وصارت عوانا وكانت تهرب من كل من رامها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان الليلة يقسم ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثا وقالت له أمه يوما إن أباك ورتك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها الله عز وجل فانطلق إليها فأدع اله ابراهيم واسماعيل وإسحاق بأن يردّها عليك وان من علامتها إنك إذا نظرت إليها يخيل إليك إن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال أعزم عليك بأله ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بأذن الله وقالت أيها الفتى البار بوالدته إركبني فإن ذلك أهون عليك فقال الفتى إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذها بعنقها فقالت البقرة بأله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فأنطلق فأنتك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك وسار الفتى فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال أيها الفتى إني رجل من رعاة البقر إشتقت إلى أهلي فأخذت ثورا من ثيرانني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي صعدا وسط الجبل وما قدرت عليه واني أخشى على نفسي الهلاك فإن رأيت أن تحملني على

(1/136)

---

بقرتك وتنجني من الموت واعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال إذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين بلغك بلا زاد ولا راحلة فقال إبليس فإن شئت فبعنيها بحكمك وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها فقال الفتى إن أمي لم تأمرني بهذا فبينا الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى بأسم اله ابراهيم فرجعت إليه البقرة فقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذي طار إنه إبليس عدو الله إختلسني أما إنه لو ركبني لما قدرت علي أبدا فلما دعوت اله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردني إليك لبرك بوالدتك وطاعتك لها فجاء بها الفتى إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكانت ثمن البقرة في ذلك الوقت فانطلق بها الفتى إلى السوق فبعث الله ملكا إنسانا خلقه بقدرته ليخبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال الملك ستة دنانير ولا تستامر أمك

(1/137)

---

فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت أرجع فيعها ستة على رضي فإنطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك وقال استأمرت والدتك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستأمرها قال الملك فأني أعطيك إثني عشر على أن لا تستأمرها فأتى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك قالت إن ذلك الرجل الذي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليحركك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل ذلك فقال له الملك إذهب إلى أمك وقل لها بكم هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل فلا تبعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوا البقرة وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على بره بوالدته فضلاً منه فضلاً منه ورحمة وذلك قوله عز وجل أدع لنا ربك أي سل وهكذا هو في مصحف عبدالله سل لنا ربك يبين لنا ماهي وما سنها قال موسى إنه يعني إن الله يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع البكر والفاض بأضمار هي إذ لا هي فارض ولا هي بكر مجاهد وأبو عبيدة والأخفش الفارض الكبيرة المسنة التي لا تلد يقال له فرضت تفرض فروضا قال الشاعر كميت بهيم اللون ليس بفارض ولا بعوان ذات لون مخصف وقال الراجزي يا رب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض أي حقد قديم والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد قط وقال السدي البكر التي لم تلد إلا ولداً واحداً وحذف الحاء منها للاختصاص بعوان نصف بين سنين وقال الأخفش العوان التي نتجت مرارا وجمعه عون ويقال منه عونت تعوينا

(1/138)

فأفعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكررُوا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها محل ما رفع بالابتداء و لونها خبر وقرأ الضحاك لونها نصبا كأنه عمل فيه لسببين وجعل ما صلة قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديد الصفرة وقال عدي بن زيد واني لأسقي الشرب صفرا فاقعا كان ذكي المسك فيها يعبق قتادة وأبو العالية والربيع صاف سعيد بن جبير صفراء اللون والظلف الحسن السوداء والعرب تسمى الأسود أصفر قال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب قال القتيبي غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء لأن هذا غلط في نعوت البقر وإنما هو في نعوت الإبل وذلك أن السوداء من الإبل شربت سوادها صفرة والآخر إنه لو أراد السوداء لما أكده بالفقوع لأن الفاقع المبالغ في الصفرة كما يقال أبيض يفق وأسود حالك وأحمر قاني وأحضر ناضر تسر الناظرين إليها وتعجبهم من حسنها وصفاء لونها لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى الشيء الحسن قال من لبس نعلا صفراء قل همه لأن الله يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائمة أم عاملة إن البقر هذه قراءة العامة قرأ محمد ذو الشامة الأموي إن الباقر وهو جمع البقر كالجامل لجماعة الجمل وقال الشاعر مالي رأيتك بعد عهدك موحشا خلفا كحوض الباقر المتهدم قال قطرب تجمع البقرة بقر وباقر وبقير وبقور وبقور فأن قيل لما قال تشابهه والبقر جمع فلم

لم يقل تشابهت قيل فيه ثلاثة أقاويل أحدها إنه ذكر لتذكير بلفظ البقر كقوله  
كانهم أعجاز نخل منقعر

(1/139)

---

وقال المبرد سئل سيوبه عن هذه الآية فقال كل جمع حروفه أقل من حروف  
واحد فإن العرب تذكره واحتج بقول الأعشى ودع هريرة إن الركب مرتحل ولم  
يقل مرتحلون وقال الزجاج معناه إن جنس البقر تشابه علينا تشابه علينا وفي  
تشابه سبع قراءات تشابه بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهي قراءة العامة  
وهو فعل ماض ويذكر موحد وقرأ الحسن تشابه بقاء مفتوحة وهاء مضمومة  
وتخفيف الشين أراد تشابه وقرأ الأعرج تشابه بفتح التاء وتشديد الشين وضم  
الهاء على معنى يتشابه وقرأ مجاهد تشابه كقراءة الأعرج إلا إنه بغير ألف  
لقولهم تحمل وتحامل وفي مصحف أبي تشابهت على وزن تفاعلت فالتاء  
لتأنيث البقر وقرأ ابن أبي إسحاق تشابهت بتشديد الشين قال أبو حاتم هذا  
غلط لأن التاء لا تدغم في هذا الباب إلا في المضارعة وقرأ الأعمش متشابه  
علينا جعله أسما ومعنى الآية التيس واشتبه أمره علينا فلا نهدي إليه وإنما إن  
شاء الله لمهتدون إلى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيم الله  
لئن لم يستبينوا لما تبينت لهم آخر الأبد قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول مذلة  
بالعمل يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلولة بينة الذل تثير الأرض أي مثلها  
للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب وقال الحسن مسلمة  
القوائم ليس فيها أثر العمل لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها قال قتادة لا  
بياض فيها أصلا مجاهد لا بياض فيها ولا سواد

(1/140)

---

محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها فلما قال هذا قالوا الآن جئت  
بالحق أي بالوصف التام البين قيل كانت البقرة التي أحيا بها القليل لوارثه  
الذي قتله وكان أول من فتح السؤال عنها رجاء أن لا يجدوها فطلبوها فلم  
يجدوا بكمال وصفها إلا عند الفتى البار فاشتروها منه بملء مسكنها ذهباً وقال  
السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلاء  
ثمناها وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها بإجماع أوصافها وإذ قتلتم نفسا  
يعني عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فاختلفتم فيها قاله ابن عباس  
ومجاهد ومنه قول القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزكي  
فكان خير شريك لا يداري ولا يماري قال الضحاك اختصمتم عبد العزيز بن  
يحيى شككتم الربيع بن أنس تدافعتم وأصل الدراء الدفع يعني ألقى ذلك على  
هذا وهذا على ذلك فدافع كل واحد عن نفسه كقوله تعالى ويدرون بالحسنة  
السيئة وقوله ويدراً عنها العذاب وأصل قوله والباء صلة أبو عبيدة احتملوا  
وأقروا به ومنه الدعاء المأثور وأصل فادارأتم فتدارأتم فادعمت التاء في الدال  
وادخلت الألف ليسلم سكون الحرف الأولي بمثل قوله أنا قتلتم والله مخرج ما  
كنتم تكتمون تخفون فقلنا اضربوه يعني القليل ببعضها أي ببعض البقرة  
فاختلفوا في هذا البعض ما هو



فقال ابن عباس اضربوه بالعظم الذي يلي الفخذين وهو المقتل الضحاك بلسانها قال الحسين بن الفضل وهذا أولى الأقاويل لأن المراد كان من احياء القتيل كلامه واللسان الله سعيد بن جبير ضربت بذنبا قال يمان وهو أولى التأويلات بالصواب لأن العصص أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى مجاهد بذنبا عكرمة والكلبي بفخذها الأيمن السدي بالبضعة التي بين كتفها وقيل باذنبا ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا بإذن الله وأوداجها تشخب دما وقال قتلي فلان ثم سقط ومات مكانه وفي الآية اختصار وتقديرها فقلنا اضربوه ببعضها فضرب فحيي كقوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يعني فافطر فعدة وقوله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية أي فخلق ففدية كذلك يحيي الله الموتى كما أحيأ عاميل بعد موته كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته دلائل آياته لعلكم تعقلون وقال الواقدي كل شيء في القرآن فهو بمعنى لكي غير التي في الشعراء وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فإنه بمعنى كأنكم تخلدون فلا تموتون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا صلى الله عليه وسلم ءامنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا صلى الله عليه وسلم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

ثم قست قلوبكم من بعد قال الكلبي قالوا بعد ذلك لم نقتله وأمكروا فلم يكونوا قط أعمى قلبا ولا أشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك قال الله ثم قست قلوبكم الكلبي وأبو روق يبست واشتدت وقال سائق البربري ولا ارى أثرا للذكر في جسدي والحبل في الجبل القاسي له أثر أبو عبيدة جفت الواقدي جفت من الشدة فلم تلن المؤرخ غلظت وقيل اسودت قال الزجاج تأويل القسوة ذهاب اللين وقال سيبويه والخشوع والخضوع ذلك أي بعد ظهور الدلالات فهي غلظتها وشدتها كالحجارة أو أشد قسوة أي بل أشد قسوة كقول الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أو أنت في العين أملاح أي بل وقيل هو بمعنى الواو والألف صلة أي وأشد قسوة كقوله تعالى أتما أو كفورا أي وكفورا وقرأ أبو حياة أو أشد قساوة وقال الكسائي القسوة والقساوة واحد كالشقوة والشقاوة ثم عذر الحجارة وفضلها على القلب القاسي فقال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وقرأ مالك بن دينار ينفجر

بالنون كقوله فانفجرت وفي مصحف أبي منها الأنهار رد الكناية إلى الحجارة وأن منها لما يشقق أي يتشقق هكذا قرأها الأعمش فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله من خشية الله عز وجل وقلوبكم يا معاشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير وما الله بغافل عما تعملون وعيد وتهديد أي بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به أفتطمعون أي فترجون يعني محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(1/143)

---

أن يؤمنوا لكم لن يصدقكم اليهود وقد كان فريق منهم طائفة منهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه أي يغيرونه أي ما فيه من الأحكام من بعد ما عقلوه علموه وفهموه كما غيروا آية الرجم وصفه محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون إنهم كاذبون هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة ووهب والسدي وقال ابن عباس ومقاتل نزلت هذه الآية في السبعين المختارين وذلك إنهم لما ذهبوا مع موسى إلى الميقات وسمعوا كلام الله وما يأمره وما ينهاه رجعوا إلى قومهم فأما الصادقون فأدوا كما سمعوه وقالت طائفة منهم سمعنا الله في آخر كلامه يقول إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا فإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس وإذا لقوا ابن السميع لا قوا يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بالسنتهم لا بقلوبهم أبا بكر وأصحابه من المؤمنين قالوا أمانا كإيمانكم وشهدنا أن محمدا صادق نجاه في كتابنا بنعته وصفته وإذا خلا رجع بعضهم إلى بعض أي كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود ولاموهم على ذلك و قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال الكلبي بما قضى الله عليكم في كتابكم أن محمدا حق وقوله صدق وقال القاضي الفتح الكسائي بما بينه لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد والبشارة به الواقدي بما أنزل الله في الدنيا والآخرة عليكم نظير لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض أي أنزلناه أبو عبيدة والأخفش بما من الله عليكم وأعطاكم ليحاجوكم ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم يعني أصحاب محمد به عند ربكم وقال بعضهم هو أن الرجل من المسلمين كلما يلقي قرينه وحليفه وصديقه من اليهود فيسأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون إنه لحق فيقولون قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم تتبعونه وهو نبي فيرجعون إلى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك قال السدي كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكان يحدثون المؤمنين بما عذبوا به

(1/144)

---

فقال لهم رؤسائهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي أنزل من العذاب ليعيروكم به ويقولوا نحن أكرم على الله منكم ابن جرير عن القاسم بن أبي برة هذا قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين سبهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا إخوان القردة والخنازير وعبيدة الطاغوت فقالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج هذا إلا منكم أفلا تعقلون أفليس لكم ذهن الإنسانية قال الله أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ما يخفون وما يبذون يعني اليهود

وقرأ ابن محيصة ما على الخطاب ومنهم من اليهود أميون قال ابن عباس وقتادة يعني غير عارفين معاني الكتاب يعلمونه حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه وقال الكلبي لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته ودليل هذا التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحاسب الشهر هكذا وهكذا وقال أهل المعاني الأمي منسوب إلى الأمة وما عليه العامة معنى الأمي العامي الذي لا تمييز له أو هو جمع أمي منسوب إلى الأم كأنه باق على الحقيقة حذف منه هاء التانيث لأنها زائدة وباء النسبة زائدة ونقلت فرقا بينها وبين ياء الأضافة لا يعلمون الكتاب إلا أماني قرأ العامة بتشديد الياء وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج أماني بتخفيف الياء في كل القرآن حذفوا إحدى اليائين استحقاقا وهي ياء الجمع مثل مفاتيح ومفاتيح وقال أبو حاتم كل جمع من هذا الجنس واحد مشدد فلك فيه التضعيف والتشديد مثل فخاتي وأماني وأغاني وغيرها واختلفوا في معنى الأماني وقال الكلبي بمعنى لا يعلمون إلا ما تحدثهم بهم علماءهم أبو روق وأبو عبيدة تلاوة وقراءة على ظهر القلب ولا يقرؤها في الكتب يدل عليه قوله تعالى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وقرأه قال الشاعر تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

(1/145)

---

مجاهد وقتادة كذبا وباطلا الفراء الأماني الأحاديث المفتعلة قال بعض العرب لابن دلب أهدا شيء رويته أم تمنيته وأراد بأماني الأنبياء التي كتبها علماءهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت محمد صلى الله عليه وسلم الحسن وأبو العالية يعني يتمنون على الله الباطل والكذب مثل قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وإن هم ما هم إلا يظنون ظنا ووهما لا حقيقة وبقينا قاله قتادة والربيع وقال مجاهد يكذبون فويل روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ إلى قعره سعيد بن المسيب واد في جهنم لو سرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرها ابن بريدة جبل من قيح ودم ابن عباس شدة العذاب ابن كيسان كلمة يقولها كل مكروب الزجاج كلمة يستغلها كل واقع في الهلكة وأصلها العذاب والهلاك وقيل هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وذلك إن أحبار اليهود خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة وكان صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طويل أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فيكذبونه قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت بأيديهم من تغيير نعت محمد

(1/146)

---

وويل لهم مما يكسبون من المأكول ولفظة الأيدي للتأكيد كقولهم مشيت برجلي ورأيت بعيني قال الله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه قال الشاعر نظرت فلم تنظر بعينك منظرا وقال أبو مالك نزلت هذه الآية في الكاتب الذي يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قرأ البقرة وآل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم يملي غفورا رحيمًا فيكتب عليهما حكيمًا فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شئت ويملي عليه عليهما حكيمًا فيكتب سميعًا بصيرًا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شئت قال فارتد ذلك الرجل عن الإسلام ولحق بالمشركين قال أما يعلمكم محمد صلى الله عليه وسلم أن كنت لأكتب ما شئت أنا فمات ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الأرض لا تقبله قال فأخبرني أبو طلحة إنه أتى الأرض التي بات فيها فوجده منبوزًا فقال أبو طلحة ما شأن هذا قالوا دفناه مرارا فلم تقبله الأرض وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطي صلى الله عليه وسلم تته فأول صلى الله عليه وسلم أنك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وإذ أخذنا ميثاق بنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ثم توليتهم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون وقالوا يعني اليهود لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قدرا مقدرًا ثم يزول عنا العذاب وينقطع واختلفوا في هذه الأيام ماهي وقال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد

(1/147)

---

سبعة أيام فأنزل الله تعالى هذه الآية قتادة وعطاء يعنون أربعين يوما التي عبد أبائهم فيها العجل وهي مدة غيبة موسى ج عنهم الحسن وأبو العالية قالت اليهود إن ربنا عتب علينا في أمرنا أقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يدخلنا الجنة فلن تمسنا النار إلا أربعين يوما تحلة القسم فقال الله تعالى تكذبا لهم قل يا محمد قل أتخذتم ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل عند الله عهدا موثقا ألا يعذبكم إلا هذه المدة فلن يخلف الله عهدا وعده وقال ابن مسعود بالتوعد يدل عليه قوله تعالى إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قال لا إله إلا الله مخلصا أم تقولون على الله ما لا تعلمون قال بلى بلى وبلَى حرفا استدراك ولهما معنيان لنفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل قال الكسائي الفرق بين بلى ونعم إن بلى أقرار بعد جحود ونعم جواب استفهام بغير جحد فإذا قال ألسنت فعلت كذا فيقول بلى وإذا قال ألم تفعل كذا فيقول بلى وإذا قال أفعلت كذا فيقول نعم قال الله تعالى ألم يأتكم نذير قالوا بلى وقال ألسنت بربكم قالوا بلى وقال في غير الجحود فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وقالوا أننا لمبعوثون أو أبأؤنا

الأولون قل نعم وإنما قال هاهنا بلى للجحود الذي قبله وهو قوله لن تمسنا النار إلا أياما معدودة من كسب سيئة يعني الشرك وأحاطت به خطيئته قرأ أهل المدينة خطيئته بالجمع وقرأ الباكون خطيئته على الواحدة وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والاحاطة الاحفاف بالشيء من جميع نواحيه واختلفوا في معناها هاهنا وقال ابن عباس والضحاك وعطاء وأبو العالية والربيع وابن زيد هي الشرك يموت الرجل عليه فجعلوا الخطيئة الشرك قال بعضهم هي الذنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النار

(1/148)

---

أبو زرير عن الربيع بن خيثم في قوله تعالى واحاطت به خطيئته قال هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب ومثله قال عكرمة وقال مقاتل أصر عليها مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبا إرتفعت حتى تغشى القلب وهو الربيع وعن سلام بن مسكين أنه سأل رجل الحسن عن هذه الآية فقال السائل يا سبحان الله إلا أراك ذا لحية وما تدري ما محاطة الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عز وجل عنها وأخبرك إنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة الكلبي أو بقتة ذنوبه دليله قوله تعالى إلا أن يحاط بكم أي تهلوكوا جميعا وعن ابن عباس أحيطت بما له من حسنة فأحبطته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا من العام المخصوص بصور منها إلا من تاب بعد أن حمل على ظاهره والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة قال ابن عباس الميثاق العهد الجديد لا تعبدون بالياء قرأه ابن كثير وحميد وحمزة والكسائي الباكون بالتاء وهو إختيار أبي عبيد وأبو حاتم قال أبو عمرو ألا تراه يقول وقولوا للناس حسنا فذلك المخاطبة على التاء قال الكسائي إنما ارتفع لا يعبدون لأن معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل أن لا تعبدوا إلا الله فلما ألقى أن رفع الفعل ومثله قوله لا تسفكون نظير قوله عز وجل أفغير الله تأمروني أعبد يريد أن أعبد فلما حذف الناصبة عاد الفعل إلى المضارعة وقال طرفة ألا أي هذا الزاجري احضر الوعى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي يريد أن أحضر فلما نزع أن رفعه

(1/149)

---

وقرأ أبي بن كعب لا تعبدوا جزما على النهي أي وقلنا لهم لا تعبدوا إلا الله وبالوالدين إحسانا ووصينا هم بالوالدين إحسانا برا بهما وعطفا عليهما وإنما قال بالوالدين واحدهما والدة لأن المذكر والمؤنث إذا اقتريا غلب المذكر لخفته وقوته وذو القربى أي وبذي القرابة والقربى مصدر على وزن فعلى كالحسنى والشعري قال طرفة وقربت بالقربى وجدك له يني فتحاك امر للنكيسة أشهد واليتامى جمع يتيم مثل ندامى ونديم وهو الطفل الذي لا أب له والمساكين يعني الفقراء وقولوا للناس حسنا اختلفت القراءة فيه فقرا زيد بن ثابت وأبو العالية وعاصم وأبو عمرو حسنا بضم الحاء وجزم السين وهو إختيار أبي حاتم دليله قوله عز وجل بوالديه حسنا وقوله تعالى ثم بدل حسنا وقرا ابن مسعود

وخلف حسنا بفتح الحاء والسين وهو اختيار أبي عبيد وقوله إنما اخترناها لأنها نعت بمعنى قولاً حسناً وقرأ ابن عمر حسناً بضم الحاء والسين والتنوين مثل الرعب والنصب والسحت والسحق ونحوها وقرأ عاصم والجحدري احساناً بالألف وقرأ أبي بن كعب وطلحة بن مصرف حسنى وقرنت بالقربى بالتأنيث مرسلة قال الثعلبي سمعت القاسم بن حبيب يقول سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول مجازة كلمة حسنى ومعناه قولوا للناس صدقاً وحقاً في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا له صفته ولا تكتموا أمره ولا تغيروا نعتة هذا قول ابن عباس وابن جبير وابن جريح ومقاتل دليله قوله ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أي صدقاً وقال محمد بن الحنفية هذه الآية تشمل البر والفاجر وقال سفيان الثوري أئمرؤهم بالمعروف وأنهؤهم عن المنكر

(1/150)

---

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم أي أعرضتكم عن العهد والميثاق إلا قليلاً منكم نصب على الإستثناء وأنتم معرضون وذلك أن قوماً منهم آمنوا وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون لا تريقون دماءكم وقرأ طلحة بن مصرف تسفكون بضم الفاء وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون وقرأ أبو مجلز تسفكون بالتشديد على التكثير وقال ابن عباس وقتادة معناه لا يسفك بضعكم دم بعض بغير حق وإنما قال دماءكم لمعنيين أحدهما إن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة والآخر هو إن الرجل إذا قتل غيره كأنما قتل نفسه لأنه يقاد ويقتص منه ولا تخرجون أنفسكم من دياركم أي لا يخرج بضعكم بعضاً من داره ولا تسبوا من جواركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم ثم أقررتم بهذا العهد إنه حق وأنتم تشهدون اليوم على ذلك يا معشر اليهود ثم أنتم هاؤلاً صلى الله عليه وسلم ء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ثم أنتم هؤلاء يعني يا هؤلاء فحذف النداء للإستغناء بدلالة الكلام عليه كقوله ذرية من حملنا ف هؤلاء للتنبية ومبني على الكسرة مثل أنتم تقتلون أنفسكم قراءة العامة بالتخفيف من القتل وقرأ الحسن تقتلون بالثقل من الثقليل وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم قراءة العامة وهم أهل الحجاز والشام وأبو عمرو ويعقوب تظاهرون بتشديد الظاء واختاره أبو حاتم ومعناه تظاهرون فادغم التاء في الظاء مثل أتاقتهم واداركوا

(1/151)

---

وقرأ عاصم والأعمش وحمزة وطلحة والحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء والكسائي تظاهرون بتخفيف الظاء واختاره أبو عبيد ووجه هذه القراءة إنهم حذفوا تاء الفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله ولا تعاونوا وقوله ما لكم لا

تناصرون وقال الشاعر تعاطسون جميعا حول داركم فكلكم يا بني حمان  
مزكوم وقرأ أبي ومجاهد تظهرون مشددا بغير ألف أي تتظهرون جميعا  
تعاونون والظهر العون سمي بذلك لإسناد ظهره إلى ظهر صاحبه وقال  
الشاعر تكثر من الاخوان ما اسطعت اذا إستجدتهم فظهير وما بكثير ألف خل  
وصاحب وان عدوا واحدا لكثير بالإثم والعدوان بالمعصية والظلم وإن يأتوكم  
أسارى تفدوهم قرأ عبد الرحمن السلمي ومجاهد وابن كثير وابن محيصن  
وحميد وشبل والجحدي وأبو عمرو وابن عامر أسارى تفدوهم بغير ألف وقرأ  
الحسن أسرى بغير ألف تفادوهم بالالف وقرأ النخعي وطلحة والأعمش وبحيى  
بن رئاب وحمزة وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق أسرى تفدوهم كلاهما بغير  
ألف وهي إختيار أبي عبيدة وقرأ أبو رجا وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم  
وقتادة والكسائي ويعقوب أسارى تفادوهم كلاهما بالالف واختاره أبو حاتم  
فالأسرى جمع أسير مثل جريح وجرحى ومريض ومرضى وصرع وصرعى  
والأسارى جمع أسير أيضا مثل كسالى وسكارى ويجوز أن يكون جمع أسرى  
نحو قولك امرأة سكرى ونساء سكارى ولم يفرق بينهما أحد من العلماء  
الأثبات إلا أبو عمرو روى أبو هشام عن جبير الجعفي عن أبي عمرو قال ما  
أسر فهو أسارى ومالم يؤسر فهو أسرى وروي عنه من وجه آخر قال ما صار  
في أيديهم فهم أسارى وما جاء مستأسرا فهو أسرى عن أبي بكر النقاش قال  
سمعت أحمد بن يحيى ثعلب وقد قيل له هذا الكلام عن أبي عمرو فقال هذا  
كلام المجانين يعني لافرق بينهما

(1/152)

وحكي عن أبي سعيد الضير إنه قال الأسارى هم المقيدون المشددون  
والأسرى هم المأسورون غير المقيدين فأما قولهم تفدوهم بالمال وتنفدوهم  
بفدية أو بشيء آخر وتفادوهم تبادلوهم أراد مفاداة الأسير بالأسير وأسرى في  
محل نصب على الحال فأما معنى الآية قال السدي إن الله عز وجل أخذ على  
بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من  
ديارهم فأما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه  
فاعتقوه فكانت قريظة خلفاء الأوس والنضير خلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في  
حرب نمير فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم وإذا غلبوا  
خربوا ديارهم وأخرجوهم منها فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له  
حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم فيعيرهم العرب بذلك وتقول كيف  
يقاتلونهم ويفدونهم ويقولون إنا قد أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم  
تقاتلونهم قالوا نستحي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال  
ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم الآية وفي الآية تقديم  
وتأخير نظمها وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم  
والعدوان وهو محرم عليكم إخراجهم وأن يأتوكم أسارى تفدوهم وكان الله  
تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الأخراج وترك المظاهرة عليهم  
مع اعدائهم وفداء أسرائهم فأعرضوا عن كل ما أمروا إلا الفداء فقال الله عز  
وجل أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فأيمانهم بالفداء وكفرهم بالقتل  
والأخراج والمظاهرة قال مجاهد يقول إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله  
بيدك وقيل معناه يستعملون البعض ويتركون البعض تفادون أسراء قبيلتكم

وتتركون أسراء أهل ملتكم فلا تفادونهم قال الله عز وجل فما جزاء من يفعل ذلك منكم يا معشر اليهود إلا خزي عذاب هوان في الحياة الدنيا فكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم وجنائهم إلى أذرع وريحا من

(1/153)

---

الشام ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وهو عذاب النار وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى وأبو رجاء والحسن تردون بالتاء لقوله أفتؤمنون وما الله بغافل عما تعملون بالتاء مدني وأبو بكر ويعقوب الباقر بالتاء أولئك الذين اشتروا استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف يهون وبرفه عنهم العذاب ولاهم ينصرون يمنعون من عذاب الله ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباء و بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة جملة واحدة وقفينا أردفنا واتبعنا من بعده بالرسول رسولا بعد رسول يقال مضى أثره وقفا غيره في التعدي وهو مأخوذ من قفا الأنسان قال الله ولا تقف ما ليس لك به علم وقال أمية بن الصلت قالت لأخت له قصيه عن جنب وكيف تقفو ولا سهل ولا جدد وآتينا عيسى ابن مريم البينات العلامات الواضحات والدلالات اللايات وهي التي ذكرها الله عز وجل في سورة آل عمران والمائدة وأيدناه قويناه وأعناه من الآد والأيد مجاهد أيدناه بالمد وهما لغتان مثل كرم وأكرم بروح القدس خفف ابن كثير القدس في كل القرآن وثقله الآخرون وهما لغتان مثل الرعب والسحت ونحوهما واختلفوا في روح القدس فقال الربيع وعكرمة هو الروح الذي نفخ فيه إضافة إلى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقاة الله وعبد الله والقدس هو الله عز وجل يدل عليه قوله تعالى وروح منه وقوله ونفخنا فيه من روحنا والآخرون أرادوا بالقدس الطهارة يعني

(1/154)

---

الروح الطاهر سمي روحه قدسا لأنه لم يتضمنه أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمرا من الله تعالى السدي والضحاك وقتادة وكعب الروح القدس جبرئيل قال الحسن القدس هو الله وروحه جبرئيل السدي القدس البركة وقد عظم الله بركة جبرئيل إذ أنزل الله عامة وحيه إلى أنبيائه على لسانه وتأييد عيسى ج جبرئيل هو إنه كان قرينه يسير معه حيثما شاء والآخر إنه صعد به إلى السماء ودليل هذا التأويل قوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال ابن عباس وسعيد بن



جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك العجائب وقال ابن زيد هو الأنجيل جعل له روحا كما جعل القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم روحا يدل عليه قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا فلما سمعت اليهود بذكر عيسى ج قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما زعمت ولا كما يقص علينا من الأنبياء عليهم السلام قالوا فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقا فأنزل الله عز وجل أفكلما جاءكم يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى لا تحب ولا توافق أنفسكم استكبرتم تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان به ففريقا طائفة سميت بذلك لأنها فرقت من الحملة كذبتم عيسى ومحمدا ففريقا تقتلون أي قتلتم زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف قرأ ابن محيصن بضم اللام وقرأ الباقون بجزمه فمن خففه فهو جمع الأغلف مثل أصفر وصفر وأحمر وحمر وهو الذي عليه غطاء وغشاء بمنزلة الأغلف غير المختون فالأغلف والأغلف واحد ومعناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله عز وجل وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ومن ثقل فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب وكتاب وكتب ومعناه قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج إلى علمك وكتابتك قاله عطاء وابن عباس

(1/155)

---

وقال الكلبي يريدون أوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثا إلا وعته إلا حديثك لا تفقهه ولا تعيه ولو كان فيه خيرا لفهمته ووعته قال الله عز وجل بل لعنهم الله بكفرهم وأصل اللعن الطرد والأبعاد تقول العرب نماء ولعين أي بعد قال الشماخ ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين فمعنى قوله لعنهم الله طردهم وأبعدهم من كل خير وقال النضر بن شميل الملعون المخزي المهلك قليلا ما يؤمنون معناه لا يؤمن منهم إلا قليلا لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود قاله قتادة وعلى هذا القول ما صلة معناه قليلا يؤمنون ونصب قليلا على الحال وقال معمر معناه لا يؤمنون إلا بقليل بما في أيديهم ويكفرون بأكثره وعلى هذا القول يكون قليلا منصوبا بنزع حرف الصفة وما صلة أي بقليل يؤمنون وقال الواقدي وغيره معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وهذا كقول الرجل لأخر ما قل ما تفعل وكذا يريد لا تفعله البتة وروى الفراء عن الكسائي مررنا بأرض قل ما ينبت الكراث والبصل يريدون لا ينبت شيئا ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق موافق لما معهم وقرأ إبراهيم بن أبي عبله مصدقا بالنصب على الحال وكانوا يعني اليهود من قبل أي من قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون يستنصرون قال الله تعالى أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي أن تستنصروا فقد جاءكم النصر وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين على الذين كفروا مشركي العرب وذلك إنهم كانوا يقولون إذا حزم أمر ودهمهم عدو اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون زمانا لاعدائهم من المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا ونقتلكم معه قبل عاد وأرم

(1/156)

---

فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من غير بني إسرائيل وعرفوا نعته وصفته كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الافعال ومعنى الآية بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق والكفر بالإيمان وقيل معناه بئس ما باعوا به حظ أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله يعني القرآن بغيا بالبغي وأصل البغي الفساد يقال بغى الجرح إذا أمد وضمد أن ينزل الله من فضله النبوة والكتاب على من يشاء من عباده محمد صلى الله عليه وسلم فباؤا بغضب على غضب أي مع غضب قال ابن عباس الغضب الأول بتضييعهم التوراة والغضب الثاني بكفرهم بهذا النبي الذي اتخذه الله تعالى فيهم قتادة وأبو العالية الغضب الأول بكفرهم بعبسى ج والأنجيل والثاني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن السدي الغضب الأول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتبديل نعتهم وللكافرين وللجاحدين لدين محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين يهانون فلا يعززون وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعني القرآن

(1/157)

---

قالوا نؤمن بما أنزل علينا يعني التوراة ويكفرون بما وراءه أي بما سواه وبعده وهو الحق يعني القرآن مصدقا نصب على الحال لما معهم قل لهم يا محمد فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ولم أصله ولما فحذفت الألف فرقا بين الخير والأستفهام كقولهم فيم وبم ولم ومم وعلام وحقام وهذا جواب لقولهم نؤمن بما أنزل علينا فقال الله عز وجل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين بالتوراة وقد خنتم فيها من قتل الأنبياء ولقد جاءكم موسى بالبينات بالدلالات اللايات والعلامات الواضحات ثم اتخذتم العجل من بعده أي من بعد انطلاقه إلى الجبل وأنتم ظالمون وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي استجبوا واطيعوا سميت الطاعة سمعا على المجاز لأنه سبب الطاعة والأجابة ومنه قولهم سمع الله لمن حمده أي أجابه وقال الشاعر دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول أي يجب قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك أو سمعنا بالأذان وعصينا بالقلوب قال أهل المعاني إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوا الأمر وتلقوه بالعصيان نسب ذلك عنهم إلى القول أتساعا كقول الشاعر ومنهل ذبابة في عيطل يقلن للرائد عشبت أنزل وأشربوا في قلوبهم العجل أي حب العجل كقوله تعالى واسأل القرية وقال النابغة فكيف يواصل من اصبحت خلالة كاني مرحب أي لخلاله

أني مرحب ومعناه أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها ذلك كاشراب اللون  
لشدة الملازمة

(1/158)

---

بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم أن تعبدوا العجل من دون الله فالله لا  
يأمر بعبادة العجل إن كنتم مؤمنين بزعمكم وذلك إنهم قالوا نؤمن بما أنزل  
علينا فكذبهم الله تعالى قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون  
الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله  
عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود  
أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما  
يعملون قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين  
يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل  
وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا  
الفاسقون قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله الآية قال المفسرون سبب  
نزول هذه الآية إن اليهود أدعوا دعاوي باطلة حكاها الله تعالى عنهم في كتابه  
كقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقوله وقالوا لن يدخل  
الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقوله نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله  
تعالى وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله  
خالصة من دون الناس خاصة لقوله تعالى خالصة لذكورنا قوله خالصة يوم  
القيامة قوله خالصة من دون المؤمنين أي خاصة من دون الناس فتمنوا الموت  
أي فأريدو وحلوه لأن من علم أن الجنة مآبه حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا  
بعد الموت فاستعجلوه بالتمني إن كنتم صادقين في قولكم محقين في  
دعواكم وقيل في قوله تعالى فتمنوا الموت أي أدعوا بالموت على الفرقة  
الكاذبة روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو تمنوا الموت  
لغص كل إنسان منهم بريقه وما بقى

(1/159)

---

على وجه الأرض يهودي إلا مات فقال الله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت  
أيديهم لعلمهم إنهم في دعواهم كاذبون والله عليم بالظالمين يعني اليهود هذا  
من أعجاز القرآن لأنه تحداهم ثم أخبر أنهم لا يفعلون بعد أن قال لهم هذه  
المقالة فكان على ما أخبر ولتجدنهم اللام لام القسم والنون تأكيد القسم  
تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود أحرص الناس على حياة وفي  
مصحف أبي على الحياة ومن الذين أشركوا قيل إنه متصل بالكلام الأول معناه  
وأحرص من الذين أشركوا قال الفراء وهذا كما يقال هو أسخى الناس ومن  
حاتم أي وأسخى من حاتم وقيل هو ابتداء وتمام الكلام عند قوله على حياتهم  
ابتداء بواو الاستئناف وأضمر ليود اسما تقديره ومن الذين أشركوا من يود  
أحدهم كقول ذو الرمة فظلوا ومنهم دمع مع سابق له وآخر يذري دمة العين  
بالهمل أراد ومنهم من دمع سابق وأراد بالذين أشركوا المجوس يود يريد  
ويتمنى أحدهم لو يعمر تقديره تعمير ألف سنة قال المفسرون هو تحية

المجوس فيما بينهم عشر ألف سنة وكلمة ألف نيروز ومهرجان قال الله تعالى وما هو بمزحزحه من العذاب من النار أن يعمر أي تعميره زحزحته فزحزح أي بعدته فتباعده يكون لازما ومتعديا قال ذو الرمة في المتعدي يا قابض الروح من نفسي إذا احتضرت وغافر الذنب زحزحني عن النار وقال الراجز في اللازم خليلي ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح قل من كان عدوا لجبريل الآية قال ابن عباس إن حبرا من أحبار اليهود يقال له عبدالله بن سوريا كان قد حاج النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن أشياء فلما اتجهت الحجة عليه قال أي ملك يأتيك من السماء قال جبرئيل ولم يبعث الكتاب لأنبياء قط إلا وهو وليه قال ذلك عدونا من

(1/160)

---

الملائكة ولو كان ميكائيل مكانه لآمنا بك لأن جبرئيل ينزل بالعذاب والقتال والشقوة وإنه عادانا مرارا كثيرة وكان أشد ذلك علينا أن الله تعالى أنزله على نبينا ج إن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلب بخت نصر ليقتله فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبرئيل وقال لصاحبنا إن كان ربكم هو الذي أذن في هلاككم فلن تسلط عليه وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع ج فكبر بخت نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فأنزل الله تعالى هذه الآية قال مقاتل قالت اليهود إن جبرئيل عدونا أمرنا أن تجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فأنزل الله تعالى هذه الآية فتادة وعكرمة والسدي فكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود وكان عمر إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم فقالوا يا عمر ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك إنهم يمرون هنا فيأذونا وأنت لا تؤذينا وأنا لنطمع فيك فقال عمر والله ما أحبكم لحبكم ولا أسألكم لأنني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من نصب محمد من الملائكة قال جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمد على سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وسنة وشدة وإن ميكائيل جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر أتعرفون جبرئيل وتذكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبرئيل وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر وإني أشهد أن من كان عدوا لجبرئيل فهو عدوا لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل فهو عدو لجبرئيل ومن كان عدوا لهما فإن الله عدو له ثم رجع عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه رسول

(1/161)

---

الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر قال الله تعالى تصديقا لعمر

رضي الله عنه قل من كان عدوا لجبرئيل وفي جبرئيل سبع لغات جبرئيل مهموز مشيع مفتوح الجيم والراء وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد وقال رأيت في مصحف عثمان الذي يقال له الإمام بالياء في جبريل وميكايل والياء قبل الياء تدل على الهمزة وقال الشاعر شهدنا فما يلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرئيل امامها

(1/162)

---

وجبرائيل ممدود مهموز مشيع على وزن جبراعيل وهي قراءة ابن عباس وعلقمة وابن وثاب وجبرائيل ممدود مهموز مختلس على وزن جبراعل وهي قراءة طلحة بن مصرف وجبرئيل مهموز مقصور مختلس على وزن جبرعل وهي قراءة يحيى بن آدم وجبرال مهموز مقصور مشدد اللام من غير ياء وهي قراءة يحيى بن يعمر وعيسى ابن عمر والأعمش وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهي قراءة ابن كثير وأنشد لحسان وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس به خفاء وجبريل بكسر الجيم والراء من غير همزة وهي قراءة علي وأبي عبد الرحمن وأبي رجاء وأبي العالية وسعيد بن المسيب والحسن ومعظم أهل البصرة والمدينة واختيار أبي حاتم وقدروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن شبل عن عبدالله بن كثير قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقرأ جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز فلا أقرأها إلا هكذا قال الثعلبي والصحيح المشهور عن كثير ما تقدم والله أعلم أما التفسير فقال العلماء جبر هو العبد بالسريانية وأبل هو الله عز وجل يدل عليه ما روى إسماعيل عن رجاء عن معاوية برفعه قال إنما جبرئيل وميكايل كقولك عبدالله وعبدالرحمن وقيل جبرئيل مأخوذ من جبروت الله وميكايل من ملكوت الله فإنه يعني جبرئيل نزله يعني القرآن كتابه عن غير مذكور كقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة يعني الأرض وقوله حتى توارت بالحجاب يعني الشمس على قلبك يا محمد بإذن الله بأمر الله مصدقا موافقا لما بين يديه لما قبله من الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل أخرجهما بالذكر من جملة الملائكة ومواضعهم على جهة التفضيل والتخصيص كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وميكايل أربع لغات

(1/163)

---

ممدود مهموز مشيع على وزن ميكايل وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام وميكايل ممدود مهموز مختلس مثل ميكايل وهي قراءة أهل المدينة وميكايل مهموز مقصور على وزن ميكل وهي قراءة الأعمش وابن محيصن وميكايل على وزن مفعال وهي قراءة أهل البصرة قال الشاعر ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكايل وقال جرير عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكاالا ومعنى الآية من كان عدوا لأحد هؤلاء فإن الله عدو له والواو فيه بمعنى أو كقوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه الآية لأن الكافر بالواحد كافر بالكل فقال ابن صوريا يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما

أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله عز وجل ولقد أنزلنا إليك آيات بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام وما يكفر بها إلا الفاسقون الحادون عن أمر الله أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولاكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون أو كلما واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام كما يدخل على الفاء في قوله أفأنت تسمع الصم أفتتخذونه وذريته وعلى ثم كقوله تعالى أثم إذا ما وقع ونحوها

(1/164)

---

وقرأ ابن السماك العدوي ساكنة الواو على النسق و كلما نصب على الظرف عاهدوا عهدا يعني اليهود قال ابن عباس لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه قال مالك بن الصيف إن الله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق فأنزل الله تعالى هذه الآية يوضحه قراءة أبي رجاء العطاردي أو كلما عوهدوا عهدا لعنهم الله دليل هذا التأويل قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال بعضهم هو أن اليهود تعاهدوا لئن خرج محمد ليؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب وننفيهم من بلادهم فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله ونظيره قوله عز وجل ولما جاءهم رسول من عند الله وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير دليله قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم نبذه أي رفضه وفي قول عبدالله نقضه فريق منهم طوائف من اليهود بل أكثرهم لا يؤمنون فأصل النبذ الرمي والرفض له وأنشد الزجاج نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالك وهذا مثل من يستخف بالشيء ولا يعمل به تقول العرب أجعل هذا خلف ظهرك ودير اذنك وتحت قدمك أي أتركه واعرض عنه قال الله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا وأنشد الفراء تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعبا علي جوابها قال الشعبي هو بين أيديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة أدرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ واتبعوا يعني اليهود

(1/165)

---

ما تتلوا الشياطين أي ما تلت الشياطين كقول الشاعر فأذا مررت بقبره فاعقر به كؤم الحجان وكل طرف صالح وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد بكوه أخادم

وذبايح وحكي عن الحسين بن الفضل إنه سئل عن هذه الآية فقال هو مختصر  
مضمّر تقديره واتبعوا ما كانت تتلوا الشياطين أي تقرأه قال ابن عباس يتبع  
ويعمل به عطاء وأبو عبيدة يحدث ويتكلم به يمان ترويه وقرأ الحسن  
الشياطين بالواو في موضع الرفع في كل القرآن قال الثعلبي وسمعت أبا  
القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا حامد الخارزنجي يقول وسئل عن قراءة  
الحسن قال هو فن وحسن عند أكثر أهل الأدب غير أن الأصمعي زعم إنه سمع  
أعرايبا يقول بستان فلان حوله بساتون على ملك سليمان أي في ملكه وعهده  
كقول أبي النجم فهي على الأفق كعين الأحوال أي في الأفق والملك تمام  
القدرة وأستحكامها قال الزجاج في قصة الآية هي أن الشياطين كتبوا السحر  
والنيرنجات على لسان آصف هذا ما علم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثم  
وضعوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات  
استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا الناس إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه  
فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان  
وإن كان هذا علمه لقد هلك سليمان وأما السفلة فقالوا هذا علم سليمان  
فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبياءهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل  
هذه حالهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عذر  
سليمان ج

(1/166)

على لسانه وأظهر براءته عما رمي به فقالوا واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية  
هذا قول الكعبي وقال السدي كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها  
مقاعد السمع فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيره  
فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذبا وزورا في كل سبعين كلمة سبعين  
كلمة ويخبرونهم بذلك فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن  
تعلم الغيب فبعث في الناس فجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت  
كرسيه وقال لا أسمع أحدا يقول إن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه فلما  
مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب  
وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرا من بني  
إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفذ أبدا قالوا نعم قال فأحفروا تحت  
الكرسي وذهب معهم فأراههم المكان وقام ناحية وقالوا أدن فقال لا ولكن  
هاهنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك إنهم لم يكن أحد من الشياطين يدنو من  
الكرسي إلا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان إن  
سليمان كان يضبط الجن والأنس والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب وفشا  
في الناس أن سليمان كان ساحرا فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب ولذلك فكثير  
ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصمه اليهود  
بها فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل هذه الآية وقال عكرمة كان سليمان  
لا يصبح يوما إلا نبتت في محرابه في بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك  
فتقول الشجرة إسمي كذا فيقول لأي داء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها  
فتقطع وترفع في الخزانة وتغرس منها في البساتين حتى بعثت الخرنوبة  
الشامية فقال لها ما أنت قالت أنا الخرنوبة قال لأي شيء نبت قالت لخراب  
مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت الذي على وجهك هلاكي

وخراب بيت المقدس فنزعها فغرسها في حائط له فلم تنبت إلى أن توفي  
فجعل الناس يقولون في رضاهم لو كان لنا مثل

(1/167)

---

سليمان وكتبت الشياطين كتابا فجعلوه في مصلى سليمان فقالوا للناس من  
يدلكم على ما كان يداوي به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر  
ورقي فأنزل الله في هذه الآية ما تفعل الشياطين واليهود على نبيه محمد  
صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر  
سليمان بالسحر فان السحر كفر  
ولكن الشياطين كفروا قرأ أهل الكوفة والشام بتخفيف النون ورفع الشياطين  
وكذلك في الإيمان ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الباقون بالتشديد ونصب ما  
بعده ولكن كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي وأثبات الخبر المستقبل وهي  
مبنية من ثلاث كلمات أصلها لا كان لا نفي والكاف خطاب وإن نصب ونسق  
فذهبت الهمزة استثقلا وهي تثقل وتخفف فإذا ثقلت نصب بها ما بعدها من  
الاسماء كما تنصب بان الثقيلة فإذا خففت رفعت بها ما ترفع بان الخفيفة  
يعلمون الناس السحر قال بعضهم السحر العلم والخطابة دليله قوله بان  
الساحر أي العالم وقال بعضهم هو التمويه بالشيء حتى يتوهم المتوهم إنه  
شيء ولا حقيقة له كالسراب غير من رآه وأخلف من رجاه قال الله تعالى  
يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وما أنزل على الملكين محل ما بعد اتباع  
التعليم عليه معناه لا يعلمون الذي أنزل على الملكين أي ويجوز أن يكون نصبا  
بالاتباع تقديره واتبعوا ما أنزل على الملكين وجعل بعضهم ما جحدا وحينئذ لا  
محل له يعني لم ينزل السحر على الملكين كما زعم اليهود وإنما يعلمونهم من  
ذات أنفسهم والقول الأول أصح وقرأ ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن  
أبي كثير ملكين بكسر اللام وقالوا هما رجلا سحران كانا بابل من الملائكة لا  
يعلمون الناس السحر وفسرهما الحسن فقال غلجان بابل وهي بابل عراق  
وسمي بابل لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود أي تفرقها أو ان الله  
تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقى بتعلم السحر منهما  
فيكفر به ومن سعد بتركه فيبقى على الإيمان فيزداد المعلمان بالتعليم

(1/168)

---

عذابا ففيه ابتلاء المعلم والمتعلم والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء كما يشاء  
فله الأمر والحكم وقال الخليل بن أحمد إنما سميت بابل لأن الله تعالى حين  
أراد أن يخالف بين السنة بني آدم بعث ريحا فحفرتهم من كل أفق إلى بابل  
فبلبل الله ألسنتهم فلم يدري أحد ما يقول الآخر ثم فرقهم تلك الرياح في  
البلاد وهو لا ينصرف لأنه اسم موضع معروف هاروت وما روت اسمان  
سريانيان في محل الخفض على تفسير الملكين بدلا منهما إلا أنهما نصبا  
لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتيهما على ما ذكره ابن عباس والمفسرون إن

(1/169)



---

الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن إدريس فعبروهم بذلك ودعت عليهم قالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهم يعصونك فقال الله عز وجل لهم لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لرتكبتهم ما ارتكبوه فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم ثم اهبطوهما إلى الأرض فاخاروا هاروت وما روت وكانا من أصلح الملائكة وأخصهم قال الكلبي قال الله تعالى لهم اختاروا ثلاثة عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت غير اسمهما لما قارفا الذنب كما غير اسم إيليس وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم فاهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر وأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه فسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله عز وجل وأما الآخرا فإنيهما ثبتا على ذلك وكانا يغضبنا من الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك أنهم اختصم عليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رآها أخذت بقلوبهما فراودها عن نفسها وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلنا مثل ذلك فأبت وقالت لا إلا أن تعبد ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراودها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فانتعشا ووقعا بالمرأة وزنيا فلما

(1/170)

---

فرغا رأهما أنسان فقتلاه قال الربيع بن أنس سجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسدي والكلبي إنها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا بسم الله الأكبر قالت فما أنتما تدركاني حتى تعلمانيه فقال أحدهما لصاحبه علمها قال فأني أخاف الله قال الآخر فأين رحمة الله فعلماهما ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكبا فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقيدها فقالوا هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية ناهيد وبالنبطية بيذخت يدل على صحة هذا القول ما روى جابر عن الطفيل عن علي

(1/171)

---

رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا إنه كان عشارا باليمن ولعن لله الزهرة فإنيها فتنت ملكين وقال مجاهد

كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي أرمق بالكوكبة يعني الزهرة فاذا طلعت فأيقظني فلما طلعت ايقظته فجعل ينظر إليها وبسبها سببا شديدا فقلت رحمك الله سببت نجما سامعا مطيعا ماله ليسب فقال إن هذه كانت بغيا فلقى ملكان منها مالقيا وقال ابن عمر إذا رأى الزهرة قال لا مرحبا بها ولا أهلا وروى أبو عثمان المرندي عن ابن عباس إن المرأة التي فتنت بها الملكان مسخت فهي هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة قال وكان يسميها بيذخت وأنكر الآخرون هذا القول قالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعالم وأقسم بها فقال فلا أقسم بالخنس والجوار الكنس قلنا كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة من جمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلغنها وكذلك سهيل العشار ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم ذكره فلغنه ويدل عليه ما روى قيس ابن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على الناس كما فضلت الزهرة على سائر الكواكب ومثله قال كعب الأحبار والله أعلم قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصد إدريس النبيج فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل فقالا له إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك إدريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فأختارا عذاب الدنيا إذ علما إنه ينقطع فهما ببابل يعذبان واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبدالله بن مسعود هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة قتادة كبلا من أقدامهما

(1/172)

إلى أصول أفخاذهما مجاهد إن جبا ملئت نارا فجعلنا فيها حضيف معلقان منكسان في السلاسل عمير بن سعد منكوسان يضربان بسياط الحديد ويروى إن رجلا أراد تعلم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلقين بأرجلهم مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا إله الا الله وقد نهى عن ذكر الله فلما سمعا كلامه قالوا له من أنت قال رجل من الناس قال ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث محمد قال نعم قال الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم إستبشاركما قالوا لأنه نبي الساعة وقد دنا إنقضاء عذابنا قالوا ومن ثم استغفار الملائكة لبني آدم وعن الأوزاعي قال المعنى إن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا جبرئيل صف لي النار فقال إن الله أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضي لهيبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من سرابها صبت في الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو إن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من تنن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبرئيل لبكائه وقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلي بما أبتلي هاروت وماروت فهو الذي منعني عن اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء أن يا جبرئيل ويا محمد إن الله قد أمكنكما أن تعصياه فيعذبكما ففضل محمد على الأنبياء كفضل جبرائيل على ملائكة

(1/173)

---

السماء وما يعلمان يعني الملكين من أحد من صلة لا يعلمان السحر أحدا حتى ينصحاها أولا وينهياها ويقولوا إنما نحن فتنة إبتلاء ومحنة فلا تكفر بتعلم السحر وأصل الفتنة الاختبار تقول العرب فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتعرف جودته من رداءته وفتنت الشمس الحجر إذا سودته وإنما وحد الفتنة وهما إثنان لأن الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع كقولهم وعلى سمعهم وفي مصحف أبي وما يعلم الملكان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات

(1/174)

---

قال السدي وعطاء فإن أبا إلا التعلّم قال له إئت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء أسود حتى يدخل مسامعه يشبه الدخان وذلك غضب الله عز وجل قال مجاهد إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة إختلافه واحدة وقال يزيد بن الأصم سئل المختار هل يرى اليوم أحد هاروت وماروت قال أما منذ أتتفكت بابل إئتفاكها الآخر لم يرها أحد قال قتادة السحر سحران سحر تعلمهم الشياطين وسحر يعلمه هاروت وماروت وهو قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وهو أن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه وفي المرء أربع قراءات قرأ الحسن المر بفتح الميم وتشديد الراء جعله عوضا عن الهمزة وقرأ الزهري المرء بضم الميم والهمزة وحكى يعقوب عن جده بكسر الميم والهمزة وقرأ الباقر بفتح الميم والهمزة وأما كيفية تعليمهما السحر فقد ورد فيه خبر جامع وهو ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حدثت ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر قالت عائشة لعروة يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تبكي حتى إني لأرحمها بقولي واني لأخاف أن تكون قد هلكت قالت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز وشكوت إليها ذلك فقالت إن فعلت ما أمرتك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جئتني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن حتى وقفنا على بابل فإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت فقلت لا قالا فأذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه

فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيئا قلت لم أر شيئا فقالا لم تفعلني أرجعي إلى بلدك

(1/175)

---

ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيتي قلت لم أر شيئا فقالا كذبت لم تفعلني أرجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبليت فيه فرأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وقد غاب عني حتى لم أراه فجتتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه قالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك إذهبي إلى المرأة وقول لها والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا قالت بلى قالا لن تريدي شيئا إلا كان خذي هذا القمح فأبذري فبذرت فقلت إطلعي فطلعت فقلت إحقلي فحقلت ثم قلت إفركي فأفركت ثم قلت اطحني فطحنت ثم قلت اخيزي فخبزت فلما رأيت إنني لا أريد شيئا إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا فاما كيفية جواز تعليم السحر على الملائكة ووجه الآية وحملها على التأويل الصحيح فقال بعضهم إنهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه واعلم وعلم بمعنى واحد وفي هذا حكمة وهي إن سائلا لو سأل عن الزنا لوجب أن يوقف عليه ويعلم أنه حرام وكذلك إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الاعلام والأخبار إنه كفر حرام فيتعلم الشقي منهما وفي حلال صفتها وترك موعظتهما ونصيحتهما ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرا وإنما يكون العمل به كفرا كما إن من عرف الزنا لم يآثم إنما يآثم العامل به والقول الآخر والأصح إن الله تعالى إمتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويؤمن بترك التعلم لأن السحر كان قد كثر في كل الأمة ويزداد المعلمان عذابا بتعليمه فيكون ذلك ابتلاء للمعلم والمتعلم ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني

(1/176)

---

اسرائيل بالنهر في قوله إن الله مبتليكم بنهر يدل عليه قوله إنما نحن فتنة فلا تكفر وهذان حكاهما الزجاج واعتمدهما قال الله تعالى وما هم بضارين به من أحد أي أحدا ومن صلة إلا بأذن الله أو إلا بقضاء الله أو إلا بإذن الله أي بمرأى ومسمع أي بعلمه وقضائه ومشيبته وتكوينه والساحر يسحر ولا يكون شيء ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم أي السحر وقرأ عبيد بن عمير ما يضرهم من أضر يضر ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اختار السحر ما له في الآخرة أي في الجنة من خلاق من نصيب وقال الحسن ماله في الآخرة من خلاق من دين ولا وجه عند الله ابن عباس من قوام وقيل من خلاص قال أمية يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا السراويل من قطر وإغلال أي لا خلاص لهم وليئس

ما شروا به باعوا به حظ أنفسهم حين اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واتقوا اليهودية والسحر لمثوبة ويجوز المثوبة بفتح الميم وفتح الواو كمشورة وكمشورة وهي مصدر من الثواب من عند الله لكان ثواب الله عز وجل أياهم خير لو كانوا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الآية وذلك إن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك يعنون من المراعاة وكانت هذه اللفظة سبا مبيحا بلغة اليهود وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وقيل هو إلحاد إلى الرعونة لما سمعتها اليهود اغتيموها وقالوا فيما نسب بعضهم إلى محمد سرا فاعلنوا الآن بالشتم وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان

(1/177)

---

يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده يامعشر اليهود إن سمعنا من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لضربت عنقه فقالوا أولستم تقولونها  
فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه اللفظة ثلاث قرأت قرأ الحسن راعنا بالتنوين أراد قولاً راعنا أي حقا من الرعونية فحذف الاسم وأبقى الصفة كقول الشاعر ولا مثل يوم في قدار ظلله كأي وأصحابي على قرن أعفرا أراد قرن طيبي أعفر حذف الاسم وأبقى النعت وقرأ أبي بن كعب راعونا بالجمع وقرأت العامة راعنا بالواحد من المراعاة يقال أرعى إلى الشيء وارعاه وراعاه إذا أصغى إليه واستمعه مثل قولهم عافاه الله واعفاه قال مجاهد لا تقولوا راعنا يعني خلافاً يمان هجرا الكسائي شرا وقولوا انظرنا قال أبي بن كعب انظرنا بقطع الألف أي أخرنا وقرأت العامة موصولة أي انظر إلينا فحذف حرف التعدية كقول قيس بن الحطيم ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الأراك الطيبا أي إلى الأراك وقيل معناه انتظرنا وتأننا كقول امرؤ القيس فانكما أن تنظراني ساعة من الدهر تنفعي لدى ام جندب وقال مجاهد معناه فهمنا وقال يمان بين لنا واسمعوا ما تؤمرون به والمراد به اطيعوا لأن الطاعة تحت السمع وللكافرين عذاب أليم يعني اليهود ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب الآية وذلك إن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد قالوا ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه ولو هदानا لكان خيرا فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم ما يود يريد ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود

(1/178)

---

ولا المشركين مجرور في اللفظ بالنسق على من مرفوع المعنى بفعله كقوله عز وجل وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه أن ينزل عليكم من خير أي خبر كما نقول ما أتاني من أحد من فيه وفي جوابها صلة وهي كثيرة في القرآن والله يختص والاختصاص أوكد من الخصوص لأن الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك برحمته بنبوته من يشاء يخص بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم أي ابتداء لعلي خبر علة أو المراد من الرحمة الإسلام والهداية ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وذلك إن المشركين قالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر لم ينهاهم عنه وبأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع فيه غدا ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا فأنزل الله وإذا بدلنا آية مكان آية وأنزل أيضا ما ننسخ من آية ثم بين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية وأعلم إن النسخ في اللغة شيان الوجه الأول بمعنى التغيير والتحويل قال الفراء يقال مسخه الله قردا ونسخه قردا ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فينقل ما فيه إليه قال الله تعالى إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أي نأمر الملائكة بنسخها قال ابن عباس في هذه الآية أُلستم قوما عربا هل يكون نسخه إلا من أصل كان قبل ذلك وعلى هذا الوجه القرآن كله منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ فأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم روى عبد الوهاب بن عطاء عن داود عن عكرمة عن ابن عباس أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزله جبرائيل على محمد آيا بعد آي وكان فيه ما قال المشركون ورد عليهم والوجه الثاني بمعنى رفع الشيء وإبطاله يقال نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته عنى بقوله ما ننسخ من آية وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخا ومنسوخا وهي ما تعرفه الأمة من ناسخ القرآن ومنسوخه وهذا أيضا يتنوع نوعين

(1/179)

أحدهما إن يثبت خط الآية وينسخ علمها والعمل بها كقول ابن عباس في قوله ما ننسخ من آية قال ثبت خطها وتبدل حكمها ومنها رفع تلاوتها وبقاء حكمها مثل آية الرجم الثاني أن ترفع الآية أصلا أي تلاوتها وحكمها معا فتكون خارجة من خط الكتاب وبعضها من قلوب الرجال أيضا والشاهد له ما روى أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب إن رجلا كانت معه سورة فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها وقال الآخر يا رسول الله ما جئت إلا لذلك وقال الآخر وأنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها نسخت البارحة ثم أعلم أن النسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار إذا نسخ صار المخبر كذابا وإن اليهود حاولوا نسخ الشرائع وزعموا إنه بدء فيقال لهم أليس قد أباح الله تزويج الاخت من الأخ ثم حظره وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت أليس قد أمر إبراهيم بذبح ابنه ثم قال له لا تذبحه أليس قد أمر موسى بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل منهم وأمرهم برفع السيف عنهم أليست نبوة موسى غير متعبد بها ثم تعبد بذلك أليس قد أمر حزقيال النبي بالختان ثم نهاه عنه فلما لم يلحقه بهذه

الأشياء بداء فكذلك في نسخ الشرائع لم يلحقه بداء بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة وحكم إلى حكم لضرب من المصلحة إظهار لحكمته وكمال مملكته وله ذلك وبه التوفيق فهذه من علم النسخ وهو نوع كثير من علوم القرآن لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير وعن أبي عبدالرحمن السلمي إن علياً جمر بقاص يقص في جامع الكوفة بباب كندة فقال هل تعلم الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت وأما معنى الآية لقوله ما ننسخ من آية قرأت العامة بفتح النون والسين من النسخ وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين قال

(1/180)

---

أبو حاتم هو غلط وقال بعضهم له وجهان أحدهما نجعله نسخه من قولك نسخت الكتاب إذا كتبتة وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له ومعناها ما مسختك والوجه الثاني نجعله في جملة المنسوخ كقولك طردت الرجل إذا نفيته وأطردته جعلته طريداً قال الشاعر طردتني حسد الهجاء حيفاء واللات والأصنام ما قالوا تنل أو ننسها فيه تسع قراءات قرأ سعيد بن المسيب وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب ننسها بضم النون وكسر السين وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم أي ننسها نسياً قاله أكثر المفسرين قال الحسن هو ما أنسى الله رسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس أي تتركها ولا تبدلها قال الله نسوا الله فأنساهم وقال الله تعالى كذلك أتتكم آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كل هذا من الترك كأنه جعل أنسى ونسى بمعنى واحد قال الكلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا منصور الأزهري يقول معناه أو نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء أي أمرت بتركه قال الشاعر جرت علي قصة أقصيتها لست بنا سيها مجمع ولا منسيها أي ولا أمر بتركها وقرأ أبي بن كعب أو ننسيك وقرأ عبدالله ننسيك من آية أو ننسخها قرأ سالم مولى حذيفة أو ننسكها وقرأ أبو رجاء أو ننسها بالتشديد وقرأ الضحاك أو ننسها بضم التاء وفتح السين على مجهول وقرأ سعد بن أبي وقاص أو ننسها بئاء المفتوحة من النسيان وعن القاسم بن الربيع ابن فائق قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول بالنسخ من آية أو ننسها قال فقلت له إن سعيد بن المسيب يقرأ ننسها قال إن القرآن لم ينزل على آل المسيب

(1/181)

---

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك إذا نسيت وقرأ مجاهد أو ننسها بفتح النون مخففه أي تتركها وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيد بن عمير وعطاء وابن كثير وأبو عمرو والنخعي أو ننسها بفتح النون الأول وفتح السين مهموزة فلا نؤخرها فلا تبدلها ولا ننسخها يقال نسا الله في أجله وأنسا الله أجله ومنه النسيئة في البيع وقال أبو عبيد ننسبها مجازة نمضيها لذكر ما فيه قال طرفة أمون كألواح الاران نساتها على لا حب كأنه ظهر بوجد أي لسقتها وأمضيها وقال سعيد بن المسيب وعطاء أما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلناه من النسخة أو ننسها نؤخرها

فلا يكون وهو ما لم ينزل نأت بخير منها أي بما هو أجدى وأنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم لا أن آية خير من آية لأن كلام الله عز وجل واحد ولكنها في المنفعة المثوبة وكله خير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير قادر قال الزجاج لفظه استفهام ومعناه توفيق وتقدير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله من ولي قريب وصدیق ولا نصير ناصر يمنعكم من العذاب أم تريدون أن تسألوا رسولكم الآية قال ابن عباس نزلت في عبدالله بن أمية

(1/182)

---

المخزومي ورهط من قريش قالوا يا محمد أجعل لنا الصفا ذهباً ووسع لنا أرض مكة وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك فأنزل الله عز وجل أم تريدون يعني تريدون والميم صلة لأن أم إذا كان بمعنى العطف لا تكون ابتداء ولا تأتي إلا مردودة على استفهام قبلها وقيل معناه بل يريدون كقول الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أم أنت في العين أملى أي بل أنت أن تسألوا رسولكم محمداً كما سئل موسى من قبل سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة وقال مجاهد لما قالت قريش هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل إن لم تؤمنوا عذبتم فأبوا ورجعوا والصحيح أن شاء الله إنها نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد أثنتا بكتاب من السماء تحمله كما أتى موسى بالتوراة لأن هذه السورة مدنية وتصديق هذا القول قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك في سئل ثلاث قراءات بالهمز وهي قراءة العامة و سئل بتلين الهمزة وهي قراءة أبي جعفر و سئل مثل قيل وهي قراءة الحسن ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل خطأ وسط الطريق ود كثير من أهل الكتاب الآية نزلت في نفر من اليهود منهم فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس وذلك إنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تر يا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقالوا لهم كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني قد عاهدت ألا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبر وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين أخواناً ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى ود كثير من أهل الكتاب أي تمنى وأراد كثير من اليهود

(1/183)

---



لو يردونكم يا معشر المؤمنين من بعد إيمانكم كفارا في انتصابه وجهان قيل بالرد وقيل بالحال حسدا وفي نصبه أيضا وجهان قيل على المصدر أي يحسدونكم حسدا وقيل بنزع حرف الصلة تقديره للحسد وأصل الحسد في اللغة الالفاظ بالشيء حتى يחדشه وقيل للمسحاة محسد وللغراد حسدل زيدت فيه اللام كما يقال للعبد عبدل من عند أنفسهم أي من تلقاء أنفسهم لم يأمر الله عز وجل بذلك من بعد ما تبين لهم الحق في التوراة إن محمدا صادق ودينه حق فاعفوا فاتركوا واصفحوا وتجاوزوا حتى يأتي الله بأمره بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلء والنفي لبني النضير قاله ابن عباس وقال قتادة هو أمره بقتالهم في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى وهم صاغرون وقال ابن كيسان بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية وقيل أراد به القيامة فيجازيهم بأعمالهم إن الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكوة وما تقدموا تسلفوا لأنفسكم من خير طاعة وعمل صالح تجدوه تجدوا ثوابه ونفعه عند الله وقيل بالخبر الحال كقوله عز وجل إن ترك

(1/184)

خيرا ومعناه وما تقدموا لأنفسكم من زكاة وصدقة تجدوه عند الله أي وتجدوا الثمرة واللقمة مثل أحد إن الله بما تعملون ورد في الحديث إذا مات العبد قال الله ما خلف وقال الملائكة ما قدم وعن أنس بن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي بن أبي طالب ج الدار فأنشأ يقول لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل وإن افتقادي واحدا بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل ثم دخل المقابر فقال السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسمت ودوركم سكنت وأزواجكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم فهتف هاتف وعليكم السلام ما أكلنا ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى قال الفراء أراد يهوديا فحذف الياء الزائدة ورجعوا إلى الفعل من اليهودية وقال الأخفش اليهود جمع هايد مثل عائد وعود وحائل وحول وعايط وعود وعوايد وعود وفي مصحف أبي إلا من كان يهوديا أو نصرانيا ومعنى الآية وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ولا دين إلا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ولا دين إلا النصرانية قال الله تعالى تلك أمانيتهم شهواتهم التي يشتهوها ويتمنوها على الله عز وجل بغير الحق وقيل أباطيلهم بلغة قريش قل يا محمد هاتوا وأصله أتوا فقلت الهمزة هاء برهانكم حجتكم على ذلك وجمعه براهين مثل قربان قربان وسلاطين إن كنتم صادقين ثم قال ردا عليهم وتكذيبا لهم بلى ليس كما قالوا بل يدخل الجنة من أسلم وجهه لله مقاتل أخلص دينه وعمله لله وقيل فوض أمره إلى الله

وقيل خضع وتواضع لله وأصل الإسلام والاستسلام الخضوع والأنقياد وإنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه قال زيد بن عمرو بن نفيل اسلمت وجهي لمن اسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقلاً

(1/185)

---

واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن يحمل عذبا زلالا وهو محسن في عمله وقيل مؤمن وقيل مخلص فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران وذلك إن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعبسى والأنجيل وقالت لهم النصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب وكلا الفريقين يقرأون الكتاب أي لتبين في كتابكم سر الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على أنهم على الباطل وقيل كان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية قال صدقوا جميعا والله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني أباءهم الذين مضوا مثل قولهم قال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليسوا على شيء من الدين وقال ابن جريح قلت لعطاء كذلك قال الذين لا يعلمون من هم قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم قالوا في نبهم إنه ليس على شيء وأن الدين ديننا فالله يحكم بينهم يقضي بين المحق والمبطل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من الدين ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه نزلت فى ططايوس بن استيسانوس

(1/186)

---

الرومي وأصحابه وذلك إنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خرابا إلى أن بناه المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب قتادة والسدي هو بخت نصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى ططايوس وأصحابه من أهل الروم قال السدي من أجل إنهم قتلوا يحيى بن زكريا وقال قتادة حملهم بعض اليهود على معاونة بخت نصر البابلي المجوسى فأنزل الله إخبارا عن ذلك ومن أظلم أي أكفر وأعثا ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاربه أن يذكر فى محل نصب المفعول الثانى لأن المنع يتعدى إلى مفعولين تقديره ممن منع مساجد الله الذكر وإن

شئت جعلت نصبا بنزع حرف الصفة أي من أن يذكر وسعى في خرابها أي في عمل خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين وفي مصحف أبي الاخيفاء قال ابن عباس لا يدخلها بعد عمارتها رومي إلا خائفا لو علم به قتل قتادة ومقاتل لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرا مشارفه لو قدر عليه عوقب ونهك ضربا السدي أخيفوا بالجزية وقال أهل المعاني هذا خبر فيه معنى للأمر كقول اجهضوهم بالجهاد كي لا يدخلها أحد منهم إلا خائفا من القتل والسبي نظيره قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله إلى أبدا نهاهم عن لفظ الخبر فمعنى الآية ما ينبغي لهم ولكم وهذا وجه الآية لهم في الدنيا خزي عذاب وهوان قال قتادة هو القتل للحربي والجزية للذمي مقاتل والكلبي فتح ميدانهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية السدي هو إنه إذا قام المهدي في آخر الزمان فتحت قسطنطينية فقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو النار

(1/187)

---

إسماعيل عن أبيه عن أبي هريرة قال لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة هرقل ويؤذن فيها المؤذنون ويقسم فيها المال بالترضية فينقلبون بأكثر أموال رآها الناس قط فبينما هم كذلك إذا أتاهم إن الدجال قد خلفكم في أهليكم فيلقون ما في أيديهم ويجيئونهم ويقاتلونهم وقال عطاء وعبد الرحمن بن عوف نزلت هذه الآية في مشركي عرب مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من تعميره بذكر الله عز وجل فقد سعوا في خرابه يدل عليه قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله الآية أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها أو تكونوا أولى بها منهم ففتحها الله عليهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى ألا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فطفق المشركون يقولون اللهم إنا قد منعنا أن نشرك بهذا لهم في الدنيا خزي الذل والقتل والسبي والنفي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب الآية اختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فاصابهم الضباب فحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فمنهم من صلى إلى المشرق ومنهم من صلى إلى المغرب فلما ذهب الضباب استبان لهم إنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية بذلك وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يتخذ أحجارا فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فانزل الله هذه الآية قال عبد الله بن عمر نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1/188)

---

يصلي على راحلته جاثيا من مكة إلى المدينة وعن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في السفر حيثما توجهت به قال عكرمة نزلت في تحويل القبلة لما حولت إلى الكعبة فأنزل الله تعالى ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا أيها المؤمنون في سفركم وحضركم فثم وجه الله قبلة الله التي وجهكم إليها فاستقبلوها يعني الكعبة وقال أبو العالية لما غيرت القبلة إلى الكعبة عبرت اليهود المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس فأنزل الله تعالى هذه الآية جوابا إليهم عطاء وقتادة نزلت في النجاشي وذلك إنه توفي فأتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي إلى غير قبلتنا وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد والحسن والضحاك لما نزلت وقال ربكم أدعوني أستجب لكم قالوا أين ندعوه فنزلت ولله المشرق والمغرب ملكا وخلقا فأينما تولوا تحولوا وجوهكم فثم هناك وجه الله وقال الكلبي والقتيبي معناه فثم الله عليم يرى والوجه صلة كقوله تعالى يريدون وجهه أي يريدونه بالدعاء وقوله كل شيء هالك إلا وجهه أي إلا هو وقوله تعالى ويبقى وجه ربك أي ويبقى ربك وقوله إنما نطعمكم لوجه الله أي لله وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله أضافها إلى نفسه تخصيصا وتفصيلا كما يقال بيت الله وناقة الله والوجه والجهة والوجهة القبلة إن الله واسع قال الكلبي واسع المغفرة لا يتعاطم مغفرته ذنب دليله قوله تعالى إن ربك واسع المغفرة أبو عبيدة الواسع الغني يقال يعطي فلان من سعة أي من غنى قال الله لينفق ذو سعة من سعته قال الفراء الواسع الجواد الذي يسع عطاءه كل شيء دليله قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقيل الواسع العالم الذي يسع علمه كل شيء قال الله وسع كرسيه السماوات

(1/189)

---

والأرض أي علمه عليم بنياتهم حيثما صلوا ودعوا وقال بعض السلف دخلت ديرا فجاء وقت الصلاة فقلت لبعض من في الدير دلني على بقعة طاهرة أصلي فيها فقال لي طهر قلبك عمن سواه وقف حيث شئت قال فدخلت منه وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه نزلت في يهود أهل المدينة حيث قالوا عزيرا بن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح بن الله وفي مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه نزه وعظم نفسه بل له ما في السماوات والأرض عبيدا وملكا كل له قانتون مجاهد وعطاء والسدي مطيعون دليله قوله تعالى والقانتين والقانتات عكرمة ومقاتل ويमान مقرون بالعبودية ابن كيسان قائمون بالشهادة وأصل القنوت القيام وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل قال طول القنوت وقيل مصلون دليله قوله أمن هو قانت آناء الليل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المجاهد في سبيل الله مثل القانت الصائم أي المصلي وقيل داعون دليله قوله تعالى قوموا لله قانتين

واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين أحدهما هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة وهو قول مقاتل ويمان القول الثاني قالوا هو راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين وهذا قول ابن عباس والفراء وقال بعضهم هو عام في جميع الخلق ثم سلكوا في الكفار الجاحدين طريقين أحدهما إن ظلالهم تسجد لله وتطيعه وهذا قول مجاهد دليله قوله عز وجل يتفيئوا ظلاله عن اليمين الآية قال الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والثاني هذا يوم القيامة قاله السدي وتصديقه قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم بديع السماوات والأرض أي مبتدعها ومنشأها من غير مثال سبق وإذا قضى أمرا أي بيده وأراد خلقه وأصل القضاء إتمام الشيء وإحكامه قال أبو ذؤيب وعليهما مسرودتان قضاهما داود أوصع السوايح تبع

(1/190)

---

فإنما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولن أتبعن أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يابنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل اذكروا نعمتى التى صلى الله عليه وسلم أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون وقال الذين لا يعلمون يعني اليهود قاله ابن عباس مجاهد هم النصارى قتادة هم مشركو العرب لولا هلا يكلمنا الله عيانا بأنك رسوله أو تأتينا آية دلالة وعلامة على صدقك قال الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم أي كفار الأمم الخالية مثل قولهم تشابهت قلوبهم أشبه بعضها بعضا في الكفر والفرقة والقسوة قد بينا الآيات لقوم يوقنون إنا أرسلناك يا محمد بالحق بالصدق من قولهم فلان محق في دعواه إذا كان صادقا دليله قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو أي صدق مقاتل معناه لن نرسلك عبثا بغير شيء بل أرسلناك بالحق دليله قوله تعالى وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وهو ضد الباطل ابن عباس بالقرآن دليله قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم ابن كيسان بالاسلام دليله قوله عز وجل وقل جاء الحق وزهق الباطل بشيرا مبشرا لأولياي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ونذيرا منذرا مخوفا لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم ولا تسأل عن أصحاب الجحيم عطاء وابن عباس وذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية

(1/191)

---

وقال مقاتل هو إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أنزل الله بأسه باليهود لأمنوا فأنزل الله تعالى ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وفيه قراءتان بالجزم

على النهي وهي قراءة نافع وشيبة والأعرج ويعقوب ووجهها القول الأول في سبب نزول الآية وقرأ الباكون بالرفع على النفي يعني ولست بمسؤول عنهم دليلها قراءة ابن مسعود ولن تسأل وقراءة أبي وما نسألك عن أصحاب الجحيم ولا تؤخذ بذنبهم والجحيم وهو الجحيم والجحمة معظم النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك إنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه ويرون إنه إن هادتهم إتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس هذا في القبلة وذلك إن يهود أهل المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع دينهم وقبيلتهم وزعم الزجاج إن الملة مأخوذة من التأثير في الشيء كما تؤثر الملة في الموضوع الذي يختبئ فيه ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم البيان بأن دين الله هو الإسلام وقبيلة إبراهيم ج هي الكعبة مالك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلاً وإثنا وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه وسعية بن عمرو وبمام بن يهودا وأسيد وأسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا قتادة وعكرمة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المؤمنون عامة يتلونهم حق تلاوته الكلبي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس وعلى هذا القول الهاء راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون هي عائدة إلى الكتاب ثم اختلفوا في

(1/192)

معنى قوله يتلونهم حق تلاوته سعيد عن قتادة قال بلغنا عن ابن مسعود في قوله يتلونهم حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرأونه كما أنزل ولا يحرفونه عن مواضعه وقال الحسن يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلمون علم ما أشكل عليهم منه إلى عالمه مجاهد يتبعونه حق اتباعه أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون إلى قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم قرأ أبو الشعثا جابر بن زيد إبراهيم ربه إبراهيم رفعا وره نصبا على معنى سأل

ودعا فقيلا له ومن اين لك هذا فقال اقرأنيه ابن عباس وهذا غير قوي لأجل الباء في قوله بكلمات وقرأ الباقون بالنصب وجعلوا معنى الأبتلاء الاختيار والامتحان في الأمر وهو الصحيح وفي إبراهيم أربع لغات قرأ ابن الزبير ابرهام بألف واحد بين الهاء والميم وقرأ أبو بكر إبراهيم وكان زيد بن عمر يقول في صلاته إني عدت بما عاذ به إبراهيم إذ قال إني لك اللهم عان راغم وقرأ عبد الله بن

(1/193)

---

عامر اليحصبي ابراهام بألفين وقرأ الباقون إبراهيم قال يحيى بن سعيد الأنصاري أقرأ ابراهام وابراهيم فان الله عز وجل أنزلهما كما أنزل يعقوب واسرائيل وعيسى والمسيح ومحمدا وأحمد الربيع ابن عامر مصحفة مكتوب في مصاحف أهل الشام إبراهيم بالألف وفي غيرها بالياء وإبراهيم إسم أعجمي ولذلك لا يجري وهو إبراهيم بن نازح بن ناحور بن ساروخ بن ارخوا بن فالغ بن منابر بن الشالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فاختلفوا في مسكنه فقال بعضهم كان بكشكر وقال قوم حران ولكن أباه نقله إلى بابل أرض نمرود بن كنعان

(1/194)

---

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى إبراهيم ج عن ابن عباس هي ثلاثون سهما وهي شرائع الأسلام ولم يتل أحد بهذا الدين كله فأقامه كله إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فآتمهن فكتب له البراءة فقال وإبراهيم الذي وفي وهي عشرة في براءة التائبون العابدون الآية وعشرة في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في المؤمنين وسأل سائل قد أفلح المؤمنون وقوله إلا المصلين وروى طاووس عن ابن عباس قال ابتلاه بعشرة أشياء هي من الفطرة والطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد فالتى في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس والتي في الجسد تقليم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء مجاهد هي الآيات التي في قوله قال إني جاعلك للناس إماما إلى آخر القصة الربيع وقتادة مناسك الحج الحسن ابتلاه بسبعة أشياء ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن في ذلك وعلم أن ربه دائم لا يزول وابتلاه بالنار فصبر على ذلك وابتلاه بذبح ابنه فصبر على ذلك وبالختان فصبر على ذلك وبالهجرة فصبر عليه سعيد بن جبير هي قول إبراهيم وإسماعيل حين يرفعان البيت ربنا تقبل منا فرفعاه بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يمان هي محاجة قومه قال الله وحاجه قومه إلى قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه أبو روق هي قولهج الذي خلقتني فهو يهدين الآيات وقال بعضهم هي إن الله ابتلاه في ماله وولده ونفسه فسلم ماله إلى الضيفان وولده إلى القربان ونفسه إلى النيران وقلبه إلى الرحمن فاتخذه خليلا وقيل هي سهام الأسلام وهي عشرة شهادة أن لا اله إلا الله وهي الملة والصلاة وهي القنطرة قال والزكاة وهي الطهارة والصوم وهو الجنة والحج وهو الشريعة والغزو وهو النصره والطاعة

وهي العصمة والجماعة وهي الألفة والأمر بالمعروف وهو الوفاء والنهي عن المنكر وهو الحجة فأتهمهن قال قتادة أدهن

(1/195)

---

الربيع وفي بهن الضحاك أيماهن يمان عمل بهن قال الله إنني جاعلك يا إبراهيم للناس إماما ليقتدي بك وأصله من الأم وهو القصد قال إبراهيم ومن ذريتي ومن أولادي أيضا فاجعل أئمة يقتدى بهم وأصل الذرية الأولاد الصغار مشتق من الذر لكثيرته وقيل من الذر وهو الخلق فخفف الهمز وأدخل التشديد عوضا عن الهمز كالبرية قيل من الذرو وفيها ثلاث لغات ذرية بكسر الذال وهي قراءة زيد بن ثابت وذرية بفتحها وهي قراءة أبي جعفر وذرية بضمها وهي قراءة العامة قال الله لا ينال أي لا يصيب عهدي الظالمين وفيه ثلاث قراءات عهدي الظالمون وهي قراءة ابن مسعود وطلحة ابن مصرف وعهدي الظالمين مرتجلة الياء وهي قراءة أبي رجاء والأعمش وحمزة وعهدي الظالمين بفتح الياء وهي قراءة العامة واختلفوا في هذا العهد فقال عطاء بن أبي رباح رحمتي الضحاك طاعتي دليله قوله وأوفوا بعهدي أوفي بعهدكم السدي التوفي دليله قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه مجاهد ليس الظالم أن يطاع في ظلمه أبو حذيفة أمانتي دليله قوله وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم أبو عبيد أمانتي دليله قوله فأتوموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل إيماني دليله عز وجل ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان وإذ جعلنا البيت يعني الكعبة مثابة مرجعا والمثاب والمثابة واحد كالمقام والمقامة قال ابن عباس يعني معاذًا وملجأ مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك يثبون إليه من كل جانب ويحجون ولا يملون منه فما من أحد قصده إلا وهو يتمنى العود إليه

(1/196)

---

قتادة وعكرمة مجمعا وقرأ طلحة بن مصرف مثابات على الجمع للناس وأمنا مأمنا يأمنون فيه قال ابن عباس فمن أحدث حدثا خارج الحرم ثم التجأ إلى الحرم أمن من أن يهاج فيه ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع ويوكل به فاذا خرج منه أقيم عليه الحد ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد فيه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قرأ شيبه وابن عامر ونافع والأعرج والحسن وابن أبي إسحاق وسلام واتخذوا بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقر بالكسر على الأمر قال ابن كيسان ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم قال بلى قال أفلا نتخذة مصلى قال لم أوامر بذلك فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقني ربي في ثلاث قلت لو أتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو حجت أمهات المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستنفرتهن فجعلت أقول لهن لتكفن عن رسول الله أو استبدلته أزواجا



خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين وقالت أم سلمة يا عمر أما في رسول الله ما يغبط نساءه حتى يعظهن مثلك وأمسكت فأنزل الله تعالى عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات الآيات واختلفوا في معنى قوله من مقام إبراهيم قال إبراهيم النخعي الحرم كله مقام إبراهيم يمان المسجد كله مقام إبراهيم قتادة ومقاتل والسدي هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله وأما قصته وبدء أمره فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة وليث على ذلك مدة ونزلها الجوهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر فاستأذن

(1/197)

---

إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لأمرأته أين صاحبك قال ليس هاهنا ذهب للصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها إبراهيم هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي ولا عندي أحد قال إبراهيم إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب إبراهيم فجاء إسماعيل ووجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت جاءني شيخ صفته كذا كالمستخفة بصفته قال فما قال لك قالت قال لي أقرئي زوجك مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فليث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل وجاء إبراهيم حتى أتى إلى بيت إسماعيل فقال إبراهيم لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فأنزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أرض الله برا وشعيرا وتمرا وقالت له إنزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاء بالمقام فوضعت تحت شقه الأيمن فوضع قدمه عليه وغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيسر فقال لها إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس شيها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها ذلك إبراهيم وقال أنس بن مالك رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير إنه أذهبه مسح الناس بأيديهم نافع بن شيبه يقول سمعت عبدالله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاء ما

(1/198)

---

بين المشرق والمغرب عهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أي أمرناهما وأوصينا  
اليهما  
أن طهرا بيتي الكعبة أي إبنياه على الطهارة والتوحيد وقال سعيد بن جبير  
وعبيد بن عمر وعطاء ومقاتل طهرا بيتي من الأوثان والريب وقول الزور  
وسمع عمر رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال ما هذا أتدري أين  
أنت الأوزاعي عن عهدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش قال سمعت حذيفة بن  
اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أوحى إلي يا أخ  
المرسلين يا أخا المنذرين إنذر قومك ألا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة  
والسن صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد عندهم  
مظلمة فإني ألغنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلمة إلى أهلها  
فأكون سمعه الذي يسمع به وأكون بصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي  
وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال  
يمان بن رثاب معناه بخراه وخلقه مكحول عن معاذ بن جبل عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال جنبوا مساجدكم غلمانكم يعني صبيانكم ومجانينكم  
وسل سيوفكم ورفع أصواتكم وحدودكم وخصومكم وبيعتكم وشراءكم  
وحمروها يوم جمعتكم واجعلوا على أبوابها بظاهركم وقرأ الحسن وابن أبي  
إسحاق وجعفر وأهل المدينة بيتي بفتح الياء وقرأ الآخرون باسكانه وإضافته  
تعالى إلى نفسه سبحانه تخصيصا وتفضيلا للطائفتين حوله وهم النزاح إليه من  
آفاق الأرض والعاكفين أي المقيمين فيه وهم سكان الحرم والركع جمع الركع  
السجود جمع الساجد مثل قاعد وقعود قال عطاء إذا كان طائفا فهو من  
الطائفتين وإذا كان جالسا فهو من العاكفين وإذا كان مصليا فهو من الركع  
السجود الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إن في كل يوم ولية عشيرين ومائة رحمة ينزل على هذا  
البيت فستون للطائفتين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين

(1/199)

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا يعني مكة أو الحرم بلدا آمنا أي مأمونا فيه يأمن  
أهله وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال الأخفش  
من آمن بدل من أهله على البيان كما يقال أخذت المال ثلثيه ورأيت القوم  
ناسا منهم وهذا إبدال البعض من الكل كقوله ولله علي الناس حج البيت من  
استطاع إليه سبيلا قال الله ومن كفر فأمته قليلا فسأرزقه الى منتهى أجله  
لأنه تعالى وعد الرزق للخلق كافة كافرهم ومؤمنهم وقيد بالقللة لأن متاع الدنيا  
قليل قرأ معاوية وابن عامر فأمته بضم الألف وجزم الميم خفيفة وقرأ أبي  
فأمته قليلا ثم نضطره بالنون ثم أضطره موصولة الألف مفتوحة الراء على  
عهد الدعاء من إبراهيم وقرأ الباقر فأمته بضم الألف مشددة ثم اضطره  
على الخبر أي الجنة في الآخرة إلى عذاب النار وبئس المصير أي المرجع تصير  
إليه وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل روي الرواة من أسانيد  
مختلفة في بناء الكعبة جمعت حديثهم ونسبته ليكون أحسن في المنطق  
وأقرب إلى الفهم قالوا خلق الله عز وجل موضع البيت قبل الأرض بألفي عام  
فكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله عز وجل  
آدم إلى الأرض كان رأسه يمس السماء حتى صلغ وأورث أولاده الصلغ ونفرت

من طوله دواب الأرض فصارت وحشا من يومئذ وكان يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسييحهم يأنس إليهم فهاتته الملائكة واشتكت نفسه فنقصه الله عز وجل إلى ستين ذراعا بذراعه فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسييحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله عز وجل فأنزل الله ياقوتة من يواقيت الجنة الكلام مقطوع له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فأنزل الله فيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت إلى الآن ثم قال يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي فأنزل عليه الحجر فمسح به دموعه وكان أبيض فلما لمستته الحيض في الجاهلية أسود وقال

(1/200)

---

النبى صلى الله عليه وسلم إنما الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدلّه على البيت قيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال فأى شيء كان يحمله فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام وكل موضع وضع عليه قدمه عمران وما تعداه مفاوز وقفار فأتى مكة وحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه فهذا بدء أمر الكعبة فكانت على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وبعث الله جبرائيل حتى خبا الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة عن الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت له يعبد ويذكر فيه فلم يدر إبراهيم أين خبيء فسأل الله تعالى أن يبين له موضعه فبعث الله إليه السكينة ليده على موضع البيت وهي ريح جموح لها رأسان شبه الحية فتبعها إبراهيم إلى أن أتيا مكة فطوق الله السكينة على موضع البيت كتطويق الحية الحجفة وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبناه وهذا قول علي والحسن بن أبي الحسن وقال ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلمات إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت ونودي أن يا إبراهيم إني على ظلها لا يزد ولا تنقص فبنى بخيالها وقال بعضهم أرسل الله جبرائيل ليده على موضع فذلك قوله وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت جعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة قال الثعلبي سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن أحمد القطان البلخي وكان عالما

(1/201)

---

بالقرآن يقول كان إبراهيم يفهم بالسريانية وإسماعيل بالعربية وكل واحد منهما يعرف ما يقول صديقه وما يمكن التفوه به وكان إبراهيم يقول لإسماعيل

هبلني كنيا يعني ناولني الحجر ويقول إسماعيل هاك الحجر خذه قالوا فبقي موضع الحجر فذهب إسماعيل إليه فجاء جبرئيل بحجر من السماء فأتى إسماعيل وقد ركب إبراهيم الحجر في موضعه فقال له من أتاك بهذا فقال أتاني به من لم يتكل على بناءك فأقاما البيت فذلك قوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت قال ابن عباس يعني أصول البيت التي كانت قبل ذلك

(1/202)

---

الكلبي وأبو عبيدة أساسه واحده قاعدة فبنايه من خمسة أجبل طور سينا وطور سينا والجودي وبنا قواعد من حراء فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل جئني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال له جئني بحجر أحسن من هذا فمضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود ووضع مكانه وقيل إن الله تعالى مد لإبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما على بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالوا ربنا تقبل أي تقبل منا بناءنا البيت إنك أنت السميع العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين موحدين مطيعين مخلصين لك وقرأ عون بن أبي جميلة مسلمين بكسر الميم على الجمع ومن ذريتنا أولادنا أمة مسلمة وأرنا علمنا نظيره قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله أي علمك الله وفيه أربع قراءات عبد الله بن مسعود وأرهم مناسكهم رده إلى الأمة وقرأ عمر بن عبدالعزيز وقتادة وابن كثير ورويس بسكون الراء كل القرآن وقرأ أبو عمرو باختلاس كسره للواو وقرأ الباقون بكسر الراء والأصل فيها أرانا بالهمز فحذفت استخفافا فمن قرأ بالجزم قال ذهبت الهمزة وذهبت حركتها وبقيت الراء ساكنة على حالها واستدل بقول السدي أرنا أداة عبدالله نملأها من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا ومن كسر فإنه نقل حركة الهمزة المحذوفة إلى الراء وأما أبو عمرو فطلب الخفة وأخبر القاسم بن سلام عن شجاع بن أبي نصر قال وكان أمينا صدوقا إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فذكره أشياء من حرف أبي عمرو فلم يرد عليه إلا حرفين أحدهما هذا والآخر ما ننسخ من آية أو ننسأها مهموزة مناسكنا شرائع ديننا وإعلام حجتنا وقال مجاهد مذابحنا والنسك الذبيحة وأصل النسك العبادة يقال للعابد ناسك قال

(1/203)

---

الشاعر وقد كنت مستورا كثير تنسك فهتكت أستاري ولم يبق لي نسكا فأجاب الله دعاءهما وبعث جبرئيل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال لإبراهيم عرفت يا إبراهيم قال نعم فسمي الوقت عرفه والموضع عرفات وتب علينا تجاوز عنا وارجع علينا بالرفقة والرحمة إنك أنت التواب المتجاوز الرجاء بالرحمة على عبادك الرحيم ربنا وابعث فيهم أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل وقيل في أهل مكة رسولا أي مرسلا وهو فعول من الرسالة وقال ابن الأنباري يشبه أن يكون أصله من قولهم ناقة مرسال ورسله إذا كانت سهلة السير ماضية أمام النواق ويقال للجماعة المهملة المرسلة رسل وجمعه أرسال ويقال جاء القوم أرسالا أي بعضهم في أثر بعض ومنه قيل

للبن رسلا لأنه يرسل من الضرع يتلوا يقرأ عليهم آياتك كتابك جمع الآية وهي العلامة وقيل الآية جماعة الحروف وقال الشيباني هي قولهم خرج القوم بما فيهم أي بجماعتهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقال بعضهم الآية هاهنا الكتاب فنسق عليه خلاف اللفظين كقول الحطيئة ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند تفصيل أتى من دونها النأي والبعد مجاهد يعني الحكمة فهم القرآن مقاتل هي مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام وبيان الحلال والحرام ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وعن أبي بكر محمد بن الحسن البريدي كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى

(1/204)

---

مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الحكمة كل صواب من القول ورث فعلا صحيحا أو حالا صحيحا يحيى بن معاذ الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتى يروح عنها وهج الدنيا وقيل هي وضع الأشياء مواضعها وقيل الحكمة والحكم كلما وجب عليك فعله قال الشاعر قد قلت قولاً لم يعنف قائله الصمت حكم وقليل فاعله أي واجب العمل بالصمت وقيل هي الشرك والذنوب وقيل أخذ زكاة أموالهم وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا الأنبياء بالبلاغ دليله قوله تعالى كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا إنك أنت العزيز العزيز المننقم ممن يشاء بيانه قوله والله عزيز ذو انتقام الكسائي العزيز الغالب بيانه قوله وعزني في الخطاب أي غلبنى وقيل في المثل من عزيز ابن كيسان العزيز الذي لا يعجزه شيء بيانه قوله وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض المفضل بن سلمة العزيز المنيع الذي لا تناله الأيدي فلا يرد له أمر ولا يغلب فيما أراد بيانه قوله إن ربك فعال لما يريد

(1/205)

---

وقيل بمعنى المعز فعيل بمعنى مفعول بيانه قوله وتعز من تشاء وقيل هو القوي بيانه قوله فعززنا بثالث أي قوينا فأصل العزة في اللغة الشدة يقال تعزز لحم الناقة إذا اشتد ويقال عز علي أي شق علي وأشتد وأنشد أبو عمرو أجد إذا ضمرت تعزز لحمها وإذا نشد بتسعها لا تئس فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث فيهم محمدا سيد الأنبياء ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمجدل في طينة وسوف أنبئكم بذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام قومه ورؤيا أمي التي رأت إنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمهات النبيين سعيد بن سويد عن العرياض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه الآية وذلك إن عبد الله بن سلام دعا إبني أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما قد علمتما إن الله عز وجل قال في التوراة إنني باعث من ولد إسماعيل نبيا إسمه

أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجرا أن يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإلاه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلاها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه أي يترك دينه وشريعته يقال يرغب في الشيء إذا أردته ورغبت عنه إذا تركته وأصل الرغبة رفع الهممة عن الشيء وإليه يقال رغبت فلان في فلان وإليه إذا همت نفسه إليه والأصل فيه الكرة فمعنى قوله تعالى ومن يرغب عن

(1/206)

---

ملة إبراهيم أي يرفع همته عنها إلا من سفه نفسه قال ابن عباس حير نفسه حيان عن الكلبي ظل من جهة نفسه أبو روق عجز رأيه عن نفسه يمان حمق رأيه ونفسه منصوب في هذه الأقاويل بنزع حرف الصفة وقال الفراء نصب على التفسير والأصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا معناه ضاق ذرعي به ويقال ألم زيد رأسه ووجع بطنه وقال أبو عبيدة سفه نفسه أي أوبق نفسه وأهلكها هشام وابن كيسان جهل نفسه وحكى المفضل بن سلمة عن بعضهم سفه حقر نفسه والنفس على هذه الأقوال نصب لوقوع الفعل عليه وهذا كما جاء في الخبر من عرف نفسه فقد عرف ربه وأصل السفه والسفاهة الخفة والجهل وضعف الرأي يقال سفه يسفه وسفه يسفه ولقد اصطفيناه اخترناه في الدنيا وأصل الطاء فيه تاء حولت طاء لقرب مخرجيها ولتطوع اللسان به وإنه في الآخرة لمن الصالحين الفائزين قال الزجاج وقال ابن عباس يعني مع آباءه الأنبياء في الجنة بيانه قوله خطابه عن يوسف توفني مسلما وألحقني بالصالحين وقال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديرها لقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة بأنه لمن الصالحين نظيرها في سورة النحل إذ قال له ربه أسلم أي استقم على الإسلام أو أثبت عليه لأنه كان مسلما كقوله تعالى فاعلم إنه لا إله إلا الله أي أثبت علي علمك وقال ابن عباس إنما قال له ذلك حين ألقى في النار وعن ابن كيسان أخلص دينك لله بالتوحيد عطاء أسلم نفسك إلى الله وفوض أمورك لله وقيل إخضع وإخضع

(1/207)

---

قال أسلمت لرب العالمين ووصى في مصحف عبد الله فوصي وقال أهل المدينة والشام وأوصى بالألف وكذلك هو في مصاحفهم قال أبو عبيد وكذلك رأيت في مصحف عثمان وقرأ الباقرن ووصى مشددا وهما لغتان يقال أوصيته

قد وصيته به إذا أمرته به مثل أنزل ونزل قال الله فمهل الكافرين أمهلهم رويدا وتصديق الأيضاء قوله يوصيكم الله وقوله يوصين ودليل التوصية قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقوله فلا يستطيعون توصية الكلبي ومقاتل يعني كلمة الأحاد لا إله إلا الله وقال أبو عبيدة إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم وأن شئت رددتها إلى الوصية وقال المفضل بالطاعة كناية عن غير مذكور كقوله حتى توارت بالحجاب وقال طرفة على مثلها الحواء إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك عنها وافندي أي من الفلاة بها إبراهيم بنيه التمنية إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة ومدين و سراين ونقشان وآتون ويشبق وشوخ وأمهم جميعا قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة وقوله تعالى ويعقوب وسمي بذلك لأنه والعيص كإنا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره فأخذ يعقوبه قاله ابن عباس وقد مضت القصة وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وعن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل ومعنى الآية ووصى بها أيضا ويعقوب بنيه الأثني عشر وهم روفيل أكبر ولده وشمعون ولاوي وهودا وفرالون وسجر ودان ومفتالي وجاد واشرب وبوسف وابن يافين

(1/208)

---

يا بني معناه أن يا بني وكذلك في قراءة أبي وابن مسعود وقال الفراء إنما قال ذلك لأن الوصية قول وكان تقديره وقال يا بني كقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم أي وقال لهم لأن العبرة بالقول وقال يوصيكم الله في أولادكم للذكر معناه ويقول للذكر مثل حظ الأنثيين وقال الشاعر إنني سأبدي لك فيما أبدي من شجنان شجن نجد وشجن لي ببلاد الهند أي وأقول لأن الإبداء في المعنى كالقول باللسان وحكى ابن مجاهد عن بعضهم ويعقوب أيضا نسقا على بنيه لأنه في جملة الموصين إن الله إصطفى لكم الدين اختار لكم الإسلام فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون وعن الفضيل ابن عياض في قوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي محسنون بربكم الظن أم كنتم شهداء حضورا إذ حضر يعقوب الموت الآية نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية وعلى هذا القول بن الخطاب لليهود وقال الكلبي لما دخل يعقوب مصر راهم يعبدون الأوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قال عطاء إن الله لم يقبض نيبا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي أي من بعد موتي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم الآية وقرأ أبي إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل وقرأ يحيى بن يعمر الجحدري وإله أبيك على الواحد قالوا لأن إسماعيل عم يعقوب لا أبوه وقرأ العامة آبائك على الجمع وقالوا عم الرجل صنو أبيه

(1/209)

---

قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا بقية آبائي وقال أيضا ردوا علي أبي فإني أخشى أن يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود يعني العباس والعرب تسمى العم أبا وتسمى الخالة أما قال الله تعالى ورفع أبويه على العرش يعني يعقوب وليا وهي خالة يوسف إليها واحدا أي نعرفه ونعبده إليها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة جماعة قد خلت لها ما كسبت من الدين والعمل ولكم ما كسبتم منها ولا تسئلون عما كانوا يعملون وإنما تسألون عما تعملون أنتم وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا صلى الله عليه وسلم إءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن إءامنوا بمثل ما إءامنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت فى رؤوس يهود أهل المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن المصيف وهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفى نصارى أهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك إنهم خاصموا المسلمين فى الدين كل فرقة تزعم إنها أحق بدين الله من غيرها فقالت اليهود ديننا خير الأديان ونبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وكفرت بعيسى والأنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الأنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك دعوهم إلى دينهم إلا الحنيفية فقال الله تعالى قل يا محمد بل ملة أي بل نتبع ملة إبراهيم وقرأ الأعرج بل ملة رفعا على الخبر حنيفا نصب على القطع أراد بل ملة إبراهيم الحنيف فلما اسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب قاله نحاة الكوفة وقال أهل البصرة نصب

(1/210)

---

على الحال قال ابن عباس الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وأصلها من الحنف وهو ميل وعوج فى القدم ومنه سمي أحنف بن قيس مقاتل مخلصا كثير بن زياد قال سألت الحسن عن الحنيفية فقال هي حج هذا البيت الضحاك إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج وإذا لم يكن فهو المسلم قتادة من الحنيفية الختان وترك نكاح الأخت وما كان من المشركين علم المسلمين مجرى التوحيد وطريق الأيمان فقال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا يعني القرآن وما أنزل إلي إبراهيم وهو عشر صحف وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط يعني أولاد يعقوب واحدهم سبط سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وعن أبي سعيد الضرير إن أصل السبط فى اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان فسمي الأسباط بها لكثرتهم فكما إن الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب



وكان في الأسباط أنبياء وكذلك قال وما أنزل إليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء وما أوتي موسى يعني التوراة وعيسى الانجيل وما أوتي أعطي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم علي اليهود والنصارى وقال إن الله أمرني بهذا فلما سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا به وكفرت النصارى وقالوا لأن عيسى ليس بمنزلة سائر الأنبياء ولكنه ابن الله فأنزل الله تعالى فإن آمنوا يعني اليهود النصارى بمثل ما آمنتم به أي بجميع ما آمنتم كمايمانكم وقيل مثل صلة أي بما آمنتم به وهكذا كان يقرأها ابن عباس ويقول إقرأوا فإن آمنوا بما آمنتم به فليس لله مثل ونظيره قوله وليس كمثلته شيء أي كهو قال الشاعر يا عاذلي دعني من عدلكا مثلي لا يقبل من مثلكا أي

(1/211)

---

أنا لا أقبل منك فقد اهدتوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق قال ابن عباس وعطاء والأخفش في خلاف يقال شاق يشاق مشاقا إذا خالف كان كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه دليله قوله لا يجرمنكم شقاقي أي خلافي وأنشد فكان إليها والذي إصطاد بكرها شقاقا وبعضهن أو لطم وأهجرا وقال ابن سلمة والسدي في عداوة كان كل واحد منهما أخذ في شق صاحبه أي في جهده وما يشق عليه من قوله إلا بشق الأنفس دليله قوله ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي عادوا الله ورسوله قال بشر بن أبي حازم وإلا فاعلموا انا وأنتم بغاة ما حيينا في شقاق أي في عداوة مقاتل وأبو عبيدة في ضلال واختلاف بيانه قوله وإن خفتم شقاق بينهما أي اختلاف بينهما قال الشاعر إلى كم نقتل العلماء قسرا ونفجر بالشقاق وبالنفاق أي بالضلال والاختلاف الكسائي هي خلع الطاعة بيانه قوله ومن يشاق الرسول الحسن في بعاد وفراق إلى يوم القيامة فسيكفيهم الله يا محمد يعني اليهود والنصارى وهو السميع لأقوالهم العليم بأحوالهم وكفاهم الله تعالى أمرهم بالقتل والسبي في بني قريظة والجلاء والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران

(1/212)

---

صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتجآوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون صبغة الله قال أبو العالية دين الله مجاهد الإسلام ابن عباس هي إن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد وأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم يقال له المعبودي وصبغوه به ليظهوره بذلك مكان الختان وإذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله تعالى إن دينه الإسلام لا ما يفعل

النصارى ابن كيسان صبغة الله وجهة الله يعني القبلة قال ويقال حجة الله التي احتج بها على عباده أبو عبيدة والزجاج خلقة الله من صبغت الثوب إذا غيرت لونه وخلقته فيكون المعنى إن الله أبتدأ الخلقة على الإسلام دليله قول مقاتل في هذه الآية فطرة الله التي فطر الناس عليها أي دين الله ويوضحه ما روى همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود إلا وهو على هذه الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء فهل تجدون فيها من جدعا حتى تكون الأم تجدونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير

(1/213)

---

قال الله أعلم بما كانوا عاملين أبو عبيدة سنة الله وقيل هو الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم وفي الخبر الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وهي نصب على الاغراء تقديره اتبعوا وألزموا صبغة الله وقال الأخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم ومن أحسن من الله صبغة دينا ونحن له عابدون مطيعون قل يا محمد لليهود والنصارى أتجاجوننا أتجادلوننا وتخاصموننا وقرأ الأعمش والحسن وابن محيصن بنون واحدة مشددة وقرأ الباقر بنونين خفيفتين إتباعا للخط في الله في دين الله وذلك بأن قالوا يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم مقاتل والكلبي لنا ديننا ولكم دينكم ونحن له مخلصون موحدون وهذه الآية منسوخة بأية السيف فصل في معنى الإخلاص سئل الحسن عن الإخلاص ما هو فقال سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو قال سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي وعن أبي أدريس الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمده على شيء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يرأى بعمله أحدا محمد بن عبد ربه قال سمعت الفضيل يقول ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من

(1/214)

---

أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقال يحيى بن معاذ الإخلاص تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين الفرث والدم أبو الحسن البوشجي هو ما لا يكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الإنسان رؤيم هو ارتفاع رؤيتك من الظل وقيل ما يرى به الحق ويقصد به الصدق وقيل ما لا يشوبه الآفات ولا تتبعه رخص التأويلات وقيل ما استتر من الخلائق واستصفي من العلائق حذيفة الإخلاص هو أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن أبو يعقوب المكفوف أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته سهل بن عبد الله الأبرائي عن أحمد بن أبي الجماري قال سمعت أبا سليمان يقول للمرائي ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثنى عليه أم تقولون قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بالتاء واختاره أبو

عبيد وقرأ الباقون بالياء واختاره أبو حاتم فمن قرأ بالتاء فاللمخاطبة التي قبلها قل أتجاجوننا في الله والتي بعدها قل ءأنتم أعلم أم الله ومن قرأ بالياء فهو أخبار عن اليهود والنصارى إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قال الله قل يا محمد ءأنتم أعلم بدينهم أم الله وقد أخبرني الله إنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن أظلم ممن كتم أخفى شهادة من عند الله وهو علمهم إن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حق ورسول وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت الآية سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم سيقول السفهاء الجهال

(1/215)

---

من الناس ما ولاهم صرفهم وحولهم عن قبلتهم التي كانوا عليها من بيت المقدس نزلت في اليهود ومشركي العرب بمكة ومناقفي المدينة طعنوا في تحويل القبلة وقال مشركوا مكة قد تردد على محمد أمره واشتاق إلى مولده ومولد آباءه قد توجه نحو قبلتكم وهو راجع إلى دينكم عاجلا قال الله قل لله المشرق والمغرب ملكا والخلق عبيده يحولهم كيف شاء يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا عدلا خيارا تقول العرب إنزل وسط الوادي أي تخير موضعا فيه ويقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسط قريش نسبا أي خيرهم قال الله تعالى وقال أوسطهم أي أخيرهم وأعدلهم وأصله هو أن خير الأشياء أوسطها قال زهير هم وسط ترضى الأنام لحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم وقال الكلبي يعني متوسطة أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين قال ثعلب يقال جلس وسط القوم ووسط الدار وكذلك فيما يحتمل البيونة واحتمل وسطا له بالفتح وكذلك فيما لا يحتمل البيونة نزلت هذه الآية في مرحب وربيع وأصحابهما من رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدا وإن قبلتنا قبلة الأنبياء ولقد علم محمد إنا عدل بين الناس فقال معاذ إنا على حق وعدل فأنزل الله وكذلك أي وهكذا وقيل الكاف فيه للتشبيه تقديره وكما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك جعلناكم أمة وسطا مردودة على قوله ولقد اصطفينا في الدنيا الآية لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة أن الرسل قد أبلغتهم ويكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا معدلا مزكيا لكم وذلك إن الله تعالى جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينقذهم البصر ثم يقول كفار الأمم ألم ياتكم نذير فتشكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الأنبياء عن ذلك فيقولون قد كذبوا قد بلغناهم وأعدرنا إليهم فيسألهم البينة وهو أعلم بأقامة الحجة فيوتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم إنهم قد بلغوا

(1/216)

---

فتقول الأمم الماضية من أين علموا بذلك وبيننا وبينهم مدة مريدة فيقولون علمنا ذلك باخبار الله أيانا في كتابه الناطق على لسان رسوله الصادق فيؤتى محمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكهم ويشهد لصدقهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها يعني التحويل عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وقيل معناه القبلة التي أنت عليها أي الكعبة كقوله كنتم خير أمة أي أنتم إلا لنعلم لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فيرتد ويرجع إلى قبلته الأولى هذا قول المفسرين وقال أهل المعاني معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق ذلك في علمه إن تحويل القبلة سبب هداية قوم وضلالة آخرين وقد تضع العرب لفظ الاستقبال موضع الماضي كقوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أي قتلتم وأنزل بعض أهل اللغة للعلم منزلتين علما بالشيء قبل وجوده وعلما به بعد وجوده والحكم للعلم الموجود لأنه يوجب الثواب والعقاب فمعنى قوله لنعلم أي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب وهذا على معنى التقدير كرجل قال لصاحبه النار تحرق الحطب وقال الآخر لا فرد عليه هات النار والحطب ليعلم إنها تحرقه أي ليتقرر علم ذلك عندك وقوله لنعلم تقديره ليتقرر علمنا عندكم وقيل معناه ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم فأضاف علمه ج إلى نفسه سبحانه تخصيصا وتفصيلا كقوله إن الذين يؤذون الله وقوله فلما أسفونا إنتقمنا ونحوهما وإن كانت وقد كانت توليه القبلة وتحويلها فأنث الفعل لتأنيث الإسم كقولهم ذهب بعض أصابعه وقيل هذه الكناية راجعة إلى القبلة بعينها أراد وإن كانت الكعبة لكعبة شديدة إلا على الذين هدى الله أي هداهم الله وقال سيويه وإن تأكيد منه باليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها وما كان الله ليضيع إيمانكم وذلك إن يحيى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس أكانت هدى أم ضلالة فإن

(1/217)

---

كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة لقد دنتم الله بها فإن من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة قال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله تعالى به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان مات قبل أن تحول القبلة أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ومات رجال آخرون فانطلقت عشائهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس إن الله بالناس لرؤوف رحيم وفي رؤوف ثلاث قراءات مهموز مثقل وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص واختيار أبو حاتم قال لأن أكثر أسماء الله على فعول وفعيل قال الشاعر نطيع رسولنا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤوفا ورؤف غير مهموز مثقل قراءة أبي جعفر ورؤف مهموز مخفف وهي قراءة الباقيين واختيار أبي عبيد قال جرير ترى للمسلمين

عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم فالرأفة أشد الرحمة قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قد نرى تقلب وجهك في السماء إن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة وذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقدمها لليلتين خليا من شهر ربيع الأول

(1/218)

---

أمره تعالى أن يصلي نحو الصخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة هذا قول عامة المفسرين  
وقال عبد الرحمن بن زيد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فأينما تولوا فثم وجه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله فلو أنا استقبلناه فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم قالوا جميعا صلى النبي وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا وكانت الأنصار قد صلت إلى بيت المقدس سنتين قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الكعبة أحب القبليتين إلى النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا في السبب الذي كان صلى الله عليه وسلم يكره من أجله قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة فقال ابن عباس لأنها كانت قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مجاهد من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا مقاتل بن حيان لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي نحو بيت المقدس قالت اليهود زعم محمد أنه نبي وما يراه أحد إلا في ديننا أليس يصلي إلى قبلتنا ويستن بسنتنا فإن كانت هذه نبوة فنحن أقدم وأوفر نصيبا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه وزاده شوقا إلى الكعبة ابن زيد لما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بلغه أن اليهود تقول والله ما ندري محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم قالوا جميعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل وددت أن الله صرفني من قبلة اليهود إلى غيرها فإني أبغضهم وأبغض توافقهم فقال جبرئيل إنما أنا عبد مثلك ليس إلي من الأمر شيئا فأسأل ربك فخرج جبرئيل وجعل رسول الله يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل عليه جبرئيل بما يجيء من أمر القبلة قد نرى تقلب وجهك في السماء تحول وتصرف وجهك يا محمد في السماء فلنولينك فلنحولنك ولنصرفنك قبلة ترضاها تحبها وترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه وقصده قال

(1/219)

---

الشاعر واطعن بالقوم شطر الملوك حتى إذا خفق المخدج  
أي نحوهم وهو نصب على الظرف والمسجد الحرام المحرم كالكتاب بمعنى  
المكتوب والحساب بمعنى المحسوب وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم في بر أو  
بحر أو سهل أو جبل شرق أو غرب فولوا وجوهكم شطره فحول القبلة في  
رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين مجاهد وغيره نزلت هذه الآية  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه  
ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال  
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبليين قال  
ابن عباس البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة أهل المسجد  
والمسجد قبلة أهل الحرم والحرم قبلة أهل الأرض كلها فلما حولت القبلة إلى  
الكعبة قالت اليهود يا محمد ما أمرت بهذا يعنون القبلة وما هو إلا شيء ابتدعه  
من تلقاء نفسك قتادة فصلى إلى بيت المقدس وتارة يصلي إلى الكعبة ولو  
ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا أن تكون صاحبنا الذي نتظره ورأيناكم تطوفون  
بالكعبة وهي حجارة مبنية فأنزل الله وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق  
يعني أمر الكعبة الحق من ربهم وإنها قبلة إبراهيم ثم هددهم فقال وما الله  
بغافل عما يعملون قرأ أبو جعفر وابن الكسائي بالتاء وقال يريد إنكم يا معشر  
تطلبون وصالي وما عن ثوابكم وجوابكم وقرأ الباقر يعني ما الله بغافل عما  
يعمل اليهود فأجازيهم في الدنيا والآخرة ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب يعني  
يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أتنا بآية كما أتى  
بها الأنبياء قبلك فأنزل الله تعالى ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما  
تبعوا قبلك يعني الكعبة وقال الأخفش والزجاج أجيئت لئن بما لأنها بمعنى لو  
وقيل إنها أجيئت بما لما فيه من معنى اليمين كأنه قال والله لئن أتيت الذين  
أتوا الكتاب بكل آية إلى وما أنت بتابع قبلتهم لأن اليهود تستقبل بيت المقدس  
والنصارى تستقبل

(1/220)

المشرق ولئن اتبعت أهواءهم مرادهم في أمر القبلة من بعد ما جاءك من  
العلم إنها حق وإنها قبلة إبراهيم إنك إذا لمن الظالمين الجاحدين الضارين  
أنفسهم الذين آتيناهم الكتاب يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام  
وأصحابه

يعرفونه يعني محمدا كما يعرفون أبناءهم من بين النصارى الكلبي عن الربيع  
عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر  
لعبد الله ابن سلام لقد أنزل الله على نبيه الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما  
يعرفون أبناءهم فكيف يا عبدالله هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر  
لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب وأنا أشد  
معرفة بمحمد مني لابني فقال عمر وكيف ذاك فقال أشهد إنه رسول حق من  
الله وقد نعته الله في كتابنا وما أدري ما تصنع النساء فقال له عمر وفقك الله  
يا بن سلام فقد صدقت وأصبت وإن فريقا منهم ليكتمون الحق يعني صفة  
محمد صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة وهم يعلمون ثم قال الحق أي هذا  
الحق خبر ابتداء مضمرة وقيل رفع باضمار فعل أي جاءك الحق كما قال وجاءك  
في هذه الحق وقرأ علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه الحق من ربك نصبا

على الأغراء فلا تكونن من الممترين الشاكين مفتعل من المربة والخطاب في هذه الآية وفي ما قبلها للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وكل ما ورد عليك من هذا النحو فهو سبيله ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يات بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

(1/221)

---

فأذكروني صلى الله عليه وسلم أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ولكل وجهة أي ولكل أهل ملة قبله وهو موليها مستقبلها ومقبل إليها يقال وليته ووليت إليه إذا أقبلت إليه ووليت عنه إذا أدبرت عنه وأصل التولية الإنصاف وقرأ ابن عباس وابن عامر وأبو رجاء وسليمان بن عبد الملك هو مولاها أي مصروف إليها وفي حرف أبي ولك قبله هو موليها وفي حرف عبدالله ولكل جعلنا قبله هو موليها فاستبقوا الخيرات وبادروا فعل الخيرات ومجازه فاستبقوا إلى الخيرات أي يسبق بعضكم بعضا فحذف حرف الخبر كقول الشاعر وهو الداعي عليكم بالحرب ومن يمل سواكم فإني منه غير مائل أراد من يمل إلى سواكم أين ما تكونوا يريد أهل الكتاب يات بكم الله جميعا يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم إن الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت حيث حرف بدل على الموضوع وفيه ثلاث لغات بالياء وحرف الراء وهي لغة قريش وقراءة العامة واختلفوا في وضع رفعها ف قيل هو مبني على الضم مثل منذ وقط وقيل رفع على الغاية كقوله لله الأمر من قبل ومن بعد وحيث بالياء ونصب الراء وهي قراءة عبيد بن عمير قال الكسائي إنما نصب بسبب الياء لأنها ساكنة وإذا اجتمع ساكنان في حرف حركوا الثاني إلى الفتح لأنه أخف الحركات مثل ليت وكيف وحوث بالواو والضم وهي لغة ابن عمر يروى إنه سئل أين يضع المصلى يده في الصلاة فقال ارم بهما حوث وقعتا فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك إلى وحيث ما كنتم أيها المؤمنون فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة هي لام كي دخلت على أن فكتبت بالكسرة ما قبلها وترك بعضهم همزها تخفيفا والحجة فعلة من الحج وهو الفصل ومنه المحجة وهي الطريق الواضح المسلوك لأنه مقصود ويقال للمخاصمة محاجة لقصد كل واحد من الخصمين إلى إقامة بينته وإبطال ما في يد صاحبه واختلفوا في تأويل هذه الآية ووجه قوله إلا فقال بعض أهل التأويل ومعنى الآية حولت القبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا

(1/222)

---

صليتم إليها فيحتجون عليكم ويقولون لم تركتم التوجه إلى الكعبة وتوجهتم إلى غيرها لولا إنه ليست لكم قبلة إلا الذين ظلموا وهم قريش واليهود وأما قريش فتقول إنما رجع إلى الكعبة لأنه عليم أنها قبلة آبائه وهي الحق وكذا يرجع إلى ديننا ويعلم أنه الحق وأما اليهود فإنهم يقولون لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا إنه إنما يفعل برأيه فيزعم إنه أمر به وهذا القول اختيار المفضل بن سلمة الضبي وهو قول صحيح مرضي وقال قوم معنى الآية لئلا يكون للناس عليكم يعني لأهل الكتاب عليكم حجة وكانت حجتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاتهم نحو بيت المقدس إنهم كانوا يقولون ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن وقولهم يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فهذه الحجة التي كانوا يحتجون بها على المؤمنين على وجه الخصومة والتموية بها على الجهال من المشركين ثم قال إلا الذين ظلموا وهم مشركوا مكة وحجتهم إنهم قالوا لما صرفت القبلة إلى الكعبة أن محمدا قد تحير في دينه فتوجه إلى قبلتنا وعلم إنا أهدى سبيلا منه وانه لا يستغني عنا ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والربيع والسدي واختيار محمد بن جرير وعلى هذين القولين إلا استثناء صحيح على وجه نحو قولك ما سافر أحد من الناس إلا أخوك فهو إثبات للأخ من السفر وما هو منفي عن كل أحد من الناس وكذلك قوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا من قريش نفي عن أن يكون لأحد حجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بسبب تحولهم إلى الكعبة إلا الذين ظلموا من قريش فإن لهم قبلهم حجة لما ذكرنا ومعنى الحجة في هذين القولين الخصومة والجدل والدعوى بالباطل كقوله لا حجة بيننا وبينكم أي لا خصومة وقوله أتجاجوننا في الله وليجاجوكم وتجاجون وحاجتكم كلها بمعنى المجادلة والمخاصمة لا بمعنى الدليل والبرهان وموضع الذين خفض كأنه

(1/223)

---

قال إلا للذين ظلموا فلما سقطت اللام حلت الذين محلها قاله الكسائي قال الفراء موضعه نصب بالاستثناء وإنما منهم رد إلى لفظ الناس لأنه عام وإن كان كل واحد منهم غير الآخر والله أعلم وقال بعضهم هو استثناء منقطع من الكلام الأول ومعناه إلا يكون للناس كلهم عليكم حجة اللهم إلا الذين ظلموا فإنهم يجاجونكم في الباطل ويجادلونكم بالظلم وهذا كما يقول للرجل الناس كلهم لك سامرون إلا الظالم لك يعني لا ذلك بتركه حمدك لعداوته لك وكقولك للرجل مالك عندي حق

(1/224)

---

إلا أن تظلم ومالك حجة إلا الباطل والباطل لا يكون حجة وهذا استثناء من غير الحسن كقول القائل ليس في الدار أحد إلا الوحش كقول النابغة وما بالربع من أحد إلا وأرى لأياما أمنها وننوي كالحوض بالمظلومة الجلد وهذا قول الفراء والمؤرخ وقال أبو روق لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة وذلك إنهم



كانوا قد عرفوا إن الكعبة قبله إبراهيم وقد كانوا وجدوا في التوراة أن محمدا سيحول إليها فحوله الله إليها لئلا يكون لهم حجة فيحتجون بأن هذا النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت فلما حول النبي صلى الله عليه وسلم ذهب حجتهم ثم قال إلا الذين ظلموا منهم يعني إلا أن يظلموكم فيكتموا ما عرفوا وقال الأخفش معناه لكفى الذي ظلموا مالهم به من علم إلا إتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن قوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه يعني لكن يتبعى وجه ربك فيكون منفردا من الكلام الأول وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة إنه قال ليس موضع إلا هاهنا موضع الاستثناء لأنه لا يكون للظالم حجة إنما هو في موضع واو العطف كأنه قال ولا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا لا يكون لهم أيضا حجة وأنشد المفضل ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة إلا دار مروانا وأنشد أيضا وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان يعني والفرقدان أيضا متفرقان وأنشد الأخفش وارى لها دارا بأغدره السبي دان لم يدرس لها رسم إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم أي وارى دارا ورمادا يؤيد هذا القول ما روى أبو بكر بن مجاهد عن بعضهم إنه قرأ

(1/225)

بعضهم إلى الذين ظلموا مخففا يعني مع الذين ظلموا ومعنى الآية لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة في أمر الكعبة حيث لا يستقبلونها وهي قبله إبراهيم فيقولون لكم تزعمون إنكم على دين إبراهيم ولم تستقبلوا قبلته ولا للذين ظلموا وهم مشركوا مكة لأنهم قالوا إن الكعبة قبله جدنا إبراهيم فما بال محمد تحول عنها فلا يصلي إليها ويصلي إلى قبله اليهود وقال قطرب معناها إلا على الذين ظلموا فيكون رده على الكاف والميم أي إلا على الذين ظلموا فإن عليهم الحجة فحذف حرف الجر وهذا إختيار أبي منصور الأزهري قال الثعلبي سمعت أبا القاسم الحبيبي يحكيها عنه وحكى محمد بن جرير عن بعضهم إنه قال إلا الذين ظلموا هاهنا ناس من العرب كانوا يهودا ونصارى وكانوا يحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم فأما سائر العرب فلم يكن لهم حجة وكانت حجة من إحتج أيضا داحضة باطلة لأنك تقول لمن تريد أن تكسر حجته عليه أن لك علي حجة ولكن منكسرة إنك لتحتج بلا حجة وحجتك ضعيفة فمعنى الآية إلا الذين ظلموا منهم من أهل الكتاب فإن لهم عليكم حجة واهية ولا تخشوهم في انصرافكم إلى الكعبة وفي تظاهروهم عليكم في المحاجة والمجاوبة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني في تركها ومخالفتها ولأتم نعمتي عليكم عليكم عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكن أتم نعمتي بهدايتي إياكم إلى قبله إبراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية وقال علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الإسلام وروي عنه أيضا إنه قال النعم ستة الإسلام والقرآن ومحمد والستر والعافية والغنى مما في أيدي الناس ولعلكم في لعل ست لغات عل ولعل ولعن وعن ولعا ولها ستة أوجه هي من الله عز وجل واجب ومن الناس على معاني قد تكون بمعنى الاستفهام كقول القائل لعلك فعلت ذلك مستفهما وتكون بمعنى الظن كقول القائل قدم فلان فرد عليه الراد لعل ذلك بمعنى أظن وأرى ذلك وتكون بمعنى الإيجاب بمنزلة ما أخلقه كقوله قد

وجبت الصلاة فيرد الراد لعل ذلك أي ما أخلقه وأنشد الفراء  
لعل المنايا مرة ستعود وآخر عهد الزائرين جديد وتكون بمعنى الترجي والتمني  
كقولك لعل الله أن يرزقني مالا ولعلني أحج وأنشد الفراء لعلني في هدى أفي  
وجودي وتقطيعي التنوقة واختيالي سيوشك أن يتيح إلى كريم ينالك بالذرى  
قبل السؤال ويكون بمعنى عسى تكون ما يراد ولا يكون كقوله يا هامان ابن  
لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب أي عسى أبلغ وقال أبو داود فأبلوني بليتكم لعلني  
أصالحكم واستدرج نوبا أي نواي ويكون بمعنى كي على الجزاء كقوله إنظر  
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون بمعنى لكي يفقهوا ونظائرها كثيرة وقوله  
ولعلكم تهتدون أي لكي تهتدوا من الضلالة قال الربيع خاصم يهودي أبا العالية  
فقال إن موسى كان يصلي إلى صخرة بيت المقدس فقال أبو العالية كان  
يصلي عند الصخرة إلى البيت الحرام فقال لي بيني وبينك مسجد صالح فإنه  
نحته من الجبل فقال أبو العالية قد صليت فيه وقبلته إلى البيت الحرام قال  
فأخبر أبو العالية إنه مر على مسجد ذي القرنين وقبلته الكعبة كما أرسلنا هنا  
الكاف للتشبيه ويحتاج إلى شيء يرجع إليه واختلفوا فيه فقال بعضهم هو راجع  
إلى ما قبلها والكاف من ما قبلها تقديره فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي  
كما أرسلت فيكم رسولا فيكون إرسال الرسول شرطا للخشية مزديا باتمام  
النعمة وقيل معناه ولعلكم تهتدون كما أرسلنا وقال محمد بن جرير إن إبراهيم  
دعا بدعوتين فقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فهذه  
الدعوة الأولى والثانية قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله الرسول  
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعد في هذه الآية أن يجيب الدعوة الثانية  
أن يجعل من ذريته أمة مسلمة لك فمعنى الآية ولأتم

نعمتي عليكم بيان شرائع ملتكم الحنيفية وأهديكم لدين خليلي إبراهيم كما  
أرسلنا فيكم رسولا منكم يعني فكما أجبته دعوته بانبعث الرسول كذلك أجبته  
دعوته بأن أهدىكم لدينه وأجعلكم مسلمين وهذا على قول من يجعله متصلا بما  
قبلها وجوابا للآية الأولى وهو إختيار الفراء وقال بعضهم إنها متعلقة بما بعدها  
وهو قوله فأذكروني أذكركم تقديرها كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فأذكروني  
أذكركم فيكون جزأ له جوابان مقدم ومؤخر كما تقول إذا جاءك فلان فآته  
ترضه فقوله فآته وترضه جوابان لقوله إذا جاءك وكقولك إن تأتني أحسن إليك  
أكرمك وهذا قول مجاهد وعطاء والكلبي ومقاتل والأخفش وابن كيسان  
واختيار الزجاج وهذه الآية خطاب للعرب وأهل مكة يعني كما أرسلنا فيكم يا  
معشر العرب رسولا منكم محمد صلى الله عليه وسلم يتلوا عليكم آياتنا يعني  
القرآن ويزكيكم أي يعلمون من الأحكام وشرائع الإسلام فأذكروني أذكركم  
قال ابن عباس أذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي بيانه وقوله والذين جاهدوا  
فينا الآية سعيد بن جبير أذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي بيانه وأطيعوا الله  
والرسول لعلكم ترحمون فضيل بن عياض فأذكروني بطاعتي أذكركم بثوابي

بيانه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلته وصيامه وتلاوته القرآن وقيل اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالجنات والدرجات بيانه وبشر الذين آمنوا إلى جنات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنة ثوابا ابن كيسان اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة بيانه قوله لئن شكرتم لأزيدنكم وقيل اذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها قال الأصفى رأيت أعرابيا واقفا يوم عرفة بالموقف وهو يقول ضجت إليك الأصوات

(1/228)

---

بضروب اللغات يستلونك الحاجات وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلى إذا نسيني أهل الدنيا وقيل اذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة ودليله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وقيل اذكروني في الخلاء والملاء أذكركم في الجلاء والملاء بيانه ما روي في بعض الكتب إن الله قال أنا عند من عبدني فليظن بي ما شاء وأنا معه إذا ذكرني فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في الملاء ذكرته في ملاء خير منه ومن تقرب إلي شبرا تقربت له ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني مشيا أتيته هرولة ومن أتاني بقراب الأرض فضة أتيته بمثلها مغفرة بعد أن لا يشرك بي شيئا وقيل اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء بيانه قوله فلولا إنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون قال سلمان الفارسي إن العبد إذا كان له دعاء في السر فإذا انزل به البلاء قالت الملائكة عبدك نزل به البلاء فيشفعون له فينجيه الله فإذا لم يكن له دعاء قالوا الآن فلا تشفعون له بيانه لفظة فرعون الآن وقد عصيت من قبل وقيل اذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار بيانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقيل اذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربة وقيل اذكروني بالحمد والثناء أذكركم بالجزاء وقيل اذكروني بالأوبة أذكركم بغفران الحوبة وقيل اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة اذكروني بالندم أذكركم بالكرم اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة اذكروني بالإرادة أذكركم بالأفادة اذكروني بالتنصل اذكركم بالتفضل اذكروني بالإخلاص أذكركم بالإخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بكشف الكروب اذكروني بلا نسيان اذكركم بالأمان اذكروني بالأفتقار اذكركم بالافتقار اذكروني بالأعدام والاستغفار اذكركم بالرحمة والإغفار اذكروني بالإيمان اذكركم بالجنان اذكروني بالاسلام اذكركم بالأكرام

(1/229)

---

اذكروني بالقلب اذكركم برفع التعجب اذكروني ذكرا فانيا اذكركم ذكرا باقيا اذكروني بالإبتهاال اذكركم بالأفضال اذكروني بالظل اذكركم بعفو الزلل اذكروني بالأعتراف اذكركم بمحو الاقتراف اذكروني بصفاء السر اذكركم بخالص البر اذكروني بالصدق اذكركم بالرفق

أذكروني بالصفو أذكركم بالعفو أذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم أذكروني  
بالتكبير أذكركم بالتطهير أذكروني بالتمجيد أذكركم بالمزيد أذكروني بالمناجاة  
أذكركم بالنجاة أذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء أذكروني بترك  
الخطأ أذكركم بحفظ الوفاء أذكروني بالجهد بالخلقة أذكركم بآتمام النعمة  
أذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ولذكر الله أكبر الربيع في هذه الآية  
إن الله ذاك من ذكره وزائداً من شكره ومعذب من كفره وقال السدي فيها  
ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة ولا يذكره  
كافر إلا يذكره بعذاب وقال سفيان بن عيينة بلغنا إن الله عز وجل قال أعطيت  
عبادي مالوا أعطيته جبرئيل وميكائيل كنت قد اجزلت لهما قلت أذكروني  
أذكركم وقلت لموسى قل للظلمة لا يذكروني فإني أذكر من ذكرني فإن ذكرني  
إياهم أن إلعنهم وقال أبو عثمان النهدي إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل  
قيل كيف ذلك قال إن الله عز وجل قال أذكروني أذكركم وإذا ذكرت الله تعالى  
ذكرني واشكروا لي نعمتي ولا تكفروا يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر  
والصلوة إن الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل  
أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال  
والانفس والثمرات وبشئ الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا صلى الله  
عليه وسلم إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
وأولئك هم المهتدون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة إن الله مع  
الصابرين بالعون والنصرة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات نزلت في  
قتلى بدر مع المسلمين

(1/230)

وكانوا أربعة عشر رجلاً منهم ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وذلك إن  
الناس كانوا يقولون الرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب منه نعيم  
الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم  
أموات بل إنهم أحياء بل أحياء ولكن لا تشعرون إنهم كذلك قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إن أرواح الشهداء في  
أجواف طير خضر تسرح في ثمار الجنة وتشرب من أنهارها وتأوي بالليل إلى  
قناديل من نور معلقة تحت العرش وقال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله  
تعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على  
أرواح آل فرعون غداة وعشيا فيصل إليهم الوجع وقال أبو سنان السلمي  
أرواح الشهداء في قباب بيض من باب الجنة في كل قبة زوجتان رزقهم في  
كل يوم طلعت فيه الشمس نور وحوت فأما النور ففيه طعم كل ثمرة في  
الجنة وأما الحوت ففيه طعم كل شراب في الجنة قال قتادة في هذه الآية كنا  
نحدث إن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة وإن  
مساكنهم السدرة المنتهى وإن للمجاهد في سبيل الله عز وجل ثلاث خصال  
من قتل في سبيل الله منهم صار حياً مرزوقاً ومن غلب أتاه الله أجراً عظيماً  
ومن مات رزقه الله رزقاً حسناً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطى  
الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده  
من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر  
ويحلى بحلية الإيمان ولنبلونكم ولنختبرنكم يا أمة محمد بشيء من الخوف

والجوع الآية قال ابن عباس الخوف يعني خوف العدو والجوع يعني المجاعة والقحط ونقص من الأموال يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي والأنفس يعني الموت والقتل وقيل المرض وقيل الشيب والثمرات يعني الحوائج وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج وقال الشافعي ولنبلونكم بشيء من الخوف يعني خوف الله عز وجل والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات

(1/231)

---

والأنفس الأمراض والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة قلبه يدل عليه ما روى عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن أبي سنان قال دفنت إبني سنانا وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر جالس فلما أردت الخروج أخذ بيدي فانشطني وقال ألا أبشرك يا أبا سنان قلت بلى قال حدثنا الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبي موسى الأشعري إن رسول صلى الله عليه وسلم قال إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل للملائكة أقبضتم ولد عبيد فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبيد فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل إنوا لعبيد بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين على البلايا والرزايا ثم نعتهم فقال الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله عبيدا تجمع وملكا وإنا إليه راجعون في الآخرة أمال نصير النون في قوله إنا لله فأمال قتيبة النون واللام جميعا فخمها الباؤون وقال أبو بكر الوراق إنا لله اقرار منا له بالملك وإنا إليه راجعون في الآخرة إقرار على أنفسنا بالهلاك قال عكرمة طفى سراج النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل يا رسول الله أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة قال سعيد بن جبير ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطي لأحد لأعطي يعقوب ج ألا تسمع إلى قوله في فقد يوسف يا أسفي على يوسف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتة وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وعن فاطمة بنت الحسين عن أمها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعا وان تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب أولئك أي أهل هذه الصفة عليهم صلوات قال ابن عباس مغفرة من ربهم ورحمة ونعمة ابن كيسان الصلوات هاهنا الثناء والرحمة والتزكية وإنما ذكر الصلاة والرحمة ومعناها

(1/232)

---

واحد لاختلاف اللفظين كقول الحطيئة ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد وجمع الصلوات لأنه عنى بها إنها رحمة بعد رحمة وأولئك هم المهتدون إلى الاسترجاع وقيل إلى الجنة والثواب وقيل إلى الحق والصواب وكان عمر بن الخطاب إذا قرأ هذه الآية قال نعم العدلان ونعم العلاوة إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إن الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع الصفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء قال امرؤ القيس لها كفل كصفا المسيل أبرز عنها جحاف مضر يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصا وقطاة وقطا ونواة ونوى وقيل إن الصفا واحد وتثنيته صفوان مثل عصا وعصوان وجمعه أصفا مثل رجا وأرجاء وصفا وصفي مثل عصا وعصي قال الراجز كان متنيه من النفي مواقع الطير على الصفي والمروة من الحجارة ما لان وصغر قال أبو ذؤيب الهذلي حتى كاني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تفرع أي صخرة رخوة صغيرة وجمع المروة مروان وجمعها للكبير مرو مثل ثمرة وثمرات وثمر وحمرة وحمرات وحمرا قال الأعشى ميمون بن قيس يصف ناقته وترى الأرض خفا زائلا فإذا ما صادف المرور رضخ وإنما عنى الله تعالى بهما الجبلين المعروفين بمكة دون سائر الصفا والمروة فلذلك أدخل

(1/233)

---

فيهما الألف واللام وشعائر الله اعلام دينه واحدها شعيرة وكل كان معلما لقربان يتقرب به إلى الله عز وجل من دعاء وصلاة من ذبيحة واداء فرض وغير ذلك فهو شعيرة قال الكميت بن زيد نقتلهم جيلا فجيلا تراهم شعائر قربان بهم يتقرب وأصلها من الأشعار وهي الاعلام على الشيء وفي الحديث إن قائلا قال حين شج عمر في الحج أشعر أمير المؤمنين دما وأراد بالشعائر هاهنا مناسك الحج التي جعلها الله عز وجل إعلاما لطاعته وقال مجاهد يعني من الخبر الذي أخبركم عنه وأصل الكلمة على هذا القول من شعرت أي علمت كأنه اعلام لله عباده أمر الصفا والمروة وتقدير الآية إن الصفا والمروة من شعائر الله فترك ذكر الطواف وإكتفى بذكرهما وذلك معلوما عند المخاطبين فمن حج البيت أصل الحج في اللغة القصد قال الشاعر كراهب يحج بيت المقدس ذي موحد ومنقل وبرنس وقال محمد بن جرير من أكثر الاختلاف إلى شيء فهو حاج وقال المحمل السعدي وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبيرقان المزعفرا أي يكثرون التردد إليه لودده ورئاسته وقيل للحاج حاج لأنه يأتي البيت من عرفة ثم يعود إليه للطواف يوم النحر ثم ينصرف عنه إلى منى ثم يعود إليه لطوف الصدر فبتكرار العود إليه مرة بعد أخرى قيل له حاج أو اعتمر من العمرة وهي الزيارة قال العجاج لقد سما ابن معمر حين اعتمر معزى بعيدا من بعيد وضبر أي من قصده وزاره وقال المفضل بن سلمة أو اعتمر أي حل بمكة بعد الطواف والسعي ففعل ما يفعل الحلال

(1/234)

---

والعمرة لإقامة الموضع والعمارة اصلاحه ومرمته وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة ما بينهما يزيدان في العمر والرزق وينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد فلا جناح عليه الجناح الإثم وأصله من جناح إذا مال عن القصد يقال جناح الليل إذا مال بظلمته وجنحت السفينه إذا مالت إلى الأرض قال الله تعالى وإن جناحوا للسلم فاجنح لها ومنه جناح الطائر أن يطوف أي يدور وأصله يتطوف فادغمت التاء في الطاء وقرأ أبو حيو الشامي يطوف مخففة الطاء واختلفوا في وجه الآية وتأويلها وسبب تنزيلها قال أنس بن مالك كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية فتركناه في الإسلام فأنزل الله هذه الآية وقال عمر بن حبيش سألت ابن عمر عن هذه الآية فقال إنطلق إلى ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فأتيته فسألته فقال ابن عباس كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له أساف وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة وإنما ذكروا الصفا لتذكير الأساف وذكروا المروة لتأنيث نائلة وزعم أهل الكتاب إنهما زنيا في الحرم فمسخهما الله عز وجل حجرين فوضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا دون الله فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنيين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال كان في الجاهلية شياطين تعزف بالليل بين الصفا والمروة وكان بينهما آلهة فلما ظهر الإسلام قال المسلمون لرسول الله لا تطوفن بين الصفا والمروة فإنه شرك كنا نصنعه في الجاهلية فأنزل الله تعالى هذه الآية قتادة كان ناس من تهامة في الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام تحوبوا السعي بينهما كما كانوا يتحوبونه في الجاهلية فأنزل

(1/235)

الله تعالى هذه الآية قتادة كان حي من تهامة لايسعون بينهما فأخبرهم إنها كانت سنة إبراهيم وإسماعيل وروى الزهري عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة ما الصفا والمروة قالت قول الله إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية والله ما على أحد جناح ألا يطوف بين الصفا والمروة فقالت عائشة ليس ما قلت يا ابن اختي إن هذه لو كانت على ما أولها ما كان عليه جناح أن لا يطوف بهما ولكنها إنما نزلت في الأنصار وذلك وأنهم كانوا قبل أن يسلموا يصلون لمناة الطاغية وهي صنم من مكة والمدينة بالمشلل وكان من أهل لها تخرج أن يطوف بين الصفا والمروة فلما أسلموا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يا رسول الله إنا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة لأنما صنمان فهل علينا حرج أن نطوف بهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم قالت عائشة رضي الله عنها قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد تركه قال الزهري قد ذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقال هذا العلم وقال مقاتل بن حيان إن الناس كانوا قد تركوا الطواف بين الصفا والمروة غير الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وعامر بن صعصعة سموا حمسا لتشدهم في دينهم والحماسة الشجاعة والصلابة فسألت الحمس

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعي بين الصفا والمروة أمن شعائر الله أم لا فإنه لا يطوف بهما غيرنا فنزلت هذه الآية واختلف العلماء في هذه الآية فقال الشافعي ومالك الطواف بين الصفا والمروة فرض واحد ومن تركه لزمه القضاء والاعادة فلا تجزية فدية ولا شيء إلا العود إلى مكة والطواف بينهما كما لا يجزي تارك طواف الأفاضة إلا قضاؤه بعينه وقالهما طوافان واجبان أمر بهما أحدهما بالبيت والأخر بين الصفا والمروة وحكمها واحد وقال الثوري وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد إن عاد تارك الطواف بينهما لقضائه فحسن وإن لم يعد فعليه دم ورأوا أن حكم الطواف منهما حكم رمي بعض الجمرات

(1/236)

---

والوقوف بالمعشر وطواف الصدر وما أشبه ذلك مما يجزي تاركة بتركه فدية ولا يلزمه العود لقضائه بعينه وقال أنس بن مالك وعبدالله بن الزبير ومجاهد وعطاء الطواف بهما تطوع إن فعله فاعل يكن محسنا وإن تركه تارك لم يلزمه بتركه شيء واحتج من لم يوجب السعي والطواف بينهما بقراءة ابن عباس وأنس وشهر بن حوشب وابن سيرين فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما بإثبات لا وكذلك هو في مصحف عبدالله والجواب عنه أن لا زيادة صلة كقوله ما منعك ألا تسجد وكقوله أنهم لا يرجعون و لا أقسم وقال الشاعر فلا ألوم البيض ألا تسخرا لما رأين الشمط القفندرا فأركان رسم المصحف كذلك لم يكن فيه تمجح حجة مع احتمال الكلام ما وصفناه فكيف وهو خلاف رسوم الشيخ الإمام ومصاحف الإسلام ثم الدليل على إن السعي بينهما واجب وعلى تاركة إعادة الحج ناسيا تركه أو عامدا بظاهر الأخبار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وأمر به روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفا في حجه قال إن الصفا والمروة من شعائر الله إبدءوا بما بدء الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ثم مشى حتى إذا تصوبت قدماه في الوادي سعى وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لعمرى ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة مفروض في كتاب الله والسنة قال الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا قال كليب رأى ابن عباس قوما يطوفون بين الصفا والمروة فقال هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل إنطلقت حين عطش ابنها وجاع فوجدت الصفا أقرب جبل إلى الأرض فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الوادي ورفعت طرف درعها ثم سعت سعي الأنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة وقامت عليها تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات وقال محمد حج موسى صلى الله عليه

(1/237)

---

وسلم على جبل أحمر وعليه عبائتان قطرانيتان فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو ملبي فقال لبيك اللهم لبيك فقال الله عز وجل



ليبيك عبيدي وأنا معك فخر موسى ساجدا ومن تطوع خيرا قرأ حمزة والكسائي تطوع بالتاء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك التاء في بمعنى تطوع واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتبارا بقراءة عبدالله ومن تطوع بالتاء وقرأ الباقون تطوع بالتاء وضعف العين على المضي

قال مجاهد فمن تطوع بالطواف بالوصفا والمروة وقال تطوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من النبيين وقال مقاتل والكلبي ومن تطوع خير زاد في الطواف ففيه الواجب وقال ابن زيد ومن تطوع خيرا فاعتمر والحج فريضة والعمرة تطوع وقيل فمن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه وقال الحسن وغيره ومن تطوع خيرا يعني به للدين كله أي فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة أو نوع من أنواع الطاعات كلها فإن الله شاكر مجاز بعمله عليم بنية من يشكر اليسير ويعطي الكثير ويغفر الكبير وأصل الشكر من قول العرب دابة شكور إذا كان يظهر عليها من السمن فوق ما يعلف إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيئات يعني الرجم والحدود والأحكام والحلال والحرام والهدى يعني وأمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من بعد ما بيناه للناس لبني إسرائيل في الكتاب في التوراة نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أولئك يلعنهم الله أصل اللعن في اللغة الطرد ولعن الله إبليس بطرده إياه حين قال له فاخرج منها فإنك رجيم قال الشماخ وذكر ما ورده ذعرت به القطا وبقيت فيه مقام الذئب كالرجل اللعين وقال النابغة فبت كائني خرج لعين نفاه الناس أو أدنف طعين فمعنى قولنا لعنه الله أي طرده وأبعده وأصل اللعنة ما ذكرنا ثم كثر ذلك حتى صار قولا

(1/238)

ويلعنهم اللاعنون أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم إلعنهم واختلف المفسرون في هؤلاء اللاعنين قال قتادة هم الملائكة عطاء الجن والأنس الحسن عباد الله أجمعون ابن عباس كل شيء إلا الجن والأنس الضحاك إن الكافر إذا وضع في حفرة قيل له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقول له لا دريت ثم يضربه ضربة بمطرق فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان الأنس والجن فلا يسمع صوته شيء إلا لعنه فذلك قوله ويلعنهم اللاعنون البراء بن عازب إن الكافر إذا وضع في قبره أتته دابة كان عينيها قد ران من نحاس معها عمود من حديد فتضربه ضربة بين كتفيه فيصيح فلا يسمع أحد صوته إلا لعنه ولا يبقى شيء إلا سمع صوته غير الثقلين ابن مسعود هو الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة في السماء ثم تنحدر فلا تجد صاحبها الذي قيلت له أهلا لذلك فترجع إلى الذي يحكم بها فلا تجده لها أهلا فتنتلق فتقع على اليهود فهو قوله عز وجل ويلعنهم اللاعنون فمن تاب منهم ارتفعت اللعنة عنه وكانت فيمن لقي من اليهود مجاهد اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا أسنت السنة وامسك المطر قالت هذا بشؤم ذنوب بني آدم عكرمة دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم وإنما قال لهذه الأشياء اللاعنون ولم يقل اللاعنات لأن من شأن العرب إذا وصفت شيئا من الجمادات والبهائم وغيرها سوى الناس بما هو صفة للناس من فعل أو قول لن يخرجه على مذهب بني آدم وجمعهم كقولهم والشمس

والقمر رأيتهم لي ساجدين ولم يقل ساجدات وقوله للأصنام بل فعله كبيرهم  
فأسئلوهم إن كانوا ينطقون وقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله وقالوا  
لجلودهم لم شهدتم علينا الآية ثم استثنى فقال

(1/239)

---

إلا الذين تابوا من الكفر وأصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم وبينوا صفة  
محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فأولئك أتوب عليهم أتجاوز عنهم وأقبل  
توبتهم وأنا التواب الرجاء بقلوب عبادي المنصرفة عني الرحيم بهم بعد إقبالهم  
علي إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار واو حال أولئك عليهم لعنة الله والملائكة  
أي ولعنة الملائكة والناس أجمعين قتادة والربيع يعني الناس أجمعين المؤمنين  
أبو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله عز وجل ثم تلعه الملائكة  
ثم يلعه الناس أجمعين السدي لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافرين فيقول  
أحدهما لعن الله الظالم إلا وجبت تلك اللعنة على الكافر لأنه ظالم فكل أحد  
من الخلق يلعه خالدين فيها مقيمين في اللعنة والنار لا يخفف لا يرفه عنهم  
العذاب ولا هم ينظرون يمهلون ويؤجلون وقال أبو العالية لا ينظرون فيعذرون  
كقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعذرون وإلهكم إله واحد لا إله إلا  
هو الرحمان الرحيم إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار  
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء  
فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب  
المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو  
الرحمان الرحيم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت في كفار قريش  
قالوا يا محمد صف وأنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى سورة الاخلاص وهذه الآية

(1/240)

---

جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال كان للمشركين في الكعبة ثلاثمائة  
ويستون صنما يعبدون من دون الله إفكا وبشرا فبين الله تعالى لهم إنه واحد  
فأنزل وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم سعيد عن أبي الضحى  
قال لما نزلت هذه الآية عجب المشركون وقالوا إن محمدا يقول الهكم إله  
واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله تعالى إن في خلق السماوات  
والأرض واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما في الذهاب والمجيء والاختلاف  
الإفتماع من خلف يخلف خلوقا يعني إن كل واحد منهما إذا ذهب أحدهما جاء  
آخر خلافة أي بعده نظير قوله وهو الذي جعل النهار خلفه عطاء وابن كيسان  
أراد في اختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر والنور والظلمة  
والزيادة والنقصان يكون أحدهما على الآخر والليل جمع ليلة مثل تمر وتمر  
ونحلة ونحل والليالي جمع الجمع والنهار واحد وجمعه نهر قال الشاعر لولا  
الثريدان هلكننا بالضمير ثريد ليل وثريد بالنهر وقدم الليل على النهار بالذكر لأنه  
الأصل والأقدام قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار خلق الله تعالى  
الأرض مظلمة ثم خلق الشمس والقمر وهذا كتقديمه الصوامع والبيع  
والصلوات على المساجد والفلك التي تجري في البحر يعني السفن واحدة

وجمعه سواء قال الله تعالى وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون وقال في الجمع حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة يذكر ويؤنث قال الله تعالى الفلك المشحون وقال في التانيث الفلك التي تجري في البحر فالتذكير على اللفظ الواحد والتانيث على معنى الجمع بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وانواع المطلب وما أنزل الله من السماء من ماء يعني المطر فأحيينا به الأرض بعد موتها بعد يبوستها وجدوتها وبث نشر وفرق فيها من كل دابة وتصريف الرياح أي يقلبها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا

(1/241)

---

وقيل تصريفها مرة بالرحمة ومرة بالعذاب وقرأ حمزة والأعمش والكسائي وخلف الريح بغير ألف على الواحد وقرأ الباقر الرياح بالجمع قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا هاجت الريح يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا والريح يذكر ويؤنث والسحاب المسخر أي الغيم المذلل بين السماء والأرض سمي سحبا لأنه يسحب أي يسير في سرعته كأنه يسحب أي يجر لآيات دلالات وعلامات لقوم يعقلون فيعلمون إن لهذه الأشياء خالقا وصانعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمخ بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم يعني الأصنام المعبودة من دون الله قال أكثر المفسرين وقال السدي ساداتهم وقاداتم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله فيحبونهم كحب الله أي كحب المؤمنين الله وهذا كما يقال بعث غلامي كبيع غلامك يعني كبيعك غلامك وأنشد الفراء ولست مسلما ما دمت حيا على زيد كتسليم الأمير أي كتسليمي على الأمير هذا قول أكثر العلماء وقال ابن كيسان والزجاج تقدير الآية يحبونهم كحبهم الله يعني أنهم يسوون بين هذه الأصنام وبين الله في المحبة ثم قال والذين آمنوا أشد حبا لله قال ابن عباس أثبت وأدوم وذلك إن المشركين كانوا يعبدون صنما فإذا رأوا شيئا أحسن منه تركوا ذلك الوثن وأقبلوا على عبادة الأحسن عكرمة أشد حبا في الآخرة

(1/242)

---

قتادة إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء و يقبل على الله عز وجل لقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين قوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه والمؤمن لا يعرض عن الله في الضراء والسراء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه الحسن إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة وذلك قولهم للأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة ولذلك قال عز من قائل والذين آمنوا أشد حبا لله سعيد بن جبير إن الله يأمر يوم القيامة من أحرف نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فيأتون لعلمهم إن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكافرين إن كنتم أحبائي لا تحبون النار فينادي مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبا لله

وقيل لأن حب المشركين لأوثانهم مشترك لأنهم يحبون الأنداد الكثيرة وحب المؤمنين لربهم غير مشترك لأنهم يحبون ربا واحدا وقيل لأن حبهم هوائي وحب المؤمنين عقلي وقيل إن حبهم للأصنام بالتقليد وحب المؤمنين لله تعالى بالدليل والتمييز وقيل لأن الكافرين يرون معبودهم ومصنوعهم والمؤمنون يرون الله تعالى صانعهم وقيل لأن المشركين أحبوا الأصنام وعابوها والمؤمنون يحبون الله ولم يعابنوه بل آمنوا بالغيب في الغيب وللغيب وقيل إنما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كان محبته أتم وأصح قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقرأ أبو رجاء العطاردي يحبونهم بفتح الياء وهي لغة يقال حبيت الرجل فهو محبوب

(1/243)

---

قال الفراء أنشدني أبو تراب أحب لحبها السوادن حتى حبيت لحبها سواد الكلاب ولو يرى الذين ظلموا قرأ أبو عبد الرحمن وأبو رجاء والحسن وأبو جعفر وشيبه ونافع وقتادة والأعرج وعمرو بن ميمون وسلام ويعقوب وأيوب وابن عباس ولوترى بالتاء أي تبصر يا محمد وقرأ الباقر بالباء فمن قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والجواب محذوف تقديرها ولو ترى أي تبصر يا محمد الذين ظلموا أشركوا إذ يرون العذاب لرأيت أمرا عظيما ولعلمت ما يصيرون إليه أو لتعجبت منه ومن قرأ بالباء فمعناه ولوترى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب لعلموا أن القوة لله جميعا أو آمنوا أو لعلموا مضرة الكفر ونظير هذه الآية من المحذوف الجواب قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية يعني لكان هذا القرآن وهو كما يقول لو رأيت فلانا والسياط تأخذه فتستغني عن الجواب لأن المعنى مفهوم إذ يرون العذاب وقرأ أبو البرختم وابن عامر يرون بضم الياء على التعدي وقرأ الآخرون بفتحها على اللزوم إن القوة لله جميعا قرأ الحسن وقتادة وأبو جعفر وشيبه وسلام ويعقوب إن القوة وإن الله يكسر الألف فيهما على الاستئناف والكلام تام عند قوله يرون العذاب مع أضمار الجواب كما ذكرنا وقرأ الباقر بفتحها على معنى بان القوة وبان الله وقيل معناه ليروا أن القوة لله أي لا يقنوا وعابنوا قال عطاء ولو يرى الذين ظلموا يوم القيامة إذ يرون العذاب حين تخرج إليهم جهنم من مسيرة خمسمائة عام لتلتقطهم كما يلتقط الحمام الحبة لعلموا أن القوة والقدرة والملكوت والجبروت لله جميعا وأن الله شديد العذاب ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا صلى الله عليه وسلم إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرا الذين اتبعوا

(1/244)

---

من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسو صلى الله عليه وسلم

ء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لا يعقلون إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا قرأ مجاهد بتقديم الفاعل على المفعول وقرأ الباقر بالضد والمتبوعون هم الجابرة والقادة في الشرك والشرك والتابعون هم الأتباع والضعفاء والسفلة قاله أكثر أهل التفسير السدي هم الشياطين يتبرأون من الأنس وتقطعت بهم أي عنهم والباء بمعنى عن الأسباب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني المودة والوصلة التي صارت بينهم في الدنيا أو صارت مخالفتهم عداوة ربيع يعني بالأسباب المنازل التي كانت لهم من أهل الدنيا ابن جريح والكلبي يعني الأنساب والأرحام كقوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ السدي يعني الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا بيانه قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً وقوله والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم فأهل التقوى أعطوا الأسباب أعمال وثيقة فيأخذون بها وينجون الآخرون يعطون أسباب أعمالهم الخبيثة فتقطع بهم أعمالهم فيذهبون إلى النار أبو روق العهود التي كانت بينهم في الدنيا وأصل السبب كل شيء يتوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه قيل للجهاد سبب وللطريق سبب وللسلم سبب قال زهير ومن هاب أسباب المنايا ظلته لو رام أن يرقى السماء بسلم وقال الذين اتبعوا يعني الأتباع

(1/245)

ولو أن لنا كرة رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم أي من المتبوعين كما تبرأوا منا اليوم أجب للتمني بالفعل قال الله عز وجل كذلك أي كما أراهم العذاب كذلك يريهم الله وقيل ليتبرأوا بعضهم من بعضهم يريهم الله أعمالهم حسرات ندامات عليهم قيل أراد أعمالهم الصالحة التي ضيعوها قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فسألوا قيل أراد أعمالهم لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فيرتوهم فذلك حين يندمون ربيع أراد به أعمالهم السيئة لم عملوها وهلا عملوا بغيرها مما يرضي الله تعالى ابن كيسان إنهم اشركوا بالله الأوثان رجاء أن يقر بهم إلى الله فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا والحسرات جمع حسرة وكذلك كل إسم كان واحدة على فعله مفتوح الأول ساكن الثاني فإن جمعه على فعلات مثل ثمرة وثمرات وشهوة وشهوات فأما إذا كان نعتاً فانك تسكن ثانية مثل ضخمة وضخمت وعيلة وعيلات وكذلك ما كان من الأسماء مكسور الأول مثل نعمة وسدره وما هم بخارجين من النار بأبيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا صلى الله عليه وسلم إثم عليه إن الله غفور رحيم إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك إن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد يا أيها الناس كلوا

مما في الأرض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فقال كلوا مما في الأرض دخل للتبعيض لانه ليس كل

(1/246)

---

ما في الأرض يمكن أكله أو يحل أكله حلالا طيبا طاهرا وهما منصوبان على الحال  
وقيل على المفعول تقديره كلوا حلالا طيبا كما في الأرض ولا تتبعوا خطوات الشيطان قرأ شبيهه ونافع وعاصم والأعمش وحمزة خطوات بسكون الطاء في جميع القرآن وهي أكثر الروايات عن أبي عمرو وقرأ أبو جعفر وأبو مجلن وأبو عمرو في بعض الروايات والزهري وابن عامر والكسائي بضم الخاء والطاء وقرأ علي وعمرو بن ميمون وسلام بضم الخاء والطاء وهمزة بعد الطاء وقرأ أبو السماك العدوي وعبيد بن عمير خطوات بفتح الخاء والطاء فمن خفف فإنه أبقاه على الأصل وطلب الخفة لأنها جمع خطوة ساكنة الطاء ومن ضم الطاء فيه أتبعها ضمة الخاء وكل ما كان من الأسماء وزن فعله فجمع على التاء فإن الأغلب والأكثر في جمعه التثقيل وتحريك من الفعل بالحركة التي في فاء الفعل في الواحد مثل ظلمة وظلمات وقربة وقربات وحجرة وحجرات وقد يخفف أيضا ومن ضم الخاء والطاء مع الهمز فقال الأخفش أراد ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال خطه من الخطأ وقال ابو حاتم أرادوا إشباع الضمة في الواو فانقلبت همزة وهذا شائع في كل واو مضمومة ومن نصب الخاء والطاء فإنه أراد جمع خطوة مثل ثمرة وتمرات واختلفوا في معنى قوله خطوات الشيطان فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس خطوات الشيطان عمله مجاهد وقتادة والضحاك خطايا السدي والكليبي طاعته عطاء عن ابن عباس زلاته وشهواته أبو مجلن هي البذور في المعاصي المورج آثاره أبو عبيد هي المحقرات من الذنوب القتيبي والزجاج طرقه والخطوة ما بين القدمين والخطوة بالفتح الفعلة الواحدة من قول القائل خطوت خطوة واحدة

(1/247)

---

إنه لكم عدو مبين بين العداوة وقيل مظهر العداوة قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لأبيكم آدم ج وغروره إياه حين أخرجه من الجنة وأبان يكون لازما ومتعديا ثم بين عداوته فقال إنما يأمركم بالسوء يعني الأثم وأصل السوء كل ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة إذا حزنه وسوءه شيء أي حزنه فحزن قال الله تعالى فلما رآوه زلقة سيئت وجوه الذين كفروا قال الشاعر إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرنني الدهر الأمر عندي فيهما واحد لذلك صبر ولذا شكر والفحشاء يعني المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالبأساء والضراء واللاواء ويجوز أن يكون نعتا لا فعل له كالعذراء والحسناء وقال متمم بن نويرة لا يضمم للحشا تحت ثيابه خلق شمائله عفيف المبرر واختلف المفسرون في معنى الفحشاء المذكور في هذه الآية روى بإذان عن ابن عباس قال الفحشاء كل ما فيه حد في الدنيا من المعاصي

فيكون من القول والفعل والسوء من الذنوب ما لا حد فيه طاووس عنه فهو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة عطاء عنه البخل السدي الزنا وزعم مقاتل إن جميع ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنا إلا قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فإنه منع الزكاة وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون من تحريم الحرث والأنعام وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله اختلفوا في وجه هذه الآية قال بعضهم إنها قصة مستأنفة وأنها نزلت في اليهود على هذا القول تكون الهاء والميم في قوله لهم كناية عن غير مذكور وروى محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام ورغبتهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له نافع بن خزيمة ومالك بن عوف قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا واعلم منا فانزل الله هذه الآية وقال قوم بل هذه الآية صلة بما قبلها وهي

(1/248)

---

نازلة في مشركي العرب وكفار قريش واختلفوا فيه فقال الضحاك عن ابن عباس فإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني كفار قريش من بني عبد الدار قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا من عبادة الأصنام فقال الله أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من التوحيد ومعرفة الرحمن ولا يهتدون للحجة البالغة وعلى هذا القول تكون الهاء والميم عائدة على من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وقال الآخرون إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام والسائبة والوصيلة والبحيرة والحام وسائر الشرائع والأحكام قالوا بل نتبع ما ألفينا وجدنا عليه آباؤنا من التحريم والتحليل والدين والمنهاج وعلى هذا القول تكون الهاء والميم راجعة إلى الناس في قوله تعالى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ويكون الرجوع عن الخطاب إلى الخبر كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وهذا أولى الأقاويل لأن هذه القصة عقب قوله يا أيها الناس فهو أولى أن يكون خبرا عنهم من أن يكون خبرا عن المتخذين الأنداد بما فيهما من الآيات لطول الكلام وادغم علي بن حمزة الكسائي لام هل وبل في ثمانية أحرف التاء كقوله بل تؤثرون و هل تعلم والتاء كقوله هل ثوب والسين في قوله بل سولت لكم والزاي كقوله بل زين والضاد كقوله بل ضلوا والطاء كقوله بل ظننتم والطاء كقوله بل طبع الله والنون نحو قوله بل نحن بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا وإنما خص به لام هل وبل دون سائر اللامات لأنها ساكنة بتا وسائر اللامات ساكنة بعلل متى ما زالت تلك العلل زال سكونها فقال الله أو لو كان آباؤهم واو العطف ويقال أيضا واو التعجب دخلت عليها ألف الإستفهام للتوبيخ والتقرير فلذلك نصبت والمعنى يتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا وترك جوابه لأنه معروف قوله تعالى لا يعقلون شيئا لفظ عام ومعناه الخصوص لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا

(1/249)

---

ومعناه لا يعقلون شيئاً من أمر الدين ولا يهتدون ثم ضرب لهم مثلاً فقال عز من قائل ومثل الذين كفروا وسلكت العلماء في هذه الآية طريقين وأولوها على وجهين فقال قوم أراد بما لا يسمع إلا دعاء مثل البهائم التي لا تعقل مثل الإبل والغنم والبقر والحمير ونحوها وعلى هذا القول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع والسدي وأكثر المفسرين ثم اختلف أهل المعاني في وجه هذا القول وتقدير الآية فقال بعضهم معنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل قاله الأخفش والزجاج وقال الباقر ومثل واعظ الذين كفروا وداعيتهم كمثل الذي ينطق فترك ذلك وأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه ويسمى هذا النوع من الخطاب المضممر ومثله في القرآن كثير كقوله وسئل القرية قال الشاعر حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي وثبت غيرك بالعناق يعني حسبت بغام راحلتي بغام عناق وقال الراجز ولست مسلماً ما دمت حياً على زيد كتسليم الأمير أي كتسليمي على الأمير فشبه الله عز وجل واعظ الكفار بالراعي الذي ينطق بالغنم أي يصيح ويصوت بها يقال ينطق نعيقاً ونعاقاً ونعقاً إذا صاح وزجر قال الأخطل فأنطق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالاً فكما أن هذه البهائم تسمع الصوت ولا تفهمه ولا تنتفع به ولا تعقل ما يقال لها وكذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إن أمرته بخير أو زجرته عن سوء غير أنه يسمع صوتك قال الحسن يقول مثلهم فيما قبلوا من آباءهم وفيما أتيتهم به حيث لا يسمعون ولا يعقلونه كمثل راعي الغنم الذي نعق بها فإذا سمعت الصوت رفعت رؤوسها فاستمعت إلى الصوت والدعاء ولا تعقل منه شيئاً ثم تعود بعد إلى مراتعها لم تفقه ما يراد لها به وقال بعضهم معنى الآية ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله عز وجل وعن رسوله وسوء قبولهم عنهما كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي غير الصوت فكذلك الكافر في قلة فهمه وسوء

(1/250)

تفكره وتدبره فيما أمر به ونهي عنه فيكون المعنى للمنعوق به الكلام خارج على الناعق وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك ويقبلون الكلام لاتضح المعنى عندهم فيقولون فلان يخافك كخوف الأسد أي كخوفه الأسد ويقولون أعرض الحوض علي الناقة وإنما هو أعرض الناقة على الحوض قال الله عز وجل إن مفاتيحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح وقال الشاعر وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلي في ذي المطارة عاقل والمعنى حتى ما يزيد مخافتي وجل على مخافتي وقال الآخر كانت فريضة ما تقول كما إن الزنى فريضة الرجم والمعنى كما إن الرجم فريضة الزنا وأنشد الفراء إن سراجاً لكريم مفخره تجلى به العين إذا ما تجمره والمعنى يحلى بالعين ونظائره كثيرة وعلى هذا القول أبو عبيدة والفراء وجماعة من العلماء وقال بعضهم معنى الآية ومثل الكفار في قلة فهمهم وعقلهم كمثل الرعاة يكلمون البهائم ولا تعقل عنهم وعلى هذا التفسير لا تحول الآية إلى الضمير وقال بعضهم معناها ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام التي لا تفقه دعاؤهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير إنه في عناء من دعاء ونداء



فكذلك الكافر ليس له من دعائه الآلهة وعبادته الأوثان إلا العناء والبلاء ولا ينتفع منها بشيء يدل عليه قوله تعالى في صفة الأصنام إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو يسمعون ما استجابوا لكم فهذا وجه صحيح وأما الوجه الآخر فقال قوم معنى الآية ومثل الكفار في دعائهم الأوثان وعبادتهم الأصنام كمثل الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيب فيها صوت يقال له الصدى يجيبه ولا ينفعه فيكون تأويل الآية على هذا القول ومثل الكفار في عبادتهم الأصنام كمثل الناقع بما لا يسمع منه إلا دعاء ونداء ثم قال صم أي هم صم والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه كأنه أصم قال الشاعر أصم عما يساء سمع

(1/251)

---

بكم عن الخير فلا يقولونه عمي عن الهدى فلا يبصرونه فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات من حلال ما رزقناكم من الحرث والأنعام وسائر المأكولات والنعم وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعر أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي في حرام فأنى يستجاب له واشكروا لله على نعمته إن كنتم إياه تعبدون قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله جل جلاله إني والجن والأنس في نأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري ثم بين ما حرم عليكم فقال إنما حرم عليكم الميتة قرأ أبو عبد الرحمن السلمى إنما حرم خفيفة الرء مضمومة الميتة والدم ولحم الخنزير رفعا على إن الفعل لها وروى عن أبي جعفر إنه قرأ حرم بضم الحاء وكسر الرء وتشديدها ورفع ما بعده وله وجهان أحدهما إن الفاعل غير مسمى والثاني إن الذي حرم عليكم الميت على خبر إن وقرأ إبراهيم بن أبي عبله حرم بنصب الحاء والرء مشددا ورفع ما بعده جعل ما بمعنى الذي منفصله عن قوله إن وحينئذ تكون ما نصبا بإسم إن وما بعدها رفعا على خبرها كما تقول إن ما أخذت مالك وإن ما ركبت دابتك أي إن الذي قال الله إنما صنعوا كيد ساحر وقرأ الباقون حرم عليكم الميتة نصبا على إيقاع الفعل وجعلوا إنما كلمة واحدة تأكيدا وتحقيقا وقرأ أبو جعفر الميتة وأخواتها بالتشديد في كل القرآن وأما الآخرون فخففوا بعضا وشددوا بعضا فمن شدد قال أصله ميوت فعل من الموت فادغمت الياء في الواو وجعلت الواو ياء مشددة للكسرة كما فعلوا في سيد وحيد وصيب ومن لم يشدد فعلى طلب الخفة وهما لغتان مثل هين وهين ولين ولين قال الشاعر

(1/252)

---

ليس من مات واستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء فجمع بين اللغتين وحكى أبو معاذ عن النحويين وقال إن الميت بالتخفيف الذي فارقه الروح والميت بالتشديد الذي لم يمت بعد وهو يموت قال الله عز وجل إنك ميت وإنهم ميتون لم يختلفوا في تشديده والله أعلم والميتة كل ما لم تدرك ذكاته وهو مما يذبح

والدم أراد به الدم الجاري يدل عليه قوله عز وجل أو دما مسفوحا مقيد وهذه الآية مخصوصة بالسنة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم حللت أنا ميتان ودمان فأما الميتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال وقوله ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وكل بدنه فعبر بذلك عن اللحم لأنه معظمه وقوامه وما أهل به لغير الله أي ما ذبح عن الأصنام والطواغيت كما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وأصل الإهلال رفع الصوت ومنه إهلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبية قال ابن أحمـر نصف فلاة يهل بالفرقد ركبائها كما يهل الراكب المعتمر وقال آخر أو درة صدفة غواصها يهيج متى يرها تهل وتسجد ومنه أهل الصبي واستهلاله وهو صياحه عند خروجه من بطن أمه وفي الحديث كيف أذي من لانطق ولا استهل ولا يشرب ولا أكل فمثل ذلك يطل ومثل أهلال المطر واستهلاله وانهلاله وهو صوت وقوعه على الأرض قال عمر بن قميئة ظلم البطاح له انهلال حريصة فصفا النطاق له بعيد المقلع وانما قال وما أهل به لانهم كانوا إذا ذبحوا لألهتهم التي ربوها جهروا به أصواتهم فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح سمي أولم يسم جهر بالصوت أو لم يجهر مهل الربيع بن أنس وغيره وما أهل به لغير الله ما ذكر عليه غير اسم الله وقال الزهري

(1/253)

الاهلال لغير الله أن تقول باسم المسيح وهذه الآية مخصوصة بأهل الكتاب وهو قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وروى صيوه عن عقبة بن مسلم التجيبي وقيس بن رافع الأشجعي إنهما قالوا إنما أحل لنا ما ذبح لعيد الكنائس وما أهدي لها من خبز أو لحم فإنما هو طعام أهل الكتاب وقال صيوه قلت رأيت قول الله تعالى وما أهل به لغير الله فقال إنما ذلك المجوس وأهل الأوثان والمشركون فمن أضطر قرأ عاصم وحمزة ويعقوب وأبو عمرو فمن أضطر بكسر النون فيه وفي أخواته مثل أن اقتلوا أو أخرجوا ونحوها لأن الجزم يحرك إلى الكسر وقرأ الآخرون بضم النون لما سكنوا آخر الفعل الذي يليه لأجل الوصل نقلوا ضمته إلى النون وقرأ ابن محيصن فمن إضطر بادغام الضاد في الطاء حتى تكون طاء خالصة قرأ أبو جعفر بكسر الطاء رد إلى الطاء كسرت الراء المدغمة لأن أصله اضطرر على وزن افتعل من الضرورة قرأ الباكون بضم الطاء على الأصل ومعناه أخرج وأجهد وألجىء إلى ذلك وقال مجاهد أكره عليه كالرجل يأخذه العدو فيكرهه على أكل لحم الخنزير وغيره من معصية الله غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء فإذا رأيت غيره لا يصلح في موضعها إلا فهي حال وإذا صلح في موضعها إلا فهي استثناء فقس على هذا ما ورد عليك من هذا الباب باغ ولا عاد أصل البغي في اللغة قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغى بغيا إذا ترامى إلى الفساد ومنه قيل للزنا بغاء قال الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء والزانية بغى قال الله وما كانت أمك بغيا وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدوا وعدوا وعدوانا وعداء إذا ظلم واختلف المفسرون في معنى قوله غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ أي غير قاطع للطريق ولا عاد مفرق للائمة بشاق للأمة خارج عليهم بسيفه فمن خرج يقطع الرحم أو يخيف ابن السبيل أو يفسد في

الأرض أو ابق من سيده أو فر من غريمه أو خرج عاصيا بأي وجه كان فاضطر  
إلى ميتة لم يحل له أكلها أو اضطر إلى

(1/254)

---

الخمير عند العطش لم يحل له شربه ولا  
رخصة له ولا كرامة فاما إذا خرج مطيعا ومباحا له ذلك فانه يرخص فيه له وهذا  
قول مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والكلبي ويومان وهو مذهب الشافعي  
قال إذا ابحنا له ذلك فقد أعناه على فساده وظلمه إلى أن يتوب ولا يستبيح ذلك  
وقال آخرون هذا البغي والعدوان راجعان إلى الأكل واليه ذهب أبو حنيفة وأباح  
تناول الميتة للمضطر وإن كان عاصيا ثم اختلف أهل التأويل في تفصيل هذه  
التفسير فقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد غير باغ يأكله من غير اضطرار  
ولا عاد متعدي يتعدى الحلال إلى الحرام فيأكلها وهو غني عنها مقاتل بن حيان  
غير باغ أي مستحل لها ولا عاد متزود منها السدي غير باغ في أكله شهوة  
فيأكلها ملذذا ولا عاد يأكل حتى يشبع منه ولكن يأكل منها قوتا مقدار ما يمسك  
رمقا شهر بن حوشب غير باغ أي مجاوز للقدر الذي يحل له ولا عاد ولا يقصر  
فيما يحل له فيدعه ولا يأكله قال مسروق بلغني إنه من اضطر إلى الميتة فلم  
يأكلها حتى مات دخل النار وقد اختلف الفقهاء في مقدار ما يحل للمضطر أكله  
من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يمسك به رمقه وهو أحد قولي الشافعي  
واختيار المزني والقول الآخر يأكل منها حتى يشبع وقال مقاتل بن حيان لا  
يزداد على ثلاث لقم وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق لجماعة ولا عاد  
مبتدع مخالف لسنة ولم يرخص للمبتدع تناول المحرمات عند الضرورات فلا  
إثم عليه فلا حرج عليه في أكلها إن الله غفور لما أكل من الحرام في حال  
الاضطرار رحيم به حيث رخص له في ذلك إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من  
الكتاب الآية قال جوبير عن الضحاك عن ابن عباس سئلت الملوك اليهود قبل  
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم عن الذي يجدونه في التوراة فقالت اليهود  
إننا لنجد في التوراة إن الله عز وجل يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد  
يحرّم الزنى والخمر والملاهي وسفك الدماء فلما بعث الله محمدا صلى الله  
عليه وسلم ونزل المدينة قالت الملوك لليهود

(1/255)

---

أهذا الذي تجدون في كتابكم فقالت اليهود طمعا في أموال الملوك ليس هذا  
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاهم الملوك الأموال فأنزل الله تعالى  
هذه الآية

أكذابا لليهود الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود  
وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون أن يكون  
النبي المبعث منهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من غيرهم  
خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم فعمدوا إلى صفة محمد صلى الله عليه  
وسلم فغيروها ثم أخرجوها إليهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر  
الزمان ولا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فلما نظرت السفلة إلى النعت

المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه فأُنزل الله تعالى إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبشئرون به بالمكتوم ثمنا قليلا عرضا يسيرا يعني المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم أولئك ما يأكلون في بطونهم ذكر البطن هاهنا للتوكيد لأن الإنسان قد يقول أكل فلان مالي إذا أفسده وبذره ويقال كلمة من فيه لأنه قد يكلمه مراسلة ومكاتبه وناوله من يده ونحوها قال الشاعر نظرت فلم تنظر بعينك منظرا إلا النار يعني إلا ما يوردهم النار وهو الرشوة والحرام وثمر الدين والإسلام لما كانت عاقبته النار سماه في الحال نارا كقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا يعني إن عاقبته تؤول إلى النار وقوله صلى الله عليه وسلم في الذي يشرب في أية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم أخبر عن المال بالحال ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلاما ينفعهم ويسرهم هذا قول أهل التفسير وقال أهل المعاني أراد به إنه يغضب عليهم كما يقول فلان لا يكلم فلانا أي هو عليه غضبان ولا يزكيهم لا يطهرهم من دنس ذنوبهم

(1/256)

---

ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة أي استبدلوا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار اختلفوا في ما فقال قوم هي ما التعجب واختلفوا في معناها فقال الحسن وقتادة والربيع والله مالهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار قال وهذه لغة يمانية وقال الفراء اخبرني الكسائي اخبرني قاضي اليمن إن خصمين اختصما إليه فوجبت اليمين على أحدهما فحلف فقال خصمه ما أصبرك على الله أي ما أجرأك عليه وقال الموراج فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار لأن هؤلاء كانوا علماء فان من عاند النبي صلى الله عليه وسلم صار من أهل النار الكسائي وقطرب معناه ما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه كما تقول ما أشبه سخاك بحاتم أي بسخاء حاتم مجاهد ما أعلمهم بأعمال أهل النار وقيل ما أبقاهم في النار كما يقال ما أصبر فلانا على الضرب والحبس عطاء والسدي وابن زيد وأبو بكر بن عباس هي ما الإستفهام ومعناه ما الذي صبرهم وأي شيء صبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل فقبل هذا على وجه الإستهانة ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق قال بعضهم معناه ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق واختلفوا فيه وحينئذ تكون ذلك في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله عز وجل أو لأن الله نزل الكتاب بالحق واختلفوا فيه وكفروا به فنزع حرف الصفة وقال الأخفش خبر ذلك مضمرة معناه ذلك معلوم لهم بأن الله نزل الكتاب بالحق وقال بعضهم معناه ذلك أي فعلهم الذين يفعلون من الكفر والأختلاف والأجترأ على الله تعالى من أجل إن الله نزل الكتاب بالحق وتنزيله الكتاب بالحق هو اخباره عنهم إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وإن الذين اختلفوا في الكتاب فأمنوا ببعض وكفروا ببعض

(1/257)

---

لفي شقاق بعيد لفي خلاف وضلال طويل ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولاكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وءاتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل والسائلین وفي الرقاب وأقام الصلوة وءاتى الزکوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذین صدقوا وأولئك هم المتقون یاأیها الذین ءامنوا كتب علیکم القصاص فى القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والانشى بالانشى فمن عفى له من أخیه شیء فاتباع بالمعروف وأداء إلیه بإحسان ذلك تخفیف من ربکم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم فى القصاص حیوة یاأولی الألباب لعلکم تتقون لیس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قرأ حمزة وحفص لیس البر بنصب الرءاء وقرأ الباقون بالرفع فمن رفع البر جعله إسم لیس وجعل خبره فى قوله أن تولوا تقدیره لیس البر تولیتکم وجوهكم ومن نصب جعل أن وصلتھا فى موضع الرفع على إسم لیس تقدیره لیس تولیتکم وجوهكم البر كله كقوله ماكان حجتهم إلا أن قالوا وقوله فكان عاقبتهما إنهما فى النار هارون عن عبد الله وأبى بن كعب إنهما قرئا لیس البر بأن تولوا وجوهكم واختلف المفسرون فى هذه الآیة فقال قوم عنى الله بهذه الآیة اليهود والنصارى وذلك إن اليهود كانت تصلى قبل المغرب إلى بیت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم إن البر فى ذلك فأخبر الله إن البر غیر دینهم وعملهم ولكنه ما بینه فى هذه الآیة وعلى هذا القول قتادة والربیع ومقاتل بن حیان وعوف الأعرابى وقال الآخرون المراد بهذه الآیة المؤمنون وذلك إن رجلا سأل النبى صلی الله علیه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآیة فدعا رسول الله صلی الله علیه وسلم ذلك الرجل فتلاھا علیه وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا اله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله وصلى الصلاة إلى أى ناحية ثم مات على ذلك وجبت له

(1/258)

---

الجنة فلما هاجر رسول الله صلی الله علیه وسلم ونزلت الفرائض وحدد الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآیة فقال لیس البر كله أن تصلوا وتعملوا غیر ذلك ولكن البر من آمن بالله جعل من وهى اسم خيرا للبر وهو فعل ولا يقال البر زید واختلفوا فى وجه الآیة فقال بعضهم لما وقع من فى موضع المصدر جعله مضمرا للبر كأنه قال ولكن البر الأیمان بالله والعرب تجعل الأسم خيرا للفعل كقولهم إنما البر الصادق الذى يصل من رحمه ويخفى صدقته يريدون صلة الرحم وأخفاء الصدقة وعلى هذا القول الفراء والمفضل بن سلمة وأنشد الفراء لعمرک ما الفتیان أن تثبت اللحى ولكنما الفتیان كل فتى ندى فجعل نبات اللحية خيرا للفتى وقيل معناه ولكن البر بر من آمن بالله واستغنى عن الناس كقولهم الجود حاتم والشجاعة عنترة والشعر زهير أى جود حاتم وشجاعة عنترة وشعر زهير وتقول العرب بنو فلان يطأهم الطريق أى أهل الطريق قال الله تعالى واسأل القرية وقال تعالى ما خلقکم ولا بعثکم إلا

كنفس واحدة قال النابغة الجعدي وكيف نواصل من أصبحت جلالته كأبي  
مرحب أي كجلالة أبي مرحب وعلى هذا القول قطرب والفراء والزجاج أيضا  
وقال أبو عبيدة معناه ولكن البار من أمن بالله كقوله والعاقة للتقوى أي  
المتقي وقيل معنى ذو البر من أمن بالله حكاة الزجاج كقوله هم درجات عند  
الله أي ذو درجات قال المبرد لو كنت ممن قرأ القرآن لقرئت لكن البر من  
أمن بالله بفتح الباء تقول العرب رجل بر وبار والجمع بررة وابرار والبر العطف  
والأحسان والبر أيضا الصديق والبر هنا الإيمان والتقوى وهو المراد في هذه  
الآية بذلك عليه قوله من أمن بالله واليوم الآخر والملائكة كلهم والكتاب يعني  
الكتب والنبیین أجمع وأتى المال على حبه واختلفوا في هذه الحكاية

(1/259)

---

فقال أكثر المفسرين في حبه راجعة إلى المال يعني أعطى المال في حال  
صحته ومحبه إياه ونفسه به يدل عليه قول ابن مسعود في هذه الآية قال هو  
أن توصيه وأنت صحيح تأمل العيش وتخش الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت  
الحلقوم قلت لفلان كذا ورفع هذا الحديث بعضهم وقيل هي عائدة على الله عز  
وجل أي حب الله سبحانه قال الحسين بن أبي الفضل على حب الأيتاء وقيل  
الهاء راجعة إلى المعطي أي حب المعطي ذوي القربى واليتامى أهل القرابة  
عن أم رابع بنت صليح عن سليمان بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال صدقتك على مسكين صدقة واحدة وعلى ذي الرحم إثنين لأنها صدقة  
وصلة الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي  
معيط قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الصدقة على  
ذي الرحم الكاشح سليمان بن يسار عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه  
وسلم قالت أعتقت جارية لي فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم  
فأخبرته بعقتها فقال أجرك الله أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك  
والمساكين وابن السبيل سمي المجاز واختلفوا فيه فقال أبو جعفر البارقي  
ومجاهد يعني المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك قتادة هو الضيف ينزل  
بالرجل قال وذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من كان يؤمن  
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وكان يقول حق الضيافة ثلاث ليال فكل شيء  
أضافه فهو صدقة وإنما قيل للمسافر والضيف الذي يحل ويرتجل ابن السبيل  
لملازمته الطريق كما قيل للرجل الذي أتت عليه الدهور ابن الأيام والليالي  
ولطير الماء ابن الماء لملازمته إياه قال ذو الرمة

(1/260)

---

وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق والسائلين  
المستطعمين الطالبين عبد الله بن الحسين عن أمه فاطمة بنت الحسين  
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للساءل حق وإن جاء على فرس  
مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه وفي الرقاب يعني المكاتبين قاله أكثر  
المفسرين وقيل فداء الاسارى وقيل عتق النسمة وفك الرقبة وأقام الصلاة

المفروضة وآتى الزكاة الواجبة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا فيما بينهم وبين الناس إذا وعدوا انجزوا وإذا حلفوا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا أئتمنوا أدوا قال الربيع بن أنس فمن أعطى عهد الله ثم نقضه فالله سبحانه مطعم منه ومن أعطى دمه النبي صلى الله عليه وسلم ثم غدر فالنبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة وفي وجه ارتفاع الموفين قولان قال الفراء والأخفش هو عطف على محل من في قوله ولكن البر من آمن بالله و من في موضع جمع ومحل رفع كأنه قال ولكن البر المؤمنون والموفون وقيل رفع على الابتداء والخبر تقديره هم الموفون ثم قال والصابرين وفي نصبها أربعة أقاويل قال أبو عبيد نصب على تناول الكلام ومن شأن العرب أن في تعير الاعراب إذا طال الكلام والنسق وقال الكسائي نصبه نسقا على قوله ذوي القربى الصابرين وقال بعضهم معناه وأعني الصابرين وقال الخليل بن أحمد والفراء نصب على المدح والعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون بذلك أفراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه بأول الكلام فينصبونه

(1/261)

---

فأما المدح فقوله تعالى والمقيمين الصلاة وأنشد الكسائي وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم إلا نميرا اطاعت أمر غاويها والطاعنين ولما يطعنوا أحدا والقائلين لمن دار يخليها وأنشد أبو عبيدة لحزنق بن عفان لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وانه الجزل النازلين بكل معترك والطيبين معاهد الأزل وأما الذم فقوله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقال عروة بن الورد تسقوني الخمر ثم تكفوني عداة الله من كذب وزور في البأساء يعني الشدة والفقر والضراء المرض والزمانة وهما إسمان بنيا على فعلا ولا أفعل لهما لانهما إسمان وليسا بنعت وحين البأس وقت القتال وقال علي رضي الله عنه كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أقربنا إلى العدو إذا اشتد الحرب أولئك الذين صدقوا في دمائهم وأولئك هم المتقون روى القاسم إن إبا ذر سئل عن الإيمان فقرا هذه الآية فقال السائل انما سألنا عن الإيمان وتخبرنا عن البر فقال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإيمان فقرا هذه الآية وقال أبو ميسرة وقرا هذه الآية ومن عمل بهذه الآية فقد استكمل البر يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الآية قال الشعبي والكلبي وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو الجوزاء وسعيد بن جبير نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام قال سعيد بن جبير إنهما كانا حيين الأوس والخزرج وقال ابن كيسان قريظة والنضير قال وكان لأحد الحيين حول على الآخر في الكرم والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا

(1/262)

---

الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك وهم كذا يعاملونهم في الجاهلية فرفعوا أمرهم إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمرهم بالمساواة فرضوا وسلموا السدي وجماعة نزلت هذه الآية في الديات وذلك إن أهل حزيين من العرب أقتلوا أحدهما مسلماً والآخر معاهد فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلح بينهم بأن يجعل ديات النساء من كل واحد من الفريقين قصاصاً بديات النساء من الفريق الآخر وديات الرجال بالرجال والعبيد بالعبيد فأنزل يا أيها الذين آمنوا كتب فرض وكتب عليكم في القتل والقصاص المساواة والمماثلة في النفوس والجروح والديات وأصله من قص الأثر إذا اتبعه فكان المفعول به يتبع ما عمل به فيعمل مثله ثم بين فقال الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ذكر حكم الآيات إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر إذا قتل منهم بالذكر والأنثى إذا قتلت بالأنثى والذكر والأجماع واقع إن الرجل يقتل بالمرأة لأنهما يتساويا في الحرمة والميراث وحد الزنى والقذف وغير ذلك فلذلك يجب أن يستويا في القصاص ولا يقتل الحر بالعبد وعليه قيمته وإن بلغت ثلث لما بينهما من المفاضلة ولا يقتل مؤمن بكافر بدليل ما روى الشعبي عن أبي حنيفة قال سألت علياً كرم الله وجهه هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عز وجل عبداً فهما في كتابه وما في الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ولا يقتل سيد بعبد ولا والد بولده يدل عليه ما روى إن رجلاً اسمه قتادة رمى ابنه بسيف فأصاب رجله فنزف فمات فقال عمر رضي الله عنه لولا أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقاد والد بولده وإلا قدته به فمن عفي له من أخيه شيء

(1/263)

أي ترك وله وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص وروي عن علي رضي الله عنه إنه قتل ثلاثة بواحد في قتل العمدة هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمدة وقال السدي هو أن يبقى له بقية من دية أخيه أو من أربش جراحته

فاتباع أي فعلية اتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان أمر الطالب أن يطلب بالمعروف ويتبع حق الواجب له عليه من غير أن يطالبه بالزيادة أو يكلفه ما لم يوجبه الله له أو يشدد عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من زاد بعيراً في إبل الديات وفرائضها فمن أمر الجاهلية حكم الآية أعلم إن أنواع القتل ثلاثة العمدة وشبه العمدة والخطأ فالعمدة أن يقصد ضربه بما إن الأغلب إنه يموت منه مثل الحديد والخشبة العظيمة والحجر الكبير ونحوها أو حرقه أو غرقه أو الشدة من حبل أو سطح أو في بئر وما يشبه ذلك مما يتعمد قلبه ففي هذا القصاص أو الدية فدية المسلم ألف دينار ومن الورق اثنا عشر ألف درهم ومن الإبل مائة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها وثلاثون حقه وثلاثون جذعة الأصل في الرجل الإبل أو ديات النساء على النصف من ذلك وأما شبه العمدة فهو أن يقصد ضربه بما الأغلب إنه لا يموت منه مثل حصي صغير أو عود صغير أو لطمه أو وكزه أو بكسره أو صفة أو ضربة بالسيف عمداً أو ما شابه ذلك فمات منه فهنا يجب الدية مغلظة على العاقلة كما وصفنا في دية العمدة وأما



الخطأ فهو أن يقصد شيئاً فيخطىء ويصوب غيره كالرجل يرمي الهدف أو الصيد فيخطىء السهم فيقع بأنسان فيقتله فهو الخطأ المحض وفيه الدية المخففة على العاقلة في ثلاث سنين أخماسا عشرون بنات مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون إبناً لبنون وعشرون خناق وعشرون جذعا ولايتعين الورق والذهب كما تنقص الإبل الذي ذكرت من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة وذلك إن الله تعالى كتب على أهل التوراة في النفس والجرح أن يقيدوا ولا يأخذوا الدية ولا يعفوا وعلى أهل الأنجيل أن يعفوا ولا يقيدوا ولا يأخذوا

(1/264)

---

الدية فخير الله تعالى هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو كما روى سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القليل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل قتيلاً بعده فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل فمن اعتدى ظلم وتجاوز الحد بعد ذلك فليل بعد أخذ الدية وقال الحسن كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلاً فر

إلى قومه فيجيء قومه فيصالحون بالدية فذلك الاعتداء فله عذاب أليم يقتل في الدنيا ولا يعفى عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذه الدية منه وفي الآخرة عذاب النار وفي هذه الآية دليل على إن القاتل لا يصير كافراً ولا يبقى خالداً في النار لأن الله تعالى خاطبهم فقال يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولا خلاف إن القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه أسم الإيمان بارتكاب هذه الكبيرة وقال في آخر الآية فمن عفى له من أخيه شيء فسمى القاتل أماً المقتول وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهما يخصان المؤمنين دون الكافرين يروى أن مسروقاً سئل هل للقاتل توبة فقال لا أغلق باباً فتحه الله ولكم في القصاص حياة بقاء لأنه إذا علم أنه إن قتل أمسك وارتدع عن القتل ففيه حياة للذي يهمل بقتله وحياة للهامل ولهذا قيل في المثل القتل قلل القتل وقال قتادة كم رجل قدهم بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله تعالى حذر عباده بعضهم عن بعض هذا قول أكثر المفسرين وقال السدي كانوا يقتلون بالواحد الاثنى عشر والعشرة والمائة فلما قصروا بالواحد على الواحد كان في ذلك حياة وقيل أراد في الآخرة لأن من أقيد منه في الدنيا حيا في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة ويعني الحياة سلامته من قصاص الآخرة وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصاص حياة أراد القرآن فيه حياة القلوب قال يا أولي الأبواب يا ذوي العقول لعلمكم تتقون القتل مخافة القود كتب عليكم

(1/265)

---

إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم كتب فرض ووجب عليكم إذا حضر جاء أحدكم الموت يعني أسباب

الموت وآثاره ومقدماته من العلل والأمراض ولم يرد المعاينة إن ترك خيرا مالا نظيره قوله وماتنفقوا من خير الوصية في رفعها وجهان أحدهما اسم مالم يسم فاعله وهو قوله كتب والثاني خبر حرف الصفة وهو اللام في قوله للوالدين والأقربين بالمعروف يعني لايزيد على الثلث ولايوصي للغني ويدع الفقير كما قال ابن مسعود الوصية للأهل فالأهل أي الأحوج فالأحوج حقا واجبا وهو نصب على المصدر أي حق ذلك حقا وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقا وقيل على القطع من الوصية على المتقين المؤمنين واختلف العلماء في معنى هذه الآية فقال قوم كانت الوصية للوالدين والأقربين فرضا واجبا على من مات وله مال حتى نزلت آية المواريث في سورة النساء فنسخت الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون وبقي فرض الوصية للأقرباء الذين لا يرثون والوالدين الذين لا يرثان بكفر أو رق على من كان له مال فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية فقال الآن الله تعالى قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فيمن إن الميراث والوصية لايجتمعان فأية المواريث هي لنا حجة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين هذا قول ابن عباس وطاووس وقتادة والحسن ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد والربيع وابن زيد قال الضحاك من مات ولم يوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية وقال طاووس من أوصى لقوم وسماهم وترك ذوي قرابته محتاجين أنتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته وقال آخرون بل نسخ ذلك كله بالميراث فهذه الآية منسوخة ولا يجب لأحد وصية على أحد قريب ولابعيد فإن أوصى فحسن وأن لم يوص فلا شيء عليه وهذا قول علي وابن

(1/266)

عمر وعائشة وعكرمة ومجاهد والسدي قال شريح في هذه الآية كان الرجل يوصي بماله كله حتى نزلت آية المواريث وقال عروة بن الزبير دخل علي رضي الله عنه على مريض يعوده فقال إني أريد أن أوصي فقال علي إن الله تعالى يقول إن ترك خيرا وإنما يدع شيئا يسير فدعه لعيلك إنه أفضل وروى أبوب عن نافع عن ابن عمر إنه لم يوص فقال أما مالي والله أعلم ماكنت أصنع به في الخلوة وأما رباعي لن يشرك ولدي فيها أحد وروى ابن أبي مليكة إن رجلا قال لعائشة إني أريد أن أوصي قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيلك قال أربعة قالت إنما قال الله تعالى إن ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيلك وروى سفيان بن بشير بن دحلوق قال قال عروة بن ثابت للربيع بن خيثم اوص لي بمصحفك قال فنظر إلى أبيه فقال أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض وروى سفيان عن الحسين بن عبد الله عن إبراهيم قال ذكر لنا إن زبيرا وطلحة كانا يشددان في الوصية فقال ما كان عليهما أن لايفعلا مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوص وأوصى أبو بكر أي ذلك فعلت فحسن فمن بدله أي فمن غير الوصية من الأوصياء والأولياء أو الشهود من بعدما سمعه من الميت فإنما ذكر الكناية عن الوصية وهي مؤنثة لأنها في معنى الأيضاء لقوله فمن جاءه موعظة من ربه رده إلى الوعظ ونحوها كثيرة وقال المفضل لأن الوصية قول فذهب إلى المعنى وترك اللفظ كقول امرئ القيس برهرة رودة رخصة كخرعوبة اليانة المنقطر المنقطر

المنتفخ بالورق وهو أنعم ما يكون فذهب إلى القضيب فترك لفظ الخرعوبة  
فإنما إثمه على الذين يبدلونه وصي الميت إن الله سميع لوصاياكم عليم  
بنياتكم فمن خاف أي خشني وقيل علم وهو الأجود كقوله إلا أن يخافا ألا يقيما  
حدود الله فإن خفتم وقال أبو محجر الثقفي فلا تدعني بالفلاة فأنني أخاف إذا  
مامت أن لا أدوقها أراد أعلم من موص قرأ مجاهد وعطاء وحميد وابن كثير  
وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر وشيبة ونافع بالتخفيف واختاره أبو

(1/267)

---

حاتم  
لقول الناس أوصيكم بتقوى الله قال أبو حاتم قرأتها بمكة بالتشديد أول ليلة  
أقمت فعابوها علي وقرأ الباقر موص بالتشديد واختاره أبو عبيد كقوله ما  
وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى جنفا  
جورا وعدولا من الحق من الحق والجنف الميل في الكلام والأخذ كلها يقال  
جنف وأجنف وتجانف إذا مال قال لبيد إني أمرؤ منعت أرومة عامر ضيمي وقد  
جنفت علي خصوم وقال آخرهم أقول وقد جنفوا علينا وأنا من لقاءهم أزور  
وقال عليج حيفا بالحاء والياء أي ظلما قال الفراء الفرق بين الجنف والحيف أن  
الجنف عدول عن الشيء والحيف حمل الشيء حتى ينتقصه وعلى الرجل حتى  
ينتقص حقه يقال فلان يتحوف ماله أي ينتقصه مني حافته وقال المفسرون  
الجنف الخطأ والأثم العمد واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال قوم تأويلها  
من حضر مريضا وهو يوصي فخاف أن يحيف في وصيته فيفعل ما ليس له أو  
تعمد جورا فيها فيأمر بما ليس له فلا حرج على من حضره أن يصلح بينه وبين  
ورثته بأن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف فينظر للموصي وللورثة  
وهذا قول مجاهد هذا ممن يحضر الرجل وهو يموت فإذا أسرف أمره بالعدل  
وإذا قصر قال أفعل كذا أعط فلانا كذلك وقال آخرون هو إنه إذا أخطأ الميت  
وصيته أو خاف فيها متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمر المسلمين  
أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق  
وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وإبراهيم والربيع وروى ابن جريج عن عطاء  
قال هو أن يعطي عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد  
موته فلا إثم على من أصلح بين الورثة طاوس الحيف وهو أن يوصي لبني ابنه  
يريد ابنه أو ولد ابنته يريد ابنته ويوصي لزوج ابنته ويريد بذلك ابنته فلا حرج  
على من أصلح بين الورثة

(1/268)

---

السدي وابن زيد هو في الوصية للأبء والأقربين بالأثرة يميل إلى بعضهم  
ويحيف لبعضهم على بعض في الوصية فإن أعظم الأجر أن لا ينفذها ولكن  
يصلح ما بينهم على ما يرى إنه الحق فينقص بعضا ويزيد بعضا قال ابن زيد فعجز  
الموصي أن يوصي للوالدين والأقربين كما أمره الله وعجز الوصي أن يصلح  
فيوزع الله ذلك منه بفرض الفرائض لذلك قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إن الله تعالى لم يوص بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم

مواريتكم وقال فاصلح بينهم ولم يجر للورثة ولا للمختلفين في الوصية ذكر لأن سياق الآية وما تقدم من ذكر الوصية يدل عليه قال الكلبي كان الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول الآية فمن بدله بعد ماسمعه الآية وإن استغرق المال كله ويبقى الورثة بغير شيء ثم نسختها هذه الآية فمن خاف من موص جنفا الآية وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فمرضت مرضا أشرفت على الموت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن لي مالا كثيرا وليس يرثني إلا بنت لي أفأوصي بثلاثي مالي قال لا قلت فبشطر مالي قال لا قلت بثلاث مالي قال نعم الثلث والثلث كثير إنك يأسعد أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكفون الناس وقال مسلم بن صبيح أوصى جار لمسروق فدعا مسروقا ليشهده فوجده قد بذر وأكثر فقال لا أشهد إن الله عز وجل قسم بينكم فأحسن القسمة فمن يرغب برأيه عن أمر الله فقد ضل أوص لقرابتك الذين لا يرثون ودع المال على قسم الله وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حاف في وصيته ألقى في اللوى واللوى واد في جهنم

(1/269)

شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فإذا أوصى لم يحف في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة ثم قال أبو هريرة أقرأوا إن شئتم تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي صلى الله عليه وسلم أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون يا أيها الذين آمنوا قال الحسن إذا سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا فادع لها سمعك فانها لأمر يؤمر به أو لنهي تنهى عنه وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لذة يا في النداء أزال تعب العبادة والعناء كتب فرض واجب عليكم الصيام وهو مصدر قولك صمت صياما كما تقول قمت قياما وأصل الصوم والصيام في اللغة الإمساك يقال صامت الريح إذا سكنت وأمسكت عن

الهبوب وصامت الخيل إذا وقعت وأمسكت عن السير قال النابغة خيل صيام  
وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلقك اللجما  
فقال صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لأن الشمس إذا طلعت في كبد  
السماء وقفت فأمسكت عن السير سريعة قال امرؤ القيس فدع ذا وسل هم  
عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا وقال الراجز حتى إذا صام النهار  
واعتدل وسال للشمس لعاب فنزل ويقال للرجل إذا صمت وأمسك عن الكلام  
صام قال الله تعالى إني نذرت للرحمان صوما أي صمتا فالصوم هو الإمساك  
عن المعتاد من الطعام والشراب والجماع كما كتب على الذين من قبلكم من  
الأنبياء والأمم وأولهم آدم ج وهو ماروي عبد الملك بن هارون بن عنتره عن أبيه  
عن جده عن علي رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ذات يوم عند انتصاف النهار وهو في الحجر فسلمت عليه فرد علي النبي صلى  
الله عليه وسلم ثم قال يا علي هذا جبرئيل يقرئك السلام فقلت عليك وعليه  
السلام يارسول الله لم قال أدن مني فدنوت منه فقال يا علي يقول لك جبرئيل  
صم كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف سنة وباليوم الثاني  
ثلاثين ألف سنة وباليوم الثالث مائة ألف سنة فقلت يارسول الله هذا ثواب لي  
خاصة أم للناس عامة قال يا علي يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل  
عملك بعدك قلت يارسول الله وماهي قال أيام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر  
 وخمسة عشر قال عنتره قلت لعلي رضي الله عنه لأي شيء سميت هذه  
الأيام البيض قال لما أهبط آدم ج من الجنة إلى الأرض أحرقت الشمس فاسود  
جسده ثم صام اليوم الثالث فاتاه جبرئيل فقال يا آدم أتحب أن يبيض جسدي  
قال نعم قال فصم من الشهر ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر فصام آدم  
ج أول يوم فابيض ثلث جسده ثم صام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده ثم صام  
اليوم الثالث فابيض جسده كله فسميت أيام البيض قال المفسرون فرض الله  
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين صوم عاشوراء وثلاثة  
أيام من

كل شهر حين قدم المدينة فكانوا يصومونها إلى أن نزل صيام شهر رمضان  
قبل قتال بدر  
بشهر وأيام وقال الحسن وجماعة من العلماء اراد بالذين من قبلنا النصارى  
شبه صيامنا بصيامهم لا تفاقهم بالوقت والقدر وذلك ان الله فرض على  
النصارى صيام شهر رمضان فاشتد ذلك عليهم لأنه ربما كان في الحر الشديد  
والبرد الشديد فكان يضر بهم في أسفارهم ومعائشهم واجتمع رأي علمائهم  
ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف  
فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم إن  
ملكا لهم إشتكى فمه فجعل الله عليه إن هو بوراً من وجعه أن يزيد في صومه  
إسبوعاً فبراً فزاد فيه إسبوع ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال أتموا

خمسين يوما فأتموه خمسين يوما وقال مجاهد أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد روى أبو أمية الطنافسي عن الشعبي قال لو صمت السنة كلها وفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك أن النصراني فرض عليهم شهر رمضان كما فرض علينا فحولوه إلى الفصل وذلك إنهم ربما كانوا صاموه في القيظ فعدوا ثلاثين يوما ثم جاء بعدهم قرن منهم فأخذوا بالثقة في أنفسهم فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوما فذلك قوله عز وجل كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع أياما معدودات يعني شهر رمضان ثلاثين يوما أو تسعة وعشرون يوما لما روى سعيد بن العاص إنه سمع ابن عمر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنا أمة أمية لا تحسب ولا تكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا تمام ثلاثين ونصب أياما على الظرف أي في أيام وقيل على التفسير وقيل على خبر مالم يسم فاعله وقيل باضمار فعل أي صوموا أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة أي فافطر

(1/272)

فعدة كقوله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية أي فحلق أو قصر ففدية واقصر وقوله فعدة أي فعليه عدة ولذلك رفع وقرأ إبراهيم بن أبي عبله فعدة نصبا أي فليصم عدة من أيام آخر غير أيام مرضه أو سفره والعدة العدد وآخر في موضع خفض ولكنها لا تنصرف فلذلك نصبت لأنها معدولة عن جهتها كان حقها أواخر وأخريات فلما عدلت إلى فعل لم تجر مثل عمر وزفر وعلى الذين يطيقونه قرأ ابن عباس وعائشة وعطاء بن رباح وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد يطيقونه بضم الياء ويفتح الطاء وتخفيفه وفتح الواو وتشديده أي يلفونه ويحملونه وروى عن مجاهد وعكرمة أيضا يطوقونه بفتح الياء وتشديد الطاء أراد يتطوقونه أي يتكلفونه وروى ابن الأنباري عن ابن عباس يطيقونه بفتح الياء الأول وتشديد الطاء والياء الثانية وفتحهما بمعنى يطيقونه يقال طاق وأطاق وأطيق بمعنى واحد فدية طعام مسكين قرأ أهل المدينة والشام فدية طعام مضافا مساكين جمعا أضافوا الطعام إلى الفدية وإن كان واحدا لاختلاف اللفظين كقوله وحب الحصيد وقولهم المسجد الجامع وبيع الأول ونحوها وهي قراءة أبي عمرو ومجاهد وروى يحيى ابن سعيد عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر إنه قرأها طعام مساكين على الجمع وروى مروان بن معاوية الفزاري عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قرأها كذلك مساكين وقرأ الباقر فدية منصوبة طعام رفعا مسكين خفض على الواحد وهي قراءة ابن عباس روي ابن أبي نجیح عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأها طعام مسكين على الواحد فمن وجد فمعناه لكل يوم اطعام مسكين واحد ومن جمع رده إلى الجميع وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم فمن تطوع خيرا قرأ عيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي يتطوع بالتاء وتشديد الطاء وجزم العين على معنى يتطوع وقرأ الآخرون تطوع بالتاء وفتح العين وتخفيف الطاء على الفعل الماضي واختلف

العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فقالو قوم كان ذلك أول ما فرض الصوم  
وذلك أن الله تعالى لما

(1/273)

---

أنزل فرض صيام شهر رمضان على رسوله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه  
بذلك شق عليهم وكانوا قوما لم يتعودوا الصيام فخيرهم الله بين الصيام  
والأطعام فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام ثم نسخ الله  
تعالى  
ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ونزلت العزيمة في إيجاب الصوم  
وعلى هذا القول معاذ بن جبل وأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع وابن عمر  
وعلقمة وعمرو بن مرة والشعبي والزهري وإبراهيم وعبيدة والضحاك وأحدى  
الروايات عن ابن عباس وقال آخرون بل هو خاص للشيخ الكبير والعجوز  
الكبيرة والذين يطيقان الصوم ولمن يشق عليهما رخص لهما إن شاء أن يفطر  
مع القدرة ويطعما لكل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم  
الشهر فليصمه وثبت الرخصة للذين لا يطيقون وهذا قول قتادة والربيع بن أنس  
ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسن هذا في المريض كان إذا  
وقع عليه اسم المرض وإن كان يستطيع الصيام الخيار إن شاء صام وإن شاء  
أفطر وأطعم حتى نسخ ذلك فعلى هذه الأقاويل الآية منسوخة وهو قول أكثر  
الفقهاء المفسرين وقال قوم لم تنسخ هذه الآية ولا شيء منها وإنما تأويل ذلك  
أو على الذين يطيقونه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم ثم عجزوا  
عن الصوم فدية طعام مساكين لأن للقوم كان رخص لهم في الإفطار وهم  
على الصوم قادرين إذا اقتدروا وآخرون أضمرنا في الآية وقالوا هذه عبارة  
عن أول حالهم وجعلوا الآية محكمة وهذا قول سعيد بن المسيب والسدي  
وأحدى الروايتين عن ابن عباس فحمله ما ذكرنا من هذه الأقاويل على قراءة  
من قرأ يطيقونه من الأطلاق وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة أهل  
القرآن ومصاحف البلدان وأما الذين قرأوا يطوقونه فتأولوا بهم الشيخ الكبير  
والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه  
فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم افطروا مسكينا قالوا الآية محكمة غير  
منسوخة والدية الجزاء والبدل من قولك فديت هذا بهذا أي

(1/274)

---

حرمته وأعطيته بدلا منه يقال فديت فدية كما يقال مشيت مشية فمن تطوع  
خيرا فزاد على مسكين واحد وأطعم مسكينين فصاعدا قاله مجاهد وعطاء  
وطاوس والسدي وقال بعضهم فمن زاد على القدر الواجب من الأطعمة يزداد  
الطعام رواه ابن جريح وخطيف عن مجاهد وقال ابن شهاب يريد فمن صام مع  
الدية وجمع بين الصيام والطعام فهو خير له فهو خير له وإن تصوموا إن صلة  
تعني والصوم خير لكم من الإفطار والدية إن كنتم تعلمون  
فصل في حكم الآية أعلم إنه لا رخصة لأحد من المؤمنين البالغين في إفطار  
شهر رمضان إلا لأربعة أحدهم عليه القضاء والكفارة والثاني عليه القضاء دون

الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضاء والرابع لاقضاء عليه ولا كفارة وأما الذي عليه القضاء والكفارة فمن فرط في قضاء رمضان حتى دخل رمضان آخر والحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة وإن خافتا على أنفسهما فهما كالمريض حكمهما كحكمه هذا قول ابن عمر ومجاهد ومذهب الشافعي وقال بعضهم في الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما وولدهما أن عليهما الكفارة ولا قضاء وهو قول ابن عباس وقال قوم عليهما القضاء ولا كفارة وهو قول إبراهيم والحسن وعطاء والضحاك ومذهب أهل العراق ومالك والأوزاعي وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمريض والمسافر والحائض والنفساء عليهم القضاء دون الكفارة قال أنس أتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتغذى فقال أجلس فقلت إني صائم فقال أجلس أحدثك إن الله وضع على المسافر الصوم وشطر الصلاة وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الهرم والشيخة الكبيرة ومن به مرض دائم لا يرجى برؤه وصاحب العطاش الذي يخاف منه الموت عليهم الكفارة ولا قضاء هذا قول عامة الفقهاء وروى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وخالد بن الدريك إنهما قالوا في الشيخ والشيخة إن استطاعا صاما وإلا فلا كفارة عليهما وليس عليهما شيء إذا أفطرا وقال مالك لا أرى ذلك واجبا

(1/275)

عليهما وأحب أن يفعلا فأما الذي لاقضاء عليه ولا كفارة فالمجنون واختلف العلماء في حد الأ طعام في كفارة الصيام فقال بعضهم القدر الواجب نصف صاع عن كل يوم يفطره وهذا قول أهل العراق وقال قوم منهم نصف صاع من قمح أو صاع من تمر أو زبيب أو سائر الحبوب وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه الذي افطره وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه يطعم مكان كل يوم مد الطعامة ومد الأدامة وقال ابن عباس يعطي مسكينا واحدا عشائه حين يفطر وسحوره حين سحره وقال بعضهم يطعم كل يوم مسكينا واحدا مدا وهو قول ابن هريرة وعطاء ومحمد بن عمرو بن حزم والليث بن سعيد ومالك بن أنس والشافعي وعامة فقهاء الحجاز وبالله التوفيق ثم بين أيام الصيام فقال شهر رمضان قرأه العامة رفع على معنى أتاكم شهر رمضان وقال الفراء ذلكم شهر رمضان الأخفش هو شهر رمضان الكسائي كتب عليكم شهر رمضان وقيل ابتداء وما بعده خبره وقرأ الحسن ومجاهد وشهر بن حوشب شهر رمضان نصبا على هو يعني صوموا شهر رمضان قاله المورج وقال الأخفش نصب على الظرف أي كتب عليكم الصيام في شهر رمضان أبو عبيدة نصب على الأجراء وقرأ أبو عمرو مدغما شهر رمضان على مذهب في ادغام كل حرفين يلتقيان من جنس واحد ومخرج واحد أو قريبي المخرج طلبا للخفة وسمي الشهر شهرا لشهرته وقال الفراء هو مأخوذ من الشهرة وهي البياض ومنه يقال شهرت السيف إذا اسلته وشهر الهلال إذا طلع واختلفوا في معنى قوله رمضان فقال بعضهم رمضان اسم من أسماء الله فيقال شهر رمضان كما يقال شهر الله وروى جعفر الصادق عن آبائه رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شهر رمضان شهر الله ويدل عليه أيضا ما روى هشيم عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان انسيوه كما نسبه الله تعالى في القرآن فقال شهر



رمضان وعن الأصمعي قال قال أبو عمرو إنما سمي رمضان لأنه رمضت فيه  
الفعال من الخير

(1/276)

---

وقال غيره لأن الحجارة كانت ترمض فيه من الحرارة والرمضاء الحجارة  
المحماة وقيل سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرق وقيل لأن القلوب تأخذ  
فيه من حرارة الموعظة والحكمة والفكرة في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل  
والحجارة من حر الشمس وقال الخليل مأخوذة من الرمض وهو مطر يأتي في  
الخريف فسمي هذا الشهر رمضان لأنه يغسل الأبدان من الأنام غسلا وتطهر  
قلوبهم تطهيرا الذي أنزل فيه القرآن روى هشيم عن داود عن عكرمة عن ابن  
عباس والسدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس ابن عطية  
الأسود سأله فقال إنه وقع الشك في قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه  
القرآن وقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وقوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة وقد  
نزل في سائر الشهور قال الله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس الآية وقالوا  
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح  
المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الد  
نيا ثم نزل به جبرئيل ج على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما عشرين  
سنة فذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم داود بن أبي هند قال قلت للشعبي  
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أما كان ينزل عليه في سائر السنة قال  
بلى ولكن جبرئيل كان يعارض محمدا صلى الله عليه وسلم في رمضان ما نزل  
الله فيحكم ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء شهاب بن طارق عن أبي ذر  
الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت صحف إبراهيم في ثلاثة  
ليال مضين من رمضان وأنزلت تورا موسى في ست ليال مضين من رمضان  
وأنزل أنجيل عيسى في ثلاثة عشر مضت من رمضان وأنزل زبور داود في  
ثمان عشرة ليلة قضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد في الرابع  
والعشرين لست مضين بعدها ثم وصف القرآن فقال هدى للناس من الضلالة  
وهو في محل النصب على القطع لأن القرآن معرفه والهدى نكرة وبينات من  
الحلال والحرام والحدود والاحكام

(1/277)

---

من الهدى والفرقان الفصل بين الحق والباطل سعيد بن المسيب عن سلمان  
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال يا  
أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم وشهر مبارك وشهر فيه ليلة خير من ألف  
شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من  
خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن  
أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر  
المواساة وشهر يزد فيه رزق المؤمن شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره  
عتق من النار من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار  
وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس

كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن أو تمر أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائما سقاه الله تعالى من حوضي شربة لا يظما حتى يدخل الجنة وكان كمن اعتق رقبة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بها ربكم وخصلتان لا غنى عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وأما التي لا غنى بكم عنها فتسألون الله عز وجل وتعودون به من النار وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان فلا تغلق إلى آخر ليلة منها وليس لعبد يصلي في ليلة منها إلا كتب الله عز وجل بكل سجدة ألفا وسبعمئة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب موشح من ياقوتة حمراء فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان وكان كفارة إلى مثلها وكان له بكل يوم يصومه قصر في الجنة له ألف باب من ذهب واستغفر له سبعون ألف ملك من غدوة إلى أن توارت بالحجاب وكان له بكل سجدة

(1/278)

---

يسجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها محمد بن يونس الجارثي عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت عظمتة رضوان خازن الجنان فيقول لبيك وسعديك فيقول جدد جنتي وزينها من أمة أحمد ثم لا تغلقها عليهم حتى ينقضي شهرهم ثم ينادي مالكا خازن النار أن يمالك فيقول لبيك ربي وسعديك فيقول إغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة أحمد ثم لا تفتحها عليهم حتى ينقضي شهرهم ثم ينادي جبرئيل فيقول لبيك ربي وسعديك

(1/279)

---

فيقول انزل إلى الأرض وغل مردة الشياطين لا يفسدوا عليهم صيامهم وأفطارهم ولله في كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند وقت الإفطار عتقاء يعتقهم من النار عبيدا وأماء وله في كل سماء مناد فيهم ملك عرفه تحت عرش رب العالمين وفرائضه في تخوم الأرض السابعة السفلى جناح له بالمشرق مكمل بالمرجان والدرر والجوهر وجناح له بالمغرب مكمل بالمرجان والدرر والجوهر ينادي هل تائب يتاب عليه هل من داع يستجاب له هل من مظلوم ينصره الله هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤله قال وينادي الرب تعالى ذكره الشهر كله عبادي وإمائي أبشروا واصبروا وداوموا أو شئكم أن يرفع عنكم في المؤمنات ويفضوا إلى رحمتي وكرامتي فإذا كان ليلة القدر نزل جبرئيل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل إبراهيم بن هدية عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذن الله للسموات والأرض أن يتكلما بشرا بمن

صام رمضان الجنة عبد الملك بن عمر عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف فمن شهد منكم الشهر فليصمه قرأه العامة يجزم اللام وقرأ الحسن والأعرج بكسر اللام وهي لام الأمر وحقها الكسر إذا أفردت وإذا وصلت بشيء ففيه وجهان الجزم والكسر وإنما توصل بثلاثة أحرف الفاء كقوله فليعبدوا رب هذا البيت والواو كقوله وليوفوا نذورهم وليطوفوا وثم كقوله ثم ليقضوا تفثهم واختلف العلماء في معنى هذه الآية وحكمها فقال بعضهم معناها فمن شهد عاقلا بالغاً مقيماً صحيحاً مكلفاً فليصمه قاله أبو حنيفة وأصحابه وقال قوم معناها إذا دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر كله حتى لو غاب بعد فسافر أو أقام فلم يبرح قاله النخعي والسدي وقال قتادة إن علياً رضي الله عنه كان يقول إذا أدركه رمضان وهو مقيم ثم سافر فعليه الصوم وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلمان

(1/280)

---

عن الرجل يدركه رمضان ثم يسافر فقال إذا شهدت أوله فصم آخره إلا تراه يقول فمن شهد منكم الشهر فليصمه قالوا والمستحب له ألا يسافر إذا أدركه رمضان مقيماً إن أدركه حتى يقضي الشهر وروي في ذلك عن إبراهيم بن طلحة إنه جاء إلى عائشة رضي الله عنها يسلم عليها قالت وأين تريد قال أردت العمرة قالت جلست حتى إذا دخل عليك شهر رمضان خرجت فيه قال قد خرج ثقلي قالت اجلس حتى إذا أفطرت فأخرج فلو أدركني رمضان وأنا ببعض الطريق لأقمت له وقال الآخرون معنى الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه ماشهد منه وكان حاضراً وإن سافر فله الإفطار إن يشأ قاله ابن عباس وعامة أهل التأويل وهو أصح الأقاويل يدل عليه ما روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائماً في رمضان حتى إذا بلغ القنطرة دعا بماء فشرب وعن الشعبي إنه سافر في رمضان فأفطر عند باب الجسر ثم ذكر فقال ومن كان مريضاً اختلف العلماء في الزمن الذي أباح الله تعالى معه الإفطار فقال قوم هو كل مرض يسمى مريضاً وقال طريف بن تمام العطاردي دخلت على محمد بن سيرين يوماً في شهر رمضان وهو يأكل فلما فرغ قال لا توجعت أصبعي هذه وقال آخرون فكل مرض كان الإغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة وهو اختيار الشافعي وقال الحسن وإبراهيم إذا لم يستطع المريض أن يصلي قائماً أفطر والأصل إنه إذا لم يمكنه الصيام وأجده أفطر فإذا لم يجده الصوم فهو بمعنى الصحيح الذي يطبق الصوم أو على سفر فعدة من أيام أخر اختلف العلماء في صيام المسافر فقال قوم الإفطار في السفر عزيمة واجبة وليس برخصة فمن صام في السفر فعليه القضاء إذا أقام وهو قول عمرو أبي هريرة وابن عباس وعلي بن الحسين وعروة بن الزبير والضحاك واعتلوا بما روت أم الدرداء عن كعب بن عاصم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس من البر الصيام في السفر الزهري عن حميد بن عبد

(1/281)

---

الرحمن بن عوف عن أبيه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وقال آخرون الإفطار في السفر رخصة من الله عز وجل والفرص الصوم فمن صام ففرصه

أدي ومن أفطر فبرخصة الله أخذ ولا قضاء على من صام إذا أقام وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقهاء ويدل عليه ماروي عاصم بن الأحول عن أبي نضرة عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يكن بعضنا يعيب على بعض وروى يحيى بن سعيد عن هشام عن أبيه عن عائشة إن حمزة بن عمرو قال يارسول الله إنني كنت أعود الصيام أفأصوم في السفر قال إن شئت فصم وإن شئت فافطر وعن عروة بن أبي قراح عن حمزة بن عمرو إنه قال يارسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح قال هي رخصة من الله عز وجل فمن أخذها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه وأما قوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر فإن تمام الخبر يدل على تأويله وهو ماروي محمد بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل شجرة يرش عليه الماء فقال ما بال صاحبكم هذا قالوا يارسول الله صام قال إنه ليس من البر أن تصوموا في السفر وعليكم برخصة الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها وكذلك تأويل قوله ج الصائم من السفر كالمفطر في الحضر يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر إنه مر برجل ينضح الماء على وجهه وهو صائم فقال أفطر ويحك فإني أراك لو مت على هذا دخلت النار والجامع لهذه الأخبار والمؤيد لما قلنا ماروي أيوب عن عروة وسالم إنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة فتذاكروا الصوم في السفر فقال سالم كان ابن عمر لا يصوم في السفر وقال عروة كانت عائشة تصوم في السفر فقال سالم إنما أحدث عن ابن عمر وقال عروة إنما أحدث عن عائشة فارتفعت اصواتهما فقال عمر بن عبد العزيز اللهم اغفر إذا كان يسرا فصوموا وإذا كان عسرا فافطروا ثم اختلفوا في المستحب منهم فقال قوم

(1/282)

---

الصوم أفضل وهو قول معاذ بن جبل وأنس وإبراهيم ومجاهد ويروى إن أنس بن مالك أمر غلاما له بالصوم في السفر فقبل له في هذه الآية فقال نزلت ونحن يومئذ نرحل جياعا وننزل على غير شيع فمن أفطر فبرخصة ومن صام فالصوم أفضل وقال آخرون المستحب الإفطار لما روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى إذا بلغ كراع الغميم فصام الناس فبلغه إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدر ماء وشرب بعد العصر والناس ينظرون فافطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه إن الناس صاموا فقال أولئك العصاة عاصم الأحول عن بريد العجلي عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا في يوم حار واتخذنا ظللا فسقط الصوم وقام

المفطرون فسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالأجر وروى شعبة عن معلى بن يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألم يغضبك قال نعم قال فإنها صدقة من الله عز وجل تصدق بها عليكم وحد الاسفار التي يجوز فيها الإفطار ستة عشر فرسخا فصاعدا يريد الله بكم اليسر حين أرخص في الأسفار للمريض والمسافر ولا يريد بكم العسر وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع العسر واليسر مثقلين في جميع القرآن وقرأ الباقر بتخفيفهما وهما لغتان جيدتان ولا حجة للقدرية في هذه الآية لأنها مبنية على أول الكلام في إيجاب الصيام فهي خاص في الاحكام لأهل الإسلام ولتكملوا العدة قرأ أبو بكر ورويش بتشديد الميم وقرأ الباقر بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم والواو في قوله ولتكملوا واو النسق واللام لام كي تقديره ويريد لتكملوا العدة وقال الزجاج معناه فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة وقال عطاء ولتكملوا عدة أيام الشهر وقال سائر المفسرين ولتكملوا عدة ما أفطرتم

(1/283)

في مرضكم وسفركم إذا برأتم وأقمتم وقضيتموها ولتكبروا الله ولتعظموا الله على ما هداكم لدينه ووفقكم ورزقكم شهر رمضان مخففا عليكم وخصكم به دون سائر أهل الملل وقال أكثر العلماء أراد به التكبير ليلة الفطر قال الشافعي روى عن ابن المسيب وعروة بن سلمة إنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر ويجهرون بالتكبير قال وشبه لنحرها قال ابن عباس وزيد بن أسلم في هذه الآية حق على المسلمين إذا رأى هلال شوال أن يكبروا إلى أن يخرج الإمام في الطريق والمسجد فإذا حضر الإمام كف فلا يكبر إلا بتكبيره والاختيار في لفظ التكبير ثلاثا نسقا ولعلكم تشكرون على نعمه وإذا سألك عبادي عني فإني قريب الآية اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وأصحابه حين أصابوا من أهاليهم في ليالي شهر رمضان وستأتي قصتهم فيما بعد إن شاء الله وروى الكلبي عن أبي صالح عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يسمع ربنا دعاؤنا وأنت تزعم إن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وإن غلط كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله أين ربنا فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة وعطاء لما نزلت فقال ربكم ادعوني أستجب لكم فقالوا يارسول الله كيف ندعوا ربنا ومتى ندعوه فأنزل الله هذه الآية قال الضحاك سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فنأجبه أم بعيد فسأل ربه فأنزل الله وإذا سألك يا محمد عبادي عني فإني قريب وقال أهل المعاني فيه إضمار كأنه فعل هم وما علمهم أفي قريب منهم بالعلم وقال أهل الإشارة رفع الواسطة إظهارا للقدره أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا فليجيبوا لي بالطاعة يقال أجاب واستجاب بمعنى واحد وقال كعب بن سعد الغنوي وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(1/284)

---

وقال أبو رجاء الخراساني يعني فليدعوني للاجابة وفي اللغة الطاعة وإعطاء مايسأل يقال أجابت السماء بالمطر واجابت الأرض بالنبات كأن الأرض سألت السماء المطر فأعطت وسألت السماء الأرض فأعطت وقال زهير وغيث من الأسمي حق قلاعه أجابت رواسيه النجا هوأطله يريد أجابت تجمع رواسيه النجا حين سألتها المطر وأعطته ذلك والاجابة من الله تعالى الاعطاء ومن العبد الطاعة وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون لكي يهتدوا فان قيل ماوجه قوله أجيب دعوة الداعي وقوله ادعوني أستجب لكم وقد يدعي كثيرا فلا يستجيب قلنا إختلف العلماء في وجه الآيتين وتأويلهما فقال بعضهم معنى الدعاء هاهنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب كانه قال أجيب دعوة الداعي بالثواب إذا أطاعني وقال بعضهم معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما تقديرها أجيب دعوة الداعي إن شئت وأجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء وأجيب دعوة الداعي إذا لم يسأل محالا وأجيب دعوة الداعي إذا كانت الأجابة له خيرا يدل عليه ماروى أبو المتوكل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث إما أن تعجل دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها قالوا يارسول الله إذا يكثر قال الله أكثر وقال بعضهم هو عام وليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة فأما إعطاء المنية وقضاء الحاجة فليس مذكور في الآية وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة لمن قوله اجيب واستجيب خير والخبر لا يعترض عليه لانه إذا نسخ صار المخبر كذابا وتعالى الله عن ذلك ودليل هذا التاويل ماروى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب في الدعاء فتحت له أبواب الاجابة وأوحى الله تعالى إلي داود صلى الله عليه وسلم قل للظلمة لا تدعوني فإنني أوجبت على نفسي أن أجيب من

(1/285)

---

دعاني وإنني إذا أجبت الظالمين لعنتهم وقيل إن الله يجيب دعاء المؤمن في الوقت إلا إنه يؤخر أعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته يدل عليه ماروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرئيل اقضي لعبدي هذا حاجته وأخرها فإنني أحب أن لا أزال أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول لجبرئيل إقض لعبدي حاجته باخلاصه وعجلها فإنني أكره أن أسمع صوته وبلغنا عن يحيى ذبيح الله أنه قال سألت رب العزة في المنام فقلت يارب كم ادعوك فلا تستجيب لي فقال يا يحيى أني أحب أن أسمع صوتك قال بعضهم إن للدعاء آدابا وشرائط هي أسباب الاجابة ونيل الأمنية فمن راعاها واستكملها كان من أهل الاجابة ومن أغفلها وأخل بها فهو من أهل في الدعاء وحكي إن إبراهيم بن أدهم قيل له ما بالناس ندعوا الله فلا يستجيب لنا قال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة

فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه  
ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم  
وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس وقوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث  
الآية قال المفسرون كان الرجل في ابتداء الأمر إذا أفطر حل له الطعام  
والشراب والجماع إلى أن يأتي العشاء الأخيرة أو يرقد قبلها فإذا صلى العشاء  
الأخيرة أو رقد قبل الصلاة ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب ومنع ذلك  
إلى مثلها في القابل ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعدما  
صلى العشاء الأخيرة فلما إغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله  
عليه وسلم فقال يارسول الله إني أعتذر إلى الله واليك من نفسي هذه  
الخطيئة إني رجعت إلى أهلي بعد أن صليت العشاء الاخيرة فوجدت رائحة  
طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فهل تجد

(1/286)

---

لي من رخصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بهذا يا عمر  
فقام رجال فاعترفوا بالذي كانوا صنعوا بعد العشاء الأخيرة فنزل في عمر  
وأصحابه أحل لكم أي أطلق وأبيح لكم ليلة الصيام في ليلة الصيام الرفث قرأ  
ابن مسعود والأعمش الرفوث إلى نسائكم والرفث والرفوث كناية عن الجماع  
قال ابن عباس إن الله تعالى حي كريم يكني فما ذكر الله في القرآن من  
المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما يعني به الجماع

(1/287)

---

قال الشاعر فظلنا هنالك في نعم وكل اللذائة غير الرفث قال القتيبي الرفث  
هو الافصاح بما يجب أن يكنى به من ذكر النكاح وأصله الفحش وقول القبيح  
قال العجاج ورب اسراب حجيح كظم عن اللغا ورفث التكلم وقال الزجاج  
الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء قال الشاعر ويزين من  
أنس الحديث راويا وهن من رفث الرجال نفار هن لباس لكم وأنتم لباس لهن  
هن سكن لكم وأنتم سكن لهن قاله أكثر المفسرين نظيره قوله وجعل الليل  
لباسا اي سكنا دليله قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقال أصحاب المعاني  
اللباس الشعار الذي يلي الجهار من الثياب فسمي كل واحد من الزوجين لباسا  
لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وانضمام جسد كل واحد منهما  
إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يليه قال  
نابغة بني جعدة إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت وكانت لباسا فكنى عن  
اجتماعهما متجردين في فراش واحد باللباس يدل على صحة هذا التأويل قول  
الربيع بن أنس في هذه الآية هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن وقال بعضهم يقال  
لما ستر الشيء وواراه لباس فجائز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه  
عمالا يحل كما جاء في الخبر من تزوج فقد أحرز دينه وسترا أيضا فيما يكون  
بينهما من الجماع عن أبصار الناس يدل عليه قول أبي زيد في قوله تعالى هن  
لباس لكم وأنتم لباس لهن قال للمواقعة وقال أبو عبيدة وغيره يقال للمرأة

هي لباسك وفراشك وازارك وقال رجل لعمر بن الخطاب الا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من اخي ثقة ازاري

(1/288)

قال أبو عبيدة أي نسائي علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تخونونها وتظلمونها بعد العشاء الآخرة في ليالي الصوم فتأب عليكم فتجاوز عنكم وعفا عنكم محاذنوبكم فالآن وجه حكم زمانين ماض وآت بأشروهن جامعوهن حلالات سميت المجامعة مباشرة لتلاصق كل واحد منهما ببشرة صاحبه وابتغوا ما كتب الله لكم أي افعلوه وقرأه العامة الصحيحة وابتغوا أي اطلبوا يقال يبغي الشيء يبغيه بغية وبغا وابتغاه يبتغيه ابتغاء طلبه ما كتب الله لكم قضى الله لكم وقيل كتب في اللوح المحفوظ وقال أكثر المفسرين يعني الولد قال مجاهد ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه قال ابن زيد وابتغوا ما أحل الله لكم من الجماع فتادة وابتغوا الرخصة التي كتبت لكم وقال معاذ بن جبل وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر وكذلك روى أبو الجوزاء عن ابن عباس وأشبهه الأفاويل بظاهر الآية قول من تأوله على الولد لأنه عقيب قوله فالآن بأشروهن وهو أمر اباحة وندب كقوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثرُوا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط وقال أهل الظاهر هو أمر إيجاب وحتم يدل عليه ماروى زياد بن ميمون عن أنس بن مالك إن امرأة كانت يقال لها الحولاء عطارة من أهل المدينة وحلت على عائشة فقالت يا أم المؤمنين زوجي فلان أتزين له كل ليلة وأتطيب كأنني عروس زفت إليه فإذا أوى إلى فراشه دخلت عليه في لحافه ألتمس بذلك رضا الله عز وجل حول وجهه عني أراه قد أبغضني قالت أجلسي حتى يدخل النبي صلى الله عليه وسلم قالت فبينما إنا كذلك إذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الريح التي أجدها أتتكم الحولاء أبتعتم منها شيئاً

(1/289)

فقال عائشة لا والله يارسول الله فقصت الحولاء قصتها فقال لها أذهبي واسمعي له وأطيعي فقالت أفعل يارسول الله فمالي من الأجر قال مامن امرأة رفعت في بيت زوجها شيئاً ووضعته مكاناً تريد الإصلاح إلا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة ورفع لها درجة وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا لها من الأجر مثل القائم الصائم نهاره الغازي في سبيل الله وما من امرأة يأتها الطلق إلا لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة فإذا أفضمت ولدها نادها مناد من السماء أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأنفي فيما بقى قالت عائشة قد أعطى الله النساء خيراً كثيراً فما بالكم يامعشر الرجال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مامن رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كساه نور وله حسنة وإن عانقها فعشر حسنة وإن قبلها فعشرون وإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها فإذا قام يغتسل لم يمر الماء على شيء من جسده إلا يمحي عنه سيئة ويعطي له يعطى بغسله خير من الدنيا وما فيها وإن الله عز وجل يباهي الملائكة يقول انظروا إلى عبيدي قام في



ليلة مرة باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأني ربه أشهدكم بأني غفرت له كلوا واشربوا إلى الخيط الأسود نزلت في رجل من الأنصار واختلف في إسمه فقال معاذ بن جبل أبو صرمة البراء قيس بن صرمة عكرمة والسدي أبو قيس بن صرمة مقاتل بن حيان صرمة بن أياس الكلبي أبو قيس صرمة بن أنس بن أبي صرمة بن ملك بن عدي النجار وذلك إنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر وقال قدمي الطعام وأرادت المرأة أن تطعمه عشاءا سخنا وأخذت تعمل له سخينة وكان في الصوم الأول من صلى العشاء الآخرة أو نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع فلما فرغت من طعامه إذا هي به قد نام وكان متداعيا وكل فايقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه

(1/290)

---

وسلم فلما رآه رسول الله قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليقا قال ظللت أمس في النخيل ونهاري كله أجر بالحري حتى أمسيت فأتيت فأرادت إمرأتي أن تطعمني شيئا سخنا فأبطأت علي فنمت فايقظوني وقد حرم علي الطعام والشراب فطويت وأمسيت وقد أجهدني الصوم فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وكلوا يعني في ليالي الصوم واشربوا فيها حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود أي بياض النهار وضوءه من سواد الليل وظلمته كذا قال المفسرون قال الشاعر الخيط الأبيض وقت الصبح منصدع والخيط الأسود لون الليل مكموع وإنما سمي بذلك تشبيها بالخيط لأبتداء الضوء والظلمة لامتدادهما وقال ابو داود فلما اضاءت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط أنارا وقد ورد النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية وروى مخالدا عن عامر عن عدي بن حاتم قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصيام قال صل كذا وصم كذا فإذا غابت الشمس فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود وصم ثلاثين يوما إلى أن ترى الهلال قبل ذلك قال فأخذت خيطين من شعر أبيض وأسود وكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل وروى أبو حازم عن سهل بن سعد قال نزلت هذه الآية وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولم يقول من الفجر كان رجال إذا أرادوا الصوم يضع أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين لهم فأنزل الله تعالى من الفجر فعلموا إنما يعني بذلك الليل والنهار والفجر إنشقاق عمود الصبح وابتداء ضوؤه وهو مصدر من قولك فجر الماء يفجر فجرا إذا إنبعث وجرى شبهه شق الضوء بظلمة الفجر الماء الحوض إذا شقه وخرج منه وهما فجران أحدهما يسطع في السماء مستطيلا كذذ السرحان ولا

(1/291)

---

ينتشر فذلك لا يحل الصلاة ولا يحرم الطعام على الصائم وهو الفجر الكاذب والثاني هو المستطير الذي ينتشر ويأخذ الأفق ضوء الفجر الصادق الذي يحل الصلاة ويحرم الطعام على الصائم وهو المعني بهذه الآية  
عن سمرة بن جندب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنعكم من السحور أذان بلال ولا الصبح المستطيل ولكن الصبح المستطير في الأفق ثم ذكر وقت الافطار فقال ثم أتموا الصيام إلى الليل قال عبد الله بن أبي أوفى كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسيرة وهو صائم فلما غربت الشمس قال لرجل أنزل فاجرح لي فقال الرجل يا رسول الله أمسيت فقال أنزل فاجرح لي فقال الرجل لو أمسيت فقال أنزل فاجرح لي قال يا رسول الله ان علينا نهارا فقال له الثالثة فنزل فجرح له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم وفي بعض الألفاظ أكل أو لم تأكل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد كان مجاهد يقرأ في المسجد وأصل العكوف والاعتكاف الثبات والاقامة فقال عكفت بالمكان إذا عكفت قال الله عز وجل فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أي يقيمون قال الفرزدق يصف القدور يرى حولهن معتفين كأنهم على صنم في الجالية عكف وقال الطرماح فبات بنات الليل حولي عكفا عكوف البواكي بينهن صريع وقال آخر تصدى لها والدجى قد عكف خيال هده إله الشغف والاعتكاف هو حبس النفس في المسجد على عبادة الله تعالى واختلف العلماء في معنى المباشرة التي نهى المعتكف عنها فقال قوم هي المجامعة خاصة معناه لا تجمعهن ما دتم معتكفين في المساجد فإن الجماع يفسد الاعتكاف وبه قال ابن عباس وعطاء والضحاك والربيع وقال قتادة ومقاتل والكلبي نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد وإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم يغتسل ويرجع إلى المسجد فنهوا أن يجامعوا ليلا ونهارا حتى

(1/292)

يفرغوا من اعتكافهم  
وقال أبو زيد المباشرة الجماع وغير الجماع من اللمس والقبلة وأنواع التلذذ والجماع مفسد للاعتكاف بالإجماع والمباشرة غير الجماع فهو علي ضريين ضرب يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند أكثر الفقهاء وقال مالك بن أنس يفسده قال ابن جريح قلت لعطاء المباشرة هو الجماع قال الجماع نفسه قلت له فالقبلة في المسجد والمسة قال أما الذي حرم فالجماع وأنا أكره كل شيء من ذلك في المسجد والضرب الثاني ضرب يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مباح كما جاء في الخبر عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج إليها رأسه من المسجد فترجله وهو معتكف فرقد السجني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المعتكف هو معتكف الذنوب وتجري له من الحسنات كعامل الحسنات كلها عن علي بن الحسين عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان بحجتين وعمرتين تلك الأحكام التي ذكرنا في الصيام والاعتكاف حدود الله قال السدي شروط

الله شهر بن حوشب فرائض الله الضحاك معصية الله المفضل بن سلمة الحد  
الموقف الذي يقف الإنسان عليه ويصف له حتى يميز من سائر الموصوفات  
والحد فصل بين الشئيين والحد منتهى الشئ وقال الخليل الحد الجامع المانع  
قال الزجاج بحدود ما منع الله تعالى من مخالفتها قلت وأصل الحد في اللغة  
المنع ومنه قيل للبواب حداد قال الأعشى

(1/293)

---

فقمنا ولما يصح ديكنا إلى جونة عند حدادها يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها  
قال النابغة إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحدها عن الفند ومنه  
حدود الأرض والدار هي ما منع غيره أن يدخل فيها وسمي الحديد حديدا لانه  
يمنتع من الأحداء ويقال إحدمت المرأة على زوجها وحدث إذا منعت نفسها من  
الزينة فحدد الله هي ما منع فيها أو منع من مخالفتها والتعدي إلى غيرها فلا  
تقربوها فلا تأتوها يقال قربت الشئ أقربه وقربت منه بضم الراء إذا دنوت  
منه كذلك هكذا يبين الله آياته للناس لعلمهم يتقون لكي يتقوها فنجوا من  
السخطة والعذاب ولا تأكلوا صلى الله عليه وسلم أموالكم بينكم بالباطل  
وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون  
يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت  
من ظهورها ولاكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم  
تفلحون ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية قال ابن حيان وابن السايب  
نزلت هذه في أمرؤ القيس بن عابس الكندي وفي عبدان بن أشرح الحضرمي  
وذلك إنهما إختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض فأراد أمرؤ  
القيس أن يحلف فأنزل الله إن الذين يشتررون بعهد الله فقرأها النبي صلى الله  
عليه وسلم فأبى أن يحلف وحكم عبدان في أرضه ولا يخاصمه فقرأها النبي  
صلى الله عليه وسلم وكان أمرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب فأنزل الله  
عز وجل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية أي لا يأكل بعضكم مال بعض  
بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله تعالى له وأصل الباطل الشئ  
الذاهب الزائل يقال بطل يبطل بطولا وبطلانا إذا ذهب وتدلوا بها إلى الحكام  
أي تلقون أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام وأصل الادلاء إرسال  
الدلو وإلقاءه في البئر يقال أدلى دلوه إذا أرسلها

(1/294)

---

قال الله تعالى فأدلى دلوه ودلاها إذا أخرجها ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل  
إدلاء ومنه قيل للمحتج بدعواه أدلى بحجته إذا كانت سببا له يتعلق به في  
خصومته كتعلق المسقي بدلو قد أرسلها هو سبب وصوله إلى الماء ويقال  
أدلى فلان إلى فلان إذا تناول منه وأنشد يعقوب فقد جعلت إذا حاجة عرضت  
بباب دارك أدلوها أبا قوم ومنه يقال أيضا دلا ركابه يدلوها إذا ساقها سوفا رفقا  
قال الراجز يا ذا الذي يدلوا المطي دلوا ويمنع العين الرقادا المرا واختلف  
النحاة في محل قوله وتدلوا فقال بعضهم جزم بتكرير حرف النهي المعني ولا  
تأكلوا ولا تدلوا وكذلك هي في حرف أبي بإثبات لا وقيل وهو نصب على

الصرف كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم  
وقيل نصب باضمارين الخفيفة قال الأخفش نصب على الجواب بالواو لتأكلوا  
فريقا من أموال الناس بالإثم بالباطل وقال المفصل أصل الإثم التقصير في  
الأمر قال الأعشى جمالية تعتلي بالرداف إذا كذب الاثمان الهجير أي  
المقصرات يصف ناقته ثم جعل التقصير في أمر الله عز وجل والذنب إثما  
وأنتم تعلمون إنكم مبطلون قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال  
وليس له فيه بينة فيجحد ويخاصمهم فيه إلى الحكام وهو يعرف ان الحق عليه  
ويعلم إنه أثم أكل حرام قال مجاهد في هذه الآية لا يخاصم وليست ظالم

(1/295)

---

الحسن هو أن يكون على الرجل لصاحبه حق فإذا طالبه به دعاه إلى الحكام  
فيحلف له وبذهب بحقه الكلبي هو أن يقيم شهادة الزور قتادة لا تدل بمال  
أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم إنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حرامه ومن قضى له  
بالباطل فإن خصومته لم ينقض حتى يجمع الله عز وجل يوم القيامة بينه وبين  
خصمه فيقضي بينهما بالحق وقال شريح إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالما  
ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرنني من البينة وإن قضائي لا يحل لك  
حراما محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم إنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض  
فأقضي له فممن قضيت له بشيء من حق أخيه وإنما أقطع له قطعة من النار  
يسألونك عن الأهلة نزلت في معاذ بن جبل وثلعة بن غنمة الانصاريين قال يا  
رسول الله ما بال الهلال يدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلى ء ويستوي  
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى  
يسألونك يا محمد عن الأهلة وهي جمع هلال مثل رداء وأردية واشتقاق الهلال  
من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج والعمرة إذا  
رفعوا أصواتهم بالتلبية قال الشاعر يهل بالفرقد ركبائها كما يهل الراكب  
المعتمر فسمي هلالا لأنه حين يري يهل الناس بذكر الله ويذكره قل هي  
مواقيت وهو الزمان المحدود للشيء للناس والحج أخبر الله عن الحكمة في  
زيادة القمر ونقصانه واختلاف أحواله أعلم إنه فعل ذلك ليعلم الناس أوقاتهم  
في حجتهم وعمرتهم وحل ديونهم ووعدو حلفائهم وأجور أجرائهم ومحيط  
الحائض ومدة الحامل ووقت الصوم والافطار وغير ذلك فلذلك خالف بينه وبين  
الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة وليس البر بأن تأتوا البيوت من  
ظهورها قال المفسرون كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم  
الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فإن كان  
من أهل المدن نقب نقبا في ظهر

(1/296)

---

بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وإن  
كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل من الباب ولا  
يخرج منه حتى يحل من إحرامه وبرون ذلك برا إلا أن يكون من الحمس وهم

قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة وبنو النضر بن معاوية سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة والشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الأنصار فدخل من الأنصار رجل يقال له زعامة بن أيوب وقال الكلبي قطيبة بن عامر بن حذيفة أحد بني سلمة فدخل على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله إلي أحمس قال الرجل إن كنت أحمس فإن أحمس ديننا واحد رضيت بهديك وهمتك ودينك فأنزل الله هذه الآية الزهري كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء ويخرجون من ذلك وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدوا له الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته فيخرج إليه من بيته حتى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة ودخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لأني رأيتك دخلت فقال لأنني أحمس قال الزهري وكانت الحمس لا يبالون بذلك فقال الأنصاري وأنا أحمس يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قرأ حمزة الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر ونافع برواية تأتوا البيوت بكسر الباء في جميع القرآن لمكان الياء وقرأ الباقر بالضم على الأصل ولكن البر من اتقى أي نر من إتقى كقوله ولكن البر من آمن بالله وقد مر ذكره وأتوا البيوت من أبوابها في حال الإحرام واتقوا الله لعلمكم تفلحون

(1/297)

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين وقاتلوا في سبيل الله دين الله وطاعته الذين يقاتلونكم قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ويكف عن كف عنه حتى نزلت اقتلوا المشركين فنسخت هذه الآية ولا تعتدوا أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال يحيى بن عامر كتبت إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن قوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين فكتب إلي إن ذلك في النساء والذرية والرهبان ومن لم ينصب الحرب منهم وقال الحسن لا يعتدوا أي لا تأتوا مانهيتهم عنه وقال بعضهم الاعتداء ترك قتالهم علقمة بن مرثد عن سليمان بن يزيد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أمرا على سرية أو جيش أوصى في خاصة نفسه بتقوى الله وممن معه من المسلمين خيرا وقال إغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله إغزوا ولا تغلوا ولا تعدوا ولا تقتلوا

وليدا وعن عطاء بن أبي رباح قال لما استعمل أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على الشام خرج معه يشيعه أبو بكر ماشيا وهو راكب فقال له يزيد يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل فقال أبو بكر ما أنت بنازل ولا أنا براكب إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله إني أوصيك وصية إن أنت حفظتها ستمر على قوم قد حسبوا أنفسهم في الصوامع زعموا لله فزعمهم وما

(1/298)

---

حسبوا له أنفسهم وستمروا على قوم قد فحصوا عن أوساط رؤسهم وتركوا من شعورهم أمثال العصائب فاضرب ما فحصوا منه بالسيف ثم قال لا تقتلوا امرأة ولا صبيا ولا شيئا فانيا ولا تعفروا شجرا مثمرا ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوه ولا تذبحوا بقرة ولا شاة إلا لمأكل ولا تخربوا عامرا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وكانوا ألفا وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدي بالحديبية ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلي له بكل عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فصالحهم رسول الله ثم رجع من فوره ذلك إلى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا يفي لهم قريش وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله وقاتلوا في سبيل الله محرمين الذين يقاتلونكم يعني قريشا ولا تعتدوا ولا تظلموا فتبدؤا في الحرم بالقتال محرمين إن الله لا يحب المعتدين ثم قال واقتلوهم حيث ثقتموهم وجدموهم وأصل يثقف يحذف والبصر بالأمر يقال رجل ثقف لقف إذا كان حاذقا في الحرب بصيرا بمواضعها جيد الحذر فيه فمعنى الآية واقتلوهم حيث أبصرتم مقابلتهم وتمكنتم من قتلهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم يعني مكة والفتنة يعني الشرك أشد من القتل يعني وشركهم بالله عز وجل أعظم من قتلهم إياهم في الحرم والحرم الإجماع قاله عامة المفسرين وقال الكسائي الفتنة هاهنا العذاب وكانوا يعذبون من أسلم ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم قرأ عيسى بن عمر وطلحة بن مصرف ويحيى بن رثاب والأعمش وحمزة والكسائي يقاتلوكم بغير ألف من القتل على معنى

(1/299)

---

لا تقتلوا بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم لفظه عام ومعناه خاص وقرأ الباقون كلها بالألف من القتال واختلفوا في حكم هذه الآيات فقال قوم هي منسوخة ونهوا عن الابتداء بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة هذا قول قتادة والربيع مقاتل بن حيان واقتلوهم حيث ثقتموهم أي حيث أدركتم في الحل والحرم لما نزلت هذه الآية نسخها قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها آية السيف في براءة فهي ناسخة

ومنسوخة وقال آخرون هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم وهو قول مجاهد وأكثر المفسرين كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور لما سلف

(1/300)

---

رحيم بعباده نظيرها في الأنفال وقاتلوهم يعني المشركين حتى لا تكون فتنة شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشرك الوثني جزية ولا يرضى منه إلا بالإسلام وليسوا كأهل الكتاب بالذين يؤخذ منهم الجزية والحكمة فيه على ما قال المفضل بن سلمة إن مع أهل الكتاب كتبا منزلة فيها الحق وإن كانوا قد حرفوها فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل واهواء صغارهم بالجزية ولينظروا في كتبهم ويتدبرونها فيقفوا على الحق منها ويمنعوه كفعل مؤمني أهل الكتاب ولم يكن لأهل الأوثان من يرشدهم إلى الحق وكان إمهالهم زائدا في اشراكهم فإن الله تعالى لن يرضى منهم إلا بالإسلام أو القتل عليه ويكون الدين الإسلام لله وحده فلا يعبد دونه شيء قال المقداد بن الأسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت معد ولا وبر إلا أدخله الله عز وجل كلمة الإسلام إما يعز عزيز أو يذل ذليل إما أن يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به وإما أن يذلهم فيدينون لها فإن انتهوا عن الكفر والقتال فلا عدوان فلا سبيل ولا حجة إلا على الظالمين قال ابن عباس يدل عليه قوله عز وجل قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي أي فلا سبيل علي وقال أهل المعاني العدوان الظلم دليله قوله تعالى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ولم يرد الله تعالى بهذا أمرا بالظلم أو إباحة له وإنما حمله على اللفظ الأول على ظهر المجادلة فسمى الجزاء على الفعل فعلا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال عمرو بن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قتادة وعكرمة في هذه الآية الظالم الذي يابى أن يقول لا إله إلا الله وإنما سمي الكافر طالما لوضعه العبادة في غير موضعها الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا صلى الله

(1/301)

---

عليه وسلم أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى

محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا صلى الله عليه وسلم أن الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث

ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون بأولي الألباب الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة بالقضاء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل مكة عام الحديبية على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل على أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام فيدخلها هو وأصحابه ويعمرون ويطوفون بالبيت ويفعلون ما أحبوا على أن لا يدخلوها إلا بسلاح الراكب في عمرة ولا يخرجوا بأحد معهم من أهل مكة فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العام ورجع العام القابل في ذي القعدة ودخلوا مكة واعتمروا وطاقوا ونحروا وقاموا ثلاثة أيام فأنزل الله الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقصيتم مناسككم وطوافكم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صدتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم في سنة ست والشهر مرفوع بالابتداء وخبره في قوله الشهر الحرام والحرمات جمع الحرمات كالظلمات جمع الظلمة والحجرات جمع الحجرة والحرمة ما يجب حفظه وترك إنتهاكه وإنما جمع الحرمات لأنه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل كما فعل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلوه بمثل ما

(1/302)

---

اعتدى عليكم فسمي الجزاء باسم الابتداء على مقابلة الشرط واتقوا الله وإعلموا أن الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الآية إعلم إن التهلكة مصدر بمعنى الاهلاك وهو تفعله من الهلاك قال الثعلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا حامد الخازرنجي يقول لا أعلم في كلام العرب مصدرا على تفعله بضم العين إلا هذا وقال بعضهم التهلكة كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك ومعنى قوله لا تلقوا بأيديكم لا تأخذوا في ذلك ويقال لكل من بدأ بعمل قد القى يديه فيه قال لبيد يذكر الشمس

(1/303)

---

حتى إذا ألفت يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها أي بدأت في المغيب قال المبرد ولا تلقوا بأيديكم أراد أنفسكم فعبر بالبعض عن الكل كقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وبما كسبت أيديكم والباء في قوله بأيديكم زائدة كقوله تنبت بالدهن قال الشاعر ولقد ملأت على نصيب جلده مساءة إن الصديق يعاتب يريد ملأت جلده مساءة قالوا والعرب لا تقول للإنسان ألقى بيده إلا في الشر واختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقال بعضهم هذا في البخل وترك النفقة يقول وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا الإنفاق في سبيل الله فإن الامسك عند الانفاق في سبيل الله هو الهلاك وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة والضحاك وابن كيسان قال ابن عباس في هذه الآية إنفق في سبيل الله وإن لم تكن لك إلا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم إنني لا أجد شيئا وقال السدي فيما أنفق في سبيل الله ولو بمثقالا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة لا تقل ليس عندي شيء مجاهد لا تمنعكم نفقة في حق خيفة العيلة الحسن إنهم



كانوا يسافرون ويغزون ولا ينفقون من أموالهم فأنزل الله تعالى هذه الآية الكلبية عن أبي صالح عن ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر الناس بالجهاز إلى الحج وقيل إلى العمرة عام الحديبية وكان إذا أراد سفر نادى مناديه بذلك فيعلمهم فيعدوا أهبة السفر فلما أمرهم بالتجهيز قام إليه ناس من اعراب حاضري المدينة فقالوا يا رسول الله بماذا نتجهز فوالله لا من زاد ولا مال نتجهز به ولا يطعمنا أحد فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان لما أمر الله بالأنفاق قال رجال أمرنا بالنفقة

(1/304)

---

في سبيل الله فإن أنفقنا أموالنا بقينا فقراء ذوي مسكنة فقال الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة يعني انفقوا ولا تخشوا العيلة فإنني رازقكم ومخلف عليكم الخليل بن عبد الله عن علي وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي أمامة الباهلي وعبدالله بن عمرو وجابر وعمران بن حصين كلهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وروى النضر بن عزيز عن عكرمة ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال لا تتيمموا الخبيث منه تنفقون قال زيد بن أسلم إن رجلا كانوا يخرجون في بعوث بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة فإما أن يقطع بهم وإما كانوا عيالا فأمرهم الله بالأنفاق على أنفسهم في سبيل الله وإذا لم يكن عندك ما ينفق فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك إلى التهلكة والتهلكة أن يهلك من الجوع أو من العطش ثم قال لمن بيده ويخل واحسنوا إن الله يحب المحسنين وقال محمد بن كعب القرظي كان القوم يكونون في سبيل الله فيتزود الرجل فيكون أفضل زادا من الآخر فينفق الناس من زاده حتى لا يبقى منه شيء يحب أن يواسي صاحبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال بعضهم هذه الآية نزلت في ترك الجهاد زيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمران قال غزونا القسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر صاحب رسول الله وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال فوقفنا صفين لم أر قط أعرض ولا أطول منها والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة قال فحمل رجل منا على صف الروم حتى خرقة ثم خرج إلينا مقبلا فصاح الناس وقالوا سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة وقال أبو أيوب الأنصاري إنكم لتأولون هذه الآية على هذا التأويل ان

(1/305)

---

حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة أو بلى من نفسه نحن أعلم بهذه الآية إنها نزلت فينا معشر الأنصار إنا لما أعز الله دينه ونصر رسوله قلنا بيننا معاشر الانصار سرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشى الإسلام ونصر الله عز وجل نبيه وقد وضعت الحرب أوزارها فلو

رجعنا إلى أهلنا وأولادنا وأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى فينا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة والتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد قال أبو عمران فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال التهلكة عذاب الله عز وجل يقول لا تتركوا الجهاد فتعذبوا دليله قوله إلا تنفروا يعذبكم عذاباً إليماً عن يزيد بن أبي أنيسة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الإيمان الكف عن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنوب ولا يخرج من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور ولا عدل والإيمان بالاقدار أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال أبو هريرة وأبو سفيان هو الرجل يستقبل بين الصفين فيحمل على القوم وحده وقال محمد بن سيرين وعبيد السلماني الإلقاء في التهلكة هو القنوط من رحمة الله قال أبو قلابة هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليست توبة فيياس من رحمة الله وبنهمك في المعاصي فنهاهم الله عن ذلك قال يمان بن رثاب والمفضل بن سلمة الرجل ألقى بيديه إذا استسلم للهلاك ويئس من النجاة عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبيه في هذا الآية ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قيل له أهو الرجل يحمل على الكتبية وهم ألف بالسيف قال لا ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه ويقول لا توبة لي هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال جاء حبيب

(1/306)

بن الحرث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رجل معراض الذنوب قال فتب إلى الله يا حبيب قال يا رسول الله إني أتوب ثم أعود قال فكلما اذنبت فتب قال إذا يا رسول الله تكثرت ذنوبي قال عفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحرث فقال فضيل بن عياض في هذه الآية ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بأساءة الظن بالله واحسنوا الظن بالله إن الله يحب المحسنين الظن به وعن محمد بن إبراهيم الكاتب قال دخلنا على أبي نؤاس الحسن بن هاني نعوذه في مرضه الذي مات فيه ومعنا صالح بن علي الهاشمي فقال له صالح تب إلى الله يا أبا علي فإنك في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وبينك وبين الله هناة فقال أسندوني أيابي تخوف بالله فقد حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما جعلت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أتراني لا أكون منهم وحدثنا حماد عن ثابت عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج رجلان من النار فيعرضان على الله عز وجل ثم يؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول أي رب ما كان هذا رجائي قال الله وما كان رجاءك قال كان رجائي إذا أخرجتني منها لا تعيدني إليها فيرحمه الله عز وجل فيدخله الجنة وأتموا الحج والعمرة لله قرأ ابن أبي إسحاق الحج بكسر الحاء في جميع القرآن وهي لغة تميم وقيس بن غيلان وذكر عن طلحة بن مصرف بالكسر هاهنا وفي سورة آل عمران وبالفتح في سائر القرآن وقرأ أبو جعفر والأعمش وحمزة والكسائي وعاصم برواية حفص بالكسر في آل عمران وبالفتح في سائر القرآن وقرأ الباقون بالفتح كل القرآن وهي لغة أهل الحجاز قال

الكسائي هما لغتان ليس بينهما في المعنى شيء مثل رطل ورطل بنصب وكسر وقال أبو معاذ الحج بالفتح مصدر والحج بالكسر الإسم مثل قسم وقسم وشرب

(1/307)

---

وشرب وسقي وسقي وفي مصحف عبدالله وأتموا الحج والعمرة لله بالبيت وقرأ علقمة وإبراهيم وأتموا الحج والعمرة واختلف المفسرون في إتمامهما فقال بعضهم معنى ذلك وأتموا الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وستنهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال من أحرم بحج أو عمرة ليس له أن يحل حتى يتمها وتتمام الحج يوم النحر إذا رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت وقد حل من إحرامه كله بتمام العمرة إذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل وفرائض الحج أربعة الإحرام والوقوف بعرفة وطواف الأفاضة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وأعمال العمرة كلها أربعة فرض الإحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير وأقله ثلاث شعرات روى سعيد بن جبير وطاوس تمام الحج والعمرة أن يحرم بهما مفردين وروى شعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة فقال جاء رجل إلى علي فقال أرأيت قول الله عز وجل وأتموا الحج والعمرة لله قال إن تحرم من دويرة أهلك قال قتادة إتمام العمرة أن يعتمر في غير أشهر الحج وما كان في أشهر الحج ثم أقام حتى يحج فهي متعة وعليه فيها الهدى إن وجد أو الصيام وتتمام الحج أن يأتي بمناسكها كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله عمرة في رمضان تعدل حجة وقال الضحاك أيامها أن يكون النفقة حللا وينتهي عما نهى الله عنه وقال سفيان تمامها أن يخرج من بلده لهما لا يريد غيرهما ولا يخرج لتجارة ولا لحاجة حتى إذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت أو إعتمرت وذلك يجزي ولكن التمام أن يخرج له ولا يخرج لغيره وروى جعفر بن سليمان البيهقي عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله يأتي على

(1/308)

---

الناس زمان يحج أغنياء الناس للنزهة وسائلهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقرائهم للمسألة وفي هذا المعنى كان يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة كثير والحجاج قليل حكم الآية اختلف الفقهاء في العمرة فقال قوم هي سنة حسنة وليست بفريضة واجبة وهو مذهب أحمد ومالك بن أنس وأبي ثور وقول الشافعي في القديم وهو اختيار جرير بن محمد الطبري وإحتجوا بقراءة الشعبي وأتموا الحج والعمرة لله رفعا وبما روى محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه سأل عن العمرة أواجبة هي أم لا وأن تعتمروا خير لكم وفي مهاجر الحج فريضة والعمرة تطوع قالوا أيضا لما ذكر الله فرض الحج لم يذكر معه العمرة وقال عز من قائل ولله على الناس حج البيت وقال الآخرون ان العمرة فريضة وهي الحج والأصغر وهو قول علي وابن عباس وزيد ابن ثابت وعلي بن الحسين وعطاء وقتادة وسفيان

الثوري وسفيان بن عيينة وقول الشافعي في الجديد والأصح من مذهبه واختيار أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وإحتجوا في ذلك بقراءة العامة والعمرة نصبا على معنى وأتموا فرض الحج والعمرة وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وروى عكرمة عن ابن عباس إنه قال والله إن العمرة لفريضة الحج في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وقال ابن عمر ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلا كما قال الله تعالى فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع وقال مسروق أمرنا في كتاب الله بأربعة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة فنزلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة ثم تلا هذه الآية وأتموا الحج والعمرة لله وقال عبدالملك بن سليمان سأل رجل سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العمرة فريضة هي أم تطوع فقال فريضة قال فإن الشعبي يقول هي تطوع قال كذب الشعبي ثم قرأ وأتموا الحج والعمرة لله فمن قال إن العمرة ليست

(1/309)

بفرض يأول الآية على معنى أتموها إذا دخلتم فيها ولم يرد إبتدأ الدخول فيه فرضا عليه وذلك كالتطوع بالحج لا خلاف فيه إذا أحرم أن عليه المضي فيه وإتمامه فإن لم يكن فرضا عليه إبتدأ الدخول فيه وكذلك العمرة ومثله روي ابن وهب عن زيد قال ليست العمرة واجبة على أحد من الناس قال فقلت له قول الله فأتتموا الحج والعمرة لله قال ليس من الخلق أحد ينبغي له إذا شرع في أمر إلا أن يتمه وإذا خرج فيها لم ينبغي له أن يحل يوما ثم يرجع كما لو صام يوما لم ينبغي له أن يفطر في نصف النهار ودليل هذا التأويل قوله فأتتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم لم يرد به الإبتداء وإنما أراد به إتمام ما مضى من العهد والعقد ومن أوجب العمرة تأول الإتمام على معنى الإبتداء والالزام أي أقيموها وافعلوها يدل عليه قوله عز وجل وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتهمن أي فعلهن وقام بهن وقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل أي ثم ابتدئوا الصيام وأتموه لأنه ذكره عقيب الأكل والشرب والصبح وهذا هو الأصح والأوضح لأنه جمع بين الاثنين وحمل الآية على عمومها فمعناها إبتدئوا العمرة فإذا دخلتم فيها فأتتموها فيكون جامع بين وجهي الإتمام ولأن من أوجها أكثر والأخبار في إيجاب الحج والعمرة مقترنتين أظهر وأشهر عن أبي رزين العقيلي إنه قال يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الطعن قال حج عن أبيك واعتمر وقال أبو المشفق لقيت النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة فدنوت منه حتى اختلفت عنق راحلتي وعنق راحلته فقلت يا رسول الله انبئني بعمل ينجيني من عذاب الله ويدخلني الجنة قال اعبد الله ولا تشرك به شيئا وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكاة المفروضة وحج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب من الناس ان يأتوه إليك فافعله بهم وما تكره من الناس إن يأتوه إليك فذرهم منه عاصم عن شفيق عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهم لينفيان الفقر والفاقة

(1/310)

---

والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة في افراد الحج عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج إبراهيم عن الاسود عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرى إلا الحج حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موافين هلال ذي الحجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء أن يهل بالحج فليهل ومن شاء أن يهل بعمرة فليهل بعمرة والأفراد ان يحرم بالحج من الميقات ويفرغ منه ثم يحرم بالعمرة من مكة وهو إختيار الشافعي وأصحابه في القران عبد العزيز بن صهيب وحميد الطويل ويحيى بن إسحاق كلهم عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا لبيك عمرة وحجا حميد بن هلال قال سمعت مطرفا يقول قال لي عمران بن الحصين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حجة وعمرة ثم توفي قبل أن ينهي عنهما وقبل أن ينزل القرآن بتحريمه وعن أبي وائل قال قال قيس بن معبد كنت أعرابيا نصرانيا فأسلمت فكنت حريصا على الجهاد فوجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فأتيت رجلا من عشيرتي يقال له هريم بن عبد الله فسألته فقال إجمعها ثم إذبح ما استيسر من الهدى فأهللت بهما ثم أتيت العذيب يلقيني سليمان بن ربيعة وزيد بن صوحان وأنا أهل بهما فقال أحدهما للآخر ما هذا بأفقه من بعيرة فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين إني أسلمت وأنا حريص على الجهاد وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فأتيت هريم بن عبد الله فقال إجمعهما ثم إذبح ما استيسر من الهدى وأهللت بهما فلما أتيت العذيب لقيني سليمان بن ربيعة وزيد فقال أحدهما للآخر ما هذا بأفقه من بعيرة فقال عمر هديت سنة نبيك صلى الله عليه وسلم علي بن الحسن عن عثمان بن الحكم ان عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الحج والعمرة فقال علي لبيك بحج وعمرة معا وقال عثمان

(1/311)

---

أتفعلها وأنا أنهى عنها فقال علي لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من الناس والقرآن لم يحرم الحج والعمرة معا من الميقات وهو إختيار أبي حنيفة وأصحابه فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى واختلف العلماء في معنى الاحصار الذي جعل الله علي من ابتلى به في حجه وعمرته ما استيسر من الهدى وقال قوم هو كل مانع أو حابس منع المحرم وحبسه عن العمل الذي فرضه الله تعالى عليه في احرامه ووصوله إلى البيت الحرام أي شيء كان من مرض أو جرح أو كسر أو خوف أو

(1/312)

---

عدو أو لدغ أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلته أو غيرها من الاعذار فإنه يقيم مكانه على إحرامه ويبعث بهديه أو من الهدى فإذا نحر الهدى حل من إحرامه هذا

قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير ومقاتل والكلبي ومذهب أهل العراق واحتجوا في أن الإحصار في كلام العرب هو صنع العلة من المرض وأشباهه غير القهر والغلبة فأما منع العدو بالحبس والقهر من سلطان قاهر فإن ذلك حصر لا إحصار كذا قال الكسائي وأبو عبيدة والفراء قالوا ما كان من مرض وذهب نفقه قيل فيه حصر فهو محصر وما كان من خشية عدو أو سجن قيل فيه حصر فهو محصور يدل عليه قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا قالوا وإنما جعلنا حبس العدو إحصارا قياسا على المرض إذ كان في حكمه فلا دلالة ظاهرة وقال الآخرون بالأخرى أن يمنع عدو أو قاهر من بني آدم من الوصول إلى البيت وأما المرض وسائر الاعذار فغير داخل في هذه الآية هذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن الزبير وسعد بن المسيب وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب ومذهب الشافعي وأهل المدينة فاحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديدية وذلك إحصار عدو يدل عليه قوله في سياق الآية فإذا آمنتم ولا يكون إلا من الخوف وفي الحديث لا حصر إلا من حبس عدو وقال ثعلب تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور وأحصره العدو إذا منعه من السير فهو محصر وذكر يونس عن أبي عمرو قال إذا منعت من كل وجه فقد أحصرت قال الشافعي فإذا أحصر بعدو كافر أو مسلم أو سلطان يحبسه في سجن نحر هديا لإحصاره حيث أحصر في حل أو حرم وحل من إحصاره ولا شيء إلا أن يكون واجبا فيقضي فإذا لم يجد هديا يشتريه أو كان فقيرا ففيه قولان أحدهما لا حل إلا لهدي والآخر حل إذا لم يقدر عليه وأتى به إذا قدر عليه وقال بعض الفقهاء إذا لم يعتبر اجزؤه وعليه طعام أو صيام وكلما وجب على المحرم في ماله من بدنه وجزاء وهدي وصدقة فلا يجزي إلا في الحرم لمساكين

(1/313)

أهلها إلا في موضعين أحدهما دم المحصر في العدو فإنه ينحر حيث حبس ويحل والآخر من ساق هديا لغرض فعطب في طريقه فذبحه وخلق بينه وبين المساكين لم يجز له ولا لرؤسائه أن يأكلوا منه شيئا وإن كانوا مساكين وإن كان ما ساقه لغرض مثل أن يكون قارنا أو متمتعا جاز له أن يأكل ويطعم غيره فهذا معنى الإحصار وحكمه فأما المرض وما أشبهه فإن له أن يتداوى فيما لا بد منه ويفدى ثم يجعلها عمرة ويحج عام قابل ويهدي وقوله تعالى فما استيسر أي عليه ما تيسر محله رفع وإن شئت جعلت بها في محل النصب أي قاهر وأما استيسر من الهدي مثل جدي السرج وجمعها جدي قاله أبو عمرو قال لا أعلم في الكلام ثالثهما وقرأ الأعرج الهدي بكسر الدال وتشديد الياء في جميع القرآن على معنى المفعول وروى عصمة عن عاصم بتشديد الهدي في محل الرفع والجر وتخفيفه في حال النصب نحو قوله هديا بالغ الكعبة ولا الهدي ولا القلائد وهما جميعا ما يهدي إلى بيوت الله سمي بذلك لأنه تقرب إلى الله بمنزلة الهدية يهديها الإنسان إلى غيره متقربا بما بعث إليه واختلفوا في تأويل قوله فما استيسر من الهدي فقال علي وابن عباس شاة وقال ابن عمر فما استيسر من الهدي الأبل والبقر ناقة دون ناقة وبقرة دون بقرة سن دون سن وأنكر أن يكون الشاة من الهدي وأقوى الأقوال بالصواب قول من قال إنه شاة لأنه أقرب إلى التيسر ولأن الله سمي الشاة هديا في قوله هديا بالغ

الكعبة وفي الطيبي شاة ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله واختلفوا في المحل الذي يحل المحصر بلوغ هديه إليه فقال بعضهم هو ذبحه أو نحره بالموضع الذي يحصر فيه سواء كان في الحل أو الحرم ومعنى محله حين يحل ذبحه وأكله والانتفاع به كقوله صلى الله عليه وسلم في اللحم الذي تصدق به عليه بريرة قال قريوه فقد بلغ محله يعني فقد بلغ محل طيبه وحلاله بالهدية إلينا بعد إن كانت صدقة على بريرة وهذا على قول من جعل الإحصار إحصار العدو يدل عليه فعل النبي

(1/314)

---

صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية حتى صدوا عن البيت ونحروا هديهم بها والحديبية ليست من الحرم روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب القضية بينه وبين مشركي قريش عام الحديبية فقال لأصحابه قوموا فانحروا واحلقوا قال فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق أحد منهم قام فدخل على أم سلمة فذكر ذلك لها فقالت أم سلمة يا رسول الله أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حلاقك فتحلق فخرج فلم يتكلم حتى فعل ذلك فلما رأوا ذلك قاموا ونحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما

(1/315)

---

وقال بعضهم محل هدي المحصر لا يحل له غيره فإن كان حاجا فمحلّه يوم النحر وإن كان معتمرا يوم مبلغ هديه الحرم روى إبراهيم الجعفي عن عبد الرحمن بن زيد قال خرجنا مهلين بعمره وفينا الأسود بن يزيد حتى نزلنا ذات السقوف فلدغ صاحب لنا فشق ذلك عليه ولم يدر كيف يصنع فخرج بعضنا إلى الطريق يتشوف فإذا بركب فيهم عبد الله بن مسعود فسألوه عن ذلك فقال لبيعت بهدي إلى مكة واجعلوا بينكم وبينه إمارة فإذا ذبح الهدى فليحل وعليه قضاء عمرته فمن كان منكم مريضا معنى الآية ولا تحلقوا رؤوسكم حال الإحرام إلا أن يضطر الرجل حلقه إما لمرض يحتاج إلى مداواته أو به أذى من رأسه من هوام وصداع فحلق أو فدي ففدية من صيام نزلت هذه الآية في كعب بن حجر قال مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ولي وفرة من شعر فيها القمل والصئبان وهو يتنثر على وجهي وأنا أقبح فدبر إلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيؤذيك هوام رأسك قلت نعم يارسول الله قال فاحلق رأسك فأنزل الله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة على ست مساكين لكل مسكين نصف صاع أو نسك أو ذبيحة واحدها نسكة وقرأ الحسن أو نسك تخفيفا وهي لغة تميم قال العلماء أعلاها بدنه وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهو مخير بين هذه الثلاثة إن شاء فعل وقال أنس وعكرمة ففدية من صيام عشرة أيام أو صدقة على عشرة مساكين لكل مسكين مد من بر أو مد من تمر أو نسك وهي الشاة والقول الأول هو الصحيح وهو المشهور وهذه الفريضة أن يأتي بها أجمعوا على أنه يصوم حيث

شاء من البلاد واما النسك والطعام فقال بعضهم يجب أن تكون مكة وقال بعضهم أي موضع شاء وهو الصواب لأنه أبهم في الآية ولم يخص مكانا دون مكان

(1/316)

---

فإذا أمنتم من خوفكم وبرأتكم من مرضكم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج اختلفوا في هذه المتعة فقال بعضهم معناه فمن أحصر حتى عام الحج ثم قدم مكة فخرج من إحرامه بعمل عمرة واستمتع بإحلاله ذلك فيكمل العمرة إلى السنة المستقبلية ثم يحج ويهدي فيكون جميعا بذلك الإحلال من الذي حل إلى إحرامه الثاني من القابل وهذا قول عبد الله بن الزبير وقال بعضهم معناه فإذا أمنتم وقد حللتكم من إحرامكم بعد الإحصار ولم يقولوا عمرة يخرجون بها من إحرامكم لحجتكم ولئن حللتكم حين أخبرتم بالهدي وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج حللتكم فاستمتعتم بإحلالكم إلى حركم فعليكم ما استيسر من الهدى وهذا قول علقمة وإبراهيم وسعيد بن جبير وكذلك روى عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله عنه فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الآية فإن أخر العمرة حتى يجمعها مع الحج فعليه الهدى وقال السدي معناه فمن فسح حجة بعمرة فجعله عمرة واستمتع بعمرته إلى حجة فعليه ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الأفاق في أشهر الحج فإذا قضى عمرته أقام حلالا بمكة حتى حان وقت الحج فيحج من عامة ذلك فيكون مستمتعا بالإحلال إلى إحرامه بالحج فمعنى التمتع الإحلال بالعمرة فيقيم حلالا فيفعل ما يفعل الحلال ثم يحج بعد إحلاله من العمرة من غير رجوع إلى الميقات ومعنى التمتع التلذذ وأصله من التزود والمتاع الزاد ثم جعل كل تلذذ تمتعا قال الفقهاء فالتمتع الذي يجب عليه الهدى هو أن يجتمع فيه أربع شرائط وهي أن يحرم في أشهر الحج ويحل من العمرة في أشهر الحج وأن يحرم بالحج من عامه ذلك من مكة ولا يرجع إلى الميقات وزاد بعض أصحابنا أن يكون من غير الحرم فمن يحرم بشيء من هذه الشرائط سقط عنه الدم ولا يكون متمتعا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتكم إلى أهلكم قال المفسرون يصوم يوما قبل التروية ويوم عرفة ولا تجاوز بأخرهن يوم عرفة وقال

(1/317)

---

طاوس ومجاهد إذا صامهن في أشهر الحج أجزين تلك عشرة كاملة ذكر الكمال على التأكيد كقول الأعشى  
ثلاث بالغداة فذاك حسبي وست حين يدركني العشاء فذلك تسعة في اليوم ربي وشرب المرء فوق الري داء وقال الفرزدق ثلاث واثان وهن خمس وسادسة تميل إلى سهامى وقال بعضهم كاملة بالهدى وقيل بالثواب وقيل كاملة بشروطها وحدودها وقيل لفظه خبر وحكمه أمر أي فأكلوها ولا تنقصها ذلك التمتع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام أي كمن لم يكن من أهل الحرم عكرمة هو ما دون المواقيت إلى مكة وقال ابن جريح حاضري المسجد



الحرام أهل عرفة والرجيع يضحيان وبهديان واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات قال الفراء تقديرها وقسط الحج أشهر معلومات فهذا كما يقال البرد شهران والحر شهران أي وفيهما شهران وسمعت الكسائي يقول إنما الصيد شهران والطيلسان شهران وقت الصيد ووقت ليس الطيلسان وقال الزجاج معناه أشهر الحج أشهر معلومات وهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة قال ابن عباس جعلهن الله للحج وسائر الشهور للعمرة فلا يصلح لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج وأما العمرة فإنه يحرم بها في كل شهر فأخر هذه الأشهر يوم عرفة وقد جاء في بعض الأخبار في تفسير أشهر الحج وعشر من ذي الحجة وفي بعضها تسع من ذي الحجة فمن قال تسع فإنما عبر به عن الأيام لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحج عرفة فمن وقف بعرفة في يوم عرفة من ليل أو نهار فقدتم حجه ومن قال عشرة عبر به عن الليالي فمن لم يدركه إلى طلوع الفجر من يوم النحر فقد فاتة الحج والشهور إنما يؤرخ بالليالي وحكى الفراء إن العرب تقول صمنا عشرا يذهبون بها إلى الليالي والصوم لا يكون إلا بالنهار فلا تضاد في هذه الأخبار وإنما قال أشهر وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت

(1/318)

---

والعرب تسمي الوقت بقليله وكثيره فيقولون أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه ويقولون اليوم يومان منذ لم أره وإنما هو يوم وبعض آخر ويقولون زرتك العام وقال بعض أصحابنا الاثنان فما فوقهما جماعة لأن الجمع ضم شيء إلى شيء قلنا جاز ان يسمى الاثنان بانفرادهما جماعة وجاز ان يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة وقد سمى الله الاثنتين جمعا في قوله صغت قلوبكما ولم يقل قلبكما وقال عروة بن الزبير وغيره أراد بالأشهر شوالا وذو القعدة وذو الحجة كاملا لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والحلق والنحر والبيتوتة بمنى فكأنها في حكم الحج حكم الآية فمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك عن حجه ويكون ذلك عمرة كمن دخل في صلاة قبل وقتها فتكون نافلة وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد ومذهب الاوزاعي والشافعي وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ومحمد يكره له ذلك وإن فعل أجزاءه ودليل الشافعي وأصحابه قوله الحج أشهر معلومات فخص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو كان الاحرام بالحج في غير هذه الأشهر منعقدا جائزا لما كان بهذا التخصيص فائدة مثل الصلوات علقها بمواقيت لم يجز تقديمها عليها فمن فرض فيهن الحج أي فمن أوجب على نفسه فيهن الحج والإحرام والتلبية فلا رفت ولا فسوق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الرفت الفسوق بالرفع والتنوين وجدال بالنصب كقول أمية فلا لغو ولا تأثيم فيها وما قاموا به لهم مقيم وقرأ أبو رجاء العطاردي فلا رفت ولا فسوق نصبا ولا جدال يرفع بالتنوين كقول الأخفش هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين وقرأ الباقون كلها بالنصب من غير تنوين والعرب تقول في البرية هذان الوجهان ومن رفع بعضها ونصب بعضها كان جامعا للوجهين

(1/319)

---

وقرأ الأعمش فلا رفوث على الجميع واختلف أهل التأويل في تفسير الرفث فقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن وعمرو بن دينار وقتادة وإبراهيم والربيع والزهري والسدي وعطاء بن أبي رباح وعكرمة والضحاك الرفث الجماع وقال طاووس وأبو العالية الرفث التعريض بالنساء بالجماع ويذكره بين عطاء الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك قال أبو حصين بن قيس أصعدت ابن عباس في الحاج وكنت له خليلا فلما كان بعدما أحرمنا قال ابن عباس بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يرتجز ويقول وهن يمشين بنا هميا ان تصدق الطير نك لميسنا فقلت له أترفت وأنت محرم فقال إنما الرفث ما قيل عند النساء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء القبل والغمز وأن يعرض لها بالفحشاء من الكلام هو كذلك وقال بعضهم الرفث الفحش وقول القبيح وأما الفسوق فقال ابن عباس وطاووس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع والزهري والقرظي الفسوق معاصي الله كلها الضحاك هو التنايز بالألقاب دليله قول ولا تنايزوا بالألقاب بنس الاسم الفسوق ابن زيد هو بالأصنام منع ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم حين حج فعلم أمته المناسك دليله قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وقوله مما أهل لغير الله به إبراهيم ومجاهد وعطاء هو السباب يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

(1/320)

---

ابن عمر هو مانهى الله عنه المحرم في حال الإحرام من قبيل الصيد وتقليم الاظفار وحلق الشعر وما أشبهه وأما الجدال فقال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن محمد وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء بن يسار ومعاذ بن أبي رباح وقتادة الجدال ان تماري صاحبك وتخاصمه حتى تقضيه ابن عمر هو السبابة والمنازعة القرظي كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا أتم من حجكم فقال هؤلاء حجنا أتم من حجكم القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غدا ابن زيد كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعى إنه موقف إبراهيم ج فقطعه الله حين علم نبيه صلى الله عليه وسلم بمناسكه قال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من لم يكن معه هدي فليحل من إحرامه وليجعلها عمرة فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنا أهلنا بالحج فذلك جدالهم مجاهد معناه ولا شك في الحج إنه في ذي الحجة فأبطل النسيء واستقام الحج كما هو اليوم قال أهل المعاني لفظه نفي ومعناه نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا لقوله تعالى لا ريب فيه أي لا ترتابوا فيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعن وهيب بن الورد قال كنت أطوف أنا وسفيان الثوري فأنقلب سفيان وبقيت في الطواف فدخلت الحجر فصليت عند الميزاب فبينما أنا ساجد إذ سمعت كلاما بين استار البيت والحجارة وهو يقول و اشكوا إلى الله ثم إليك ما يفعل ولا الطوافون من حولي من تفكهم

في الحديث ولغظهم وشوقهم قال وهيب فأولت أن البيت يشكوا إلى جبرئيل وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجازكم به وتزودوا فإن خير الزاد التقوى قال المفسرون كان ناس من أهل اليمن يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحن نرج بيت الله أفلا يطعمنا بدء بما ظلموا الناس وغصبواهم الله فأمرهم الله أن يتزودوا ولا يظلموا وأن لا يكونوا وبالا على الناس فقال وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ويكفون به وجوههم قال المفسرون الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها وروى نافع عن ابن عمر قال كانوا إذا أحرموا ومعهم أزودة رموها واستبقوا زاد الآخرة فأنزل الله وتزودوا نهاهم عن ذلك وأمر بالتحفظ للزاد والزود لمن لم يتزود فأمرهم بالتقوى بكف الظلم قال فإن خير الزاد التقوى قال أهل الإشارة ذكرهم الله سفر الآخرة وحثهم على التزود بالدارين فإن التقوى زاد الآخرة قال الشاعر الموت بحر طامح موجه تذهب فيه حيلة المسايح قال آخر لا يصحب الانسان في قبره إلا التقى والعمل الصالح قال الاعشى إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقبت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ألا تكون كمثلته وأنك لم ترصد كما كان أرصدا قال مالك بن دينار مات بعض قراء البصرة فمزحنا في جنازة وانصرفنا فصعد سعدون المجنون وتلا في المقبرة ونادى المتصوفين فأنشأ يقول لا يا عسكر الاحياء هذا عسكر الموتى أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى يحنون على الزاد وما الزاد سوى القرى يقولون لكم جهزوا فهذا غاية الدنيا

قال الله عز وجل واتقون يا أولي الألباب ذوي العقول ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم ءآباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا ءاتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في صلى الله عليه وسلم أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا صلى الله عليه وسلم إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا صلى الله عليه وسلم أنكم إليه تحشرون ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم الآية قال المفسرون كان ناس من العرب لا يتجرون في أيام الحج فإذا دخل العشر كفوا عن الشراء والبيع فلم يقيم لهم سوق وكانوا يسمون من يخرج إلى الحج ومعه تجارة الداج فأنزل الله تعالى هذه الآية وباح التجارة في الحج فقال ابن عباس كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية كانوا يتجرون فيها في الموسم وكان أكثر معاشهم منها فلما جاء الإسلام كأنهم تأثموا منها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقال أبو أمامة التيمي قلت لابن عمر إنا قوم نكري فيدعمون المؤمنين

في الحج فقال أستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون الحجارة كما يرمون قلت بلى قال انتم حاج جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبرئيل بهذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم يعني التجارة وكان ابن عباس يقرأها ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عرفة غفر الله

(1/323)

---

للحاج به الخاص فإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للجار وإذا كان يوم منى غفر الله للجمالين وإذا كان عند جمرة العقبة غفر الله للسؤال ولا شهد ذلك الموقف خلق ممن قال لا إله إلا الله إلا غفر له فإذا أفصتم رجعتم ودعيتم بكرة يقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف قال الشاعر فلما أفضنا في الحديث وأسمحت أتنا عيون بالنميمة تضرب وأصلها من قول العرب أفاض الرجل ماءه إذا صبه وأفاض البعير تجرعه إذا رمى ودفع بها من كرشه قال الراعي فأفضن بعد كظومهن بجرة من ذي الأبارق إذا رعين حقيلا ويقال أفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها موضع بقع متفرقة قال أبو ذؤيب يصف الحمار والأنف وأتته ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع ولا تكون الأفاضة في اللغة إلا عن تفرق وكثرة قال عمر بن الخطاب الأفاضة الانصداع من عرفات القراءة بالكسر والتنوين لأنه جمع عرفة مثل مسلمات ومؤمنات فسميت بها بقعة واحدة مثل قولهم أرض سباسب وثوب أخلاق يجمع بها حولها فلما سميت بها البقعة الواحدة صرفت إذا كانت مصروفة قبل أن يسمى بها البقعة تركا منهم لها على أصلها فإذا كانت في الأصل بقعة واحدة ولم يكن جمعا تركوا أجزاءها ونصبوا تاءها في حال الخفض مثل عانات وأذرعان فرقا بين الاسم وبين الجمع واختلف العلماء في المعنى الذي لأجله قيل للموقف عرفات وليوم الوقوف بها عرفة فقال الضحاك إن آدم لما أهبط وقع في الهند وحواء بجدة فجعل آدم يطلب حواء وهي تطلبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات أبو حمزة الثمالي عن السدي قال إنها سميت عرفات لأن هاجر حملت إسماعيل ج فأخرجته من عند سارة وكان إبراهيم غائبا فلما قدم لم ير إسماعيل فحدثته سارة بالذي صنعت هاجر فانطلق في طلب إسماعيل فوجده مع هاجر بعرفات فعرفه فسميت عرفات

(1/324)

---

وعن علي بن الأشدق عن عبدالله بن حراد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم غدا من فلسطين فحلفت سارة إن لا ينزل عن ظهر دابته حتى يرجع إليها من الغيرة فأتى إسماعيل ثم رجع فحبسته سارة سنة ثم استأذنها فأذنت له فخرج حتى بلغ مكة وجبالها فبات ليلة يسير ويسعى حتى أذن الله عز وجل له في ثلث الليل الأخير عند سد جبل عرفة فلما أصبح عرف

البلاد والطريق فجعل الله عز وجل عرفة حيث عرف فقال اجعل بيتك أحب بلادك إليك حتى يهوي الله قلوب المسلمين من كل فج عميق عبد الملك عن عطاء قال إنما سميت عرفات لأن جبرئيل ج كان يري إبراهيم المناسك ويقول عرفت ثم يريه فيقول عرفت فسميت عرفات وروى سعيد بن المسيب عن علي رضي الله عنه قال بعث الله عز وجل جبرئيل إلى إبراهيم فحج به حتى إذا جاء عرفات قال قد عرفت وكان قد أتاه مرة قبل ذلك فسميت عرفات وروى أبو الطفيل عن ابن عباس قال إنما سمي عرفة لأن جبرئيل ج أرى إبراهيم فيه بقاع مكة ومشاهدها وكان يقول يا إبراهيم هذا موضع كذا وهذا موضع كذا ويقول قد عرفت وروى أسباط عن السدي قال لما أذن إبراهيم بالناس فأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله أن يخرج إلى عرفات فنعتها له فلما خرج وبلغ الشجرة المستقبلة للشيطان فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوق عرفة الثانية فرماه وكبر فطار فوق عرفة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى أنه لا يطيقه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فكذا سمي ذو المجاز فانطلق حتى وقف بعرفات فلما نظر إليها عرفها بالنعته فقال عرفت فسمي عرفات بذلك وسمي ذلك اليوم عرفة لأن إبراهيم رأى ليلة التروية في منامه أن يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح يومه أجمع أي فكر أمن الله هذا الحكم أمن الشيطان وسمي اليوم من فكرته تروية ثم رأى ليلة عرفة ذلك ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمي اليوم يوم عرفة وقال بعضهم سميت بذلك لأن

(1/325)

الناس يعترفون في هذا اليوم على ذلك الموقف بالذنوب والأصل نسيان آدم ج لما أمر بالحج وقف بعرفات يوم عرفة قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل هي مأخوذة من العرف قال الله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم أي طيبها قالوا فمضى موضع بمنى وفيه الدم أي يصب فلذلك سمي منى ففيه يكون الفروث والانداز والدماء وليست بطيبة وعرفات ليس فيها وهي طيبة فلذلك سميت عرفات ويوم الوقوف بها عرفة وقيل لأن الناس يتعارفون بها وقال بعضهم أصل هذين الأسمين من الصبر يقال رجل عارف إذا كان صابرا خاضعا خاشعا ويقال في المثل النفس عروف وما حملتها تتحمل قال الشاعر فصبرت عارفة لذلك حرة ترسوا إذا نفس الجنان تطلع أي نفسا صابرة وقال ذو الرمة عروف لما خطت عليه المقادر أي صبور على قضاء الله فسميا بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصرفهم على الدعاء وأنواع البلاء واحتمالهم الشدائد والميقات لإقامة هذه العبادة فذكروا الله بالتلبية والدعاء عند المشعر الحرام وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى محسر وليس مأزما عرفة من المشعر وإنما سمي مشعرا من الشعار وهو العلامة لأنه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج والمبيت بالمشعر الحرام فرض واجب ومن تركه كان عليه شاة والدليل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم بات بها وقال انحروا عنى بمناسككم وقال المفضل سمي مشعرا لأنها شعر المؤمنون أنه حرم كالبيت ومكة أي اعلّموا ذلك وأصل الحرام المنع قال الله تعالى أي الممنوع من المكاسب والشياء المنهي عنه حرام لأنه منع من

اتيانه وقال زهير وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرام أي ولا ممنوع والمشعر الحرام من أن يفعل فيه ما حرم ولم يرض في اتيانه ويقال له المشعر الحرام والمزدلفة وقدم بغيرهما والجميع سمي بذلك لأنه يجمع فيها بين صلاتي العشاء والافاضة من عرفات بعد غروب الشمس وكان أهل

(1/326)

---

#### الجاهلية

يفيضون منهما قبل غروب الشمس ومن جمع بعد طلوعها وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما غير فأمر الله مخالفتهم في الدفعتين جميعا وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه نظر إلى الناس ليلا جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة ما ينأمون تأولون قول الله تعالى فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم لدينه ومناسك حجه وإن كنتم من قبله لمن الضالين يعني وما كنتم من قبله إلا من الضالين كقوله وإن نظنك لمن الكاذبين يعني وإن نظنك إلا من الكاذبين قال الشاعر ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة الرحمن أي ما قتلت إلا مسلما والهاء في قوله من قبله عائدة إلى الهدي وإن شئت على الرسول صلى الله عليه وسلم كناية عن غير مذكور ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس الآية قال عامة المفسرين كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها وهم الحمس لا يخرجون من الحرم إلى عرفات وكانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا يخلو الحرم ولا نخرج منها فلسنا كسائر الناس وكانوا يتعاطمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات ويقول بعضهم لبعض ألا تعظموا إلا الحرم فإنكم إن عظمتم غير الحرم تهاون الناس بحرمتم فوقفوا الجميع فإذا أفاض الناس من عرفات أفاضوا من المشعر وهو المزدلفة وأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جمع مع سائر الناس وأخبرهم أنها سنة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل ث وقال بعضهم المخاطبون بهذه الآية المسلمون كلهم والمعنى بقوله من حيث أفاض الناس جمع أي أفيضوا من جمع إلى منى وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع بلا شك فكيف يسوغ أن يقول فإذا أفضم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وأما الناس في هذه الآية فهم العرب كلهم غير الحمس الكلبي بإسناده هم أهل اليمن وربيعة الضحاك الناس هاهنا إبراهيم وحده يدل عليه قوله أم يحسدون الناس يعني

(1/327)

---

محمدًا صلى الله عليه وسلم وحده وقوله الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود الأشجعي إن الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفيان وإنما يقال هذا للذي يقتدي به ويكون لسان قومه وإمامهم كقوله إن إبراهيم كان أمة فذكر الواحد بلفظ الجمع ومثله كثير وقيل الناس هاهنا أدمج دليله قول سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وقيل هو آدم نسي ما عهد إليه والله أعلم بالحكم بن عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفه وعليه السكينة والوقار رديفه أمانة وقال أيها الناس عليكم

بالسكينة فإن البر ليس بإجاف الخيل والإبل قال فما رأيتها رافعة يديها عادة الخيل فالإبل حتى أتى جمعا وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الحج وأمره أن يخرج بالناس جميعا إلى عرفات فيقف بها فإذا غربت الشمس أفاض بالناس منها حتى يأتي بهم جمعا فبييت بها حتى إذا أصبح بها وصلي الفجر ووقف الناس بالمشعر الحرام ثم يفيض منها إلى منى قال فتوجه أبو بكر نحو عرفات فمر بالحمس وهم وقوف بجمع فلما ذهب يتجاوزهم قالت له الحمس يا أبا بكر أين تجاوزنا إلى غيرنا هذا مفيض آبائك فلا تذهب حتى تفيض أهل اليمن وربيعه من عرفات فمضى أبو بكر لأمر الله وأمر رسوله حتى أتى عرفات وبها أهل اليمن وربيعه وهم الناس في هذه الآية فوقف بها حتى غربت الشمس ثم أفاض بالناس إلى المشعر الحرام حتى وقف بها حتى إذا كان عند طلوع الشمس أفاض منها واستغفروا الله إن الله غفور رحيم أبي رباح عن أبي طالح السمان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحجاج والعمار وفد الله عز وجل إن دعوهم أجابهم وإن استغفروه غفر لهم عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وعن علي بن عبد العزيز يقول كنت عديلا لأبي عبيد بن سلام لسنة من السنين فلما صرت إلى الموقف

(1/328)

تصدق إلى نفسي حب النخل فتطهرت ونسيت نفقتي عنده فلما صرت إلى المارقين قال لي أبو عبيدة لو اشتريت لنا زبدا وتمرا فخرجت لأبتاعه فذكرت النفقة فرجعت عودي على بدئي إلى أن وافيت الموضع فإذا نفقتي بحالها فأخذتها ورجعت وكنت قد صادفت الوادي مملوءة قردة وخنازير وغير ذلك فجزعت عنه ثم إنني رجعت فإذا هم على حالهم حتى دخلت على أبي عبيدة قبيل الصبح فسألني عن أمري فخبرته وذكرت القردة قال تلك ذنوب بني آدم تركوها وانصرفوا فإذا قضيتم مناسككم فرغتم من حركم وذبحتم مناسككم يقال منه نسك الرجل ينسك نسكا ونسكا ونسيكة ومنسكا إذا ذبح نسكه والمنسك المذبح مثل المشرق والمغرب ويقال من العهد نسك ومنسك ومونسكا ونسكا ونسايكه إذا نظر وأبو عمرو يدغم الكاف في الكاف فيه وفي أخواته في كل القرآن مثل قوله ما سلككم لأنهما مثلان قال الشاعر ولا نشار لك عندي بعد واحدة لا والذي أصبحت عندي له نعم فأذكروا الله كذكركم آباءكم قال أكثر المفسرين في هذه الآية كانت العرب إذا فرغوا من حجهم وقفوا عند البيت وذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم فكان الرجل يقول إن أبي كان يقرى الضيف ويضرب بالسيف ويطعم الطعام وينحر الجوز ويفك العاني ويجز النواصي ويفعل كذا وكذا فيتفاخرون بذلك فأمرهم الله بذكره فقال فاذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم واحسنت إليكم وإليهم قال السدي كانت العرب إذا قضيت مناسكها وأقاموا بمنى يقوم الرجل فيسأل الله ويقول اللهم إن أبي كان عظيم الحجة عظيم القبة كثير المال فأعطني كل ما أعطيت أبي ليس يذكر الله إنما يذكر ويسأل أن يعطى في دنياه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وعطاء والربيع والضحاك معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار

الأباء وهو قول الصبي أول ما يفصح ويفقه الكلام أبه أمه ثم يلهج بأبيه وأمه  
عن أبي الجوزاء قال قلت لابن عباس أخبرنا عن قوله فاذكروا الله كذكركم  
آباءكم وقد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر آباه فيه فقال

(1/329)

---

ابن عباس ليس كذلك ولكن من يغضب الله إذا عصى بأشد من غضبك لوالديك  
إذا أهنتهما القرظي في قوله اذكروا الله كذكركم آباءكم قال كذكركم آباءكم  
أباكم  
أو أشد ذكرا يعني أشد ويل أشد كقوله أو يزيدون مقاتل أو أشد ذكرا أي أكثر  
ذكرا كقوله أشد قسوة أو أشد خشية وأما وجه إنتصاب أشد فقال الأخفش  
اذكروه أشد وقال الزجاج في محل الخفض لكنه لا ينصرف لانه صفة على  
مفعال أفعل وصفته ذكرا على التمييز فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا  
أي أعطنا إبلا وغنما وبقرا وعبيدا وإماء فحذف المفعول قال أنس كانوا  
يطوفون بالبيت عراة فيدعون ويقولون اللهم اسقنا المطر وأعطنا على عدونا  
الظفر وردنا صالحين إلى صالحين قتادة هذا عبد نوى الدنيا لها أنفق ولها عمل  
ولها قضت فهي همه وأمنيته وطلبته وما له في الآخرة من خلاق حظ ونصيب  
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وهم النبي  
والمؤمنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال علي رضي الله عنه في الدنيا  
حسنة امرأة صالحة وفي الآخرة الحسنة الحور العين وقنا عذاب النار المرأة  
السوء قال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة  
والرضوان السدي و ابن حيان في الدنيا حسنة رزقا حلالا واسعا وعملا صالحا  
وفي الآخرة حسنة الثواب والمغفرة عطية في الدنيا حسنة العلم والعمل وفي  
الآخرة حسنة تيسير الحساب ودخول الجنة وقيل في الدنيا حسنة التوفيق  
والعصمة وفي الآخرة حسنة النجاة والرحمة وقيل في الدنيا حسنة أولادا أبرارا  
وفي الآخرة حسنة موافقة الأنبياء وقيل في الدنيا حسنة المال والنعمة وفي  
الآخرة حسنة تمام النعمة وهو الفوز والخلاص من النار ودخول الجنة وقيل في  
الدنيا حسنة الدين واليقين وفي الآخرة حسنة اللقاء والرضا

(1/330)

---

وقيل في الدنيا حسنة الثبات على الإيمان وفي الآخرة حسنة السلامة  
والرضوان وقيل في الدنيا حسنة الاخلاص وفي الآخرة حسنة الخلاص وقيل في  
الدنيا حسنة حلاوة الطاعة وفي الآخرة حسنة لذة الروية قتادة في الدنيا عافية  
وفي الآخرة عافية دليل هذا التأويل ما روى حميد عن أنس أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عاد رجلا قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعوا له بشيء أو تسأله شيئا قال كنت أقول  
اللهم ما كنت معاتبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله إذا لا  
تستطيعه ولا تطيقه فهلا قلت اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة  
وقنا عذاب النار فدعا الله بها فشفاه الله سهل بن عبدالله في الدنيا حسنة  
السنة وفي الآخرة حسنة الجنة المسيب عن عوف في هذه الآية قال من آتاه



الله الإسلام والقرآن وأهلا ومالا وولدا فقد أولى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة حماد عن ثابت إنهم قالوا لأنس بن مالك إدع الله لنا فقال اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فأعادها قالوا زدنا قال ما تريدون قد سألت الله تعالى لكم خير الدنيا والآخرة قال أنس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار سفيان الثوري في هذه الآية في الدنيا حسنة الرزق الطيب والعلم وفي الآخرة حسنة الجنة مجاهد عن ابن عباس قال عند الركن اليماني ملك قائم منذ خلق الله السماوات والأرض يقول آمين فقولوا ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وقال ابن جريح بلغني إنه كان يؤمر أن يكون أكثر دعاء المسلم في الوقف اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا يعني من حج عن ميت كان الأجر بينه وبين الميت

(1/331)

---

عن الفضل بن عباس إنه كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال إن أمي عجوز كبيرة لا تستمسك على الرجل و ان ربطتها خشيت أن أقتلها فقال له أرأيت لو كان على أمك دين كنت قاضيه قال نعم قال فحج عنها أبو سلمة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في رجل أوصى بحجة كتب له أربع حجات حجة الذي كتبها وحجة الذي نفدها وحجة الذي أخذها وحجة الذي أمر بها وقال سعيد بن جبير جاء رجل إلى ابن عباس فقال إني أجرت نفسي واشترطت عليهم الحج معهم فهل يجزيني ذلك قال انت من الذين قال الله أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب يعني إذا حاسب فحسابه سريع لانه لا يحتاج إلى تمديد ولا وعي منه ولا روية ولا فكرة وقال الحسن أسرع من لمح البصر وفي الحديث ان الله تعالى يحسب في قدر حلب شاة وقيل هو إنه إذا حاسب واحدا واحدا حاسب جميع الخلق فمعنى الحساب تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما نسوه من ذلك يدل عليه قوله يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء قدير واذكروا الله يعني التكبير في الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصة وغيرها من الأوقات في أيام معدودات وهي أيام التشريق وأيام منى ورمي الجمار والأيام المعلومات عشر ذي الحجة نافع ابن عمر الأيام المعدودات ثلاثة أيام يوم النحر ويومان بعده أبو حنيفة عن حماد بن إبراهيم في قوله واذكروا الله في أيام معدودات قال المعدودات أيام العشر و المعلومات أيام النحر والصحيح أن المعدودات أيام التشريق وعليه أكثر العلماء يدل عليه قوله ومن تعجل في يومين أي منها وإنما يكون الصدر في أيام التشريق

(1/332)

---

قال الزجاج ويستعمل المعدودات في اللغة الشيء القليل فسميت بذلك لأنها ثلاثة أيام والأيام المعدودات أيام التشريق والذكر المأمور فيها التكبير قال نافع

كان عمرو وابنه عبد الله يكبران بمنى تلك الأيام جميعا وخلف الصلوات وفي المجلس وعلى الفراش والقسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهم ويناولان هذه الآية قلت واجمعوا على أن التكبير في هذه الأيام سنة إلا إنهم اختلفوا في قدرها ووقتها فكان عبد الله بن مسعود يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد بن الحسن وهو أجمع الأقاويل كان ابن عباس وزيد بن ثابت يكبران من صلاة الظهر من يوم النحر إلى مدة العصر من آخر أيام التشريق وهو قول عطاء وهو الأظهر والأشهر من مذهب الشافعي إنه يبدأ التكبير من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق هذا بالحاج آخر صلاة يصلها الحاج بمنى والناس لهم تبع وأما لفظ التكبير فكان سعيد بن جبير يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر نسقا وهو مذهب الشافعي وأهل المدينة وكان ابن مسعود يكبر إثنين وهو مذهب أبي حنيفة وأهل العراق وروى عن مالك إنه كان يقول الله أكبر الله أكبر ثم يقطع فيقول الله أكبر لا إله إلا الله وروى عن قتادة إنه كان يقول الله أكبر كبيرا الله أكبر على ما هذان الله أكبر ولله الحمد وروى عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله عن جعفر بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا فنادى في أيام التشريق إنها أيام أكل وشرب قال الله تعالى فمن تعجل في يومين يعني من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني من أيام التشريق فلا إثم عليه في تعجله ومن تأخر عن النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق إلى اليوم الثالث حتى ينفر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخره فإن لم ينفر في اليوم الثاني وأقام

(1/333)

حتى تغرب الشمس فليقم إلى الغد من اليوم الثالث فيرمي الجمار ثم ينفر مع الناس هذا قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك والنخعي والسدي قال بعضهم معناه فمن تعجل في يومين فهو مغفور له لا إثم ولا ذنب عليه ومن تأخر فكذلك وهكذا قول علي وأبي ذر وابن مسعود والشعبي ومطرف بن الشخير قال معاوية بن مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال إسحاق بن يحيى بن طلحة سألت مجاهد عن ذلك قال فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه إلى قابل ومن تأخر فلا إثم عليه أيضا إلى قابل وقال سعيد بن المسيب توفي رجل بمنى في آخر أيام التشريق فليل لعمر توفي ابن الخنساء أفلا نشهر دفنه فقال عمر وما يمنعني أن أدفن رجلا لم يذنب منذ غفر له لمن اتقى اختلفوا في معناه فقال ابن عباس في رواية العوفي والكلبي لمن اتقى قتل الصيد لا يحل له أن يقتل صيدا حتى ينقضي أيام التشريق قتادة لمن اتقى أن يصيب في حجر شيئا نهاه الله عز وجل عنه فيه أبو العالية ذهب إثمك كله إن اتقى فيما بقى من عمره وكان ابن مسعود يقول إنما حطت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله في حجه ابن جريح وهو في مصحف عبدالله لمن اتقى الله جوبير عن الضحاك عن ابن عباس لمن اتقى عبادة الأوثان وروى عن ابن عباس أيضا لمن اتقى معاصي الله قال ووددت أني من هؤلاء الذين يصيبهم اسم التقوى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون يجمعون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم ومن الناس

من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام  
وإذا تولى سعى فى الارض لىفسد فيها وبهلك الحرث والنسل والله لا يحب  
الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد  
ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد يأياها  
الذين ءامنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو  
مبين فإن زلتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلمو صلى الله عليه وسلم ا

(1/334)

---

أن الله عزيز حكيم هل ينظرون إلا أن يأتهم الله فى ظلل من الغمام  
والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور ومن الناس من يعجبك قوله فى  
الحياة الدنيا الآية الكلبي والسدي ومقاتل وعطاء قالوا نزلت هذه الآية فى  
الأخنس بن شريق الثقفي  
حليف بنى أبي زهرة وإسمه أبي وسمى بالأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة  
رجل من بنى زهرة عن قتال النبي صلى الله عليه وسلم وقد تولوا الجحفة  
وقال لهم يا بنى زهرة إن محمدا ابن أخيكم فإن يكن صادقا فلن تغلبوه وكنتم  
أسعد الناس بصدقه وإن يك كاذبا فإنكم أحق من كف عنه لقرابتكم وكفتكم  
إياه أوباش العرب قالوا نعم الرأي رأيت فسر لما شئت فنتبعك فقال إذا نودي  
الناس فى الرحيل فإني أخنس بكم فاتبعوني ففعلوا وفعلا وسمى لذلك  
الأخنس وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يواله ويظهر الإسلام ويخبره بأنه يحبه ويحلف بالله عز وجل على  
ذلك وكان منافقا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه ويقبل  
عليه ولا يعلم إنه يضم خلاف ما يظهر ثم إنه كان بينه وبين ثقيف خصومة  
فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم واحرق زرعهم وكان حسن العلانية سيء السريرة  
قال السدي مر بزرع للمسلمين وحمرا فأحرق الزرع وعقر الحمر مقاتل خرج  
إلى الطائف مقتضيا لحاله على غريم فأحرق له أرضا وعقر له أتانا فأنزل الله  
فيه هذه الآيات ابن عباس والضحاك نزلت هذه الآيات إلى قوله والله رؤوف  
بالعباد فى سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو بالمدينة إنا أسلمنا فابعث إلينا نفرا من علماء أصحابك يعلموننا  
دينك وكان ذلك مكرًا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب بن  
عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبدالله بن طارق  
ابن شهاب البادي وزيد ابن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن الاقبح  
الأنصاري فساروا يريدون مكة فنزلوا بطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم  
تمر عجرة

(1/335)

---

فأكلوا فمرت عجوزة وأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت قد سلك  
الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد فركب سبعون رجلا ومعهم الرماح حتى  
أحاطوا بهم فحاربوهم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبدالله بن طارق ونشر عاصم بن  
ثابت كتابته وفيها سبعة أسهم فقتل منهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال

اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر الليل ثم أحاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه أرادوا جز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن عهيد وكانت قد نذرت حين أصاب إبتها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فيه قحفه الخمر فأرسل الله رجلا من الدبر وهي الزنابير فحمت عاصما ولم يقدروا عليه فسمي حمي الدبر فلما حالت بينهم وبينه قال دعوه حتى يمسي تذهب عنه فناخذه فجاءت سحابة سوداء ومطرت مطرا كالعزالي فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما

(1/336)

---

فذهب به وحملته خمسين من المشركين إلى النار قال وكان عاصم قد أعطى لله عهدا أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك أبدا تنجسا منه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه الخبر إن الدبر منعتة عجا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع من حياته فأسر المشركون حبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة فأما حبيب فابتاعه بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناه ليقتلوه بأيديهم وكان حبيب هو الذي قتل الحرث بن عامر بأحد فيبينما حبيب عند بنات الحرث إذا استعار من إحداهن موسى يستحل بها للقتل فما راع المرأة ولها صبي بدرج الآباء بحبيب قد أجلس الصبي على فخذة والموسى في يده فصاحت المرأة فقال حبيب أتحنثين أن أقتله إن الغدر ليس من شأننا فقالت المرأة ما رأيت أسيرا قط خيرا من حبيب لقد رأيت وما بمكة من تمره وإن في يده لقطفا من عنب يأكله إن كان إلا رزقا رزقه الله حبيبا ثم إنهم خرجوا به من الحرم ليقتلوه وأرادوا أن يصلبوه فقال ذروني أصلي ركعتين فتركوه فصلى ركعتين فجرت سنة لمن قتل صبورا أن يصلي ركعتين ثم قال لولا أن يقولوا جزع حبيب لزدت وأنشأ يقول ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك في أوصال شلو ممزع أي مقطوع ثم قال اللهم أحصهم عددا وخذهم بددا فصلبوه حيا فقال اللهم إنك تعلم إنه ليس أحد حولي يبلغ رسولك سلامي فأبلغه لأمي قال ثم جاء به رجل من المشركين يقال له أبو سروعة ومعه رمح فوضعه بين ثديي حبيب فقال له حبيب إتق الله فما زاده إلا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله وإذا قيل له إتق الله الآية يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الجحفي ثم بعثه مع مولى له يسمى قسطاس إلى التنعيم ليقتله فاجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان لزيد حين قدم ليقتل

(1/337)

---

أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن بمكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن بمكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد

محمدا ثم قتله قسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لأصحابه أيكم يحتمل خبيبا عن خشيته فله الجنة قال الزبير بن العوام أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان بالليل ويكتمان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلا فإذا حول الخشبة أربعون من المشركين نيام نشاوى فأنزلاه فإذا هو رطب ينثني لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما وبده على جراحته تخضب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبر بذلك قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيبا فابتلغته الأرض فسمي بليع الأرض فقال الزبير ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه فقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم إنصرفتم فأنصرفوا إلى مكة وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبرئيل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فقال رجال من المنافقين في أصحاب حبيب ياويح لهؤلاء المقتولين الذين هلكوا لأنهم قعدوا في بيوتهم ولاهم أدوا رسالة صاحبهم فأنزل الله في الزبير والمقداد بن الأسود وحبيب وأصحابه المؤمنين وفيمن طعن عليهم من المنافقين ومن الناس من يعجبك يا محمد قوله في الحياة الدنيا أي تستحسنه ويعظم في قلبك ومنه العجب لأنه تعظم في النفس فقال في الخبر الإستحسان والمحبة أعجبنى كذا وفي الإنكار والكرهية عجت من كذا وأصل العجب ما لم يكن مثله قاله المفضل ويشهد الله على ما في قلبه يعني قول المنافق والله إنني بك لمؤمن ولك محب

(1/338)

وقرأ ابن محيصة ويشهد الله بفتح الياء والهاء ورفع الهاء من قوله أي يظهر أمرا ويقول قولاً ويعلم الله خلاف ذلك منه وفي مصحف أبي ويستشهد الله وهي حجة لقراءة العامة وهو ألد الخصام أي شديد الخصومة يقال منه لدت يا هذا وأنت تلد لدا ولداد وإذا أردت إنه غلب خصمه قلت لده يلد لدا ويقال رجل الد وإمرأة لداء ورجال ونساء لد قال الله تعالى وتذريه قوما لدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم قال الشاعر إن تحت الأحجار حزما وجودا وخصيما ألد ذا مغلاق وقال الراجز تلد أقران الرجال اللد وقال الزجاج إشتقاقه من لذيدي العنق وهما صفحتاه وتأويله إنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب في ذلك والخصام مصدر خاصمته خصاما ومخاصمة قاله أبو عبيدة وقال الزجاج هو جمع خصم يقال خصم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور وحقيقة الخصومة التعمق في البحث عن الشيء والمضايقة فيه ولذلك قيل لزوايا الأوعية خصوم قال السدي ألد الخصام أعوج الخصام مجاهد الأخير المستقيم على خصومة الحسن هو كاذب القول قتادة هو شديد القسوة في معصية الله جدل بالباطل عالم باللسان جاهل بالعمل متكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة وإذا تولى أدبر وأعرض عنك الحسن تولى عن قوله الذي أعطاه ابن جريح غضب الضحاك ملك الأمر وصار واليا سعى في الأرض أي عمل فيها يقال فلان يسعى لعياله أي يعمل فيما يعود عليهم نفقه ومنه قول الأعشى وسعى لكندة سعي

غير مواكل قيس فضر عدوها وبنى لها وقيل سار ومشى ليفسد فيها قال ابن جريح قطع الرحم وسفك دماء المسلمين والنساء إسم لجميع المعاصي ويهلك الحرث والنسل قرأ الحسن وابن أبي إسحاق ويهلك برفع الكاف على الابتداء

(1/339)

---

وقرأت العامة بالنصب ويصدقها قراءة أبي وليهلك قال المفسرون الحرث ما تحرثون من النبات والنسل نسل كل دابة والناس منهم النضر بن عدي عن مجاهد في قوله وإذا تولى سعى الآية قال إذا ولى خاف فعمل بالعدوان والعالم فأمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد عن سعيد بن المسيب قال قطع الدرهم من الفساد في الأرض قتادة عن عطاء إن رجلا يقال له العلاء بن منبه أحرم في جبة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزعها قال قتادة فقلت لعطاء إنا كنا نسمع أن شقها فقال عطاء إن الله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله خف الله تكبر أخذته العزة بالإثم أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم والعزة والقوة والمنعة ويقال معناه أخذته العزة بالإثم الذي في قلبه كما قام الهاء مقام اللام كقول عنترة يشبهه بالرب وكان ربا أو كحيلة معقدا حش الوقود به جوانب قمقم أي خلق الأمالة خشية جهنم أي كفاه عذاب جهنم وليئس المهاد الفراش قال عبد الله بن مسعود إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك ومن الناس من يشري ببيع نفسه ابتغاء مرضات الله أي يطلب رضا الله والكسائي يميل مرضاة الله كل القرآن والله رؤوف بالعباد قال ابن عباس والضحاك نزلت هذه الآية في الزبير والمقداد بن الأسود حين شربا أنفسهما لإنزال حبيب من خشبته التي صلب عليها وقد مضت القصة وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان المخزومي مولى عبد الله بن جدعان التيمي أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فضربوهم فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فتلقيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في رجال قال له أبو بكر يبعك أبا يحيى فقال صهيب وبيعتك فلا تخسر بأذاك

(1/340)

---

فقال أنزل الله تعالى فيك كذا وقرأ عليه هذه الآية قال سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فأتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته وهو ما في كنانته ثم قال يا معاشر قريش لقد علمتم إني من أركم رجلا والله لا أصنع سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل وأيم الله لا يصلون إلي حتى أرمي كل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم إفعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي وضيعتي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم ففعل ذلك فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ما هم بأهل الحرور المراق من دين الله تعالى ولكن هم المهاجرون والأنصار وقال الحسن أتدرون فيمن نزلت هذه الآية في أن مسلما لقي كافرا فقال له قل لا

إله إلا الله وإذا قتلها عصمت مالك ودمك إلا بحقها فأبى أن يقولها قال المسلم والله لأشربن نفسي لله فتقدم فقاتل حتى قتل وقال المغيرة بعث عمر جيشا فحاصروا حصنا فتقدم رجل من بجيلة فقاتل وحده حتى قتل فقال الناس ألقى بيده إلى التهلكة فبلغ ذلك عمر فقال كذبوا ليس الله يقول ومن الناس من يشري نفسه الآية وقال بعضهم نزلت هذه الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال ابن عباس أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم قال هذا وأنا أشري نفسي وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل أخذته العزة بالإثم ثم قال هذا وأنا أشري نفسي لمقاتلته فأقتل الرجلان لذلك وكان علي رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وقال الخليل سمع عمر بن الخطاب إنسانا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه الآية فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي إمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال قال

(1/341)

النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله وقال الثعلبي ورأيت في الكتب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده فأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه صلى الله عليه وسلم وقال له إتشح ببرد الحضرمي الأخضر ونم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله ففعل ذلك علي فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالبقاء والحياة فإختار كلاهما الحياة فأوحى الله تعالى إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه نفسه ويؤثره بالحياة إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب فنأدى الله عز وجل الملائكة وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى المدينة في شأن عليج ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس نزلت في علي بن أبي طالب حين هرب النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين إلى الغار مع أبي بكر الصديق ونام علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضري وأصحابه وذلك إنهم عظموا السبب وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة أي في الإسلام قاله قتادة والضحاك والسدي وابن زيد يدل عليه قول الكندي دعوت عشيرتي للسلم لما رأيتهم تولوا مدبرينا أي دعوتهم إلى الإسلام لما إرتدوا قال ذلك حين إرتدة كندة

مع الأشعث بن قيس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال طاووس في الدين مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة أي جميعها ربيع في الطاعة سفيان الثوري في أنواع البر كلها وكلها متقاربة في المعنى وأصله من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل للصلح سلم وقال زهير وقد ملتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الإسلام ثمانية أسهم الصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم والحج سهم والعمرة سهم والجهد سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له واختلف القراء في السلم فقرأ الأعمش وابن عباس بكسر السين هاهنا وفي الأنفال وسورة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأها أهل الحجاز والكسائي كلها بالفتح وهو اختيار أبي عبيد لما روى عبد الرحمن ابن ابزي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كلها بالفتح وقرأ حمزة وخلف في الأنفال بالفتح وسائرهما بالكسر وقرأ الباقر هاهنا بالكسر والباقي بالفتح وهو اختيار أبي حاتم وهما لغتان عاصم الأحول عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الإسلام كمثل الشجرة الثابتة الإيمان بالله أصلها الصلوات الخمس جذوعها وصيام شهر رمضان لحاءها والحج والعمرة جناها والوضوء وغسل الجنابة شربها وبر الوالدين وصلة الرحم غصونها والكف عما حرم الله ورقها والأعمال الصالحة ثمرها وذكر الله تعالى عروقتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لا تحسن الشجرة ولا تصلح إلا بالورق الأخضر كذلك الإسلام لا يصلح إلا بالكف عن محارم الله تعالى والأعمال الصالحة كافة جميعا وهي مأخوذة من كفت الشيء إذا منعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه قيل لحاشية القميص كفة لأنها تمنعه من أن ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة بالضم وكل مستدير فحرفه كفة بالكسر نحو كفة الميزان ومنه قيل للراحة مع الأصابع كفة لأنه يكف بها عن سائر البدن ورجل مكفوف أي كف بصره من النظر فمعنى الكافة هو ان

ينتهي إليه ويكفه من أن يجاوزه ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي آثاره ونزعاته فيما بين لكم من تحريم السبت ولحم الجمل وغيره إنه لكم عدو مبين الشعبي عن جابر بن عبد الله إن عمر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا نسمع أحاديث من يهود قد أخذت بقلوبنا أن نكتب بعضها فقال أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي فإن زلتم قال ابن حيان أخطأتم السدي ضللتهم يمان ملتئم



قال ابن عباس يعني الشرك قتادة أنزل الله هذه الآية وقد علم إنه سيزل زالون عن الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه فيكون لله حجة على خلقه وقرأ أبو السماك العذري زللتكم بكسر اللام وهما لغتان وأصل الحرف من الزلق من بعد ما جاءتكم البيئات يعني الإيمان والقرآن والأمر والنهي فاعلموا أن الله عزيز في نعمته حكيم في أمره هل ينظرون أي هل ينظر التاركون الدخول في السلم كافة والمتبعون خطوات الشيطان يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد قال الشاعر فيينا نحن ننظره أتانا معلق شكوة وزناد راع أي ننتظره ونتوقعه فإذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام جمع ظلة وقرأ قتادة في ظلال ولها وجهان أحدهما جمع ظلة فقال ظلل وظلال مثل جلة وجلال وظل وظلال كثر حلة وحلل والثاني جمع ظل من الغمام وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه نعم أي يستتر عكرمة عن ابن عباس في قوله يأتيهم الله في ظلل من الغمام قال يأتي الله في ظلله من الغمام قد قطعت طاقات ورفع بعضهم سلمة بن وهرام أن عكرمة أخبره أن ابن عباس أخبره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوفة بالملائكة وذلك قوله إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام قال الحسن في سترة من الغمام فلا ينظر إليهم أهل الأرض الضحاك في ضلع من السحاب مجاهد هو غير من السحاب ولم يكن إلا لبني اسرائيل في تيههم مقاتل كهيئة الطيابة أبيض وذلك قوله ويوم تشقق السماء بالغمام

(1/345)

والملائكة قرأ ابن جعفر بالخفض عطفا على الغمام وتقديره مع الملائكة تقول العرب أقبل الأمير في العسكر أي مع العسكر وقرأها الباقر بالرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام يدل عليه قراءة أبي حاتم وعبد الله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام أبو العالية والربيع تأتيهم الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله تعالى فيما يشاء قرأ معاذ في ظلل مع الغمام وقضاء الأمر بالمد أراد المصدر ذكر البيان عن معنى الإتيان واختلف الناس في ذلك فقال بعضهم في بمعنى الباء وتعاقب حروف الصفات شائع مشهور في كلام العرب تقدير الآية إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة وبهذا التأويل زال الإشكال وسهل الأمر وأجرى الباقر للآية فهي ظاهرة ثم اختلفوا في تأويلها ففسره قوم على الإتيان الذي هو الانتقال من مكان إلى مكان وأدخلوا فيه بلا كيف يدل عليه ظواهر أخبار وردت لم يعرفوا تأويلها وهذا غير مرضي من القول لأنه إثبات المكان لله سبحانه وإذا كان متمكنا وجب أن يكون محدودا متناهيا ومحتاجا وفقيرا وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال بعض المحققين الموفقين أظنه علي بن أبي طالب من زعم أن الله تعالى من شيء أو في شيء أو على شيء فقد ألد لأنه لو كان من شيء لكان محدثا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان على شيء لكان محمولا وسكت قوم عن الخوض في معنى الإتيان فقالوا نؤمن بظاهره ونقف عن تفسيره لأننا قد نهينا أن نقول في كتاب الله تعالى ما لا نعلم ولم ينبها الله تعالى ولا رسوله على حقيقة معناه قال يحيى هذه من المكتوم الذي لا يفسر وكان مالك والأوزاعي ومحمد وإسحاق وجماعة

من المشايخ يقولون فيه وفي أمثاله أمروها كما جاءت بلا كيف وزعم قوم أن في الآية إضممارا أو اختصارا تقديرها إلا أن يأتيهم أمر الله وهو الحساب والعذاب دل عليه قوله وقضي الأمر الآية وجب العذاب وفرغ من الحساب قالوا

(1/346)

---

هذا كقوله وإسأل القرية ويقول العرب قطع الوالي اللص يعني يده وإنما فعل ذلك آخر أنه بأمره ويقال خطبتان مأتينا بنو أمية أي حكمهم وعلى هذا يحمل قوله ولكن الله رمى لأن الله تعالى قال ذلك وهذا معنى قول الحسن البصري وقالت طائفة من أهل الحقائق إن الله يحدث فعلا يسميه إتيانا كما سمعت فهلا سماه نزولا وأفعاله بلا آلة ولا علة قال الثعلبي قلت ويحتمل أن يكون معنى الإتيان ههنا راجعا إلى الجزاء فسمى الجزاء إتيانا كما سمي التخويف والتعذيب في قصة نمرود إتيانا فقال عز من قائل فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وقال في قصة بني النضير فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى وإنما احتمل الإتيان هذه المعاني لأن أصل الإتيان عند أهل اللسان هو القصد إلى المشي في الآية فهل ينظرون إلا أن يظهر الله خلاف أفعاله مع خلق من خلقه فيقصد إلى مجازاتهم ويقضي في لعنهم ما هو قاض ومجازيهم على فعل ويمضي فيهم ما أراد يدل عليه ما روى صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة فإن الله عز وجل في ظلال من الغمام والملائكة فيتكلم بكلام طلق ذلك فيقول انصتوا فطالما أنصت لكم منذ خلقتكم أرى أعمالكم وأسمع أقوالكم وإنما من عصابتكم بقي أهليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك لا يلومن إلا نفسه سل بنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل كم أتيناكم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين ءامنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى

(1/347)

---

الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا صلى الله عليه وسلم إن نصر الله قريب يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم سل بنى إسرائيل أي سل يا محمد

يهود أهل المدينة كم آتيناهم أعطيناهم آباءهم وأسلافهم من آية بينة علامة واضحة مثل العصا في اليد البيضاء وقلق البحر وغيرها ومن يبدل نعمة الله بغير كتاب الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا الآية قال بعضهم نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما ينقل لهم في الدنيا من المال ونسوا يوم المعاد ويسخرون من المؤمنين الذين يعزفون عن الدنيا ويقبلون على الطاعة والعبادة ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه أشرفنا وإنما تبعه الفقراء مثل أبي عمارة وصهيب وعمار وجابر بن عبد الله وأبي عبيدة بن الجراح وبلال وخباب وأمثالهم وهذا معنى رواية الكلبي عن ابن عباس وقال مقاتل نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه وكانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود ووفدهم من بني قريضة والنضير والقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريضة والنضير بغير قتال أسهل شيء وأيسره فقال أين الذين كفروا في الحياة الدنيا في قول مجاهد وحمل زين بفتح الزاي والياء على معنى زينها الله وإنما ذكر الفعل بمعنيين أحدهما أن تأنيث الحياة ليس بحقيقي لأن معنى الحياة والبقاء والعيش واحد والآخر أنه فصل بين اسم المؤنث والفعل فأعمل المذكور

(1/348)

كقول الشاعر إن امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعذك في الدنيا لمغرور ويسخرن من الذين آمنوا لفقركم عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استذل مؤمنا أو مؤمنة أو حقره لفقره وقله ذات يده شهره الله يوم القيامة ثم فضحه ومن بهت مؤمنا أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه وإن المؤمن أعظم عند الله وأكرم عليه من ملك مقرب وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة وإن الرجل المؤمن ليعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده وعن إبراهيم بن أدهم قال حدثنا عباد بن كثير بن قيس قال جاء رجل عليه بزة له فقعده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل عليه لممار له فقعده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألقى بثيابه فضمها إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هذا تقرزا من أخيك المسلم أكنت تخشى أن يصيبه من غناك أو يصيبك من فقره شيء فقال للنبي معذرة إلى الله وإلى رسوله إن النفس لأمارة وشيطان يكيدني أشهد يا رسول الله أن نصف مالي له فقال الرجل ما أريد ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولم قال لا يفسد قلبي كما أفسد قلبه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا تحقرن أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبيرا وقال يحيى بن معاذ بنس القوم قوم إن استغنى بينهم المؤمن حسدوه وإذا افتقر بينهم استذلوه والذين اتقوا فوقفهم يوم القيامة عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أرفع بصرك إلى أرفع رجل تراه في المسجد فنظرت فإذا رجل جالس وعليه حلة فقلت هذا فقال يا أبا ذر أرفع بصرك إلى أوضع رجل تراه في المسجد فنظرت فإذا رجل ضعيف عليه أخلاق فقلت هذا

فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لهذا عند الله يوم القيامة أفضل من قراب الأرض من هذا والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يعني كثيرا بغير فوت ولا هنداز لأن

(1/349)

---

كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل وقال الضحاك يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه ولا يعاقبه في الآخرة وقيل إن هذا راجع إلى الله ثم هو يحتمل على هذا القول معنيين أحدهما أنه لا يفترض عليه ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال له لما أعطيت هذا وحرمت هذا ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك لأنه لا شريك له بما عنده ولا قسيم ينازعه والمعنى الآخر أنه لا يخاف نفاذ خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها إذا كان الحساب من المعطي إنما يكون ليعم أقدر العطاء لئلا يتجاوز في عطائه إلى ما يجحف به فهو لا يحتاج إلى الحساب لأنه عالم غني لا يخاف نفاذ خزائنه لأنها بين الكاف والنون كان الناس أمة واحدة الآية قال الحسن وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم إلى

(1/350)

---

مبعث نوح ث أمة واحدة على ملة واحدة وهي الكفر كانوا كفارا كلهم أمثال البهائم فبعث الله نوحا وإبراهيم وغيرهما من النبيين قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح ج فبعث الله إليهم نوحا وكان أول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين وقال الكلبي والواقدي أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين كلهم ثم اختلفوا بعد وفاة نوح فبعث الله النبيين وروي عن ابن عباس قال كان الناس على عهد إبراهيم أمة واحدة كفارا كلهم وولد إبراهيم في جاهلية فبعث الله إليهم إبراهيم وغيره من النبيين روى الربيع عن أبي العالية عن أبي قال كان الناس حين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية أمة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد آدم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب وكذلك في قراءة أبي وعبد الله بن إسحاق فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال محمد بن يسار ومجاهد كان الناس أمة واحدة يعني آدم وحده سمي الواحد بهذا لأنه يحمل النسل وأبو البشر ثم خلق الله حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكثروا وكانوا مسلمين كلهم إلى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا حينئذ فبعث الله حينئذ قال الثعلبي ورأيت في بعض التفاسير كان الناس أمة واحدة في الجنة لا أمر عليهم ولا نهى فبعث الله النبيين وجملتهم مائة وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا مبشرين بالثواب من أمن وأطاع ومنذرين محذرين بالعذاب من كفر وعصى موسى بن عبيد عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني وأنزل معهم

الكتاب أي الكتب فأنزل معهم الكتاب بالحق بالعدل والصدق ليحكم بين الناس  
قراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف وهو في القرآن في أربعة مواضع

(1/351)

---

ههنا وفي آل عمران وفي النور موضعان وقرأها كلها أبو جعفر القارئ وعاصم  
الجحدري بضم الياء وفتح الكاف لأن الكتاب الحكم على الحقيقة إنما يحكم به  
ولقراءة العامة وجهان أحدهما على سعة الكلام كقوله  
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والآخر أن معناه ليحكم كل نبي بكتابه وإذا حكم  
بالكتاب فكأنما حكم الكتاب فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه أي في الكتاب إلا  
الذين أوتوه أعطوه وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات يعني  
أحكام التوراة والإنجيل قال الفراء لاختلافهم معنيين أحدهما كفر بعضهم بكتاب  
بعض كقوله إن الذين يكفرون بالله ويرسله الآية وتكفير ببعض والآخر تحريفهم  
وتبديلهم كتاب الله تعالى كقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقيل هذه الآية  
راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب من بعد  
ما جاءتهم البينات صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم بغيا ظلما  
وحسدا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه كقوله هداانا لهذا وقوله  
يعودون لما قالوا من الحق بإذنه بعلمه وإرادته فيهم وقال ابن زيد في هذه  
الآية اختلفوا في الصلاة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى  
المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهداانا الله للكعبة واختلفوا في  
الصيام فمنهم من يصوم بعض يوم ومنهم من يصوم بعض ليلة فهداانا الله  
لشهر رمضان واختلفوا في يوم الجمعة أخذت اليهود السبت وأخذت النصارى  
الأحد فهداانا الله له واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت  
النصارى كان نصرانيا فهداانا الله للحق من ذاك واختلفوا في عيسى فجعلته  
اليهود ابنا وجعلته النصارى ربا فهداانا الله منه للحق والله يهدي من يشاء إلى  
صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة الآية قال قتادة والسدي نزلت هذه  
الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والمشقة  
والحر والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال وبلغت القلوب الحناجر وقيل  
أنها نزلت في حرب

(1/352)

---

احد ونظيرها في آل عمران وقال إن عبد الله بن أبي وأصحابه قالو لأصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى متى تقتلون أنفسكم ولا تملكون أموالكم  
ولو كان محمد نبيا لما سلب عليه الأسر والقتل فقالوا لا جرم أن من قتل منا  
دخل الجنة فقالوا إلى متى تمنون أنفسكم الباطل وقد استمتم إلى هذه الآية  
وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر  
عليهم لأنهم خرجوا بلا مال فتكون أرضهم وأموالهم في أيدي المشركين فأثروا  
رضا الله عز وجل ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم وأظهر اليهود والعداوة  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسپر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله  
تطيبيا لقلوبهم أم حسبتم وهو ابتداء بأم من غير استفهام فالألف والميم صلة

معناه أحسبتم قاله الفراء وقال الزجاج معناه بل حسبتم كقول الشاعر بدت  
مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أم أنت في العين أملح أي بل  
وأنت وكل شيء في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وتأويله ومعنى الآية  
أظننتم والرسول أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم يعني ولم يأتكم وحاصله كقوله  
تعالى وأخبرين منهم لما يلحقوا بهم وقال النابغة أرف الترحل غير أن ركبنا لما  
تزل برحالنا وكان قد أي لم تزل مثل الذين خلو من قبلكم مضوا من قبلكم من  
النبيين والمؤمنين وسنتهم ثم ذكر ما أصابهم فقال مستهم البأساء يعني الفقر  
والضر والشدة والبلاء والضراء المرض والزمانة وزلزلوا حركوا بأنواع البلاء  
والرزايا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ما تلك  
البلاء حتى استبطأوا الرزق قال الله ألا أن نصر الله قريب واختلف القراء في  
قوله تعالى يقول الرسول فقرأ مجاهد بفتح وضمة الأعرج يقول رفعا وقرأها  
الآخرون نصيا فمن نصب فعلى ظاهر الكلام لأن حتى تنصب الفعل المستقبل  
ومن رفع لأن معناه حتى قال الرسول وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى  
الماضي ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه دون الرفع والنصب فالرفع لأن حتى  
لا

(1/353)

بعمل الماضي والنصب بإضمار أن الخفيفة عند البصريين وبالصرف عند  
الكوفيين مثل قولك سرنا حتى ندخل مكة بالرفع أي حتى دخلناها فاذا كان  
بمعنى المستقبل فالنصب لا غير وقال وهب بن منبه يوجد فيما بين مكة  
والطائف سبعون نبيا ميتين كان سبب موتهم الجوع والعمل وقال وهب أيضا  
قرأت في كتاب رجل من الحواريين إذا سلك بك سبيل البلاء فقر عينا فإنه  
سلك بك سبيل الأنبياء والصالحين وإذا سلك بك سبيل الرخاء فابك على  
نفسك لأنه حاد بك عن سبيلهم شعبة عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد  
عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء فقال الأنبياء  
ثم الأمثل فالأمثل من الناس فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان صلب  
الدين اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة فهي على حسب ذلك ولا يبرح البلاء  
عن العبد حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطية وعن عبد الرحمن  
بن زهل قال كان وزير عيسى عليه الصلاة والسلام ركب يوما فأخذه السبع  
فأكله فقال عيسى يا رب وزيري في دينك وعوني على بني إسرائيل وخليفتي  
من سلطت عليه عليك فأكله قال نعم كانت له عندي منزلة رفيعة لم أجد عمله  
بلغها فأبتليته بذلك لأبلغه تلك المنزلة يسألونك ماذا ينفقون الآية نزلت في  
عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا أتصدق  
وعلى من أتصدق فأنزل الله صلى الله عليه وسلم يسألونك ماذا ينفقون وفي  
قوله ذا وجهان من الأعراب أحدهما أن يكون ماذا بمعنى أي شيء وهو متعلق  
بقوله ينفقون وتقديره يسألونك أي شيء ينفقون والآخر أن يكون رفعا ب ما  
والمعنى ويسألونك ما الذي ينفقون قل ما أنفقتم من خير أي مال فللوالدين  
والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به  
عليم عالم به بتعاليم الدين هذا قبل أن فرض الزكاة فنسخت الزكاة هذه الآية  
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى  
أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون

(1/354)

---

يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتل فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إن الذين ءامنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم كتب عليكم القتال فرض عليكم القتال واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال بعضهم عنى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيرهم وقال ابن جريج قلت لعطاء قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم أوجب الغزو على الناس من

(1/355)

---

أجلها أو كتب على أولئك حينئذ وأجرى بعضهم الآية على ظاهرها فقال الغزو فرض واجب على المسلمين كلهم إلى قيام الساعة روى ابن أبي أنيسة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الإيمان الكف عن من قال لا إله إلا الله ما لم يره بذنوب ولا يخرج من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطنه صن ولا شك والإيمان بالأقدار أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال بعضهم هو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط من الباقيين عن أحمد بن أنمار ورد السلام وتسميت العاطس وهو القول الصحيح المشهور الذى عليه الجمهور وقال الزهري والأوزاعي كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو حر إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استغني عنه قعد فإنما يرجح عليه عطاء الواجب المال وإلا فلا من شاء غزا ومن شاء لم يغز ويدل على صحة هذا القول قول الله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعدون مضيعين فرضا لكان لهم السواى لا الحسنى والله أعلم وهو كره لكم شاق عليكم واتفق القراء على ضم الكاف ههنا إلا أبا عبد الرحمن السلمي فإنه قرأها وهو كره بفتح الكاف وهما لغتان بمعنى واحد مثل الغسل والغسل والضعف والضعف والرهب والرهب وقال أكثر أهل اللغة الكره بالضم المشقة وبالفتح الاجهاد بعضهم الكره بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقال أهل المعاني هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما يدخل فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر لأنهم أظهروا الكراهة أو كرهوا أمر الله عز وجل قال عكرمة نسختها هذه الآية وقالوا سمعنا وأطعنا يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه وقالوا سمعنا وأطعنا قال الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم لأن في الغزو أحد

(1/356)

---

الحسنين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة وعسى أن تحبوا شيئاً يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والصغر وحرمان الغنيمة والأجر والله يعلم وأنتم لا تعلمون قال ابن عباس كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بن عباس ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك إنه مثبت في كتاب الله قلت يا رسول الله أين وقد قرأت القرآن قال مكانين وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم عاصم بن علي المسعودي قال قال الحسن لا تكره الملمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر ترجوه فيه عطبك وأنشد أبو سعيد الضير رب أمر تتقيه جر أمراً ترتضيه خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه وأنشد محمد بن عرفة لعبد الله بن المعتز لا تكره المكروه عند نزوله إن الحوادث لم تزل متباينه كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في درج الحوادث كامنه عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه قال بعث المتوكل إلى محمد بن الليث رسولا وقد كان بقي مدة في منزله فلما أتاه الرسول امتثل فركب بلا روح خوفاً فمر به رجل وهو يقول كم مرة حفت بك المكاره خار لك الله وأنت كاره فلما دخل على المتوكل ولاه مصر وأمر له بمائة ألف وجميع ما يحتاج إليه من الآلات والدواب والغلمان قال الثعلبي أنشدني الحسن بن محمد قال أنشدني أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح قال أنشدني محمد بن الفرحان كم فرجة مطوية لك بين أثناء النوائب ومضرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب قال وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال أنشدنا أبو عبد الله الوضاحي ربما خير الفتى وهو للخير كاره ثم يأتي السرور من حيث تأتي المكاره يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية قال المفسرون بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش وهو ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس ستة عشر شهراً من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من

(1/357)

---

المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكر وكتب بإمرة عبد الله بن جحش كتاباً وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها غير قريش لعلك أن تأتيها منه بخبر فلما نظر عبد الله بن جحش قال سمعا وطاعة ثم قال ذلك لأصحابه وقال إنه قد نهاني أن استكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فإني ماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجوان أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيرا لهما كانا يتعقبانه فاستأذنا أن يتخلفا في طلب



بعيرهما فأذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقيتهم حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فيينا هم كذلك إذ مر بهم غير لقريش تحمل زبيبا وأديما وتجارة من تجار الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل ابن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خافوهم فقال عبد الله بن جحش إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم فإذا رأوه مخلوقا أمنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم وقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم بينهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة لتدخلن الحرم فليمنعن منكم فأجمعوا أمركم في مواجهة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي

(1/358)

---

عمرو بن الحضرمي يسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين واستأسرا الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت الآخرا فاعجزاهم واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويندعر فيه الناس لمعايشهم فسفك فيه الدماء وأخذ فيه الحرائر وغير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وتفاءلت اليهود بذلك وقالوا واقد وقدت الحرب وعمروا عمرة الحرب والحضرمي حضرت الحرب

(1/359)

---

وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ودفعت العير والأسيرين فأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على أصحاب السرية ووطنوا أن قد هلكوا وسقطوا في أيديهم وقالوا يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أمسينا أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الاسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال بل نوقفهم حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما فلما قدما فداهم وأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة ومات فيها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله وحجبت المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول قوله يسألونك عن الشهر الحرام يعني توخيا سمي بذلك لتحريم القتال فيه لعظم حرمة وكرامته وكذلك كان يسمى في الجاهلية تنزع الأسنة وتفصل الال

لأنهم كانوا ينزعون الأسنان والنصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه وكان يدعى الأصم لأنه لا تسمع فيه قعقة السلاح فنسب الصمم إليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم يدل عليه ما روى عطاء عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجب شهر الله ويدعى الأصم وكان أهل الجاهلية إذا دخل رجب يعطلون أسلحتهم ويضعونها وكان الناس يأمنون ويأمن السبيل فلا يخاف بعضهم بعضاً حتى ينقضي قتال فيه خفضه على تكرير عن تقديره وهل قتال فيه وكذلك هي في قراءة عبد الله ابن مسعود والربيع بن أنس قل يا محمد قتال فيه كبير عظيم ثم كلام ثم قتال وصد عن سبيل الله

(1/360)

---

منع عن سبيل الله على الابتداء وخيره أكبر وذلك حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت وكفر به أي بالله والمسجد الحرام أي والمسجد وإخراج أهله أي أهل المسجد منه أكبر وأعظم وزرا وعقوبة عند الله والفتنة أي الشرك أكبر من القتل يعني قتل ابن الحضرمي فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمني مكة إذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعهم عن البيت

(1/361)

---

ثم قال ولا يزالون يعني مشركي قريش وهو فعل لا مفعول له مثل عسى يقاتلونكم يا معشر المؤمنين حتى يردوكم يصدوكم وبصرفوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت جزم بالنسق ولو كان جواباً لكان وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم حسناتهم في الدنيا والآخرة وأصل الحبط من الحباط وهو من الحبط وهو فساد يلحق الماشية في بطونها لأكل الحباط وهو أن تنتفخ بطنه فيموت ثم سمي الهلال حبطاً وقرأ الحسن حبطت بفتح الباء في جميع القرآن يحبط بكسر الباء أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فقال أصحاب السرية يا رسول الله هل نؤثم على رجبنا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً فنزل الله تعالى إن الذين آمنوا والذين هاجروا فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم وجاهدوا المشركين في نصرته الدين في سبيل الله في طاعة الله فجعلها جهاداً أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو صلى الله عليه وسلم إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون يسألونك عن الخمر والميسر نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل ونفر من

الأُنصار أنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى هذه الآية وجملة القول أن تحريم الخمر على أقوال المفسرون والحفاظ مختلفة وبعضها متفقة هي أن الله أنزل في الخمر أربع

(1/362)

---

آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخل والأعناب تتخذون منه سكرًا وهو المسكر وكان المسلمون يشربونها وهي لهم يومئذ حلال ونزلت في مسألة عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله فيهما إثم كبير وقالوا لا حاجة لنا في شيء فيه إثم كبير لقوله ومنافع للناس وكانوا يتمتعون بمنافعها ويجتنبون آثامها إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعا ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمامهم الخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون إلى آخر السورة فحذف لا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم المسكر في أوقات الصلاة فقال عمر إن الله يقارب في النهي عن شرب الخمر فلا أراه إلا وسيحرمها فلما نزلت حرم الله تركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وكان قوم يشربونها ويجلسون في بيوتهم وكانوا يتركونها أوقات الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر ويقول تحيي بالسلامة أم بكر وهل لك بعد رهطك من سلام ذريني اصطيخ بكرًا فإني لبت الموت يبعد عن خيام وود بنو المغيرة لو فدوه بألف من رجال أو سوام كاني بالطوي طوي بدر من الشيزي يكلل بالسنام كاني بالطوي طوي بدر من الفتيان والحلل الكرام فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مسرعًا يجر رداءه حتى انتهى إليه ورفع شيئًا كان بيده ليضربه فلما عاينه الرجل قال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله والله لا أطعمها أبداً وكان من حمزة بن عبد المطلب ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم ودفع إلي رسول الله صلى الله عليه

(1/363)

---

وسلم نثاره من الخمس واعدت رجلا صواغا أن يرتحل معي فنأتي بأذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين بثمنه على الدخول بفاطمة وعرسها قال فحملت شارفي عند حائط رجل من الأنصار ومضيت لأجمع الحبال والغرائر والأقتاب وجئت وقد بقر بطن شارفي واجتب أسنمتها قال فلم أملك عيني أن بكيت ثم قلت من فعل هذا بشارفي قالوا عمك حمزة فعله وهذا هو في البيت معه

شرب عندهم قينة وحلفوا فقالت ألا يا حمز المشرف النواء وهن معقلات  
بالفناء زج السكين في اللبات منها فصرجهن حمزة بالدماء وأطعم من  
شراثجها كبايا مهلوجة على رهج الصلاء فأصلح من أطايبها طيخا لشربك من  
قدير أو سواء فانت أبا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء فقام الى  
شارفيك فقتلهما قال علي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في  
بيت أم سلمة معه مولاه زيد قال ما جاء بك فداك أبي وأمي يا علي قلت ما  
فعل عمك بشارفي وخبرته الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس  
نعليه ورداءه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد فسلم وأستأذن ودخل البيت  
وقال يا حمزة ما حملك على ما فعلت بشارفي ابن أخيك فرفع رأسه وجعل  
ينظر إلي يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ساقيه فصوب النظر إليه  
ثم قال أستم وأباؤكم عبيد لأبي فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
القهقري وقال إن غمك وجمالك علي فغرمهما لي رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فلما أصبح غدا حمزة على رسول الله يعتذر فقال مه يا عم فقد سألت  
الله فعفا عنك قالوا واتخذ عتبان بن مالك طعاما فدعا رجالا من المسلمين  
فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بغير فأكلوا وشربوا الخمر  
حتى أخذت منهم ثم إنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد  
سعد قصيدة فيها هجو الأنصار وفخر لقومه فقام رجل من الأنصار وأخذ لحبي  
البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة فانطلق سعد إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا

(1/364)

---

رأيك في الخمر بيانا وافيا فأنزل الله تحريم الخمر في سورة المائدة إنما  
الخمر والميسر إلى ينتهون وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام فقال عمر انتهينا يا  
رب قال أنس حرمت ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها إليهم يوم  
حرمت عليهم ولم يكن شيء أثقل عليهم من تحريمها قال فأخرجنا الحباب إلى  
الطريق فصبنا ما فيه فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد  
غدت أزقة المدينة بعد ذلك الحين كلما مطرت استبان بها لون الخمر وفاحت  
ريحها فاما ماهية الخمر فاختلف الفقهاء فيها فقال بعضهم هو خاص فيما  
اعتصر من العنبه

(1/365)

---

والنخلة فغلي بطبعه دون عمل النار فيه فإن ما سوى ذلك ليس بخمر وهذا  
مذهب سفيان الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف وأكثر أهل الرأي ثم اختلفوا في  
المطبوخ فقالوا كل عصير طبخ حتى يذهب ثلثاه فهو حلال إلا أنه يكره فإن  
طبخ حتى يذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلال مباح شربه وبيعه إلا أن المسكر منه  
حرام واحتجوا في ذلك بما روى أبو كثير عن أبي هريرة قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبه واختلفوا في  
المطبوخ بالمشمش روى نباته عن سويد بن غفلة قال كتب عمر بن الخطاب  
إلى بعض عماله أن رزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وعن

ابن سيرين أن عبد الله بن سويد الخطمي قال كتب إلينا عمر بن الخطاب أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فإن له اثنين ولكم واحد وعن أنس بن سيرين قال سمعت أنس بن مالك يقول إن نوحا ج نازعه الشيطان في عود الكرم فقال هذا هذا لي وقال هذا لي فاصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثاها ابن أبي وأبي عن داود قال سألت سعيد بن المسيب ما الرب الذي أحله عمر رضي الله عنه قال الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وعن قيس بن أبي حدث عن موسى الأموي أنه كان يشرب من الطلاء ما ذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال إذا طبخ الطلاء على الثلث فلا بأس وبه قال المسور وقال الثعلبي والذي عندي أن هذه الأخبار وردت في ثلث غير مسكر يدل عليه ما روى سويد بن نصير عن عبدالله بن عبد الملك بن الطفيل الجزري قال كتب إلينا عمر بن عبد العزيز لا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه كل مسكر حرام وقال قوم إذا طبخ العصير أدنى طبخ فصار طلاء وهو قول إسماعيل بن عليه وجماعة من أهل العراق وروي عن عيسى بن إبراهيم أنه لا يحرم شيئا من الأنبذة لا النبي منها ولا المطبوخ إلا شراب واحد وهو عصير العنب النبي الشديد الذي لم يدخله ماء وتغيرات من الخمر فقط واستدل بما روى

(1/366)

---

ابن الأحوص عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة بن سهل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشربوا في الظروف ولا تسكروا قال أبو عبد الرحمن السدي الحديث منكر غلط فيه أبو الأحوص سلام بن سليم لا نعلم أحدا كان يعول عليه من أصحاب سماك وسماك أيضا ليس بقوي وكان يقبل التلقين قال أحمد قيل كان أبو الأحوص غلى في هذا الحديث خالفه شريك في إسناده ولفظه رواه شريك عن سماك بن حرب عن أبي بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الدنيا والحتم والنقير والمزفت وأجمعوا أيضا بما أسندوا إلى سماك عن قرصافة امرأة منهم عن عائشة قال اشربوا ولا تسكروا قال الإمام أبو عبد الرحمن هذا غير ثابت وقرصافة لا ندري من هي والمشهور عن عائشة ما روى سويد بن نصر عن عبد الله عن قدامة العامري أن جصرة بنت دجاجة العامرية حدثتنا قالت سمعت عائشة سألتها أياس عن النبيذ قالوا نبيذ الخمر غدوة ونشربه عشيا ونبيذه عشيا ونشربه غدوة قالت لا أحل مسكرا وإن كان خبزا قالوا قالت ثلاث مرات واعتلوا بما روى هشيم عن ابن شبرمة قال حدثني الثقة عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال حرمت الخمر منها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب وهذا أولى بالصواب لما روى سفيان عن أبي الجويرية الجرمي قال سألت ابن عباس عن الباذق قال ما أسكر فهو حرام وعن شعبة عن سلمة بن كميل قال سمعت أبا الحكم يحدث قال قال ابن عباس من سره أن يحرم ما حرم الله ورسوله فليحرم النبيذ واعتلوا أيضا بما أسندوه إلى عبد الملك بن نافع قال رأيت ابن عمر رأيت رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح فيها نبيذ وهو عند الركن فدفع إليه القدرح فرفعه إلى فيه فوجده شديدا فرده إلى صاحبه فقال له رجل من القوم يا رسول الله أحرام هو قال علي بالرجل فاتي

به فأخذ منه القدر ثم دعاها فصبه فيه ثم رفعه إلى فيه فصبه ثم دعاها أيضا فصبه فيه ثم قال أما إذا عملت فيكم هذه الأوعية

(1/367)

فاكسروا متونها بالماء قال أبو عبد الرحمن عبد الملك بن رافع هو مشهور ولكن حدثني وأخبرنا عن الزبير خلاف حكاية ما روى وهب بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وكل مسكر خمر وروى ابن سيرين عن ابن عمر قال المسكر قليله وكثيره حرام وروى أبو عوانة عن زيد ابن عمر قال سألت ابن عمر عن الأشربة فقال اجتنب كل شيء فيه شيء مسكر واحتجوا أيضا بما أسندوه إلى يحيى بن يمان عن سفيان عن منصور عن مخلد بن سعيد عن ابن مسعود قال عطش النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة فاستسقى فأتى بنبيذ من السقاية فشمه وقطب وقال علي بذنوب من زمزم فصبه عليه ثم شرب فقال رجل أحرام هو يا رسول الله قال لا قال أبو عبد الرحمن هذا خير ضعيف لأن يحيى بن يمان انفرد به دون أصحاب سفيان ويحيى بن يمان لا يحتج بحديثه لكثرة خطئه وسوء حفظه وعن زيد بن واقد عن خالد بن الحسين قال سمعت أبا هريرة يقول علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم في بعض الأيام التي كان يصومها فتحتت فطره بنبيذ صنعته في دباء فلما كان المساء جئت أحملها إليه فقلت يا رسول الله إنني علمت أنك تصوم في هذا اليوم فتحتت فطرك بهذا النبيذ فقال ادن مني يا أبا هريرة فرفعته إليه فإذا هو ينش فقال خذ هذه واضرب بها الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر واحتجوا أيضا بما أسندوه إلى سفيان عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول تلتقت ثقيف عمر بشراب فدعا به فلما قربه إلى فيه كرهه فخلطه بالماء فقال هكذا فافعلوا واحتجوا بما أسندوه إلى أبي رافع أن عمر بن الخطاب قال إذا خشيت من نبيذ لشدته فاكسره واحتجوا بما قاله بعض أصحابنا وهو عبد الله بن المبارك معنى أكسره بالماء من قبل أن يشتد ودليل هذا التأويل ما روى ابن شهاب هو سفيان بن يزيد أن عمر خرج عليهم فقال إنني وجدت من فلان ربح الشراب فزعم أنه شرب الطلا فإني

(1/368)

سائل عما يشرب فإن كان مسكرا جلدته فجلد عمر الحد تاما وروى إبراهيم عن ابن سيرين قال يعد عصيرا ممن متخذه طلا ولا يتخذه خمرا قال أبو سعيد الطلا الذي قد طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه سمي بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده قال عبيد بن الأبرص هي الخمر تكنى الطلاء كما الذئب يكنى أبا جعدة قال الثعلبي الطلاء الذي ورد فيه الرخصة إنما هو الرب فإنه إذا طبخ حتى يرجع إلى الثلث فقد ذهب سكره وشره وخلا شيطانه واحتجوا أيضا بما روى هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه أهدي له بطيخ خائر فكان تبينه وبلغني فيه المسكر وعن مغيرة عن أبي معشر

عن إبراهيم قال لا بأس بنبيذ البطيخ عن أبي أسامة قال سمعت ابن المبارك يقول ما وجدت الرخصة في المسكر عن أحد صحيح إلا عن إبراهيم حماد بن سلمة عن عمر عن أنس قال كان لأم سلمة قدح فقالت سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الشراب الماء والعسل واللبن والنبيذ وعن ابن شبرمة قال قال طلحة بن مصرف لأهل الكوفة في النبيذ فقال يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير قال وكان المقداد والزبير يسقيان اللبن في العسل فقيل لطلحة ألا نسقيهم النبيذ قال إني أكره أن يسكر مسلم في سنتي وعن سفيان قال ذكر قول طلحة عند أبي إسحاق في النبيذ فقال ابن إسحاق قد سقيته أصحاب علي وأصحاب عبد الله في الخوافي قبل أن يولد طلحة وعن ابن شبرمة قال رحم الله إبراهيم شدد الناس في النبيذ ورخص فيه واحتجوا أيضا بما أسندوه إلى عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يسير إذ حل يقوم فسمع لهم لغطا فقال ما هذا الصوت قالوا يا نبي الله لهم شراب يشربونه فبعث النبي إليهم فدعاهم فقال في أي شيء تنبذون قالوا ننبذ في النقيرو وفي الدباء وليس لنا ظروف فقال لا تشربوا إلا ما أوكيتم عليه قال فليث بذلك ما شاء الله أن يليث فرجع إليهم فإذا هم قد أصابهم وباء وصفروا فقال ما لي أراكم قد هلكتم قالوا يا نبي الله

(1/369)

أرضنا وبيئة وحرمت علينا إلا ما أوكينا عليه قال اشربوا وكل مسكر حرام قالوا أراد بهذا الخمر الذي يحصل منه السكر لأن التنبذ ذلك الطرب والنشاط ولا يحصلان إلا عن شراب مسكر أبو الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينبذ له في قدر من عفاره قال الثعلبي ويحتمل أن لهذه الأخيار وأمثالها معنيين أحدهما أنها كانت قبل تحريم الخمر والمعنى الآخر وهو أقربهما إلى الصواب أنهم أرادوا بالنبيذ الماء الذي ألقى فيه التمر أو الزبيب حتى أخذ من قوته وحلاوته قيل أن يشدد ويسكر يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصنع له النبيذ فيشربه يومه والغد وبعد الغد وروي الأعمش عن يحيى بن أبي عمرو عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينبذ له نبيذ الزبيب من الليل ويجعل في سقاء فيشربه يومه ذلك والغد وبعد الغد فإذا كان من آخر الأنية سقاه أو شربه فإن أصبح منه شيء أراقه وعن عبد الله بن الديلمي عن أبيه فيروز قال قدمت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنا أصحاب كرم وقد أنزل الله تحريم الخمر فماذا نصنع قال تتخذونه زيبا قلت فنصنع بالزبيب ماذا قال تنقعونه على غدائكم وتشربونه على عشائكم وتنقعونه على عشائكم وتشربونه على غدائكم قلت أفلا نؤخره حتى يشدد قال فلا تجعلوه في السلال واجعلوه في الشنان فإنه إن تأخر صار خمرا وعن نافع عن ابن عمر أنه كان ينبذ له في سقاء للزبيب غدوة فيشربه من الليل وينبذ له عشوة فيشربه غدوة وكان يغسل الأسقية ولا يجعل فيها نرديا ولا شيئا قال نافع وكنا نشربه مثل العسل وعن بسام قال سألت أبا جعفر عن النبيذ قال كان علي بن الحسين ينبذ له من الليل فيشربه غدوة وينبذ له غدوة فيشربه من الليل وعن عبد الله قال سمعت سفيان وسئل عن النبيذ قال أنبذ عشاء

وأشربه غدوة فهذه الأخبار تدل على أنه نقيع الزبيب والتمر قبل أن يشتد  
وبالله التوفيق وقال مالك والشافعي وأحمد

(1/370)

---

بن حنبل وأبو ثور وأكثر أهل الآثار إن الخمر كل شراب مسكر سواء كان عصير  
العنب ما أريد منها مطبوخا كان أو نيا وكل شراب مسكر فهو حرام قليله  
وكثيره وعلى شاربته الحد إلا أن يتناول المطبوخ بعد ذهاب ثلثه فإنه لا يحد  
وشهادته لا ترد والذي يدل على حجة هذا المذهب من اللغة أن الخمر أصله  
الستر ويقال لكل شيء ستر شيئا من شجر أو حجر أو غيرهما خمر وقال  
وخمر فلان في خمار الناس ومنه خمار المرأة وخمرة السجادة والخمر سمي  
بذلك لأنه يستر العقل يدل عليه ما روى الشعبي عن ابن عمر قال خطب عمر  
فقال إن الخمر نزل تحريمها وهي من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة  
والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وقال أنس بن مالك سميت خمر  
لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير

(1/371)

---

وقال سعيد بن المسيب إنما سميت الخمر لأنها تركت حتى صفا صفورها  
ورسب كدرها وقال أنس لقد حرمت الخمر وإنما عامة خمورهم يومئذ الفضيخ  
قال وما كان بالمدينة يصنعون الخمر وما عندهم من العنب ما يتخذون وإنما  
نسمع الخمر في بلاد الأعاجم وكنا نشرب الفضيخ من التمر والبسر والفضيخ  
ما افتضح من التمر والبسر من غير أن تمسه النار وفيه روي عن ابن عمر أنه  
قال ليس بالفضيخ ولكنه الفضوخ ودليلهم من السنة ما روى نافع عن ابن عمر  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر مسكر  
حرام سالم بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل  
مسكر خمر وما أسكر كثيره فقليله حرام عن أبي عثمان عمرو بن سالم  
الأنصاري عن القاسم عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما  
أسكر الغرق منه فملاء كفك منه حرام والغرق إناء يحمل ستة عشر رطلا وعن  
أبي الغصن الملقب بحجى قال قال لي هشام بن عروة هل تشرب النبيذ قلت  
نعم والله إنني لأشربه قال إن أبي حدثني عن عائشة أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال كل مسكر حرام أوله وآخره وقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إن من التمر لخمرا وإن من العنب لخمرا وإن من الزبيب لخمرا وإن من  
العسل لخمرا وإن من الحنطة لخمرا وإن من الشعير لخمرا وإن من الذرة  
لخمرا وأنا أنهاكم عن كل مسكر وعن ابن سيرين قال جاء رجل إلى ابن عمر  
فقال إن أهلنا ينبذون لنا شرابا عشاء فاذا أصبحنا شربناه فقال أنهاك عن  
المسكر قليله وكثيره وأعيد الله عز وجل أنا أنهاك عن المسكر قليله وكثيره  
وأعيد الله عز وجل عليك أن أهل خبير ينبذون شرابا لهم كذا وكذا يسمونه كذا  
وكذا وأن أبوك ينبذ شرابا من كذا وكذا يسمونه كذا وكذا وهي الخمر حتى عد  
له أربعة أشربة آخرها العسل وعن عكرمة قال دخل النبي صلى الله عليه  
وسلم على بعض أزواجه وقد نبذوا العصير لهم في كوز فأراقه وكسر الكوز



روى عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم ليستحلن ناس من أممي الخمر باسم يسمونها إياه ويروى عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم أما الخمر لم تحرم لإسمها إنما حرمت لما فيها وكل شراب عاقبته الخمر فهو حرام وحكي أن رجلا من حكماء العرب قيل له لم لا تشرب النبيذ فقال الله منحني عقلي صحيحا فكيف أدخل عليه ما يفسده والميسر يعني القمار قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يقامر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بماله وأهله فأنزل الله تعالى هذه الآية والميسر مفعل من قول القائل يسر هذا الشيء إذا وجب فهو يسر يسرا وميسرا والياسر الرامي بقداح وجب ذلك أو مباحه أو غيرهما ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر قال النابغة أو ياسر ذهب القداح بوفره أسف نأكله الصديق مخلع وقال الآخر فبت كأنني يسر غيبين يقلب بعدما اختلع القداحا وقال مقاتل سمي ميسرا لأنهم كانوا يقولون يسر هو لنا ثمن الجزور وكان أصل اليسر في الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فيحزونها ويحزونها اجتزاء واختلفوا في عدد الأجزاء فقال أبو عمرو عشرة وقال الأصمعي إنما هي عشرون ثم يضمون عليها عشرة قداح ويقال منه الأزام والأقلام سبعة منها لها أنصباء هي الفذ وله نصيب واحدة والتوأم وله نصيبان والرقت وله ثلاثة والجلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسيل وله ستة والمغلي وله سبعة وثلاثة منها لا أنصباء لها وهي النسيج والسفنج والوعد ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الربابة قال أبو ذؤيب وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

ويضعون الربابة على يد رجل عدل عندهم ويسمى المجيل والمفيض ثم يجيئها ويخرج قدحا منها باسم رجل منهم فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج فان خرج له واحد من هذه الثلاثة التي لا أنصباء لها فاختلفوا فيه فكل منهم كان لا يعهد شيئا ويغرم ثمن الجزور كله وقال بعضهم لا يأخذ ولا يغرم ويكون ذلك القداح لغوا فيعاد سهمه ثانيا فهؤلاء الياسرون والياسر ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك منهم ويسمونه البرم قال متمم بن نويرة ولا برما تهدي النساء لعرسه إذا القشع في برد الشتاء تقعقا فأصل هذا القمار الذي كانت العرب تفعله وإنما نهى الله تعالى في هذه الآية عن أنواع القمار كلها ليث عن طاوس ومجاهد وعطاء قالوا كل شيء فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالعود والكعاب عن أبي الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فإنهما من ميسر العجم وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عليا كرم الله وجهه قال في النرد والشطرنج هي من الميسر وعن القاسم بن محمد أنه قال كل شيء ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو الميسر يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ووزر كبير

من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وزوال العقل والمنع من الصلاة واستحلال مال الغير بغير حق قرأ أهل الكوفة إلا عاصم كثير بالثناء وقرأ الباقر بالباء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله

(1/374)

---

وإثمهما أكبر من نفعهما وقوله حوبا كبيرا ومنافع للناس وهي ما كانوا يصيبونها في الخمر من التجارة واللذة عند شربهما يقول الأعشى لنا من صحاها خبث نفس وكابة وذكرى هموم ما تفك أذاتها وعند العشاء طيب نفس ولذة ومال كثير عدة نشواتها ومنفعة الميسر ما يصاب من القمار ويرتفق به الفقراء وإثمهما أكبر من نفعهما قال المفسرون إثم الخمر هو أن الرجل يشرب فيسكر فيؤذي الناس وإثم الميسر أن يقامر الرجل فيمنع الحق ويظلم وقال الضحاك والربيع المنافع قبل التحريم والإثم بعد التحريم ويسألونك ماذا ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة ورغبهم فيها من غير عزم قالوا يا رسول الله ماذا تنفق وعلى من نتصدق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون أي شيء ينفقون وللاستفهام قل العفو قرأ الحسن وقتادة وابن أبي إسحاق وأبو عمرو قل العفو بالرفع واختاره محمد بن السدي على معنى الذي ينفقون هو العفو دليله قوله وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين وقرأ الآخرون بالنصب واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قل ينفقون العفو واختلفوا في معنى العفو فقال عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب وقتادة وعطاء والسدي وابن أبي ليلى هو ما فضل من المال عن العيال وهي رواية مقسم عن ابن عباس الحسن هو أن لا تجهد مالك في النفقة ثم تقعد تسأل الناس الوالبي عن ابن عباس ما لا يتبين في أموالكم مجاهد صدقة عن تطهير غني عمرو بن دينار وعطاء الوسط من النفقة ما لم يكن إسرافا ولا إقتارا الضحاك الطاعة العوفي عن ابن عباس ما أتوك به من شيء قليل أو كثير فاقبله منهم طاووس وعطاء الخراساني سمعنا بشرا قال العفو اليسر من كل شيء الربيع العفو الطيب يقول أفضل مالك هو النفقة وكلها متقاربة في المعنى ومعنى العفو في اللغة الزيادة والكثرة قال الله حتى عفوا أي كثروا وقال النبي صلى الله عليه وسلم أعفوا للحي قال الشاعر ولكننا بعض السيف منا بأسوق عافيات الشحم كوم

(1/375)

---

أي كثيرات الشحوم والعفو ما يغمض الانسان فيه فيأخذه أو يعطيه سهلا بلا كلف من قول العرب عفا أي نال سهلا من غير إكراه ونظير هذه الآية من الأخبار ما روى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله عندي خير قال أنفقه على نفسك قال عندي آخر قال أنفقه على أهلك قال عندي آخر قال أنفقه على ولدك قال عندي آخر قال أنفقه على والديك قال عندي آخر قال أنفقه على قرابتك قال عندي آخر قال أنت أبصر وروى محمود بن سهل عن عامر بن عبد الله قال أتى رسول الله رجل بيضة من ذهب استلها من بعض المعادن فقال يا رسول الله خذها مني صدقة فوالله

ما أمسيت أملك غيرها فأعرض عنه فأتاه من ركنه الأيمن فقال له مثل ذلك فأعرض عنه فأتاه من ركنه الأيسر فقال له مثل ذلك فأعرض عنه ثم قال له مثل ذلك فقال مغضبا هاتها فأخذها منه وحذفه بها حذفة لو أصابه لفجه أو عقره ثم قال هل يأتي أحدكم بما يملكه ليتصدق به ويجلس يكفف الناس أفضل الناس ما كان عن طهر غني وليبدأ أحدكم بمن يعول قال الكلبي فكان الرجل بعد نزول هذه الآية إذا كان له مال من ذهب أو فضة أو زرع أو ضرع نظر إلى ما يكفيه وغياله نفقة سنة أمسكه وتصدق بسائره وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه وغياله يومه ذلك وتصدق بالباقي حتى نزلت آية الزكاة المفروضة فنسخت هذه الآية وكل صدقة أمروا بها قبل نزول الزكاة كذلك يبين الله قال الزجاج إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال أيها القبيل يبين الله لكم وجائز أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لأن خطابه مشتمل على خطاب أمته كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وقال المفضل بن سلمة معنى الآية كذلك يبين الله لكم الآيات في النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى وقال أكثر المفسرين معناها يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم

(1/376)

---

تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي إقبال الآخرة وذهابها فترغبوا فيها ويسألونك عن اليتامى قال الضحاك والسدي وابن عباس في رواية عطية كان العرب في الجاهلية يعظمون شأن اليتيم ويشددون في أمره حتى كانوا لا يأكلونه ولا يركبون له دابة ولا يستخدمون له خادما وكانوا يتشاءمون بلامسة أموالهم فلما جاء الإسلام سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال قتادة والربيع وابن عباس في رواية سعيد بن جبير وعلي بن أبي طلحة لما نزل في أمر اليتامى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وقوله إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا أموال اليتامى وعزلوا طعامهم من طعامهم واجتنبوا مخالطتهم في كل شيء حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد واشتد ذلك عليهم وسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويسألونك عن اليتامى

(1/377)

---

قل إصلاح لهم خير وقرأ طاووس قل إصلاح إليهم خير بمعنى الإصلاح لأموالهم من غير أجره ومن غير عوض عنهم خير وأعظم أجرا وإن تخالطوهم فتشاركوهم في أموالهم وتخالطوها بأموالكم في نفقاتكم ومطاعمكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا عن قيامكم بأمورهم وتكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم فأخوانكم أي فهم إخوانكم وقرأ أبو مجلز فأخوانكم نصيبا أي فخالطوا إخوانكم أو فأخوانكم تخالطون والإخوان يعين بعضهم بعضا ونصب أعينهم يقال بعض على وجه الإصلاح والرضا قالت

عائشة إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي كالغرة حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي ثم قال والله يعلم المفسد من المصلح لها فاتقوا الله في مال اليتامى ولا تجعلوا مخالفتكم إياهم ذريعة إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حق ولو شاء الله لأعنتكم لصيق عليكم وأثمكم في ظلمكم إياهم قال ابن عباس ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا وأصل العنت الشدة والمشقة يقال عقبه عنوت أي شاقه كؤود وقال الزجاج أصل العنت أن يحدث في رجل البعير كسر بعد جبر حتى لا يمكنه أن يمشي قال القطامي فما هم صالحوا من ينتقى عنتي ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الآية نزلت في عمار بن أبي مرثد الغنوي وقال مقاتل هو أبو مرثد الغنوي واسمه أيمن وقال عطاء هو أبو مرثد عمار بن الحصين وكان شجاعا قويا فبعته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته قالت يا مرثد ألا تخلو فقال لها ويحك يا عناق إن الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك فقالت فهل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره ثم أتزوجك فقالت أبي تبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه

(1/378)

الذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أتحل لي أن أتزوجها فأنزل الله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن أي لا تتزوجوا منهن حتى يؤمن قال المفضل أصل النكاح الجماع ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد نكاح كما قيل عذرة وأصلها فناء الدار لالقائم إياه بها ولذبيحة الصبي عقيقة وأصلها الشعر الذي يولد للصبي وهو علة لذبحهم إياها عند جلهم ونحوها كثير فحرم الله نكاح المشركات عقدا ووطئا ثم استثنى الحرائر الكتابيات فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ثم قال ولأمة مشركة ولو أعجبتكم بجمالها ومالها نزلت في خنساء وكانت سوداء كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملاء الأعلى مع سوادك ودمامتك وأنزل الله عزوجل ذكرك في كتابه فأعتقها حذيفة وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة وكانت له أمة سوداء فغضب عليها وأذاها ثم فرغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وما هو يا أبا عبد الله قال هي تشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسوله وتصوم شهر رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل وطعن عليه ناس من المسلمين قالوا أنتكح أمه وعرضوا عليه حرة مشركة وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رجاء إسلامهن فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم قال ولا تنكحوا ولا تتزوجوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم بماله وحسن حاله وعن مروان بن محمد قال سألت مالك بن أنس عن تزويج العبد فقال ولعبد مؤمن خير من مشرك أولئك يدعون يعني المشركين إلى النار أي إلى الحال الموجبة للنار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بآذنه وبين آياته وأوامره ونواهيته للناس لعلمهم يتذكرون يتعظون

ويستلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب

(1/379)

---

المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلمو صلى الله عليه وسلم أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى صلى الله عليه وسلم إيمانكم ولاكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلیم ويسألونك عن المحيض الآية عطاء بن السائب عن سعد بشير عن ابن عباس ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوا النبي عن ثلاث عشرة

(1/380)

---

مسألة حتى نزل ذكرهن في القرآن يسألونك عن الشهر الحرام ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو يسألونك عن الأهله ويسألونك عن الخمر والميسر يسألونك عن اليتامى ويسألونك عن المحيض يسألونك عن الساعة أيا ن مرساها قل إنما علمها عند ربي وإذا سألك عبادي عني يسألونك عن الأنفال يسألونك عن الروح ويسألونك عن ذي القرنين ويسألونك عن الجبال قال المفسرون كانت العرب في الجاهلية إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت ولم يجالسوها على فراش كفعل المجوس واليهود فسأل أبو الدحداح ثابت بن الدحداح رسول الله عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نضع بالنساء إذا حضن فأنزل الله ويسألونك عن المحيض أي الحيض وهو مصدر قولك حاضت المرأة تحيض حيضا ومحیضا مثل السير والمسیر والعيش والمعيش والكيل والمكيل وأصل الحيض الانفجار يقال حاضت الثمرة إذا سال منها شيء كالدّم قل هو أذى أي قدره قتادة والسدي وقال مجاهد والكلبي دم والأذى ما يعم ويكره من شيء فاعتزلوا النساء في المحيض اعلم إن الحيض يمنع من تسعة أشياء من الصلاة جوازا ووجوبا ومن الصوم جوازا ثم يلزمها قضاء الصوم ولا يلزمها قضاء الصلاة عاصم الأحول عن معادة العدوية أن امرأة سألت عائشة فقالت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فقالت لها أحورية أنت فقالت ليست بحرورية ولكني أسأل فقالت كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة عياض عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن فقلن له وما نقصان عقلا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة على مثل نصف شهادة الرجل فذاك من نقصان عقلها وليس إذا

(1/381)

حاضت المرأة لم تصل ولم تصم فقلن بلى قال فذلك من نقصان دينها وتمنع أيضا من قراءة القرآن وقد رخص فيها مالك بعض الرخصة إذا طالت المدة احترازا من نسيان القرآن والفقهاء على خلافه وتمنع من مس المصحف ودخول المسجد والاعتكاف فيه ومن الطواف بالبيت ومن الاحتساب بالعدة ومن الوطاء قال الله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض فلما نزلت هذه الآية عمد المسلمون الى النساء الحيض فأخرجوهن من البيوت واعتزلوهن فاذا اغتسلن ردوهن الى البيت فقدم بعض من أعراب المدينة فشكوا عزل الحيض معهم وقالوا يا رسول الله إن البرد شديد والثياب قليلة فإن أثرناهن بالثياب حال بنا وأهل البيت برد وإن أثرنا بالثياب هلكت الحيض وليس كلنا يجد سعة لذلك فيوسع عليهم جميعا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهم إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وقرأ عليهم هذه الآية الناصري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطئ امرأته وهي حائض فحضى منها ولد فأصابه جذام فلا يلومن إلا نفسه ومن احتجم يوم السبت والأربعاء فأصابه ضرر واضح فلا يلومن إلا نفسه وإن جامعها أثم ولزمتها الكفارة وهي ما روى ابن أبي المخارق عن مقسم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جامع امرأته وهي حائض قال إن كان دما عبيطا فليتصدق بدينار وإن كان صفرة فنصف دينار ولا بأس باستخدام الحائض ومباشرة بدنها إذا كانت مؤتررة وبالاستمتاع بها فوق الإزار قيل لمسروق ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضا قال كل شيء إلا الجماع وعن ربيعة بن عبد الرحمن أن عائشة كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعة في ثوب واحد وأنها وثبت وثبة شديدة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك لعلك نفست يعني الحيضة قالت نعم قال شدي عليك إزارك ثم عودي لمضجعك معاذ بن هشام عن أبيه عن يحيى عن أبي سلمة أن زينب بنت أبي

(1/382)

سلمة حدثت أن أم سلمة حدثتها قالت بينا أنا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة إذ حضت فانسلت فأخذت ثياب حيضتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة عن يزيدة مولاة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن ميمونة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر المرأة من نساءه وهي حائض إذا كان عليها إزار يبلغ إلى أنصاف الفخذين أو الركبتين إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد ونحن جنبان وكنت أفلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد وأنا حائض وكان يأمرني إذا كنت حائضا أن أتزر ثم يباشرني ثابت بن عبيدة عن القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناوليني الخمرة فقالت إنني حائض فقال إن حيضتك ليست في يدك وعن شريح قال قيل لعائشة هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث قالت نعم كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يدعوني فأكل معه وأنا حائض وكان يأخذ العرق فيقسم علي فيه فأعرق منه ثم أضعه فيأخذ فيعرق منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من العرق ويدعو بالشراب فيقسم علي قبله أن أشرب منه فأخذه وأشرب منه ثم أضعه فيأخذه ويشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدر فدلّت هذه الأخبار على أن المراد بالاعتزال عن الحيض جماعهن وذلك أن المجوس واليهود كانوا يجتنبون الحيض في كل شيء وكان النصارى يجامعوهن ولا يباليون بالحيض فأنزل الله تعالى بالاعتزال بين هذين الأمرين وخير الأمور أوسطها ثابت عن أنس قال أنزل الله عز وجل يسألونك عن الحيض الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا كل شيء إلا الجماع فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل لم يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه فجاء أسد بن حصين وعباد بن شبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه

(1/383)

---

رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاها فعرفا أن لم يجد عليهما ولا تقربوهن يعني لا تجامعوهن حتى يطهرن قرأ ابن محيص والأعمش وعاصم وخمرويه والكسائي يطهرن بتشديد الطاء والهاء ومعناه يغتسلن يدل عليه قراءة عبد الله حتى يتطهرن بالتاء على الأصل وقرأ الباقون يطهرن مخففا ومعناه حتى يطهرن من حيضهن وينقطع الدم

(1/384)

---

واختلف الفقهاء في الحائض متى يحل وطؤها فقال أبو حنيفة وصاحباها إذا حاضت المرأة بعشرة أيام حل وطؤها دون أن تغتسل فإن طهرت لما دون العشرة لم يحل وطؤها إلا بإحدى ثلاث قلت أن تغتسل أو يمضي بها أقرب وقت الصلاة فيحكم لها بذلك حكم الطاهرات في وجوب الصلاة في زمنها أو تيمما عند عدم الماء مجاهد وطاوس وعطاء إذا طهرت الحائض من الدم وأخذ زوجها شبق فإن غسلت فرجها وتوضأت ثم أتاها جاز وقال الشافعي لا يحل وطء الحائض إلا يحين انقطاع الدم والاعتسال وهو قول سالم ابن عبد الله وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وابن شهاب والليث بن سعد وزفر وقال الحسن البصري إذا وطئ الرجل امرأته بعد إنقطاع الدم قبل أن تغتسل فعليه من الكفارة مثل ما على من يطأ الحائض فمن قرأ حتى يطهرن بالتشديد فهو حجة للمبيحين والدليل على أن وطأها لا يجوز ما لم تغتسل أن الله عز وجل علق جواز وطئها بشرطين فلا تحل قبل حصولهما وهما قوله عز وجل حتى يطهرن وقوله فإذا تطهرن أي اغتسلن دليله قوله ويحب المتطهرين ولا يجهد الإنسان على ما لا صنع له فيه والاعتسال فعلها وانقطاع الدم ليس من فعلها ويدل عليه أيضا قوله في النساء والمائدة وإن كنتم جنبا فاطهروا وأطهر وتطهر واحد وهو الاعتسال فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله أي من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج قاله مجاهد وإبراهيم وقتادة وعكرمة

الوالي عن ابن عباس يقول وطأهن في الفرج ولا تعدوه إلى غيره فمن فعل شيئاً من ذلك فقد اعتدى الربيع بن عبيد نهيتم عنه واتقوا الأدبار وإنما قال من حيث أمركم الله لأن النهي أيضاً أمر بترك المنهي عنه وقال قوم قوله فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله أن تأتوهن وهو الطهر فكأنه قال فأتوهن من قبل طهرهن لا من قبل حيضهن وهو قول ابن رزبن والضحاك ورواية عطية عن ابن عباس ابن الحنفية فأتوهن من قبل الحلال دون الفجور ابن كيسان لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرّمات وأتوهن وأقربوهن

(1/385)

---

وغشيانهن لكم حلال  
الفراء مثل قولك أتيت الأرض من مأتاه أي من الوجه الذي يؤتى منه الواقدي معناه من حيث أمركم وهو الفرج نظيره في سورة الملائكة والأحقاف أروني ماذا خلقوا من الأرض أي في الأرض وقوله إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال مجاهد عن ابن رزبن والكليبي إن الله يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من أدبار النساء أن لا يأتوها وقال من أتى المرأة في دبرها فليس من المتطهرين فإن دبر المرأة مثله من الرجل مقاتل بن حيان التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك والجهل كنت عند أبي العالية يوماً فتوضأ وضوءاً حسناً فقلت إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فقال الطهور من الماء حسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب وعن أبي العالية أيضاً التوابين من الكفر والمتطهرين بالآيمان ابن جريح عن مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون لها والمتطهرين هنا لم يصبوها قال الثعلبي وسمعت أبا القاسم بن محمد بن حبيب يقول سألت أبا الحسن علي بن عبد الرحيم القناد عن هذه الآية قال إن الله يحب التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر التوابين من الأفعال والمتطهرين من الأقوال التوابين من الأقوال والأفعال والمتطهرين من العقود والإضمار التوابين من الآثام والمتطهرين من الاجرام التوابين من الجرائر والمتطهرين من خبث السرائر التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب والتواب الذي كلما أذنب تاب نظيره قوله إنه كان للأوابين غفوراً محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل ممن كان قبلكم في بني إسرائيل بجمجمة فنظر إليها فقال أي رب أنت أنت وأنا أنا أنت العواد بالمغفرة وأنا العواد بالذنوب ثم خر ساجداً فقيل له ارفع رأسك فأنا العواد بالمغفرة وأنت العواد بالذنوب فرفع رأسه فغفر له

(1/386)

---

نساؤكم حرث لكم الآية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال ما الذي أهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد علي شيئاً فأوحى الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم يقول أقبل وأدبر واتق



الدبر والحيضة محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال كان اليهود يقولون من جامع امرأته وهي مجيبة من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم مجاهد عن ابن عباس قال كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أيسر ما يكون للمرأة فكان هذا الحي من الأنصار يأخذون بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرح عن النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت إنما كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع وإلا فاجتنبني حتى انتشر أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم يعني موضع الولد قالوا حرثكم أنى شئتم مدبرات ومقبلات ومستلقيات قال الحسن وقتادة والمقاتلان والكلبي تذاكر المهاجرون والأنصار واليهود إتيان النساء في مجلس لهم فقال المهاجرون إنا نأتيهن بركات وقيامات ومستلقيات ومن بين أيديهن ومن خلفهن بعد أن يكون المأتي واحدا في الفرج فعابت اليهود وقالت ما أنتم إلا أمثال البهائم لكننا نأتيها على هيئة واحدة فإننا لنجد في التوراة أن كل إتيان يؤتى للنساء غير الاستلقاء دنس عند الله ومنه يكون الحول والخبل فذكر المسلمون ذلك لرسول الله صلى الله عليه

(1/387)

وسلم وقالوا يا رسول الله إنا كنا في جاهليتنا وبعدهما أسلمنا نأتي النساء كيف شئنا فإن اليهود عابت ذلك علينا وزعمت أنا كذا وكذا فكذب الله عز وجل اليهود وأنزل رخصة لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أي كيف شئتم وحيث شئتم ومتى شئتم بعد أن يكون في فرج واحد أنى حرف استفهام ويكون سؤالا عن الحال والمحل وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا

يحيى بن أبي كثير عن رجل قال قال عبد الله ستامر الحرة في العزل ولا تستامر الأمة وفي هذه الآية دليل على تحريم أدبار النساء لأنها موضع الفرج لا موضع الحرث وإنما قال الله تعالى نساؤكم حرث لكم وهذا من لطف كنايات القرآن حيث عبر بالحرث عن الفرج فقال نساؤكم حرث لكم أي مزرع ومنبت الولد وأراد به المحرث المزدرع ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثا وقال أهل المعاني تقدير الآية نساؤكم كحرث لكم كقوله تعالى حتى إذا جعله نارا أي كثار قال الشاعر النسر مسك والوجوه دنابير وأطراف الأكف عنم والعرب تسمى النساء حرثا قال المفضل بن سلمة أنشدني أبي إذا أكل الجراد حروث قوم فحرثي همه أكل الجراد وقال الثعلبي وأنشدني أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي قال أنشدني أبو منصور مهلهل بن علي العزي قال أنشدني أبي قال أنشدنا أحمد بن يحيى حبذا من حبة الله النبات الصالحات هن النسل والمزروع بهن الشجرات يجعل الله لنا فيما يشاء البركات إنما الأرضون لنا محرثات فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات وقد وهم بعض الفقهاء في

تأويل هذه الآية وتعلق بظاهر خبر رواه وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين من رواية الدينوري حدثنا محمد بن عيسى الهياثي أبو بكر الطرسوسي وإسحاق الغروي عن مالك بن أنس عن نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال أتدري فيما نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأة في دبرها على عهد رسول الله

(1/388)

---

صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فنزلت نساؤكم حرث لكم الآية وأما تأويل حديث ابن عمر فهو ما روى عطاء عن موسى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه أنه لقي سالم بن عبد الله فقال يا أبا عمر ما حدث محدث نافع عن عبد الله قال وما هو قال زعم أنه لم يكن يرى بأسا بإتيان النساء من أدبارهن قال كذب العبد وأخطأ إنما قال عبد الله تؤتى في فروجهن من أدبارهن الدليل على تحريم

الأدبار ما روى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم قال لا يكون الحرث إلا حيث يكون النبات وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأته في دبرها وقدموا لأنفسكم يعني طلب الولد وقيل التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحا طاهرا وقيل هو لدم الإفراط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم فقيل يا رسول الله اثنان قال واثنان فقال فظننا أن لو قيل واحد لقال واحد شهر بن عطية عن عطاء وقدموا لأنفسكم قال التسمية عند الجماع وقال مجاهد وقدموا لأنفسكم يعني إذا أتى أهله فليدع سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما منهما ولد لم يضره شيطان السدي والكلبي يعني الخير والعمل الصالح دليله سياق الآية واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ابن كيسان قدموا لأنفسكم في كل ما أحل الله لكم وما تعبدكم به فإن تصديقكم الله ورسوله بكل ما أحله لكم وحرّم عليكم وما تعبدتم به قدم صدق لكم عند ربكم واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه واعلموا أنكم ملاقوه فيجزىكم بأعمالكم وبشر المؤمنين ولا

(1/389)

---

تجعلوا الله عرضة لأيمانكم الآية قال الكلبي نزلت في عبد الله ابن رواحة بينها عن قطيعة ختنه على أخته بشير بن النعمان الأنصاري وذلك أنه كان بينهما شيء فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح عنه وعن خصم له وجعل يقول قد حلفت بالله ألا أفعل فلا تحل لي إلا أن يبر يميني فأنزل الله

هذه الآية قال مقاتل بن حيان نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ألا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم ابن جريج حدثت أنها نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسيطح حين خاض في حديث الإفك والعرضة أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر وتعد له عرصة لقوتها عليه يقال عرضت ناقتي لذلك أي اتخذتها له قال أوس بن حجر

(1/390)

---

وأدماء مثل الفحل يوما عرضتها لرحلي وفيها هزة وتقاذف ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرصة له حتى قالوا للمرأة هي عرصة للنكاح إذا صلحت له وقويت عليه ويقال فلان عرصة للسهر والحرب قال حسان وقال الله قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها للقاء قال المفسرون هذا في الرجل يحلف بالله تعالى لا يصل رحما ولا يكلم قرابته أو لا يتصدق له بالصنع خيرا أو يصلح بين اثنين فيعصيانه أو يتهمانه أو أحدهما فيحلف بالله لا يصلح بينهما فأمره الله أن يحنث في يمينه ويفعل ذلك سرا ويكفر عن يمينه فمعنى الآية ولا تجعلوا الله علة ومانعا لكم من البر والتقوى يقول أحدكم حلفت بالله فيغل يمينه في ترك البر والصلاح وهو قوله أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم معناه أن لا تبروا كقوله بين الله لكم أن تصلوا أي لئلا تصلوا وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي وبين هذه الآية ما روى سماك عن الحسين عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقال سنان بن حبيب قلت لسعد بن حمير إني عصت علي مولاة لي كان مسكنها معي فحلفت أن لا تساكنني فقال هذا من عمل الشيطان كفر عن يمينك وأسكنها ثم قرأ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم أصل اللغو في كلام العرب ما أسقط فلم يعتد به قال ذو الرمة وتطرح بينها المري لغوا ما ألغيت في الماية الحوارا يريد بالمائة التي تساق في الدية إذا وضعت ناقة منها حوارا لا يقدمه والمري منسوب إلى امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم قال المثقب العبدى وأمانة تجعل أولادها لغوا وعرض المائة الجلمد

(1/391)

---

واللغو واللغاء في الكلام ما لا خير فيه ولا معنى له ونظيره في اللغة صفو فلان معك وصفاه قال الله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا قال أمية فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم وقال العجاج ورب أسراب الحجيج الكظم عن اللغا ورفث التكلم واختلف العلماء في لغو اليمين المذكور في هذه الآية فقال قوم هو ما يسبق به لسان الإنسان من الايمان على سرعة وعجلة ليصل به كلامه من غير عقد ولا قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله ونحوها فهذا لا كفارة فيه ولا إثم هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قالت قول الإنسان لا والله وبلى والله وعلى هذا القول الشعبي وعكرمة ومجاهد في

رواية الحكم وقال الفرزدق ولست بماخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد صاغرات العزائم وقال آخرون لغو اليمين هو أن يحلف الإنسان على الشيء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين أنه خلاف ذلك فهو خطأ منه من غير عمد ولا كفارة عليه ولا إثم وهو قول الزهري والحسن وسليمان بن يسار وإبراهيم النخعي وأبي مالك وقتادة والربيع وزرارة بن أوفى ومكحول والسدي وابن عباس في رواية الوالبي وعن أحمد برواية ابن أبي نجيح وقال علي وطاووس اللغو اليمين في حال الغضب والضجر من غير عزم ولا عقد ومثله روى عطاء عن وسيم عن ابن عباس يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يمين في غضب وقال بعضهم هو اليمين في المعصية لا يؤاخذ به الله عز وجل في الحنث فيها بل يحنث في يمينه ويكفر قاله سعيد بن جبير وقال غيره ليس فيه كفارة وقال مسروق في الرجل الذي يحلف على المعصية ليس عليه كفارة الكفر عن خطوات الشيطان ومثله روى عكرمة عن ابن عباس وقال الشعبي في الرجل الذي يحلف على المعصية كفارته أن يتوب منها فكل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة فلو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله يدل عليه ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن

(1/392)

رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر فيما لا يملك فلا نذر له ومن حلف على معصية الله فلا يمين له وروت عمرة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على قطيعة رحم أو معصية فبره أن يحنث منها ويرجع عن يمينه وروى حماد عن إبراهيم قال لغو اليمين أن يصل الرجل كلامه بأن يحلف والله لا أكلن أو لا أشربن ونحو هذا لا يتعمد به اليمين ولا يريد حلفاً فليس عليه كفارة يدل عليه ما روى عوف الأعرابي عن الحسين بن أبي الحسن قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ينتضلون ومعه رجل من أصحابه فرمى رجل من القوم فقال أصبت والله وأخطأت فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل قال والله فقال كلا أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وقالت عائشة أيمان اللغو ما كان في الهزل والمرء والخصومة والحديث الذي لا يعقد القلب عليه وقال زيد بن أسلم هو دعاء الحالف على نفسه كقوله أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا أخرجني من مالي إن لم أرك غداً أو تقول هو كافر إن فعل كذا فهذا كله لغو إذا كان باللسان دون القلب لا يؤاخذ به الله بها حتى يكون ذلك من قلبه ولو واحدة بها لهلك يدل عليه قوله ويدع الإنسان بالشر دعائه بالخير وكان الإنسان عجولاً ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم الضحاك هو اليمين المكفر وسمي لغواً لأن الكفارة تسقط منه الإثم تقديره لا يؤاخذكم الله بالاثم في اليمين إذا كفرتم المغيرة عن إبراهيم هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينسى فيحنث بالله فلا يؤاخذ به الله عز وجل به دليله قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أي عزمتم وقصدتم وتعمدتم لأن كسب القلب العقد على الشيء والنية والله غفور حلیم الآية اعلم أن الأيمان على وجوه منها أن يحلف على

طاعة كقوله والله لأصليين أو لأصومن أو لأحجن أو لأتصدقن ونحوها فإن كان  
فرضا عليه فالواجب

(1/393)

عليه أن لا يحنث فإن حنث  
فعليه الكفارة لأنه كان فرضا عليه فزاده تأييدا باليمين وإن كان ذلك تطوعا  
ففيه قولان أحدهما أن عليه الكفارة بالحنث فيه والقول الثاني عليه بالوفاء بما  
قال ولا يجزيه غيره ومنها أن يحلف على معصية وقد ذكرنا حكمه والاختلاف  
فيه ومنها أن يحلف على مباح وهو على ضربين من ماض ومستقبل فاليمين  
على المستقبل مثل أن يقول والله لأفعلن كذا والله لا أفعل كذا فإن هذا إذا  
حنث فيه لزمته الكفارة بلا خلاف واليمين على الماضي مثل أن يقول والله لقد  
كان كذا ولم يكن أو لم يكن كذا وقد كان وهو عالم به فهو اليمين الغموس  
الذي يغمس صاحبه في الإثم لأنه تعمد الذنوب ويلزمه الكفارة عندنا وقال أبو  
حنيفة لا يلزمه الكفارة وتحصيله كاللغو ثم اعلم أن المحلوف به على ضرب  
ضرب منها يكون يمينا ظاهرا وباطنا ويلزم المرء الكفارة بالحنث فيها وهو قول  
الرجل والله وبالله وتالله فهذه أيمان صريحة ولا يعتبر فيها النية والضرب  
الثاني أن يحلف بصفة من صفات الله عز وجل كقوله وقدره الله وعظمة الله  
وكلام الله وعلم الله ونحوها فإن حكم هذا كحكم الضرب الأول سواء والضرب  
الثالث أن يحلف بكنيات اليمين كقوله أيم الله وحق الله وقسم الله ولعمرو  
الله ونحوها فهذا يعتبر فيها النية فإن نوى اليمين كان يمينا وإن قال لم أرد به  
اليمين قبلنا قوله فيه والضرب الرابع أن يحلف بغير الله مثل أن يقول والكعبة  
والصلاة واللوح والقلم وحق محمد وأبي وحياتي ورأس فلان ونحوها فهذا ليس  
بيمين ولا يلزم الكفارة بالحنث فيه وهو يمين مكروه فيه قال الشافعي  
والمعنى أن يكون عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر يقول كانت قريش  
تحلف بأبائها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف  
بالله لا تحلفوا بأبائكم وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر يقول وأبي  
فنهاه عن ذلك قال عمر فما حلفت بهذا بعد ذاكرا ولا أثرا للذين يؤلون من  
نسائهم تربص أربعة أشهر فإن

(1/394)

فآءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم والمطلقات  
يتربصن بأنفسهن ثلاثة قرو صلى الله عليه وسلم ء ولا يحل لهن أن يكتمن ما  
خلق الله فى صلى الله عليه وسلم أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر  
وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادو صلى الله عليه وسلم إصلاحا ولهن  
مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق  
مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما  
ءاتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود

(1/395)

الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود  
الله فأولئك هم الظالمون للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فتادة  
كان الإيلاء طلاق أهل الجاهلية سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار أهل  
الجاهلية كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره يحلف ألا يقربها  
أبدا وكان يتركها كذلك لا أبما ولا ذات بعل وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية وفي  
الإسلام فجعل الله الأجل الذي يعلم به عند الرجل في المرأة وهي أربعة أشهر  
فأنزل الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم وفي حرف عبد الله للذين ألوا من  
نسائهم على أنها الماضي وقرأ ابن عباس للذين يقسمون من نسائهم الإيلاء  
الحلف يقال آلى يولي إيلاء قالت الخنساء فأليت آسى على هالك أو أسأل  
نائحة مالها والاسم منه الألية قال الشاعر علي ألية وصيام أمسك طارها ألا  
يكف وفيه أربع لغات ألية وألوة وللوة وألوة ومعنى الآية للذين يؤلون أن  
يعتزلوا من نسائهم فترك ذكره اكتفى بدلالة الكلام عليه والتربص التريث  
والتوقف وزعم بعضهم أنه من المقلوب قالوا التربص التصبر فمثلا أن يحلف  
الرجل أن لا يقرب امرأته فيقول لها والله لا أجامعك أو لا يجتمع فراشي  
بفراشك ونحو ذلك من ألفاظ الجماع وكل حين يحلفها الرجل على امرأته  
فيصير ممتنعا من جماعها أكثر من أربعة أشهر إلا بشيء يكون في بدنه وماله  
فهو إيلاء وما كان دون أربعة أشهر فليس بإيلاء وكان علي بن أبي طالب رضي  
الله عنه يقول الإيلاء يمين في الغضب فإذا حلف في حال الرضا فليس بإيلاء  
وعامة الفقهاء يجرونه على العمدة ويلزمون الإيلاء في كل يمين منع من جماعها  
في حال الرضا والغضب فإذا آلى تيان فإن هو جامع قبل مضي أربعة أشهر  
كفر عن يمينه ولا شيء عليه والنكل ثابت هو إن هو لم يجمع حتى تنقضي  
أربعة أشهر فاختلف الفقهاء فيه فقال بعضهم إذا مضت أربعة أشهر ولم يف  
بانت منه بتطبيقه وهي أملك بنفسها وهذا قول عبد الله بن مسعود ومحمد بن  
ثابت

(1/396)

وكتادة ومقاتل بن حبان والكلبي وأبي حنيفة يدل عليه قول ابن عباس عزيمة  
الطلاق إمضاء أربعة أشهر وقال بعضهم إذا مضت أربعة أشهر والرجل ممتنع  
فإن عفت المرأة ولم تطلب حقها من الجماع فلا شيء على الرجل ولا يقع به  
طلاق وهما على نكاح ما لو قامت على ذلك وإن  
طلبت حقها وقف الحاكم زوجها فيما أن يفى وإما أن يطلق فإن أبى الفيئة  
والطلاق جميعا طلق عليه الحاكم وقيل يحبسها أبدا حتى يطلق وجملة هذا  
القول الذي ذكروا من الوقف قول عمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وابن عمر  
وعائشة وسعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد ومذهب مالك والشافعي  
وأبي ثور وأبي عبيدة وأحمد وإسحاق وعامة أهل الحديث وقال يونس الصواف  
أثبت سعيد بن المسيب فقال من أبى قلت من الكوفة قال وإنهم يقولون في  
الإيلاء إذا مضت أربعة أشهر فلا شيء عليه ولا أربع سنين حتى لو يفى أن  
يطلق وألغى الجماع فإن كان عاجزا عن الجماع بمرض أو عنة أو نحوها فاء  
بلسانه وأشهد وقال كان إبراهيم النخعي يقول ألغى باللسان على كل حال فإذا

فاء فعليه الكفارة ليمينه في قول الفقهاء إلا الحسن وإبراهيم وقتادة فإنهم أسقطوا الكفارة عن المولى إذا فاء لقوله فإن فاء فإن الله غفور رحيم وقال إبراهيم هذا في إسقاط الحق به لا في الكفارة وإن عزموا الطلاق أي حققوا وصدقوا ونووا وقرأ ابن عباس وإن عزموا السراح وهو الطلاق أيضا فإن الله سمع لقولهم عليم بنياتهم وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي الأربعة الأشهر ما لم يطلقها زوجها أو السلطان لأنه شرط فيه العزم ولأن السماع يقتضي والقول هو الذي يسمع والسماع راجع إلى الطلاق والله أعلم والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء الآية قال مقاتل بن حيان والكلبي كان الرجل أول الإسلام إذا طلق امرأته ثلاثا وهي حبلى فهو أحق برجعتها ما لم تضع ولدها إلى أن نسخ الله ذلك بقوله الطلاق مرتان وقوله فإن طلقها فلا تحل له من بعد الآية وطلق إسماعيل بن عبد الله الغفاري

(1/397)

---

امراته قتيلة وهي حبلى وقال مقاتل هو مالك بن الأشدق رجل من أهل الطائف قالوا جميعا ولم يشعر الرجل بذلك ولم تخبره بذلك فلما علم بحبلها راجعها وردّها إلى بيته فولدت وماتت ومات ولدها وفيها أنزل الله تعالى هذه الآية والمطلقات أي المخليات من حبال أزواجهن وهو من قولهم أطلقت الشيء من يدي وطلقته إذا خليته إلا أنهم لكثرة استعمالهم اللفظين فرقوا بينهما ليكون التطليق مقصورا في الزوجات وبذلك أنزل القرآن يا أيها النبي إذا طلقتم النساء والاسم منه الطلاق ويقال طلق الرجل المرأة وطلقت وطلقت معا وأصله من قولهم انطلق الرجل إذا مضى غير ممنوع ويقال للشوط الذي يجريه الفرس وغيره من غير أن يمنع طلق يتربصن ينتظرن بأنفسهن ولا يتزوجن ثلاثة قروء جمع قرء مثل قرع وجمعه القليل

(1/398)

---

قروء والجمع الكثير أقرء وقرؤ واختلف الفقهاء في القروء فقال قوم هي الحيض وهو قول علي وعمر وابن مسعود وأبي موسى الأشعري ومجاهد ومقاتل بن حيان ومذهب سفیان وأبي حنيفة وأهل الكوفة واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة أيام أقرائك والصلاة إنما تترك في حال الحيض يقول الراجز أنشده تغلب عن ابن الأعرابي له قروء كقروء الحائض يعني أن عداوته تهيج في أوقات معلومة كما أن المرأة تحيض بأوقات معلومة فمن قال بهذا القول قال لا تحل المرأة للأزواج ولا تخرج من عدتها ما لم تنقض الحيضة الثالثة يدل عليه ما روى الزهري عن ابن المسيب أن عليا قال في الرجل يطلق امرأته واحدة أو ثنتين لا يحل لزوجها الرجعة إليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة وتحل لها الصلاة وقال آخرون هي الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة ومذهب مالك والشافعي وأهل المدينة واحتجوا بقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء طلقوهن لعدتهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما طلق ابن عمر امرأة وهي حائض لعمر مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك وتلا النبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل إذا

طلتتم النساء فطلقوهن فأخبر صلى الله عليه وسلم أن العدة الأطهار من الحيض وقرأ فطلقوهن لتتم عدتهن وهو أن يطلقها طاهرا لأنها حينئذ تستقبل عدتها ولو طلقت أيضا لم تكن مستقبلة عدتها إلا بعد الحيض وبدل على تلك القروء والأطهار قول الشاعر وهو الأعشى وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عظيم غزائكا مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا والقرء في هذا البيت الطهر لأنه خرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فأضاع أقرءهن أي أطهارهن ومن قال بهذا القول قال إذا حاضت المرأة الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للزواج يدل عليه ما روى الزهري عن عروة وعمرة عن عائشة قالت إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للأزواج قالت عمرة وكانت

(1/399)

---

عائشة تقول القرء الطهر ليس الحيض ابن شهاب قال سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول ما أدركت أحدا من فقهاءنا إلا وهو يقول هذا يريد قول عائشة الأقرء الأطهار وإنما وقع هذا الاختلاف لأن القرء في اللغة من الأضداد يصلح للمعنيين جميعا يقول أقرأت المرأة إذا حاضت وأقرأت إذا طهرت فهي تقرى واختلفوا في أصلها فقال أبو عمر وأبو عبيدة هو وقت مجيء الشيء وذهابه يقال رجع فلان لقرئه وقاربه أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قاري الرياح أي وقت هبوبها قال مالك بن الحارث الهذلي كرهت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح أي لوقتها ويقال أقرأت النجوم إذا طلعت وأقرأت إذا أفلت قال كثير إذا ما الثريا وقد أقرأت أحس السما كان منها أفولا فالقرء للوجهين لأن الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وقيل هو من قرء الماء في الحوض وهو جمعه قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل إذماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا أي لم تحمل ولم تضم في رحمها وإنما تقول العرب ما قرأت الناقة بلا قرط أي لا تضم رحمها على ولد ومنه قولهم قرأت القرآن أي نطقت به مجموعا هذا اختيار الزجاج قال ومنه قرئت الماء في المقراءة ترك همزها والأصل فيه الهمز فالقرء احتباس الدم واجتماعه وهو يكون في حال الطهر والحيض جميعا إلا أن الترجيح للطهر لأنه يجمع الدم ويحبسه والحيض يرخيه ويرسله والله أعلم حكم الآية اعلم أن لفظها خبر ومعناها أمر كقوله والوالدات يتربصن أولادهن وأمثاله والعدة على ضربين عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها زوجها فعدة المطلقة على ثلاثة أضرب عدة الحائض ثلاثة قروء وعدة الحامل أن تضع حملها وعدة الصغيرة التي لم تحض والكبيرة التي آيست ثلاثة أشهر وعدة المتوفى عنها زوجها ضربان إن كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها وإلا فعدتها أربعة أشهر وعشرة وعدة الإماء فيما له نصف ومن الأقرء قرآن لأنها لا نصف ولا عدة على متن لم يدخل بها إذا توفي عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرا ولا يحل

(1/400)

---



لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن قال عكرمة وإبراهيم يعني الحيض وهو أن تعتد المرأة فيريد الرجل أن يراجعها فتقول إني قد حضت الثالثة ابن عباس

وقتادة ومقاتل يعني الحمل في الولد فمعنى الآية لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن من الحيض والحمل ليطلن حق الزوج في الرجعة والولد فإن المرأة أمينة على فرجها إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أزواجهن وهو جمع بعل كالفحولة والذكورة والحزولة والخيوطة ويقال تبعلت المرأة إذا تزوجت ومنه قيل للجماع بعال وإنما سمي الزوج بعلا لقيامه بأمور زوجته وأصل البعل السيد والمالك قال الله تعالى أتدعون بعلا وقرأ مسلم بن محارب وبعولتهن بإسكان التاء لكثرة الحركات والاتباع أفصح وأحسن وأوفق وأولى أحق أولى بردهن أي برجعتهن في ذلك أي في حال العدة إن أرادوا إصلاحا لا إضرارا وذلك إن الرجل إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها أخرى وتركها كما فعل في الأولى ثم راجعها فتركها مدة ثم طلقها ولهن أي وللنساء على أزواجهن مثل الذي عليهن من الحق يروى أن امرأة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال أن لا يضرب وجهها وأن لا يقبحها وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا إنما اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الرجال من أمتي خيرهم لنسائهم وخير النساء من أمتي خيرهن لأزواجهن يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين ولفضل إحداهن علي الحور العين كفضل محمد على أدنى رجل منكم وخير النساء من أمتي من تأتي مسيرة زوجها في كل شيء يهواه ما خلا

(1/401)

معصية الله عز وجل وخير الرجال من أمتي من يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها يكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله محتسبين صابرين فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله فكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مائة شهيد قال أوما علمت أن المرأة أعظم أجرا من الرجل وأفضل ثوابا وأن الله عز وجل ليرفع الرجل في الجنة درجات فوق درجاته برضا زوجته عنه في الدنيا ودعائها له أوما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة إذا غشت زوجها ألا فاتقوا الله في الضعيفين فإن الله سائلكم عنهما اليتيم والمرأة فمن أحسن إليهما فقد بلغ إلى الله ورضوانه ومن أساء إليهما فقد استوجب من الله سخطه حق الزوج على المرأة كحقي عليكم فمن ضيع حقي فقد ضيع حق الله ومن ضيع حق الله فقد باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير بالمعروف وللرجال عليهن درجة في الفضل قال ابن عباس بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل بالعقل وقيل بالميراث وقيل بالدرجة قال قتادة بالجهد عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى

الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه إذ أقبلت امرأة حتى قامت على رأسه ثم قالت السلام عليك يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ليست من امرأة سمعت بمخرجي إليك إلا أعجبها ذلك يا رسول الله إن الله رب الرجال ورب النساء وأدم أب الرجال وأب النساء وحواء أم الرجال وأم النساء فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله وقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون وإذا خرجوا فلهم من الأمر ما قد علمت ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر شيء قال نعم اقرأي النساء السلام وقولي لهن إن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك وقليل منكن يفعله ثابت عن أنس قال جئن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله فما لنا عمل بعدك به عمل في سبيل الله بكر بن عبد

(1/402)

---

الله المزني عن عمران بن الحصين قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل على النساء جهاد قال نعم جهادهن الغيرة يجاهدن أنفسهن فإن صبرن فهن مجاهدات وإن صبرن فهن مرابطات ولهن أجران اثنان وقيل بالطلاق والرجعة وقيل بالشهادة وقيل بقوة العبادة وقال سفيان وزيد بن أسلم بالإمارة وقال القتيبي معناه وللرجال عليهن درجة أي فضيلة للحق والله عزيز حكيم الطلاق مرتان روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة أتتها فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها ليضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك فإن طلقها ألف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثا وللطلاق الثالث قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم

(1/403)

---

الطلاق مرتان فأين الثالثة قال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقال المفسرون معنى الآية الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان فإمساك بمعروف أي عليه إمساك بمعروف أي يراجعها في التطليقة الثالثة أو تسريح بإحسان بعدها ولا يضارها فإن طلقها وإحدة أو ثنتين فهو أملك برجعته ما دامت في العدة فإذا انقضت العدة فهي أحق بنفسها وجاز أن يراجعها عن تراض منهما بنكاح جديد فإن طلقها الثالثة بانتهى منه وكانت أحق بنفسها منه ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ولا يحل لكم أن تأخذوا في حال الاستبدال والطلاق مما آتيتموهن شيئا أعطيتموهن من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله نزلت هذه الآية في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى تزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه بغضا شديدا وكان يحبها حبا شديدا وكان بينهما كلام فأتت أباه فشكت إليه زوجها وقالت إنه يسيء إلي ويضربني فقال لها ارجعي إلى زوجك فوالله إنني لأكره للمرأة أن لا تزال رافعة يدها تشكو زوجها فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب فشكت إليه فقال لها

ارجعي إلى زوجك فلما رأت أن أباه لا يشكها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه زوجها وأرته آثارا بها من الضرب وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو قال فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس فقال يا ثابت مالك ولأهلك قال والذي بعثك بالحق ما على ظهر الأرض أحب إلي منها غيرك قال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكنني خشيت أن يهلكني فأخرجني منه يا رسول الله فقال إني قد أعطيتها حديقة لي فقل لها فلتردها علي وأنا أخلي سبيلها قال لها ما تقولين تردين إليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم وأنا لا أريده قال لا حديقته فقط ثم قالت يا رسول الله ما كنت أحدثك اليوم حديثا ينزل عليك خلافة غدا هو من أكرم الناس حبه لزوجته ولكنني أبغضه فلا هو ولا أنا فقال له النبي صلى

(1/404)

---

الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها واخل سبيلها ففعل وكان أول خلع في الإسلام فأنزل الله عز وجل ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا يعلما وتصديقه قراءة أبي إلا أن يظنا وقال محجن فلا تدفني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها أي أعلم وقرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب يخافا بضم الياء أي يعلم ذلك منهما اعتبارا  
بقراءة ابن مسعود إلا أن يخافوا واختاره أبو عبيد لقوله تعالى فإن خفتم ألا يقيما حدود الله قال فجعل الخوف لغيرهما ولم يقل فإن يخافا ألا يقيما حدود الله وهو أن تخاف المرأة الفتنة على نفسها فتعصي الله في أمر زوجها وتخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهى الله تعالى الرجل أن يأخذ من امرأة شيئا بغير رضاها إلا أن يكون النشوز وسوء الخلق من قبلها فتقول والله لا أبر لك قسما ولا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك فإذا فعلت ذلك به حل له العقوبة منها إذا دعته إلى ذلك ويكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه ولكن في الحكم جائز يبين ذلك ما روى الحكم بن عيينة أن امرأة نشزت على زوجها في إمارة عمر بن الخطاب فوعظها عمر رضي الله عنه وأمرها بطاعة زوجها فأبت وقالت لئن رددتني إليه والله لأقتلن نفسي فأمر بها فحبست في اصطبل الدواب في بيت الزمل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف رأيت مكانك فقالت ما بت ليالي أقر لعيني منها وما وجدت الراحة مذ كنت عنده إلا هذه الليالي فقال هذا وأبيكم النشوز ثم قال لزوجها اخلعها ولو من قرطبيها اخلعها بما دون عقاص رأسها فلا خير لك فيها فذلك قوله عز وجل فلا جناح عليهما فيما افتدت به المرأة نفسها منه قال الفراء أراد به الزوج دون المرأة فذكرهما جميعا لأقرانهما كقوله نسيا حوتهما وإنما الناسي فتى موسى دون موسى ج وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من المالح دون العذب وقال الشاعر فإن تزجراني يابن عفان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا وقال قوم

(1/405)

---

معناه فلا جناح عليهما جميعا لا جناح على المرأة في النشور إذا خشيت الهلاك والمعصية ولا فيما افتدت به وأعطيت من المال لأنها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الرجل فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائفة بمرادها وللفقهاء في الخلع قولان أحدهما إنه فسخ بلا طلاق وهو قول ابن عباس وقول الشافعي في القديم بالعراق ثم رجع عنه بمصر والقول الثاني إن الخلع تطليقة بائنة إلا أن ينوي أكثر منها وهو قول عثمان بن عفان رضي الله عنه والقول الجديد من قول الشافعي تلك حدود الله هذه أوامر الله ونواهيه فلا تعتدوها فلا تجاوزوها ومن يتعد

(1/406)

---

حدود الله فأولئك هم الظالمون فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظننا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذو صلى الله عليه وسلم آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلمو صلى الله عليه وسلم أن الله بكل شيء عليم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذالكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون فإن طلقها يعني ثلاثا ولا تحل له من بعد يعني من بعد التطليقة الثالثة وبعد رفع على الغاية حتى تنكح زوجا غيره أي غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا نزلت هذه الآية في تميمه وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرطي كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك القرطي وكان ابن عمها فطلقها ثلاثا وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدية الثوب وإنه طلقني قبل أن يمسنني فأرجع إلي ابن عمي زوجي الأول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك قال وأبو بكر جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم وخالد بن سعيد بن العاص جالس بباب الحجره فطلق خالد ينادي يا أبا بكر ألا تزجر هذه عما تهجر به عند رسول الله والعسيلة اسم للجماع وأصلها من العسل شبه للذة التي ينالها الإنسان في تلك الحال بالعسل يقال منه عسلها يعسلها عسلا إذا جامعها فلبثت ما شاء الله أن تلبث ثم رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي كان قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر فلبثت حتى

(1/407)

---

قبض النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله أرجع إلي زوجي الأول فإن زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته وقال لك ما قال فلا ترجعي

إليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل ما قالت لأبي بكر فقال عمر لئن رجعت إليه لأرجمنك فإن الله تعالى قد أنزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها زوجها الثاني أو مات عنها بعد ما جامعها فلا جناح عليهما يعني على المرأة المطلقة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا بنكاح جديد فذكر النكاح بلفظ التراجع إن ظنا علما وقيل رجوا قالوا ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل أن يقيما حدود الله يعني ما بين الله من حق أحدهما على الآخر ومحل أن في قوله أن يتراجعا نصب بنزع حرف الجر أي في أن يتراجعا وفي قوله أن يقيما نصب بوقوع الظن عليه وقال مجاهد ومعناه إن علما أن نكاحهما على غير دلوسة وأراد بالدلوسة التحليل هذا مذهب سفيان والأوزاعي ومالك وأبي عبيدة وأحمد وإسحاق قالوا في الرجل يطلق امرأته ثلاثا فتزوج زوجها غيره ليحلها لزوجها الأول إن النكاح فاسد وكان الشافعي يقول إذا تزوجها ليحلها فالنكاح ثابت إذا لم يشترط ذلك في عقد النكاح مثل أن يقول أنكحك حتى أصيبك فتحلي لزوجك الأول فإذا اشترط هذا فالنكاح باطل وما كان من شرط قبل عقد النكاح فلا يفسد النكاح وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال إن رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مراجعة فتزوجها ليحلها للأول فقال لا إلا بنكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ج لعن الله المحلل والمحلل له عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على التيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل والمحلل له قبيصة بن جابر الأسدي قال سمعت عمر بن الخطاب يخطب وهو على

(1/408)

---

المنبر والله لا أوتى بمحلل ولا بمحلل له إلا رجمتها وتلك حدود الله يبينها روى المفضل وأبان عن عاصم بالنون لقوم يعلمون وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة وكادت تبين منه راجعها ثم طلقها ففعل بها ذلك حتى مضيت لها تسعة أشهر مضارة لها بذلك ولم يكن الطلاق يومئذ محصورا وكان إذا أراد الرجل أن يضار امرأته طلقها ثم تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها ثم طلقها فتطويله عليها هو الضرر فأنزل الله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي أمرهن في أن تبين بانقضاء العدة ولم يرد إذا انقضت عدتهن لأنها إذا انقضت عدتها لم يكن للزوج إمساكها فالبلوغ ها

(1/409)

---

هنا بلوغ مقاربة وقوله بعد هذا فبلغن أجلهن فلا تعضوهن بلوغ انقضاء وانتهاء وإبلوغ يتناول المعنيين جميعا يقال بلغ المدينة إذا صار إلى حدها وإذا دخلها فأمسكوهن أي راجعوهن بمعروف قال محمد بن جرير بمعروف أي بإشهاد على الرجعة وعقد لها دون الرجعة بالوطء أو سرحوهن بمعروف أي أتركوهن حتى تنقض عدتهن وكن أملك لأنفسهن ولا تمسكوهن ضرارا مضارة وأنتم لا

حاجة بكم إليهن لتعتدوا عليهن بتطويل العدة ومن يفعل ذلك الاعتداء فقد ظلم نفسه ضررها بمخالفة أمر الله عز وجل مرة الطيب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من ضار مسلما أو ماكره ولا تتخذوا آيات الله هزوا الحسن عن أبي الدرداء قال كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول إنما طلقت وأنا لاعب فيرجع فيها ويعتق فيقول مثل ذلك ويرجع فيه وينكح ويقول مثل ذلك فأنزل الله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا يقول حدود الله وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من طلق أو حرر وأنكح وزعم أنه لاعب فهو جد وفي الخبر خمس جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح والرجعة والنذر وعن أبي موسى قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعريين قال يقول أحدكم لامرأته قد طلقتك قد راجعتك ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المرأة في قبل طمئتها وقال الكلبي ولا تتخذوا آيات الله هزوا يعني قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان واذكروا نعمة الله عليكم بالإيمان وما أنزل عليكم من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني مواعط القرآن والحدود والأحكام يعظكم به واتقوا الله وإعلموا أن الله بكل شيء عليم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضوهن الآية نزلت في جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزني كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها تطليقة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها ثم جاء يخطبها وأراد مراجعتها وكان رجل صدق وكانت المرأة تحب مراجعتها فمنعها أخوها معقل

(1/410)

وقال لها لئن راجعته لا أكلمك أبدا وقال لزوجها أفرشتك كريمتي وأثرتك بها على قومي فطلقتها ثم لم تراجعها حتى إذا انقضت عدتها جئت تخطبها والله لا أنكحك بها أبدا وحمى أنفا فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا رسول الله معقلا وتلاها عليه فقال إني أؤمن بالله واليوم الآخر فأنكحها إياه وكفر يمينه على قول أكثر المفسرين وقال السدي نزلت هذه الآية في جابر بن عبد الله الأنصاري وكانت له بنت عم فطلقها زوجها تطليقة واحدة وانقضت عدتها ثم أراد رجعتها فأتى جابر فقال طلقت ابنة عمي ثم تريد أن تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها فأنزل الله وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فانقضت عدتهن قال الزجاج الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور قال لبيد فأخرها بالبر لله الأجل يريد عاقبة الأمور فلا تعضوهن فلا تمنعوهن والعصل المنع من التزوج وأنشد الأخفش ونحن عضلنا بالرماح لسانا وما فيكم عن حرمة له عاضل وأنشد وأن قصائدي لك فاصطنعني كرائم قد عضلن عن النكاح وأصل العصل الضيق والشدة يقال عضلت المرأة والشاة إذا تشبث ولدهما في بطنهما فضاقت عليه الخروج وعضلت الدجاجة إذا تشبث البيض فيها وعضل الفضاء بالجلس إذا ضاقت عليهم لكثرتهم ويقال ذا عضال إذا ضاقت علاجه فلا يطاق ويقال عضل الأمر إذا اشتد وضاقت قال عمر رضي الله عنه أعضل أهل الكوفة لا يرضون بأمر ولا يرضاهم أمير وقال أوس بن حجر وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائي إذا كنت أمنا وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا قال طاووس لقد وردت عضل أفضية ما قام بها إلا ابن عباس وكل مشكل عند العرب معضل ومنه قول الشافعي إذا المعضلات بعدن عني

كشفت حقائقها بالنظر أن ينكحن أزواجهن الأول بنكاح جديد إذا تراضوا بينهم  
بالمعروف بعقد حلال

(1/411)

---

ومهر جائز ونظم الآية فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن بالمعروف إذا تراضوا  
بينهم وفي هذه الآية دليل قول من قال لا نكاح إلا بولي لأنه تعالى خاطب  
الأولياء في التزويج ولو كان للمرأة إنكاح نفسها لم يكن هناك عضل ولا لنهي  
الله الأولياء عن العضل معنى يدل عليه ما روى أبو بردة عن أبي موسى قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي ذلك أي ذلك الذي ذكرت  
من النهي يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وإنما قال ذلك موحدا  
والخطاب للأولياء لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر ذلك حتى توهموا  
أن الكاف من نفس الحرف وليس يكاف الخطاب فقالوا ذلك وإذا قالوا هذا  
كانت الكاف موحدة منصوبة في الآيتين والجمع والمذكر والمؤنث وقيل ها هنا  
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فذلك وحده ثم رجع إلى خطاب المؤمنين  
فقال عز من قائل ذلكم أزكى خير وأفضل لكم وأطهر لقلوبكم من الريبة  
وذلك أنهما إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن بأن يتجاوز  
ذلك إلى غير ما أحل الله لهما ولم يؤمن من أوليائهما إن سبق إلى قلوبهم  
منهما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون والله يعلم من خبر كل واحد  
منهما لصاحبه وأنتم لا تعلمون والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن  
أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف  
نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل  
ذلك فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن  
تسترضعو صلى الله عليه وسلم أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم  
بالمعروف واتقوا الله واعلموا صلى الله عليه وسلم أن الله بما تعملون بصير  
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتريصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا  
بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في صلى الله عليه وسلم أنفسهن  
بالمعروف والله بما تعملون خبير والوالدات المطلقات اللاتي لهن أولاد من  
أزواجهن

(1/412)

---

المطلقين ولدتهم قبل الطلاق أو بعده يرضعن أولادهن يعني أنهن أحق  
برضاعتهن من غيرهن أمر استحباب لا أمر إيجاب من أنه رضاعهن عليهن لأنه  
سيحانه وتعالى قال في سورة الطلاق فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن إلى  
له أخرى ثم بين حد الرضاع فقال حولين أي سنتين وأصله من قولهم حال  
الشيء إذا انتقل وتغير كاملين على التأكيد كقوله تلك عشرة كاملة وقال أهل  
المعاني إنما قال كاملين  
لأن العرب تقول أقام فلان مقام كذا حولين أو شهرين وإنما أقام حولا وبعض  
آخر ويقولون اليوم يومان مذ لم أره وإنما يعنون يوما وبعض آخر ومنه قوله  
فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومعلوم أنه يتعجل أو يتأخر في يوم ونصف

ومثلها كثير فبين الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرين شهرا من يوم ولد إلى أن يفطم واختلف العلماء في هذا الحد أهو حد لكل مولود أو حد لبعض دون بعض فروى عكرمة عن ابن عباس إذا وضعت لستة أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين أربعة وعشرين شهرا وإذا وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهرا وإذا وضعته لتسعة أشهر أرضعته إحدى وعشرين شهرا كل ذلك تمام ثلاثين شهرا قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال قوم هو حد لكل مولود في وقت وأن لا ينقص من حولين ولا يزيد إلا أن يشاء الزيادة فإن أراد الأب يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم فليس له ذلك وإذا قالت الأم أنا أفطمه قبل الحولين وقال الأب لا فليس لها أن تطفمه حتى يتفقا جميعا على الرضا فإن اجتمعا قبل الحولين فطماه وإن اختلفا لم يفطماه قبل الحولين وذلك قوله عن تراض منهما ويشاور هذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس وقال آخرون المراد بهذه الآية الدلالة على الرضاع ما كان في الحولين فإن ما بعد الحولين من الرضاع يحرم وهو قول علي وعبد الله وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وفي الحديث لا رضاع بعد الحولين وإنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم وأنشأ العظم وقال قتادة والربيع فرض الله

(1/413)

---

عزوجل على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين ثم أنزل الرخصة والتخفيف بعد ذلك فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك وقت محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به وقرأ أبو رعاء لمن أراد أن يتم الرضاعة بكسر الراء قال الخليل والفراء هما لغتان مثل الوكالة والوكالة والدلالة وقرأ مجاهد وابن محجن لمن أراد أن يتم الرضعة وهي فعلة كالمرة الواحدة وقرأ عكرمة وحמיד وعون العقيلي لمن أراد أن تتم الرضاعة بقاء مفتوحة ورفع الرضاعة على أن الفعل لها وقرأ ابن عباس يكمل الرضاعة وعلى المولود له يعني الأب رزقهن طعامهن وقوتهن وكسوتهن لباسهن وقرأ طلحة عن مصرف كسوتهن بضم الكاف وهما لغتان مثل أسوه وإسوة ورشوه ورشوة بالمعروف علم الله تفاوت أحوال خلقه في الغنى والفقر فقال بالمعروف أي على قدر الميسرة جعل الرضاعة على الأم والنفقة على الأب لا تكلف نفس إلا وسعها والتكليف

(1/414)

---

الإلزام قال الشاعر تكلفني معيشة آل فهر ومن لي بالصلائق والصناب والوسع ما يسع الإنسان فيطيقه ولا يضيق عليه وهو اسم كالجهد والوجد وقيل الوسع يعني الطاقة ورفع النفس باسم الفعل المجهول لأنه وضع موضع الفاعل وانتصب الوسع بخبر الفعل المجهول لأنه أقيم مقام المفعول نظيرها في سورة الطلاق لا تضار والدة بولدها قرأ ابن محجن وابن كثير وشبل وأبو عمرو وسلام ويعقوب وقتيبة برفع الراء مشددة وأجازه أبو حاتم على الخبر مسبوقة على قوله لا يكلف الله وأصله فلا يضارر فأدغمت الراء في الراء وقرأ نافع



وابن عامر وعاصم وحمزة والكناني وخلف ولا تضار مشددة منصوبة الراء  
واختاره أبو عبيد على النهي وأصله لا تضارر فأدغمت وحركت إلى أخف  
الحركات وهو النصب ويدل عليه قراءة عمر لا تضارر على إظهار التضعيف  
وقرأ الحسن لا تضار براء مدغمة مكسورة لأنها لما أدغمت سكنت وبجزمه  
تحرك إلى الكسر وروى أبان عن عاصم لا تضارر مظهرة مكسورة على أن  
الفعل لها وقرأ أبو جعفر لا تضار بجزم الراء وتخفيفه على الحذف طلبا للخفة  
ومعنى الآية لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت  
بإرضاعه وألفها الصبي ولا مولود له بولده ولا تلقيه هي إلى أبيه بعد ما عرفها  
تضاره بذلك وقيل معناه لا تضار والدة فيكرهها على الرضاعة إذا قبل من  
غيرها وكرهت هي إرضاعه لأن ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده  
فيحمل على أن يعطي الأم إذا لم يرضع الولد إلا منها أكثر مما يحب لها عليه  
فهذان القولان على مذهب الفعل المجهول على معنى أنه يفعل ذلك بها  
وبوالده والمولود له مفعولان وأصل الكلمة يضار بفتح الراء الأولى ويحتمل أن  
يكون الفعل لهما وأن يكون تضار على مذهب ما قد سمي فاعله والمعنى لا  
يضار والده فتأبى أن ترضع ولدها لتشق على أبيه ولا مولود له ولا يضار الأب  
أم الصبي فيمنعها من إرضاعه وينزعه منها وعلى هذا المذهب أصله لا يضارر  
بكسر الراء الأولى وعلى هذه الأقوال

(1/415)

يرجع الضرار إلى الوالدين بضر كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز أن  
يكون الضرار راجعا إلى الصبي أي لا يضار كل واحد منهما الصبي فلا ترضعه  
الأم حتى يموت أولا ينفق عليها الأب أو ينزعه من أمه حتى يضر بالصبي ويكون  
الياء زائدة معناه لا تضار الأم ولدها ولا أب ولده وكل هذه الأقاويل مروية عن  
المفسرين وعلى الوارث مثل ذلك اختلف أهل الفتاوى فيه أي وارث هو  
ووارث من هو فقال

قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله خال  
ورثه مثل الذي كان على أبيه في حياته ثم اختلفوا أي وارث هو من ورثته فقال  
بعضهم هو عصيته كائنا من كان من الرجال دون النساء مثل الجد والأخ وابن  
الأخ والعم وابن العم ونحوهم وهو قول عمر رضي الله عنه والزهري والحسن  
ومجاهد وعطاء ومذهب سفيان قال إذا لم يبلغ نصيب الصبي ما ينفق عليه  
أجرت العصبة الذين يرثونه أن يسترضعوه قال ابن سيرين أتى عبد الله بن  
عتبة في رضاع صبي يتيم ومنعه ووليه فجعل رضاعه في ماله وقال لو ارثه لو لم  
يكن له مال لجعلنا رضاعه في مالك ألا ترى أن الله عز وجل يقول وعلى  
الوارث مثل ذلك قال الضحاك إن مات أب الصبي وللصبي المال أخذ رضاعه  
من المال وإن لم يكن له مال أخذ من العصبة وإن لم يكن للعصبة مال أجرت  
عليه أمه وقال بعضهم هو ويرث الصبي كائنا من كان من الرجال والنساء وهو  
قول قتادة والحسن بن صالح وابن أبي ليلى ومذهب أحمد وإسحاق وأبي ثور  
قالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا أو غيرهم وقال  
بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن لم يكن بمحرم مثل  
ابن العم والمولى وما أشبههما فليسوا ممن عناهم الله بقوله وعلى الوارث  
مثل ذلك وإن كانوا من جملة العصبة لا يجبرون على النفقة وهو قول أبي

حنيفة وأبي يوسف ومحمد قال لا يجبر على نفقة الصبي إلا ذو رحمه المحرم  
وقال آخرون على الوارث مثل ذلك يعني الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه  
المتوفى فإن عليه أجر

(1/416)

---

رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبر أمه على رضاعه ولا  
يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان وهو قول مالك والشافعي وقيل هو الباقي  
من والدي المولود بعد وفاة الآخر منهما عليه مثل ذلك يعني مثل ما كان على  
الأب من أجر الرضاع والنفقة والكسوة قاله أكثر العلماء وقال الشعبي  
والزهري وعلى الوارث مثل ذلك يعني أن لا يضار فإن أرادا يعني الوالدان  
فصلا فطاما قبل الحولين وأصل الفصل القطع عن تراض منهما جميعا به  
واتفاقا عليه وتشاور وهو استخراج الرأي وأصله من شرت الدابة وشورتها إذا  
استخرجت ما عندها من الغدد ويقال لعلم ذلك المشوار فلا جناح عليهما وإن  
أردتم أيها الآباء أن تسترضعوا أولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبين مرضاتهم  
أن يرضعنه أو لعله بهن أو انقطاع لبنهن أو أردن النكاح أو خفتم الضيعة على  
أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم إلى أمهاتهم أجرهن بقدر ما أرضعن وقيل

(1/417)

---

سلمتم أجور المرضع إليهن وقيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق  
دون الضرار وذلك قوله تعالى ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله  
بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم أي يقبضون ويموتون وأصل التوفي أخذ  
الشيء وأفيا وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بفتح الياء أي يتوفون  
أعمارهم وأرزاقهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ويذرون ويتركون أزواجا  
يتربصن فإن قيل فإين الخبر عن قوله والذين يتوفون منكم قيل هو متروك  
فإنه لم يقصد الخبر عنهم وذلك جائز في الاسم يذكر ويكون تمام خبره في  
اسم آخر أن يقول الأول ويخبر عن الثاني فيكون معناه والذين يتوفون منكم  
ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا كقول الشاعر بني أسد  
أن ابن قيس وقتله بغير دم دار المذلة حلت فالغى ابن قيس وقد ابتداء بذكره  
وأخبر عن قتله أنه ذل وأنشد لعلي أن مالت بي الريح ميلة على ابن أبي ذبان  
أن يتندما فقال لعلي ثم قال يتندما لأن المعنى فيه عدا قول الفراء وقال  
الزجاج معناه والذين يتوفون ويذرون أزواجا أزواجهم يتربصن بأنفسهن وقال  
الأخفش خبره في قوله يتربصن أي يتربصن بعدهم وقال قطرب معناه ينبغي  
لهن أن يتربصن أي ينتظرن ويحتسبن بأنفسهن معتدات على أزواجهن تاركات  
الطيب والزينة والأزواج والنقلة عن المسكن الذي كن يسكنه في حياة  
أزواجهن أربعة أشهر وعشرا إلا أن يكن حوامل فيتربصن إلى أن يضعن حملهن  
فإذا ولدن انقضت عدتهن روى الزهري عن عروة عن عائشة أنها كانت تفتي  
للمتوفى عنها زوجها حتى تنقضي عدتها أن لا تلبس مصبوغا وتلبس البياض ولا  
تلبس السواد ولا تتزين ولا تلبس حليا ولا تكتحل بالأثمد ولا بكحل فيه طيب وإن  
وجعت عينها ولكنها تتحلى بالصبر وما بدا لها من الأكلال سوى الأثمد مما ليس

فيه طيب وروى نافع عن زينب بنت أم سلمة أن امرأة من قريش جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن ابنتي توفي زوجها وقد اشتكت عينها حتى خفت على عينها وهي تريد الكحل

(1/418)

---

فقال عليه الصلاة والسلام قد كانت احداكن تلبس أطمار ثيابها وتجلس في أحس بيوتها وتمكث حولا في بيتها فإذا كان الحول خرجت فمن كملت رمته ببعرة أفلا أربعة أشهر وعشرا وروى نافع عن صفية بنت عبد الرحمن عن حفصة بنت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا وقال سعيد بن المسيب الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد وإنما قال وعشرا بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي لأن العرب إذا أتممت العدد من الليالي والأيام غلبت عليه الليالي فيقولون صمنا عشرا والصوم لا يكون إلا بالنهار قال الشاعر وطافت ثلاثا بين يوم وليلة وكان النكير أن يضيف ويجار أي يخاف فاضح ويدل عليه قراءة ابن عباس أربعة أشهر وعشرا ليال وقال المبرد إنما أنت العشر لأنه أراد به المدد فإذا بلغن أجلهن يعني انقضاء العدة فلا جناح عليكم يخاطب الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من البر في أن يتولوهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في صلى الله عليه وسلم أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولاكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلمو صلى الله عليه وسلم أن الله يعلم ما في صلى الله عليه وسلم أنفسكم فاحذروه واعلمو صلى الله عليه وسلم أن الله غفور حلیم لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضا لهن فريضة ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا صلى الله عليه وسلم أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفو صلى الله عليه وسلم أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ولا جناح عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به

(1/419)

---

من خطبة النساء النساء المعتدات وأصل التعريض التلويح بالشيء قال الشاعر كما خط عبرانية بيمينه بيمينه حبر ثم عرض أسطرا والتعريض في الكلام ما كان من لحن الكلام الذي يفهم به السامع من غير تصريح وأصله من عرض الشيء وهو جانبه يقال أضرب به عرض الحائط كأنه يحوم حوله ولا يظهره وتعريض الخطبة المذكورة في هذه الآية على ما جاء في التفسير هو أن يقول لها وهي في العدة إنك لجميلة وإنك لصالحة وإنك لنافعة وإن من عزمي أن أتزوج وإني فيك لراغب وإني عليك لحريص ولعل الله أن يسوق إليك خيرا وإن جمع الله بيننا بالحلال أعجبني ولئن تزوجتك لأعطيتك ولأحسن

إليك ونحوها من الكلام من غير أن يقول لها انكحي قال إبراهيم لا بأس أن يهدي لها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت من شأنه وروى ابن عوف عن محمد عن عبيدة في هذه الآية قال يقول لوليها لا سبقني إليها قال مجاهد قال رجل لامرأة في جنازة زوجها لا تسبقيني بنفسك فقالت قد سبقت وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته أن سكينه بنت حنظلة قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال يا بنت حنظلة أنا من قد علمت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمه في الإسلام فقالت غفر الله لك يا أبا جعفر أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أو لقد فعلت إنما أجرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة وتوفي عنها زوجها فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدة تحامله على يده فما كانت تلك خطبة وقال ابن يزيد في هذه الآية كان أبي يقول كل شيء كان دون أن يعزما عقدة النكاح فهو زنا قال الله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والخطبة التماس النكاح وهو مصدر قولك خطب الرجل المرأة يخطبها خطبة وخطبا وقال

(1/420)

---

قوم هي مثال الجلسة والقعدة والركبة ومعنى قولهم خطب فلان فلانة سألها خطبة إلى ما في نفسها أي حاجاته وأمره من قولهم ما خطبك أي حاجتك وأمرك قال الله فما خطبك يا سامري وقال الأخفش الخطبة الذكر والخطبة المشهد فيكون معناه فيما عرضتم به من تخطبون النساء عندهن أو أكننتم أسررتم وأضمرتم في أنفسكم في خطبتهن وزواجهن يقال كننت الشيء وأكننته لغتان وقال ثعلب أكننت الشيء خفيته في نفسي وكننته سترته وقال السدي هو أن يدخل فيساوبهن إن شاء ولا يتكلم بشيء علم الله أنكم ستذكرونهن بقلوبكم وقال الحسن يعني الخطبة ولكن لا تواعدوهن بيوم قال بعضهم هو الزنا وكان الرجل يدخل على المرأة من أجل الريبة وهو يعرض بالنكاح فيقول لها دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهى الله تعالى عن ذلك

(1/421)

---

هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وجابر بن زيد وابن أبي مجلز والضحاك والربيع وعطاء وهي رواية عطية عن ابن عباس يدل عليه قول الأعشى ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام وانكحن أو تابدا وقال الحطيئة ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع وقال مجاهد هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني نفسك فإني أنكحك الشعبي والسدي لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره عكرمة لا يخطبها في العدة سعيد بن جبير لا يقايضها على كذا وكذا من المال على أن لا تتزوج غيره وهذه التأويلات كلها متقاربة والسر على هذه الأقوال النكاح قال امرؤ القيس ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن

السر أمثالي قال الأعشى فلم يطلبوا سرها للغنى ولم يسلموها لإزهادها أي نكاحها وقال الكلبي لا تواعدوهن سرا أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول لها أتيك الأربعة والخمسة وأشباه ذلك وعلى هذا القول السر هو الجماع نفسه وقال الفرزدق موانع للأسرار إلا لأهلها ويخلفن ما ظن الغيور المشفشف يعني أنهن عفائف اليد عن الجماع إلا من أزواجهن قال رؤية فعف عن أسرارها بعد الغسق ولم يضعها بين فرك وعشق يعني عف عن غشيانها بعد ما لزمته لذلك وقال زيد بن أسلم لا تواعدوهن سرا أي لا تنكحوهن سرا ثم يمسكها حتى إذا حلت أظهرت ذلك وأصل السر ما أخفيته في نفسك وإنما قيل للنكاح والزنا والجماع السر لأنها تكون بين الرجل والمرأة في خفاء ويقال أيضا للفرج سر لأنه لا يظهر وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي

(1/422)

---

لما رأت سري تغير وانحنى من دون نهمة سرها حين اتنى ثم استثنى فقال إلا أن تقولوا قولاً معروفاً قيل عدة جميلة وقال مجاهد هو التعرض من غير أن يصرح ويبوح وأن في محل نصب بدلا من السر وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كله منسوخ بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح أي لا تصحوا عقدة النكاح وقال ابن الزجاج ولا تعزموا على عقدة النكاح كما يقال يضرب يد الطهر واليمن وقال عنتره ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المطعم أي وأظله عليه حتى يبلغ الكتاب أجله حتى تنقضي العدة وإنما سماها كتاباً لأنها فرض من الله تعالى كقوله كتب عليكم واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فخافوا الله واعلموا أن الله غفور حلیم لا يعجل بالعقوبة تقول العرب ضع الهودج على أحلم الجمال لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن الآية نزلت في رجل من الأنصار تزوج بامرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهراً ثم طلقها قبل أن يمسه فأنزل الله تعالى هذه الآية فلما نزلت قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك فذلك قوله ولا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن تجمعهن قرأ حمزة والكسائي وخلف تماسوهن بالألف على المفاعلة لأن بدن كل واحد منهما يمس بدن صاحبه فيتماسان جميعاً دليله قوله من قبل أن يتماسا وقرأ الباقر تمسوهن بغير ألف لأن الغشيان إنما هو من فعل الرجل دليله قوله ولم يمسسني بشر أو تفرضوا لهن فريضة أي توجدوا لهن صداقاً يقال فرض السلطان لفلان أي أثبت له صدقة في الديوان فإن قيل ما الوجه في نفي الجناح عن المطلق وهل على الرجل جناح لو طلق بعد المسيس فيوضع عنه قبل المسيس قيل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يلعبون بحدود الله يقولون طلقتك راجعتك وقال صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا نساءكم إلا عن رغبة فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات

(1/423)

---

وقال ج أبغض الحلال عند الله الطلاق وقال ج إن الله يبغض كل مطلق مذواق فلما قال رسول الله هذا ظنوا أنهم ياثمون في ذلك فأخبر الله تعالى أنه لا

جناح في تطليق النساء إذا كان على الوجه المندوب فربما كان الفراق أروح من الإمساك وقيل معنى قوله لا جناح عليكم أي لا سبيل عليكم للنساء إن طلقتموهن ما لم تمسوهن ولم تكونوا فرضتم لهن فريضة في أتباعكم بصداق ولا نفقة وقيل معناه لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن في أي وقت شئتم لأنه لا سنة في طلاقهن فللرجل أن يطلقهن إذا لم يكن مسهن حائضا أو طاهرا وفي كل وقت أحب وليس كذلك في المدخول بها لأنه ليس لزوجها طلاقها إن كانت من أهل الأقران إلا العدة ظاهرا في طهر لم يجامعها فيه فإن طلقها حائضا أيضا وقع الطلاق ومتعوهن أي زودوهن وأعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما تبلغ به من الزاد على الموسع أي الغني قدره وعلى المقتر الفقير قدره أي إمكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وحفص وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان بفتح الدال فيهما واختاره أبو عبيدة قال لما فيهما من الفخامة وقرأ الآخرون بجزم الدال فيهما واختاره أبو حاتم وهما لغتان قال نطق بهما القرآن فتصديق الفتح قوله فسالت أودية بقدرها وتصديق الجزم قوله وما قدروا الله حق قدره تقول العرب القضاء والقدر وقال أبو يزيد الأنصاري القضاء والقدر بتسكين الدال وقال الشاعر وهو الفرزدق وما صب رملي في حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لي أريدها وقال بعضهم القدر المصدر والقدر الاسم متاعا نصب على المصدر أي متعوهن متاعا ويجوز أن يكون نصبا على القطع لأن المتاع نكرة والقدر معرفة بالمعروف أي ما أمركم الله به من غير ظلم ولا مظل حقا نصب على الحكاية تقديره أخبركم حقا وقيل على القطع حكم الآية قال المفسرون قيل هذا في الرجل يتزوج المرأة ولا يسمى لها صداقا فطلقها قبل أن يمسه فلها المتعة ولا فريضة لها بإجماع العلماء واختلفوا في متعة

(1/424)

المطلقة فيما عدا ذلك فقال قوم لكل مطلقة متعة كائنة من كانت وعلى أي وجه وقع الطلاق فالمتعة واجبة تقضى لها في مال المطلق كما تقضى عليه سائر الديون الواجبة عليه سواء دخل بها أو لم يدخل فرض لها أو لم يفرض إذا كان الطلاق من قبله فأما إذا كان الفراق من قبلها فلا متعة لها ولا مهر وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وأبي العالية ومحمد بن جرير قال لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين فأوجب المتعة لجميع المطلقات ولم يفرق ويكون معنى الآية على هذا القول لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة أو لم تفرضوا لهن فريضة لأن كل منكوحة إنما هي إحدى اثنتين مسمى لها الصداق أو غير مسمى لها فعلمنا بالذي نقلوا من قوله أو تفرضوا لهن فريضة أن المعنية بقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء المفروضات لهن من قبل أن تمسوهن وغير المفروض لها إذ لا معنى لقول القائل لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تفرضوا لهن فريضة ثم قال ومتعوهن يعني الجميع وقال آخرون المتعة واجبة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنه لا متعة لها وإنما لها نصف الصداق المسمى وهذا قول عبد الله بن عمر ونافع وعطاء ومجاهد ومذهب الشافعي ويكون وجه الآية على هذا القول لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة الألف

زائدة كقوله أو يزيدون ونحوها ثم أمر بالمتعة لهن ويجوز أن يكون قوله ومتعوهن راجعا إلى المطلقات غير المفروضات قبل المسيس دون المفروضات لهن ويكون قوله في عقبه وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن مختصا له فجرى في أول الآية على ظاهر العموم في المفروضات وغير المفروضات وفي قوله ومتعوهن على التخصيص في غير المفروضات للآية التي بعدها وقال الزهري متعتان يقضي بأحدهما السلطان ولا يقضي بالأخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله فأما التي يقضي بها السلطان فهو فيمن طلق قبل أن يفرض لها ويدخل

(1/425)

---

بها فإنه يؤخذ بالمتعة وهو قوله حقا على المحسنين والمتعة التي تلزم فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي به السلطان هي فيمن طلق بعدما يدخل بها ويفرض لها وهو قوله حقا على المتقين وقال بعضهم ليس شيء من ذلك بواجب وإنما المتعة إحسان والأمر بها أمر ندب واستحباب لا أمر فرض وإيجاب وهو قول أبي حنيفة وروى ابن سيرين أن رجلا طلق امرأة وقد دخل بها فخاصمته إلى شريح في المتعة فقال شريح لا تاب أن يكون من المحسنين ولا تاب أن يكون من المتقين ولم يجبره على ذلك واختلفوا في قدر المتعة ومبلغها فقال ابن عباس والشعبي والزهري والربيع بن أنس

(1/426)

---

أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وجلباب وإزار ودون ذلك النفقة ثم دون ذلك الكسوة شيء من الورق وهذا مذهب الشافعي قال أعلاها خادم على الموسع وأوسطها ثوب وأقلها أقل ماله ثمن قال الحسن ثلاثون درهما وكان شريح يمتع بخمسمائة درهم ومتع عبد الرحمن بن عوف أم أبي سلمة حين طلقها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق قال أبو حنيفة متاعها إذا اختلف الزوج والمرأة فيها قدر نصف مهر مثلها ولا تجاوز ذلك والصحيح أن الواجب من ذلك على قدر عسر الرجل ويسره كما قال تعالى ولو كان المعتبر فيه المهر لكان يقول ومتعوهن على قدرهن وقدر صداق مثلهن فلما قال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دل على أن المعتبر فيه حال الرجل لا حال المرأة وروى ابن أبي زائدة عن صبيح بن صالح قال سئل عامر بكم يمتع الرجل امرأته قال على قدر ماله تفصيل حكم الآية من تزوج امرأة على غير مهر مسمى فالنكاح جائز فإن طلبت الفرض أمرناه أن يفرض لها وإن لم يفرض لها ودخل بها فلها مهر مثلها فإن طلقها قبل الدخول فلها المتعة ولا مهر لها وإن مات عنها بعد الدخول فلها مهر مثلها وإن مات عنها قبل الدخول والتسمية ففيها قولان أحدهما لها مهر مثلها وهو مذهب أهل العراق والدليل عليه حديث بروع بنت واسق الأشجعية حين توفي عنها زوجها ولم يفرض لها ولا دخل بها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهر نساها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث والقول الثاني أن لها الميراث وعليها العدة

ولا مهر لها بل لها المتعة كما لو طلقها قبل الدخول والتسمية وهو قول علي وكان يقول في حديث بروع لا يقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله وسنة رسوله وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن الآية هنا في الرجل يتزوج المرأة وقد سمى لها صداقا ثم يطلقها قبل أن يمسهما فلها نصف الصداق وليس لها أكثر من ذلك ولا عدة عليها وإن لم يدخل بها

(1/427)

---

حتى توفي فلا خلاف أن لها المهر كاملا والميراث وعليها العدة والمس وهنا  
الجماع  
وقال أبو حنيفة وأصحابه إن خلا رجل بامرأة ولم يجامعها حتى فارقتها فإن المهر الكامل يلزمه والعدة تلزمها لخبر ابن مسعود قضى الخلفاء الراشدون فيمن أغلق بابا وأرخى سترا أن لها المهر وعليها العدة وأما الشافعي فلا يلزم مهرا كاملا ولا عدة إذ لم يكن دخول بظاهر القرآن قال شريح لم أسمع الله تعالى ذكر في كتابه بابا ولا سترا إنما زعم أنه لم يمسهما فلها نصف الصداق وهو مذهب ابن عباس وهذه الآية ناسخة الآية التي في سورة الأحزاب يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات الآية إلى قوله فمتعهوهن قد كان لها المتاع فلما نزلت هذه الآية نسخت ما كان قبلها وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف مهرها المسمى ولا متاع لها كما قال عز من قائل وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن تجمعهوهن وقد فرضتم لهن فريضة أوجبتم لهن صداقا وسميتم لهن مهرا وأصل الفرض القطع ومنه قيل لحز الميزان والقوس فريضة وللنصيب فريضة لأنه قطع من الشيء فنصف ما فرضتم أي نصف المهر المستحق وقرأ السلمي فنصف بضم النون حيث وقع وهما لغتان ثم قال إلا أن يعفون يعني النساء ومحل يعفون نصب بأن إلا أن جمع المؤنث في الفعل المضارع يستوي في الرفع والنصب والحزم يكون في كل حال بالنون تقول هن يضرين ولن يضرين ولم يضرين لأنها لو سقطت النون لاشتبه بالمذكر أو يعفو قرأ الحسن ساكنة الواو كأنه استثقل الفتحة في الواو كما استثقلت الضمة فيها الذي بيده عقدة النكاح اختلف العلماء فيه فقال بعضهم هو الولي ومعنى الآية إلا أن يعفون أي يهين ويتركن النصف فلا يطالبن الأزواج إذا كن ثيبات بالغات رشيدات جائزات الأمر أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو وليها فيترك ذلك النصف إذا كانت بكرًا أو غير جائزة الأمر ويجوز عفوها عليها وإن كرهت فإن عفت المرأة وأبى الولي فالعفو جائز فإن عفى الولي وأبت المرأة فالعفو جائز بعد

(1/428)

---

أن لا تريد ضرارا وهذا قول علي وأصحاب عبد الله وإبراهيم وعطاء والحسن والزهري والسدي وأبو صالح وأبي زيد وربيعة الرأي ورواية العوفي عن ابن الحسن وروى معمر عن ابن طاووس عن أبيه وعن إسماعيل بن شرواس قال الذي بيده عقدة النكاح هو الولي وقال عكرمة أذن الله تعالى هو في العفو ورضي به وأمر به فأمر به فأي امرأة عفت جاز عفوها وإن شحت وضنت عفا وليها



وجاز عفوه وهذا مذهب فقهاء الحجاز إلا أنهم قالوا يجوز عفو ولي البكر فإذا كانت ثيباً فلا يجوز عفوه عليها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ومعنى الآية إلا أن تعفو النساء فلا

(1/429)

يأخذن شيئاً من المهر أو يعفو الزوج فيعطيهما الصداق كاملاً وهذا قول علي وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي ونافع والربيع وقتادة وابن حبان والضحاك ورواية عمار بن أبي عمار عن ابن عباس وهو مذهب أهل العراق لا يرون سبيلاً للولي على شيء من صداقها إلا بإذنها ثيباً كانت أو بكرًا قالوا لإجماع الجميع من أن ولي المرأة لو أبرأ زوجها من مهرها قبل الطلاق أنه لا يجوز ذلك فكذلك إبرأؤه وعفوه بعد الطلاق لا يجوز وإجماعهم أيضا على أنه لو وهب وليها من مالها لزوجها درهما بعد البيونة أتم ما لم يكن له ذلك وكانت تلك الهبة باطلة والمهر مال من أموالها فوجب أن يكون الحكم كحكم بإبراء مالها وإجماعهم أن من الأولياء من لا يجوز عفوه عليها بالإجماع وهم بنو الأخوة وبنو الأعمام وما يفرق الله بعض في الآية عن عيسى بن عاصم قال سمعت شريحا يحدث قال سألتني علي عن الذي بيده عقدة النكاح فقلت ولي المرأة فقال لا بل الزوج وروي أن رجلا زوج اخته وطلقها زوجها قبل أن يدخل بها فعفا أخوها عن المهر فأجازه شريح ثم قال أنا أعفو عن نساء بني مرة فقال عامر لا والله ما قضى شريح قضاء أردأ ولا هو أحق فيه منه أن يجيز عفو الأخ قال رجع بعد شريح عن قوله وقال هو الزوج وعن القاسم قال كان أشياخ الكوفة ليأتون شريحا فيخاضمون في قوله الذي بيده عقدة النكاح حتى يجثو على ركبتيه فيقول شريح إنه الزوج إنه الزوج روى شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قالوا هو الزوج وقال طاووس ومجاهد هو الولي فكلمتهما في ذلك فرجعا عن قولهما وتابعا سعيد وقالوا هو الزوج وروي محمد بن شعيب مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي بيده عقدة النكاح الزوج يعفو فيعطى الصداق كاملاً وعن صالح بن كيسان أن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يبنى بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وتاول قوله أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح فيكون وجه الآية على هذا التأويل الذي بيده

(1/430)

عقدة النكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده فلما أدخل الألف واللام حذف الهاء كقوله فإن الجنة هي المأوى يعني مأواه وقال النابغة لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس فالأحلام غير عواذب يعني وأحلامهم فكذلك قوله عقدة النكاح بمعنى عقدة نكاحه وأن تعفو أقرب للتقوى قال سيبويه موضعه رفع بالإبتداء أي والعفو أقرب للتقوى وألزم بمعنى إلى أي إلى التقوى والخطاب ههنا للرجال والنساء لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر ومعناه وعفوكم عن بعض أقرب إلى التقوى لأن هذا العفو ندب وإذا سارع إليه وأتى به كان معلوماً أنه لما كان فرضاً أشد استعمالاً ولما

نهى عنه أشد تجنبا وقرأ الشعبي وأن يعفو بالياء جعله خيرا عن الذي بيده عقدة النكاح ولا تنسوا الفضل بينكم قرأ علي بن أبي طالب وأبو داود والنخعي ولا تناسوا الفضل من المفاعلة بين اثنين كقوله ولا تنازروا بالألقاب وقرأ يحيى بن يعمر ولا تنسوا الفضل بكسر الواو وقرأ الباقر ولا تنسوا الفضل بضم الواو ومعنى الفضل إتمام الرجل الصداق أو ترك المرأة النصف حث الله تعالى الزوج والمرأة على الفضل والإحسان وأمرهما جميعا أن يسبقا إلى العفو إن الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في صلى الله عليه وسلم أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون حافظوا على الصلوات أي واطبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وركوعها وسجودها وقيامها وعودها وجميع ما يجب فيها من حقوقها وكل صلاة في القرآن مقرونة بالمحافظة فالمراد بها الصلوات الخمس ثم خص الصلاة الوسطى من بينها بالمحافظة دلالة

(1/431)

---

على فضلها كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبرائيل وميكائيل وهما من جملة الملائكة وقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان أخرجهما بالذكر من الجملة بالواو الدالة على التخصيص والتفصيل فكذلك قوله والصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على الإغراء وروى قالون عن نافع الوسطى بالصاد لمجاورة الطاء لأنهما من جنس واحد وهما لغتان كالصراط والسراط والصدغ والسدغ والبصاق والبساق واللسوق واللسوق والصندوق والسندوق والصقر والسقر والوسطى تأنيث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله لأن خير الأمور أوسطها قال الله

(1/432)

---

تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي خيارا وعدلا وقال تعالى قال أوسطهم أي خيرهم وأفضلهم وقال أعرابي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم يا أوسط الناس طرا في مفاخرهم وأكرم الناس أما برة وأبا واختلف العلماء في الوسطى وأي صلاة هي فقال سعيد بن المسيب كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هكذا في الاختلاف وشبك من أصابعه فقال قوم هي صلاة الفجر وهو قول معاذ وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة والربيع ومجاهد وعبد الله بن شداد بن الهاد وعن موسى بن وهب قال سمعت أبا أمامة وقد سئل عن الصلاة الوسطى قال لا أحسبها إلا صلاة الصبح معمر بن طاوس عن أبيه وإسماعيل بن شروس عن عكرمة قال هي الصبح يعني الصلاة الوسطى وهو اختيار الإمام أبي عبد الله الشافعي يدل عليه ما روى الربيع عن أبي العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم صلاة الغداة فلما أن فرغوا قال قلت لهم أيتها الصلاة الوسطى قالوا التي صليتها قيل ولأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار وروى عكرمة عن ابن عباس قال هي صلاة الصبح وسطت فكانت بين الليل والنهار يصلى في سواد من الليل وبياض من النهار وهي أكبر الصلوات تفوت الناس ولأنها لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها ولأنها بين صلاتين تجمعان وتصديق هذا التأويل من التنزيل دالا على التخصيص والتفضيل قوله تعالى وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار مكتوب في ديوان الليل وديوان النهار ودليل آخر من سياق الآية وهو أنه عقبها بقوله وقوموا لله قانتين يعني وقوموا لله فيها قانتين قالوا ولا صلاة مكتوبة فيها قنوت سوى صلاة الفجر فعلم أنها هي وفيه دليل على ثبوت القنوت وقال أبو رجاء العطاردي صلى بنا ابن عباس في مسجد البصرة صلاة الغداة فقلت بنا قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين والدليل عليه ما روى حنظلة عن أنس قال قنت

(1/433)

---

رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا وقال ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا ابن أبي ليلى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات وأبو بكر حتى مات وعمر حتى مات وعثمان حتى مات وعلي حتى مات وقال آخرون هي صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد وعائشة روى عروة عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت أثقل الصلوات على

(1/434)

---

أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان وأكثر الناس يكونون في قائلتهم وفي تجاراتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فنزلت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ودليلهم أنها وسط النهار ما روى أبو ذر عن علي كرم الله وجهه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله في السماء الدنيا حلفة تزول منها الشمس فإذا مالت الشمس سبح كل شيء لربنا وأمر الله تعالى بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلي الظهر ويستجاب فيها الدعاء ولأنها أوسط صلوات النهار ومن خصائصها أنها أول صلاة فرضت وأول صلاة توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الكعبة وهي التي ترفع جميع الصلوات والجماعات لأجلها يوم الجمعة وقال بعضهم هي صلاة العصر وهو قول علي وعبد الله وأبي هريرة والنخعي وزر بن حبيش وقتادة وأبي أيوب والضحاك والكلبي ومقاتل واختيار أبي حنيفة يدل عليه ما روى الحسن عن سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة الوسطى العصر وفي بعض الأخبار هي التي فرط فيها سليمانج سفيان بن عيينة عن البراء بن عازب قال نزلت

حافظوا على الصلوات وصلاة العصر فقرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم سنحتها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فقال له بعضهم فهي صلاة العصر قال أعلمتك كيف نزلت وكيف نسختها والله أعلم نافع عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لكاتب مصحفها إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخبرها قالت اكتب إنني سمعت رسول الله يقول حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر هشام عن عروة عن أبيه قال كان في مصحف عائشة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين وهكذا كان يقرأها أبي بن كعب وعبيد بن عمير الأعمش

(1/435)

---

عن مسلم عن شتير بن شكل عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاً الله بيوتهم أو قبورهم نارا قال ثم صلاها بين العشاءين وفي بعض الأخبار أن رجلاً قال في مجلس عبد العزيز بن مروان أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير إلى النبي صلى الله عليه وسلم أسأله عن الصلاة الوسطى فأخذ أصبعي الصغيرة فقال هذه الفجر وقبض التي تليها وقال هذه الظهر ثم قبض الإبهام فقال هذه المغرب ثم قبض التي تليها فقال هذه العشاء ثم قال أي أصابعك بقيت فقلت الوسطى فقال أي الصلاة بقيت قلت العصر قال هي العصر قالوا ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وكان النبي صلى الله عليه وسلم متسامحاً فأخذ يصليها ويبالغ وروى أبو تميم الحبشاني عن أبي بصرة الغفاري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فلما انصرف قال إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم فتوانوا فيها وتركوها فمن صلاها منكم وحافظ عليها أوتي أجرها مرتين ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد والشاهد النجم أبو قلابة عن أبي المهاجر عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يصلي العصر كافاه في أهله وماله وقال قبيصة بن ذؤيب هي صلاة المغرب ألا ترى أنها واسطة ليست بأقلها ولا أكثرها وهي لا تقصر في السفر ومن وتر النهار هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أفضل الصلوات صلاة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة الليل وختم بها النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصراً في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة وحكى الشيخ أبو ميثم سهل بن محمد عن بعضهم أنها صلاة العشاء الأخيرة وقال لأنها بين صلاتين لا تقصران وروى

(1/436)

---

عبد الرحمن بن أبي عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وقال بعضهم هي إحدى الصلوات الخمس ولا تعرفها عينها سئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل أرغب إن علمتها كنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال لا قال فإنك إن حافظت عليهن فقد حافظت عليها وبه قال أبو بكر الوراق قال لو شاء الله عز وجل لبينها ولكنه سبحانه أراد تنبيه الخلق على أداء الصلوات قال الثعلبي ولقد أحسنا في قوليهما فإن الله تعالى أخفى الصلاة الوسطى في جميع الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها رجاء الوسطى كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأعظم في جميع الأسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة حكمة منه في فعله ورحمة على خلقه وفي قوله عز وجل والصلاة الوسطى دليل على أن الوتر ليس بواجب وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن الصلوات المفروضات تنقص عن سبعة وتزيد على ثلاثة وليس من الثلاثة والسبعة فرد إلا خمسة والأزواج لا وسطى لها فثبت أنها خمسة فتادة عن أنس قال قال رجل يا رسول الله كم افترض الله على عباده الصلوات قال خمس صلوات قال فهل قبلهن وبعدهن شيء افترض الله على عباده قال لا فحلف الرجل بالله لا يزيد عليهن ولا ينقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن صدق الرجل دخل الجنة وعين طلحة بن عبيد الله قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد نأثر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفهم ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل علي غيرها قال لا إلا أن تتطوع قال صلى الله عليه وسلم وصيام شهر رمضان قال هل علي غيره قال لا إلا أن تتطوع وذكر له عليه الصلاة والسلام الزكاة قال هل علي غيرها قال لا إلا أن تتطوع فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا

(1/437)

---

أنقص منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق عن محمد بن يحيى بن حيان عن ابن جرير أن رجلا من بني كنانة يدعى المحدجي كان يسمع رجلا بالشام يكنى أبا محمد يقول الوتر واجب قال المحدجي فرحت إلى عبادة بن الصامت واعترضت له وهو رايح إلى المسجد فأخبرته بالذي قال أبو محمد فقال عبادة كذب أبو محمد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن لم يضيع منهن استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه الله وإن شاء أدخله الجنة وعن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ليس الوتر بحتم لأنه لا تكبير به ولكنه سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على أن الوتر ليس بواجب ما روى نافع

(1/438)

---

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر على راحلته وعن نافع أيضا أن ابن عمر كان يوتر على بغيره ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وأجمع الفقهاء على أن الصلاة المكتوبة على الراحلة في حال الأمن لا تجوز وقوموا لله قانتين أي مطيعين قاله الشعبي وعطاء وجابر بن زيد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاووس وابن عباس برواية عكرمة وعطية وابن أبي طلحة قال الضحاك ومقاتل والكلبي لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم في صلواتكم لله مطيعين ودليل هذا التأويل ما روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل قنوت في الظهرين هو الطاعة وقال بعضهم القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة قال زيد بن أرقم كنا نتكلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وبكلم أحدنا من إلى جانبه ويدخل الداخل فيسلم فيردون عليه ويسألهم كم صليتم فيردون عليه مخبرين كم صلوا ويجيء خادم الرجل وهو في الصلاة فيكلمه بحاجته كفعل أهل الكتاب فكنا كذلك إلى أن نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام مجاهد خاشعين قال ومن القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسيا الحسن والربيع قياما في الصلاة يدل عليه حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت وقال ابن عباس في رواية رجاء داعين في صلاتهم دليله أن النبي صلى الله عليه وسلم قنت على رجل وذكر أن أي دعاء عليهم قد قيل مصلين دليله قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل أي مصل وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم أي المصلي الصائم فإن خفتم فرجالا أي رجالة ويقال راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وصائم وصيام وقائم قال الله تعالى يأتوك رجالا قال

(1/439)

الأخطل وبنو غدانة شاخص أبصارهم يمشون تحت بطونهن رجالا يروى أنهم أحنوا مأسورين وأبصارهم شاخصة إلى ولدهم أو ركباننا على دوابهم وهو جمع راكب قال المفضل لا يقال راكب إلا لصاحب الجمل فأما صاحب الفرس فيقال له

فارس ولراكب الحمار ولراكب البغال بغال ونصبت على الحال أي فصلوا رجالا أو ركباننا ومعنى الآية فإن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين الصلاة حقها لخوف فصلوا رجالا أي مشاة على أرجلكم أو ركباننا على ظهور دوابكم فإن ذلك يجزيكم قال المفسرون هذا في المسابقة والمطاردة يصلي حيث يولي وجهه مستقبل القبلة أو غير مستقبلها راكبا أو راجلا ويجعل السجود أخفض من الركوع يومئ إيماء وهذه صلاة شدة خوف والصلاة في حال الخوف على ضربين وسنذكرها في سورة النساء وصلاة شدة الخوف وهي هذه والخوف الذي يجوز للمصلي أن يصلي من أجله راكبا أو راجلا وحيث ما كان وجهته هو المحاربة والمسابقة في قتال من أسير بقتال من عدو أو محارب أو خوف سيع هائج أو جمل صائل أو سيل سائل أو كان الأغلب من شأنه الهلاك وإن صلى صلاة الأمن فله أن يصلي صلاة شدة الخوف وهي ركعتان فإن صلاها

ركعة واحدة جاز لما روى مجاهد عن ابن عباس قال فرض الله عز وجل الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وقال سعيد بن جبير إذا كنت في القتال والتقى الزحفان وضرب الناس بعضهم بعضاً فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واذكر الله فتلک صلاتك قال الزهري فإن لم يستطع فلا يدع ذكرها في نفسه فإذا أمتتم فاذكروا الله أي فصلوا الصلوات الخمس تامة لحقوقها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم يا معشر الرجال ويذرون ويتركون أزواجاً زوجات قال الكسائي أكثر ما تقول العرب للمرأة زوجة ولكن في القرآن زوج وصية لأزواجهم قرأ الحسن وأبو عمرو وأبو عامر والأعمش وحمزة وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع على معنى كتب

(1/440)

---

عليهم الوصية وقيل معناه لأزواجهم وصية وقيل ولتكن وصية ودليل هذه القراءة قراءة عبد الله كتبت عليهم وصية لأزواجهم وقرأ أبي ويذرون أزواجاً متاعاً لأزواجهم قال أبو عبيد ومع هذا رأينا هذا المعنى كلها في القرآن رفعا مثل قوله فنصف ما فرضتم فدية مسلمة ونحوهما متاعاً نصب على المصدر أي متعوهن متاعاً وقيل جعل الله عز وجل ذلك لهن متاعاً وقيل نصب على الحال وقيل نصب بالوصية كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً والتمتع النفقة سنة لطعامها وكسوتها أو سكنها أو ما تحتاج إليه إلى الحول غير إخراج نصب على الحال وقيل بنزع حرف الصفة أي من غير إخراج

(1/441)

---

فأما تفسير الآية وحكمها فقال ابن عباس وسائر المفسرين نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامراته فمات فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته غير أنه أمرهم أن ينفقوا عليها من تركه زوجها حولا وذلك أن الرجل كان إذا مات وترك امرأة اعتدت سنة في بيت زوجها لا تخرج فإذا كان الحول خرجت ورمت كلباً ببعرة تعني بذلك أن قعودها بعد زوجها أهون عليها من بعرة رمي بها كلب وقد ذكر ذلك الشعراء في شعرهم قال لبيد والمرملات إذا تناول عامها وكان سكنها ونفقتها واجبة في مال زوجها هذه السنة ما لم تخرج وكان ذلك حظها من تركه زوجها ولم يكن لها الميراث وإن خرجت من بيت زوجها فلا نفقة لها وكان الرجل يوصي بذلك وكان كذلك حتى نزلت آية الموارث فنسخ الله نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة الحول بقوله يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً قال الله تعالى فإن خرجن يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة فلا جناح عليكم يا أولياء الميت فيما فعلن في أنفسهن من معروف يعني التشوق للنكاح وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء وجهان أحدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الآخر لا جناح عليكم في ترك

منعهن من الخروج لأن مقامها حولا في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله في ذلك إلى أن نسخت أربعة أشهر وعشرا لأن ذلك لو كان واجبا عليها ما كان على أولياء الزوج منعها من ذلك فرفع الله الجناح عنهم وعنهما وأباح لها الخروج إن شاءت ثم نسخ النفقة بالميراث ومقام السنة بأربعة أشهر وعشرا والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين قد ذكرنا حكم المتعة بالاستقصاء فأغنى عن إعادته وإنما أعاد ذكرها ههنا لما فيها من زيادة المعنى على ما

(1/442)

---

سواها وهي أن فيما سوى هذا بيان حكم غير الممسوسة إذا طلقت وههنا بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقال ابن زيد نزلت هذه الآية لأن الله تعالى لما أنزل قوله ومتعهن إلى قوله على المحسنين قال رجل من المسلمين إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل قال الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين يعني المؤمنين المتقين الشرك فبين أن لكل مطلقة متاعا وقد ذكرنا الخلاف فيها وروى أبياس بن عامر عن علي بن أبي طالب رضي

(1/443)

---

الله عنه قال لكل مؤمنة مطلقة حرة أو أمة متعة وتلا قوله وللمطلقات متاع بالمعروف الآية كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولاكن أكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا صلى الله عليه وسلم أن الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ألم تر إلى الذين خرجوا الآية قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فخرجت طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض ناوي بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يتبعون فيه النجاة والحياة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا وعن الأصمعي قال لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار ومعه أهله وولده وخلفه عبد حبشي يسوق حماره فطفق العبد يرتجز وهو يقول لن نسبق الله على حمار ولا على ذي منعة مطار قد يصبح الله أمام الساري فرجع الرجل بعياله لما سمع قوله وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت



واعتلوا وقالوا لملكهم إن الأرض التي نأتيها فيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع  
منها الوباء فأرسل الله تعالى عليهم الموت فلما رأوا أن الموت كثر فيهم  
خرجوا

(1/444)

---

من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله  
موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى  
يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة  
لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى  
انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا  
عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء  
الخراساني كانوا ثلاثة آلاف ابن عباس ووهب أربعة آلاف مقاتل والكلبي ثمانية  
آلاف أبو روق عشرة آلاف أبو مالك ثلاثون ألفا الواقدي بضعة ومائتين ألفا ابن  
جريح أربعين ألفا عطاء بن أبي رباح سبعين ألفا الضحاك كانوا عددا كبيرا  
وأولى الأقبول بالصواب قول من قال زادوا على عشرة آلاف وذلك أن الله  
تعالى قال وهم ألوف وما دون العشرة لا يقال ألوف إنما يقال ثلاثة آلاف  
فصاعدا إلى عشرة آلاف فمن الألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف مثل يوم  
وأيام ووقت وأوقات وألف على وزن أفعل وقيل كانوا ثلاثة آلاف وكيسة اليمان  
أعجمي من بني الفداحم قالوا فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت  
عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بوري ثارم أحد  
خلفاء بني إسرائيل بعد موسى ج وذلك بأن القيم بأمر بني إسرائيل كان بعد  
موسى ج يوشع بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز  
وذلك أن أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه  
الله لها فلذلك قيل له ابن العجوز قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل لأنه تكفل  
سبعين نبيا وأنجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فإني إن قتلت كان خيرا من أن  
تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين قال إنهم  
ذهبوا ولا أدري أين هم ومنع الله ذا الكفل من اليهود فلما مر حزقيل على  
أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فأوحى الله إليه يا  
حزقيل تريد أن أريك آية

(1/445)

---

فأريك كيف أحيي الموتى قال نعم فأحياهم الله هذا قول السدي وجماعة من  
المفسرين وقال هلال بن يساف وجماعة من العلماء بل دعا حزقيل ربه أن  
يحييهم فقال يارب لو شئت أحييت هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك فقال الله  
أتحب أن أفعل قال نعم فأحياهم وقال عطاء ومقاتل والكلبي بل هم كانوا قوم  
حزقيل أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك أنهم لما أصابهم ذلك خرج  
حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى وبكى وقال يارب كنت في  
قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويهللونك ويكبرونك فبقيت وحيدا لا قوم  
لي فأوحى الله إليه إني قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل أحيوا بأمر الله

فعاشوا وقال وثمت أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ما لبثنا متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله تعالى إلى حزقيل إن قومك قد صاحوا من البلاء وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا واستراحوا وأي راحة لهم في الموت أيظنون أنني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت فانطلق إلى جبانة كذا فإن فيها قوما أمواتا فاتاهم فقال الله يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسادهم وعظامهم قد تفرقت فنادى حزقيل أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي باللحم فاكتست جميعا باللحم وبعد اللحم جلدا ودما وعصيا وعروقا وكانت أجسادا ثم نادى أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تعودي في أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة وروى المنصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم بعد ما أحياهم الله وتناسلوا وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت عليهم قال ابن عباس فإنها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله تعالى على فرارهم من الموت فأماتهم عقربة ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها ولو كان آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم فذلك قوله

(1/446)

---

ألم تر إلى الذين خرجوا ألم تر أي ألم تخبر ألم تعلم بإعلامي إياك وهو رؤية القلب لا رؤية العين فصار تصديق أخبار الله عز وجل كالنظر إليه عيانا وقال أهل المعاني هو تعجب وتعظيم يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان وكل لم في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجهه ومعناه وقرأها كلها أبو عبد الرحمن السلمي ألم تر بسكون الرء وهي لغة قسم من العرب لما حذفوا الياء للجزم توهموا أن الرء آخر الكلمة فسكنوها وأنشد الفراء قالت سليمة سر لنا دقيقا إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم واو الحال ألوف جمع ألف وقال ابن زيد مؤتلف قلوبهم جعله جمع ألف مثل جالس وجلوس وقاعد وقعود حذر الموت أي من خوف

(1/447)

---

الموت فقال لهم الله موتوا أمر تحويل كقوله كونوا قردة خاسئين ثم أحياهم من بعد موتهم إن الله لذو فضل على الناس إلى يشكرون ثم حثهم على الجهاد فقال وقتلوا في سبيل الله طاعة الله أعداء الله واعلموا أن الله سميع عليم قال أكثر المفسرين هذا للذين أحيوا قال الضحاك أمروا أن يقاتلوا في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد فأماتهم الله عز وجل ثم أحياهم ثم أمرهم أن يعودوا إلى الجهاد وقال بعضهم هذا الخطاب لآمة محمد صلى الله عليه وسلم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية قال سفيان لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد أمتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله الآية فقال زد أمتي فنزلت إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب واختلف العلماء في معنى هذا القرص فقال الأخفش قوله

يقرض ليس لحاجة بالله ولكن تقول العرب لك عندي قرض صدق وقرض سوء لأمر يأتي فيه مسرته أو مساءته وقال الزجاج القرض في اللغة البلاء الحسن والبلاء السيئ ء قال أمية بن أبي الصلت لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وأنج عريانا كل امرئ سوف يجزي قرضه حسنا أو سيئا أو مدينا مثل ما دانا وأنشد الكسائي تجازى القروض بأمثالها فبالخير خيرا وبالشرا وقال أيضا ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ ء ابن كيسان القرض أن تعطي شيئا ليرجع إليك مثله ويقضى شبهه فشبه الله عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه بالقرض لأنهم إنما يعطون ما ينفقون ابتغاء ما عند الله عز وجل من جزيل الثواب فالقرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه قال لبيد وإذا جوزيت قرضا فاجز به إنما يجزى الفتى ليس الجمل قال بعض أهل المعاني في الآية اختصار وإضمار مجازها من ذا الذي يقرض عباد الله قرضا كقوله إن الذين يؤذون الله ورسوله وقوله فلما أسفونا انتقمنا منهم فأضافه سبحانه ههنا إلى نفسه للتفضيل وللإستعفاف كما في الحديث إن الله تعالى يقول لعبد

(1/448)

استطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني واستكسيتك فلم تكسني فيقول العبد وكيف ذلك يا سيدي يقول مر بك فلان الجائع وفلان العاري فلم تعطف عليه من فضلك فلأمنعك اليوم من فضلي كما منعته وقال أهل الإشارة أمر الله تعالى بالصدقة على لفظ القرض إظهارا لمحبتة لعباده المؤمنين وذلك أنه إنما يستقرض من الأحية ولذلك قال يحيى بن معاذ عجبت ممن يبقى له مال ورب العرش يستقرضه وقال بعضهم هذا تल्पف من الله تعالى في المواساة والإقراض لعباده أبو القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا والقرض بثمانية عشر والصدقة بعشر فقلت يا جبرئيل ما بال القرض أعظم أجرا قال لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجا وربما وقعت الصدقة في غير أهلها أبو سلمة عن أبي هريرة وابن عباس قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن أحد وثبير وطور سيناء حسنة فمعنى الآية من هذا الذي من استفهام ومحله رفع بالإبتداء و الذي خبره يقرض الله ينفق في طاعة الله وأصل القرض القطع ومنه قرض الفأر الثوب وسمي الشعر قريبا لأنه يقطعه من كلامه والدين قرضا لأنه يقطعه من ماله قرضا حسنا قال علي بن الحسين الواقدي يعني محتسبا طيبة به نفسه ابن المبارك هو أن يكون المال من الحلال عمر بن عثمان الصدفي هو أن لا يمن به ولا يؤذي سهل بن عبد الله هو أن لا يعتقد بقرضه عوضا فيضاعفه يزيده له واختلف القراء فيه فقرا عاصم وابن أبي إسحاق وأبو حاتم فيضاعفه نصبا بالالف وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وبالالف وقرأ ابن كثير وأبو جعفر بالتشديد والرفع وقرأ الآخرون بالالف والتخفيف ورفع الفاء فمن رفع جعله نسقا على قوله يقرض وقيل فهو يضاعفه ومن نصبه جعله جوابا للإستفهام بالفاء وقيل بإضمار أن والتشديد والتخفيف لغتان ودليل التشديد قوله أضعافا كثيرة لأن التشديد للتكثير قال الحسن والسدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا

(1/449)

---

الله مثل قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقال أبو هريرة هذا في نفقة الجهاد قال وكنا نحسب ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا نفقة الرجل على نفسه ورفقائه وظهره ألفي ألف والله يقبض يعني يمسك الرزق عن من يشاء ويقتر ويضيق عليه دليله قوله ويقبضون أي يمسكونها عن النفقة في سبيل الله ويبسط أي يوسع الرزق على من يشاء نظيره قوله ولو بسط الله الرزق لعباده الآية والأصل في هذا قبض اليد عند البخل وبسطها عند البذل وقيل هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل والله يقبض الصدقة ويبسط بالخلف وروى اليزيدي عن عمرو قال بالصاد في بعض الروايات وعن بعضهم كأنه قال هذا في القلوب لما أمرهم الله بالصدقة أخبرهم أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه والله يقبض ويبسط يعني يقبض على القلوب فيزوبه كيلا ينسبط لخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرا وإليه ترجعون يعني وإلى الله تعودون فيحسن لكم بأعمالكم وقال قتادة الهاء راجعة إلى التراب كناية عن غير مذكور أي من التراب خلقهم وإليه يعودون وعن ابن مسعود وأبي أمامة وزيد بن أسلم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية فلما نزلت قال أبو الدحداح فذاك أبي وأمي يا رسول الله إن الله يستقرض وهو غني عن القرض قال نعم يريد أن يدخلكم الجنة قال فإني إن أقرضت ربي قرضا تضمن لي الجنة قال نعم من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة قال فزوجي أم الدحداح معي قال نعم قال وصبيان الدحداح معي قال نعم قال ناولني يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال إن لي حديثين أحدهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما وجعلتهما قرضا لله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل إحداهما لله عز وجل والأخرى معيشة لك ولعيلالك قال فاشهدك يا رسول الله أنني جعلت غيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة قال يجزيك الله إذا به بالجنة

(1/450)

---

فانطلق أبو الدحداح حتى أتى أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول هداك ربي سبل الرشاد إلى سبيل الخير والسداد قرضي من الحائط لي بالواد فقد مضى قرضا إلى التناد أقرضته الله على اعتماد بالطوع لا من ولا ارتداد إلا رجاء الضعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد والبر لاشك فخير زاد قدمه المرؤ إلى المعاد قالت أم الدحداح ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت فأنشأ أبو الدحداح يقول مثلك أجدي ما لديه ونصح إن لك الحظ إذا الحق وضح قد متع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح

(1/451)

---

والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح ودار فياح في الجنة لأبي الدحداح ألم تر إلى الملا من بنى صلى الله عليه وسلم إسريلا من بعد موسى صلى الله عليه وسلم إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل والملا من القوم وجوههم وأشرفهم وأصل الملا الجماعة من الناس لا واحد له من لفظ مثل الإبل والخيل والجيش ولكن جمعه أملاء قال الشاعر وسط الأملاء وافتتح الدعاء لعل الله يكشف ذا البلاء من بعد موسى أي من بعد موت موسى إذ قالوا لنبي لهم اختلفوا في ذلك النبي من هو فقال قتادة هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وقال السدي اسمه شمعون وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله دعائها فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله دعائي والسين يصير شيئا بلغة العبرانية وهو شمعون بن صفيه بن علقمة بن أبي ياسف بن قارون بن نصهر بن فاحت بن لاوي بن يعقوب وقال سائر المفسرين هو إشمويل وهو بالعربية إسماعيل بن نالي بن علقمة بن حازم بن الهر بن عرصوف بن علقمة بن فاحت بن عموصا بن عرزيا وقال مقاتل هو من نسل هارون ج مجاهد هو اسمويل بن هلفانا ولم ينسبه أكثر من ذلك قال وهب وابن إسحاق والسدي والكلبي وغيرهم كان سبب مقاتلتهم إياه ذلك أنه لما مات موسى ج خلف بعده في بني إسرائيل يوشع يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ثم خلف فيهم حزقيل

(1/452)

كذلك ثم إن الله تعالى قبض حزقيل وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبيا فجعل يدعوهم إلى الله وإنما كانت

الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم لتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد إلياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله إليه وخلفت فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلتانا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم من مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من أرضهم وسبوا ذراريهم وأسروا من أبنائهم أربعين وأربعمائة غلام وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكانوا يسألون أن يبعث الله لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلت فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدله بغلام لما يرى من رغبة بني إسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته إشمويل تقول سمع الله دعائي فكبر الغلام فأسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ

من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبيا أتاه جبرائيل ج والغلام نائم إلى جنب الشيخ وكان لا ياتمن عليه أحدا فدعاه بلحن الشيخ يا إشمويل فقام الغلام فزعا إلى الشيخ فقال يا أبتاه دعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفرع الغلام فقال يا بني ارجع فتم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فاتاه الغلام أيضا فقال دعوتني فقال ارجع فتم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبرائيل ج فقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت النبوة ولم يأن لك وقالوا إن كنت صادقا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالإجماع على

(1/453)

---

الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه يرشده ويأتيه بالخبر من ربه عز وجل وقال وهب بعث الله تعالى إشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لأشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي يقاتل بالياء جعل الفعل للملك وهو جزم على جواب الأمر فلما قالوا له ذلك قال لهم قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال هل عسيتم استفهام منك يقول لعلكم وقرأ نافع والحسن عسيتم بكسر السين في كل القرآن وهي لغة وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة قال أبو عبد الرحمن لو جاز عسيتم لقرئ عسى ربكم إن كتب فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ألا تقاتلوا أن لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله إن قيل ما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل

(1/454)

---

قيل دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فصيحتان فأما دخول أن فكقوله ما لك ألا تكون مع الساجدين وأما حذفها فكقوله وما لكم لا تؤمنون بالله وقال الكسائي معناه وما لنا في أن لا نقاتل ما لنا وأن لا نقاتل فحذف الواو حكاة محمد بن جرير وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وقرأ عبيد بن حميد قد أخرجنا بفتح الهمزة والجيم يعني العدو ومعنى الكلام وقد أخرج من كتب عليهم من ديارهم وأبنائهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لأن الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما من داره من أسر وقهر منهم ومعنى الآية إنهم قالوا مجيبين إنا إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يطؤونا عدونا ولا يظهر علينا فاما إذا بلغ ذلك منا فلا بد من الجهاد فنطبع ربنا في الغزو ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله عز وجل إلا قليلا منهم وفي الكلام حذف معناه فبعث الله لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسنذكرهم في موضعها والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت

ملكا قالو صلى الله عليه وسلم ا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيه مما ترك آال موسى وآال هارون تحمله المل صلى الله عليه وسلم ائكة إن في ذلك آية لكم إن كنتم مؤمنين وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآيه وكان السبب فيه على ما ذكره المفسرون أن أشمويلج سأل الله عز وجل أن يبعث لهم ملكا فأتى بعضا وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون ملكا طولُه طول هذه العصا وقيل له انظر القرن الذي فيه

(1/455)

---

الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم فقاوسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت اسمه شادل بن قيس بن أبيال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن أبس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ج رجلا دباغا يعمل الأدم قاله وهب وقال عكرمة والسدي كان سقاء يسقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه وقيل كان خربندشاه وقال وهب بل ضلت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمرا بيت إشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال طالوت نعم فدخلنا عليه فيينا هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن الذي في القرن فقام إشمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طولها فقال لطالوت قرب رأسك فقربه ودهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكه عليهم فقال طالوت أنا قال نعم قال أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل قال بلي قال أفما علمت أن بيتي أدنى بيوت بني إسرائيل قال بلي قال فباي آيه قال آيه أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرة فكان كذلك ثم قال لبني إسرائيل إن الله تعالى قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش قالوا أنى من أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهود بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملك إنما كان من سبط ابن يامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوة منهم فلما قال نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا لأنه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك هو فقير

(1/456)

---

ولم يؤت يعط سعة من المال قال إن الله اصطفاه اختاره عليكم وزاده بسطة فضيلة وسعة في العلم وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته وذكر أنه أتاه

الوحي حين أوتي الملك قال الكلبي وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول وكان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وإنما سمي طالوت لطوله وكذلك كان كالعصا التي قيس بها ودليل هذا التأويل قوله تعالى وزاده في الخلق بسطة يعني طول القامة وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء يعني لا ينكروا ملك طالوت مع كونه من غير أهل بيت

(1/457)

---

المملكة فإن الملك ليس بالوراثة إنما هو بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فقالوا له فما آية ذلك وقال لهم نبئهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية وكانت قصة التابوت وصفتها على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الأخبار إن الله تعالى أنزل تابوتا على آدم فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الأنبياء كلهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وصورته موقرة على صور جميع الأنبياء من ياقوتة حمراء قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر وعن يساره الفاروق مكتوب على جبينه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين أخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب شاهر سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكوكبة الخضراء وهم أنصار الله وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمش الذي يتخذ منه الأمشاط مموه بالذهب وكان عند آدم ج إلى أن مات ثم عند شيث ثم توارثها أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم فلما مات كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده فلما مات إسماعيل كان عند ابنه قيثار فنارعه ولد إسحاق وقالوا إن النبوة قد صرفت عنكم فليس لكم إلا هذا النور الواحد فأعطينا التابوت فكان قيثار يمتنع عليهم ويقول إنه وصية أبي ولا أعطيه أحدا من العالمين قال فذهب ذات يوم يفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناده مناد من السماء مهلا يا قيثار فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل لأنه وصية نبي فلا يفتحه إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب إسرائيل الله فحمل قيثار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب فلما قرب منه صر التابوت صرة سمعها يعقوب فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيثار

(1/458)

---

بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا إليه فلما نظر يعقوب إلى قيثار استعبر باكيا وقال يا قيثار مالي أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت معصية قد رايتك فقال ما رهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن نقل من ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال أفمن بنات إسحاق قال لا في العربية الجرهمية وهي الغاضرة قال يعقوب بخ بخ بشرها بمحمد لم يكن الله عز وجل ليخزنه إلا في العربيات الطاهرات يا



قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم أن الغاضرة قد ولدت لك  
البارحة غلاما قال قيذار

(1/459)

---

وما علمك يا بن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الجرهم قال يعقوب  
علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر الممدود من  
السماء والأرض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت  
أن ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم فسلم قيذار التابوت إلى يعقوب  
ورجع إلى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حمد وفيه نور محمد ج قالوا  
وكان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى وكان موسى يضع فيه  
التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده إلى أن مات ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل  
إلى وقت إشمويل فوصل إلى إشمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان  
فيه ما ذكر الله فيه سكينه من ربكم واختلفوا في السكينه ما هي فقال علي ج  
السكينه ريح خجوج حفاة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان مجاهد لها رأس  
كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان ابن إسحاق عن وهب عن بعض علماء  
بني إسرائيل السكينه هرة ميتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا  
بالنصر وجاءهم الفتح السدي عن أبي مالك عن ابن عباس هي طلست من  
ذهب من الجنة كان يغسل فيها قلوب الأنبياء بكار بن عبد الله عن وهب بن  
منبه روح من الله عز وجل يتكلم إذا اختلفوا في شيء تكلم فأخبرهم ببيان ما  
يريدون عطاء بن أبي رباح هي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها قتادة  
والكلبي فعيلة من السكون أي طمانينة من ربكم وفي أي مكان كان التابوت  
اطمأنوا إليه وسكنوا الربيع رحمة من ربكم وبقية وهي الباقي فعيلة من البقاء  
والهاء فيه للمبالغة مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون  
نفسهما قال جميل بثينة من آل النساء وإنما يكن لأدنى لا وصال الغائب أي من  
النساء والآل الشخص أيضا وأصله أهل بدلت الهاء همزة فإذا صغروا الآل قالوا  
أهيل ردوه إلى الأصل قال المفسرون كان فيه عصا موسى ورضاض الألواح  
أي كسره وذلك أن موسى لما ألقى الألواح انكسرت فرفع بعضها وجمع ما  
بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من

(1/460)

---

التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هارون  
وعصاه وقالوا وكان عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم  
بينهم فإذا حضروا القتال  
قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وفسدوا سلبط الله  
عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وكان السبب في ذلك أنه كان  
لعيلي الذي ربي إشمويل ابنان شابان وكان عيلي خيرهم وصاحب قربانهم ما  
حدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه كان في مشوط القربان الذي كانوا  
يشوطونه به كلاليب فما كان عليهما كان للكاهن الذي يشوطه فجعل ابناه  
كلاليب وكان النساء يصلين في المقدس فجعلتا يتشبتان بهن أيضا فأوحى الله

عز وجل إلى إشموبيل انطلق إلى عيلى فقل له منعك حب الولدان زجر ابنيك أن يحدثا في قرباني و قدسي وأن يعصيانى فلأنزعن منك الكهانة ومن ولدك ولأهلكه وإياهما فأخبر إشموبيل عيلى بذلك ففزع فزعا شديدا فسار إليهم عدو ممن حولهم فأمر ابنيه أن يخرجوا بالناس ويقاتلا ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معهما التابوت فلما تهيأوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه أن الناس قد هزموا وأن ابنيك قد قتلوا قال فما فعل بالتابوت قال قد ذهب به العدو فشقق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فمرج أمر بني إسرائيل واختل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوا البينة وقال لهم نبينهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت وكان قصة اتيان التابوت أن الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود وجعلوه في بيت صنم لهم وضعوه تحت الصنم الأعظم وأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وشددوا قدمي الصنم على التابوت وأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح يلقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم كلها منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتكم أن إله

(1/461)

---

بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم فأخرجوه إلى قرية أخرى فبعث الله عز وجل على أهل تلك القرية فارا تقرص الفأرة الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما في جوفه من دبره وأخرجوه منه إلى الصحراء ودفنوه في مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الناسور والقولنج فبقوا في ذلك فتحيروا فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله عز وجل بها أربعة من

(1/462)

---

الملائكة يسوقونها فلم يمس التابوت بشيء من الأرض إلا كان مقدسا فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا بقرنهما وطفقا جناحهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد لبني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم تدع بنو إسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله عز وجل واستوسقوا على طالوت فذلك قوله تحمله الملائكة أي تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت وقرأ ابن مسعود ومجاهد والأعمش تحمله الملائكة بالياء وقال قتادة بل كان التابوت في التيه جعله موسى عند يوشع بن نون فبقي هنالك فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه وقال ابن زيد غير راضين إن في ذلك لآية لعبرة لكم إن كنتم مؤمنين قال ابن عباس إن التابوت وعصا موسى في الجيزة الطبرية وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله

مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني صلى الله عليه وسلم إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولاكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين فلما فصل طالوت بالجنود أي خرج ورحل بهم وأصل الفصل القطع فمعنى قوله فصل أي قطع مستقر فتجاوزه شاخصا إلى غيره نظير قوله تعالى ولما فصلت العير فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يؤمئذ سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا لم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضريب

(1/463)

لضرره أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النور لا شك فيه فتسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي في كل ما أرى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشغول بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة لم يدن لها ولا أتبعي إلا الشاب النشيط الفارع فاجتمع ثمانون ألفا ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا إن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهرا فقال طالوت إن الله مبتليكم مخبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بنهر قرأه العامة بفتح الهاء وقرأ حميد وابن محصن بنهر ساكنة الهاء وهما لغتان مثل شعر وشعر وصخر وصخر وضمغ وضمغ وسمع وسمع وفحم وفحم قال ابن عباس والسدي هو نهر فلسطين قتاده والربيع نهر بين الأردن وفلسطين عذب فمن شرب منه فليس مني أي ليس من أهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه يشربه فإنه مني نظير قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ثم استثنى فقال إلا من اغترف غرفة بيده قرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق وسليمان التيمي وابن أبي الجوزاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وأبو مخرمة وأبو عمرو وأيوب غرفة بفتح الغين وقرأ الباقون بضمه وهو قراءة عثمان وهما لغتان وقال الكسائي وأبو عبيدة الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف والغرفة الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر وقال أبو حاتم الغرفة بالضم ملء الكف أو ملء المغرفة والغرفة المرة الواحدة من القليل والكثير فشربوا منه إلا قليلا منهم نصب على الاستثناء وقرأ ابن مسعود قليل بالرفع كقول الشاعر وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان وكل قرينة قرنت بأخرى وإن صنيت بها سيفرقان واختلفوا في القليل الذي لم يشربوا فقال السدي كانوا أربعة آلاف وقال غيره ثلاث مائة وبضعة عشر وهو الصحيح يدل عليه قول البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة

(1/464)

---

أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاء معه إلا مؤمن قال وكنا يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا قالوا فمن اغترف غرفة كما أمر الله سبحانه قوي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله سودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوزه يعني النهر هو يعني طالوت والذين آمنوا معه يعني القليل قالوا الذين شربوا وخالفوا أمر الله عز وجل وكانوا أهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت قال الذين يظنون يوقنون ويعلمون أنهم ملاقوا الله وهم الذين ثبتوا مع طالوت كم وقرأ أبي كائن من فئة جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعها فئات وفئون في الرفع وفئين في النصب والخفض قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وإله مع الصابرين معينهم وناصرهم قال الزجاج إنما قيل للفرقة فئة من فأوت رأسه بالعصا وفأوته إذا شققته كأنها قطعة ولما برزوا يعني طالوت وجنوده المؤمنين لجالوت وجنوده المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى قالوا وهم أهل البصيرة والطاعة ربنا إفرغ أنزل وأصيب علينا صبيرا كما يفرغ الدلو وثبت أقدامنا وقو قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين وفي الآية إضمار تقديرها فأنزل الله عليهم صبيرا ونصرا فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت صفة قتل داود جالوت قال المفسرون بالفاظ متشابهة ومعان متفقة عبر النهر فيمن عبر مع طالوت أيثا أبو داود في ثلاثة عشر ابنا وكان داود أصغرهم فأتاهم ذات يوم فقال يا ابتاه ما أرمي بقذافتي شيئا إلا صرعته فقال أبشر فإن الله جعل رزقك في قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رأبضا فركبته وأخذت بأذنيه ولم يهمني فقال أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر فقال يا ابتاه إنني لأمشي بين

(1/465)

---

الجبال فاسبح فما يبقى جبل إلا يسبح معي فقال أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله قالوا فارسل جالوت إلى طالوت أن ابرز الي من يقاتلني فإن قتلتني فلکم ملكي وإن قتلته فلي ملککم فشق ذلك على طالوت فنادی في عسكره من يقتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فخاف الناس جالوت فلم يجبه أحد

فسأل طالوت نبيهم اشمويل ان يدعوا الله فدعا الله عز وجل في ذلك فأتى بقرن فيه دهن وتنور من حديد فقبل إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن رأسه منه ولا يسيل على وجهه يكون على رأسه كهينة إلا كليل ويدخل في هذا التنور فيملاؤه لا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فجرهم فلم يوافقهم منهم أحد فأوصى الله تعالى إلى نبيهم إن في ولد أيثا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت أيثا وقال أعرض علي نبيك فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فيقول لرجل منهم بادع عليهم جسم ارجع

فيردد عليه فأوحى الله تعالى إليه إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكننا نأخذ على صلاح قلوبهم فقال لأيشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا فقال النبيج يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال النبي إن ربي كذبك فقال صدق الله يانبي الله إن لي ابنا صغيرا يقال له داود استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود ج رجلا قصيرا مسقاطا مصفارا أزرق أمعد فدعاه طالوت ويقال بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزرب التي يريح إليها فوجه يحمل شاتين شاتين يجيزهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما راه النبي ج قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم قال وهل أنست من نفسك شيئا تقوى به على قتله قال نعم أنا أرى فيجيء الأسد والنمر والذئب

(1/466)

فياخذ شاة وأقوم له وأفتح لحيه عنها وأخرقهما إلى قفاه فرده إلى عسكره فمر داود بحجر فناده يا داود احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا فحملة في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناده يا داود احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا فحملة في مخلاته فمر بحجر آخر فقال احملني فإني حرك الذي تقتل بي جالوت وقد خبأني الله لك فوضعها في مخلاته فلما تصافوا القتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فأعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف فرجع إلى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك فقال إن الله إن لم ينصرني لا يغني عني السلاح شيئا فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلاث مائة من حديد فلما نظر إلى داود ألقى في قلبه فقال له أنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام قال فأتيتني بالمقلاع والحجر كما تؤتي الكلاب قال نعم لأنت شر من الكلب قال لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء قال داود أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم إله إبراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم إله إسحاق ووضع في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال باسم إله يعقوب ووضع في مقلاعه فصار كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورماه به فسخر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه فخرج من قفاه وقتل من وراءه ثلاثين رجلا وهزم الله سبحانه الجيش وخر جالوت قتلا فأخذه فجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال أنجز لي ما وعدتني وأعطني امرأتي فقال له أتريد ابنة الملك بغير صداق قال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء قال لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل حربي

(1/467)

---

وفي جبالنا أعداء لنا غلف فإذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك  
ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل منهم رجلا نظم غلفته في  
خيطه حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال ادفع إلي امرأتي  
فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا  
ذكره فوجد طالوت من ذلك وحسده فأراد قتله فأخبر بذلك بنت طالوت رجل  
يقال له ذو المغنيين فقالت لداود إنك لمقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت أبي  
قال وهل جزمت جزما قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك لن تفوت الليلة حتى  
تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك ما أستطيع خروجاً ولكن اثنتي بزق  
من خمر فأنته فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير  
فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فقال لها أين بعلك فقالت هو  
نائم على السرير فضربه ضربة بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب  
قال يرحم الله داود ما أكثر شربه الخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل  
شيئاً فقال إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني  
ثأره فشدد حجابيه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت  
العيون وأعمى الله تعالى الحجة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على  
فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجله وسهماً عن يمينه وسهماً عن  
شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت أبصر بالسهم فعرفها فقال يرحم الله  
داود فهو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع  
هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت المقابلة أتاه ثانياً فأعمى  
الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم وأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه  
وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هذب ثيابه ثم  
خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلبط على داود العيون  
وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي  
في البرية فقال طالوت اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود إذا

(1/468)

---

فزع لم يدرك فركض طالوت على أثره فاشتد داود فدخل غارا فأوحى الله  
تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه بيتاً  
فلما أنهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هاهنا  
لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين  
فتعبد فيه وطعن العلماء والعباد في طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا  
ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله وأغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم  
في بني إسرائيل فيطيق قتله إلا قتله ولم يكن يحارب جيشاً إلا هزم حتى أتى  
بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر جباراً بقتلها فرحمها الجبار فقال لعلنا نحتاج  
إلى عالم فتركها فوق في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل وأقبل على  
البكاء حتى رحمه فكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبداً  
يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها فلما أكثر عليهم ناداه مناداً من القبور يا طالوت  
أما ترضى أن قتلنا حتى تؤذينا أمواتاً فازداد بكاءً وحنناً فرحمه الجبار فكلمه  
فقال مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله هل لي من

توبة فقال الجبار هل تدري ما مثلك إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في القرية ديكا إلا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فأيقضونا حتى ندلج فقالوا هل تركت ديكا نسمع صوته ولكن هل تركت عالما في الأرض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الجبار ذلك قال أرايتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله قال لا فتوثق عليه الجبار فأخبره أن المرأة العالمة عنده قال انطلق بي إليها أسألها هل لي من توبة وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت إذا فنيتم رجالهم علمت نساءهم فلما بلغ طالوت الباب قال الجبار أيها الملك إنها إن رأتك فزعت فخلفه خلفه ثم دخل عليها فقال لها ألسنت أعظم الناس عليك منة أن نجيتك من القتل وأويتك عندي قالت بلى قال فإن لي إليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فغشي عليها من الخوف فقال

(1/469)

---

لها إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة فقالت والله لا أعلم لطالوت توبة ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي فانطلق بها إلى قبر أشمويل فصلت ودعت ثم نادى صاحب القبر فخرج أشمويل من القبر فنفض من رأسه التراب فلما نظر إليهم ثلاثتهم المرأة وطالوت والجبار قال مالكم أقامت القيامة قالوا لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة قال أشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئا إلا فعلته وجئت أطلب التوبة قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك توبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة إن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقط أشجار عينيه ونحل جسمه فدخل أولاده عليه فقال لهم أرايتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تفدونني قالوا بلى نفديك بما قدرنا عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا وإنك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة فقد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بماله وولده فقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا حتى قتلوا بين يديه ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء قاتله إلى داود النبي ج ليبشره وقال قد قتلت عدوك فقال ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه وأتى بنو إسرائيل بدادود فأعطوه خزائن طالوت ومملكوه على أنفسهم وكان ملك طالوت من أوله إلى أن قتل في الغزو مع ولده أربعين سنة قال الضحاك والكلبي ملك داود بعد جالوت تسعا وستين سنة

(1/470)

---

ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وهو داود بن أيشا بن سوئل بن ناغر بن سلمون بن يخشون بن عمي ابن يا رب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهود بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ج وأتاه الله الملك والحكمة يعني النبوة وعلمه مما يشاء فقال الكلبي وغيره يعني صنعة الدروع والتقدير في السر

وكان يصنعها ويبيعها حتى جمع من ذلك مالا وكان لا يأكل إلا من عمل يديه  
دليله قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير وكلام النحل والنمل  
وقيل الزبور وقيل الصوت الطيب والألحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل  
صوته كان إذا قرأ الزبور يدنوا الوحوش حتى تؤخذ بأعناقها وتظله الطيور  
مصيخة له ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط  
والصنوج إلا على صوته الضحاك عن ابن عباس قال إن الله سبحانه أعطاه  
سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند صومعة داود ج وكان قوتها قوة  
الحديد ولونها لون النار وحلقها مستدير مفصلة بالجواهر مدمرة بقضبان  
اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فعلم داود ذلك  
الحدث ولا يمسه ذو عاهة إلا برء وكان علامة دخول قومه في الدين أن  
يمسوها بأيديهم ثم يمسخون أكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون إليها بعد  
داود إلى أن رفعت وكانوا يأتونها فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقا أتى  
السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده إلى السلسلة فنالتها ومن كان كاذبا  
ظالما لم ينلها وكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض  
ملوكها أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما استردها منه أنكر فتحاكما إلى السلسلة  
فعلم الذي كانت الجوهرة عنده أن يده لا تنال السلسلة فعمد إلى عكازه  
فنقرها ثم ضمنها الجوهرة وأعتمد عليها حتى حضروا السلسلة فقال صاحب  
الجوهرة رد إلى الوديعه فقال صاحبه ما أعلم لك عندي وديعة فإن كنت صادقا  
فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل للمنكر أيضا

(1/471)

قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى  
أتناول السلسلة فأخذها وقال الرجل اللهم إن كنت تعلم إن هذه الوديعه يدعيها  
علي قد وصلت إليه فقرب السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا  
فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة  
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع ويعقوب وأيوب  
دفاع الله بالألف هاهنا وفي سورة الحج واختاره أبو حاتم وقرأ الآخرون بغير  
ألف فيهما وأختاره أبو عبيد قال لأن الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده  
وقال أبو حاتم وقد يكون الفعال من واحد مثل قول العرب أحسن الله عنك  
الدفاع وعافاك الله وعاقبه الله وناول شيئا ابن عباس ومجاهد لولا دفع الله  
بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم لغلب المشركون على الأرض فقتلوا  
المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد وقال سائر المفسرين لولا دفع الله  
بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت الأرض لهلكت بمن فيها قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع الله العذاب بمن يصلي عمن لا يصلي  
وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج  
وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما ناظرهم الله  
طرفة عين ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وروى مالك بن  
عبيد عن أبيه عن جده إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا عباد لله  
ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم لترضن رضا قال  
الثعلبي وأنشدني لنفسه لولا عباد لاله ركع وصبية من اليتامى رضع ومهملات  
في الفلاة رتع صب عليكم العذاب الأوجع وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن



عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله سبحانه ليصلح  
بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دوبرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ  
الله ما دام فيهم وقال قتادة يتلى الله المؤمن بالكافر وبعاقي الكافر بالمؤمن  
بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله

(1/472)

---

عليه وسلم إن الله ليدفع بالمسلم  
الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر ولولا دفع الله  
الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك  
آيات الله نتلوها عليك بالحق أي كلام الله وإنك لمن المرسلين تلك الرسل  
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وءاتينا عيسى  
ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم  
من بعد ما جاءتهم البينات ولاكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو  
شاء الله ما اقتتلوا ولاكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا صلى الله عليه  
وسلم اأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة  
والكافرون هم الظالمون تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم  
الله قال الأخفش أي كلمه الله لقوله وفيها ما تشتهي أنفسكم وزان ما تشتهي  
ورفع بعضهم درجات الربيع بن الهيثم قال لا أفضل على نبينا أحدا ولا أفضل  
بعده على إبراهيم أحدا وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو  
شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم أي من بعد الرسل من بعدما جاءتهم  
البينات ولكن اختلفوا في الدين فمنهم من آمن ثبت على إيمانه ومنهم من  
كفر فتهود وتنصر وكانوا يعقوبية ونسطورية وملكانية ثم تحاربوا ولو شاء الله  
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء عدلا ويخذل من يشاء عدلا  
وعن الحرث الأعور قال قام رجل إلى علي رضي الله عنه فقال يا أمير  
المؤمنين أخبرني عن القدر قال طريق مظلم لا تسلكه قال يا أمير المؤمنين  
أخبرني عن القدر قال بحر عميق لا تلجه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن  
القدر قال سر الله قد خفي عليك فلا تفشه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن  
القدر فقال عليج أيها السائل إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت فقال كما  
شاء

(1/473)

---

قال فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت قال كما شاء قال أيها السائل  
ألك مع الله مشيئة أو فوق الله مشيئة أو دون الله مشيئة فإن زعمت أن لك  
دون الله مشيئة فقد أكتفيت عن مشيئة الله وإن زعمت أن لك فوق الله  
مشيئة فقد زعمت أن مشيئتك غالبية على مشيئة الله وإن زعمت أن لك مع  
الله مشيئة فقد ادعيت الشركة ألسنت تسأل ربك العافية قال بلى قال فمن أي  
شيء تسأله أمن البلاء الذي ابتلاك به أم من البلاء الذي ابتلاك به غيره قال من  
البلاء الذي ابتلاني به قال ألسنت تقول لا حول ولا قوة إلا بالله قال بلى قال  
فتعلم تفسيرها قال لا علمني يا أمير المؤمنين مما علمك الله قال تفسيرها أن

العبد لا يقدر على طاعة الله ولا يكون له قوة على معصية الله في الأمرين جميعاً إلا بالله أيها السائل إن الله عز وجل يصح ويداوي منه الداء ومنه الدواء أعقلت عن الله أمره قال نعم قال علي رضي الله عنه الآن أسلم أخوكم قوموا فصافحوه ثم قال لو وجدت رجلاً من القدرية لأخذت برقبته فلا أزال أطأ عنقه حتى أكسرها فإنهم يهود هذه الأمة ونصاراها ومجوسها وقال المزني سمعت الشافعي يقول وما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم يعني صدقة التطوع والنفقة في الخير من قبل

(1/474)

---

أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا صداقة ولا شفاعة إلا بإذن الله قرأها كلها بالنصب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وقرأ الباقر كلها بالرفع والتنوين وكلا الوجهين سائغ في العربية والكافرون هم الظالمون لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا صلى الله عليه وسلم أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون الله لا إله إلا هو الحي القيوم الآية عن أبي بن كعب قال سألتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا المنذر أي آية في كتاب الله عز وجل أعظم قلت الله ورسوله أعلم قالها ثلاثاً ثم سألتني فقلت الله ورسوله أعلم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري ثم قال هنيئاً لك العلم يا أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لساناً تقدس الملك عند ساق العرش عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد روى إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي إن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً وفتح الباب فإذا التمر قد أخذ منه ملء كف ثم دخل يوماً آخر وقد أخذ منه ذلك ثم دخل يوماً آخر فإذا قد أخذ منه مثل ذلك قال فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أيسرك أن

(1/475)

---

تأخذه

قال نعم قال فإذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد صلى الله عليه وسلم قال فذهب ففتح الباب فقال سبحان من سخرك لمحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب هذا قال نعم وقال لي لا أعود ما كنت أخذه منك إلا لأهل بيت فقراء من الجن ثم عاد فذكره للنبي صلى الله عليه

وسلم فقال له أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فإذا فتحت فقل مثل ذلك أيضا  
فتفتح الباب فقال سبحان من سخرك لمحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال له  
يا عدو الله أليس زعمت أنك لا تعود قال دعني هذه المرة فأني لا أعود فأخذه  
الثالثة فقال له أليس عاهدتني أن لا تعود اليوم لا أدعك حتى أذهب بك إلي  
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفعل فإنك إن تدعني علمتك كلمة إذا أنت  
قلتها لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن قال  
نعم قال فما هي قال الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب  
فلم يعد فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أما علمت يا أبا هريرة أنه كذلك عن جعفر بن محمد بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب ج عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يا علي آية نزلت من كنوز العرش خر كل صنم يعبد في  
المشرق والمغرب على وجهه وفزع إبليس وقال يحدث في هذه الليلة حدث  
كبير فانظروني أضرب لكم مشارق الأرض ومغارها فأتى يثرب فاستقبله رجل  
فتراءى له إبليس في صورة شيخ قال يا عبد الله هل حدث هذه الليلة أو في  
هذا اليوم شيء قال نعم أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نزلت  
عليه آية أصبح كل صنم خارا على وجهه فانصرف إبليس إلى أصحابه وقال  
حدث بيثرب أعظم الحدث فجاؤوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قرأت هذه الآية في دار إلا هجره الشيطان  
ثلاثة أيام أو قال ثلاثين يوما ولا يدخله ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علم  
ولدك وأهلك

(1/476)

وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن عطية العوفي عن علي رضي الله عنه  
قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو  
يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة  
إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه  
الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله عن أنس وعن جابر رفاع  
الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى موسى بن  
عمران من داوم على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيته قلوب الشاكرين  
وأجر النبيين وأعمال الصديقين وبسطت عليه يميني بالرحمة ولم أمنعه أن  
أدخله الجنة إلا أن يأتيه الموت قال موسى إلهي ومن يداوم عليها قال لا يداوم  
عليها إلا نبي أو صديق أو رجل قد رضيت عنه أو رجل أريد قتله في سبيلي  
محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
من خرج من منزله فقرأ آية الكرسي بعث الله إليه سبعين ألفا من الملائكة  
يستغفرون له ويدعون له فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته فقرأ آية الكرسي نزع  
الله الفقر من بين عينيه نافع عن ابن عمر قال بينا عمر بن الخطاب جالس في  
مسجد المدينة في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم  
يتذاكرون فضائل القرآن إذ قال قائل منهم خاتمة براءة وقال قائل خاتمة بني  
إسرائيل وقال قائل كهيعص وقال قائل طه فقدم القوم وأخروا فقال علي ج  
وأي أنتم يا أصحاب محمد عن آية الكرسي فقالوا له أخبرنا يا أبا الحسن ما  
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فقال علي رضي الله عنه قال النبي

صلى الله عليه وسلم يا علي سيد النبيين آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد  
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور  
وسيد الشجر السدر وسيد الشهور الأشهر الحرم وسيد الأيام يوم الجمعة  
وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي إن  
فيها لخمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة عمر بن أبي

(1/477)

---

المقدام قال سمعت أبا جعفر الباقر يقول من قرأ آية الكرسي مرة صرف عنه  
ألف مكروه من مكروه الدنيا وألف مكروه من مكروه الآخرة أيسر مكروه  
الدنيا الفقر وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر قوله تعالى الله إنها رفع بالابتداء  
وخبره في لا إله إلا هو  
وقيل هو رفع بالإيجاب والتحقيق كقوله عز وجل وما محمد إلا رسول و الحي  
من له الحياة وهي الصفة التي يكون الموصوف بها حيا مخالفا للجمادات  
والأموات وهو على وزن فعل مثل الحذر والطمع فسكنت الياء وأدغمت و  
القيوم فيعول من القيام وفيه ثلاث لغات القيام وهي قراءة عمر بن مسعود  
والنخعي والأعمش والقيم وهي قراءة علقمة والقيوم وهي قراءة الباقرين  
وكلها لغات بمعنى واحد والأصل قيوم وقيوام وقيوم كما يقال مافي الدار ديور  
وديوار ودير والقيوم المبالغ في القيام على خلقه قال مجاهد القيوم القائم على  
كل شيء سعيد بن جبير الذي لا نرى له الضحاك الدائم أبو روق الذي لا يلي  
الربيع القيم على كل شيء يحفظه ويرزقه الكلبي القائم على كل نفس بما  
كسبت أبو عبيد الذي لا يزول قال أحية لم يخلق السماء والنجوم والشمس  
معها قمر يقوم قدره المهيمن القيوم والحشر والجنة والجحيم إلا لأمر شأنه  
عظيم قتادة عن أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو يا حي يا قيوم  
وكان ابن عباس يقول أعظم أسماء الله عز وجل الحي القيوم وهو دائما أهل  
الخير يدل عليه ما روى القاسم عن أبي إمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث البقرة وآل عمران وطه  
قال بعضهم فنظرت في هذه السور الثلاث فرأيت فيها اسما ليس في شيء  
من القرآن في آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران ألم  
الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم لا تأخذه  
سنة قال المفسرون السنة النعاس وهو النوم الخفيف وهو ريح تجيء من قبل  
الرأس لينة فتغشي العين ورجل وسانان إذا كان بين النائم واليقظان يقال له  
وسن

(1/478)

---

يوسن وسنا وسنة فهو وسانان قال ابن الرقاع  
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم ولا نوم والنوم هو  
المستثقل المزبل للقوة والعقل فنفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه أفة ولا  
يجوز عليه الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه تغير الأحوال ولأنه قهر والله تعالى  
قاهر غير مقهور ولأنه للإستراحة ولا يناله تعب فيسترح ولأنه أخ الموت محمد

بن المنكدر عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أينام أهل الجنة قال لا النوم أخ الموت ولا يموت أهل الجنة ولأنه لو نام العقل ولو غفل لأختل ملكه وتدييره أبو عبيدة عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يرفع القسط ويخفضه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجاب النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه عكرمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى ج على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله عز وجل فأرسل الله إليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ويحبس أحدهما عن الأخرى حتى نام نومه واصطكت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله تعالى مثلا أن الله سبحانه لو نام لم يستمسك السماء والأرض له ما في السماوات وما في الأرض ملكا وخلقاً من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بأمره قال أهل الإشارة في هذه الآية جذب بها قلوب عباده إليه عاجلاً وأجلاً فسبحان من لا وسيلة إليه الآية يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم قال مجاهد وعطاء والحكم والسدي يعلم ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة الضحاك والكليبي يعلم ما بين أيديهم يعني الآخرة لأنه يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لأنهم يخلفونها ابن جريح ما بين أيديهم يعني ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم وما يكون بعد خلقهم

(1/479)

---

وقيل يعلم ما بين أيديهم يعني ما فعلوه من خير وشر وما خلفهم وأمامهم ما فعلوه ولا يحيطون بشيء من علمه أي علم الله إلا بما شاء أن يعلمهم ويطلعهم عليه وسع كرسية السماوات والأرض أي ملاً وأحاط به واختلفوا في الكرسي فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد علمه ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة ومنه قول الراجز في صفة قانص حتى إذا ما جأه تكرسا يعني علم ويقال للعلماء الكراسي قال الشاعر يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين نتوب وقال بعضهم سلطانه وملكه وقدرته والعرب تسمي أصل كل شيء الكرسي يقال فلان كريم الكرسي أي الأصل قال العجاج قد علم القدوس مولى القدس أن أبا العباس أولى النفس بمعدن الملك الكريم الكرسي قال الثعلبي رأيت في بعض التفاسير كرسية سره وأنشدوا فيه مالي بامرئ كرسى أكاتمه وهل بكرسى علم الغيب مخلوق وزعم محمد بن جرير الطبري أن الكرسي الأجل أي وسع أجله السماوات والأرض وقال أبو موسى والسدي وغيرهما هو الكرسي بعينه وهو لؤلؤ وما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس

(1/480)

---

وقال علي ومقاتل كل قامة من الكرسي طولها مثل السماوات السبع والأرضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك

أربعة وجوه أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة  
خمس مائة عام ملك على صورة سيد البشر آدمج وهو يسأل للآدميين الرزق  
والمطر من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل من دون الله  
وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور وهو يسأل للأنعام الرزق من السنة  
إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل من دون الله وملك على صورة  
سيد السباع وهو الأسد يسأل الرزق للسباع من السنة إلى السنة وملك على  
صورة سيد الطير وهو النسور يسأل الله الرزق للطير من السنة إلى السنة أبو  
إدريس الخولاني عن أبي ذر قال قلت يارسول الله إيمان أي أنزل عليك أعظم  
قال آية الكرسي ثم قال يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة  
من حديد ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على  
الحلقة وفي بعض الأخبار أن بين حملة العرش وبين حملة الكرسي سبعين  
حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمس مائة  
عام لولا ذلك لأحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش قال الحسن  
البصري الكرسي هو العرش بعينه وحكى الأستاذ أبو سعيد عبد الملك عن أبي  
عثمان الزاهد عن بعض المتقدمين أن الكرسي اسم ملك من الملائكة أضافه  
إلى نفسه تخصيصا وتفضيلا فنيه به عبادته على عظمتها وقدرته فقال إن خلقا  
من خلقي وسع السماوات والأرض فيكف تقدر قدرتي وتعرف عظمتي والله  
أعلم ولا يؤوده أي لا يثقله ولا يجهد ولا يشق عليه قالت الخنساء وحامل الثقل  
بالأعباء قد علموا إذا يؤود رجالا بعض ما حملوا وقيل يؤوده أي يسقطه من  
ثقله

(1/481)

قال الشاعر إلي وما سحرنا عداة منا عند الحمار يؤودها العقل حفظهما حفظ  
السماوات والأرض وهو العلي الرفيع فوق خلقه في التدبير والقوة والقدرة لا  
بالمسافة والمكان والجهة العظيم فلا شيء أعظم منه قال المفسرون سبب  
نزول هذه الآية أن الكفار كانوا يعبدون الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند  
الله فأنزل الله تعالى هذه الآية لا إكراه في الدين الآية قال مجاهد نزلت هذه  
الآية في رجل من الأنصار يكنى أبو الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام  
إلى المدينة يحملون الزيت فلما أراد الرجوع إلى المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين  
فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا وخرجا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
اطلبهما فانزل الله تعالى لا إكراه في الدين فقال صلى الله عليه وسلم  
أبعدهما الله فهما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى  
الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون  
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال وكان هذا قبل أن يؤمر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بقتال أهل الكتاب ثم نسخ قوله لا إكراه في الدين وأمر  
بقتال أهل الكتاب في سورة براءة وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد أنها  
منسوخة بآية السيف وقال الباقر هي محكمة سعيد بن جبير عن ابن عباس  
في قوله لا إكراه في الدين قال كانت المرأة من الأنصار تكون مثقلا لا يعيش  
لها ولد ونذورا فتندر لئن عاش لها ولد لتهودنه فجاء الإسلام وفيهم منهم فلما  
أجلت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالت الأنصار يا رسول الله أبناؤنا

وأخواننا فكست عنهم صلى الله عليه وسلم فنزلت لا إكراه في الدين الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فاجعلوهم معهم قال وكان الفصل ما بين الأنصار واليهود إجلاء بني النضير فمن لحق بهم اختارهم ومن أقام اختار الإسلام وقال

(1/482)

---

المفسرون كان لرجل من الأنصار من بني سالم ابنان فتنصرا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصاري يحملون الطعام فأتاهما أبوهما فلزمهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فأبيا أن يسلما فأختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين الآية فخلى سبيلهما ابن أبي حاتم عن مجاهد قال كان ناس مسترضعين في اليهود قريظة والنضير فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإجلاء بني النضير فقال نسائهم من الأوس الذين كانوا مسترضعين فيهم لنذهبن معهم ولتذنين بذنبهم فمنعهم أهلوههم وأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام فنزلت هذه الآية لا إكراه في الدين قتادة والضحاك وعطاء وأبو روق والواقدي معنى لا إكراه في الدين بعد إسلام العرب إذا قبلوا الجزية وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل عنهم إلا الإسلام أو السيف وأكرهوا على الإسلام فلم يقبل منهم الجزية ولما أسلموا ولم يبق أحد من العرب إلا دخل في الإسلام طوعا أو كرها أنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فامر أن يقاتل أهل الكتاب والمجوس والصائبين على أن يسلموا أو أن يقرروا بالجزية فمن أقر منهم بالجزية قبلت منه وخلى سبيله ولم يكره على الإسلام وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب فلما أسلمت العرب طوعا أو كرها قبل الخراج من غير أهل الكتاب فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي وأهل هجر يدعوهم إلى الإسلام إن من شهد شهادتنا وصلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وكان بديننا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فإن أسلمتم فلکم مالنا وعليکم ما علينا ومن أبى الإسلام فعليه الجزية فكتب المنذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنني قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أسلم ومنهم من أبى فأما اليهود والمجوس فأقروا الجزية وكرهوا

(1/483)

---

الإسلام فرضي النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالجزية فقال منافقوا أهل المدينة زعم محمد أنه لم يؤمر بأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فما باله قبله من مجوس هجر وقد رد ذلك على آبائنا وأخواننا حتى قتلهم فشق ذلك على المسلمين فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين يعني بعد إسلام العرب وروى شريك عن عبد الله بن أبي هلال عن وسق قال كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنت نصرانيا وكان يقول يا وسق أسلم فإنك لو أسلمت لوليتك بعض أعمال المسلمين فإنه ليس يصلح أن يلي أمرهم من ليس على دينهم فأبيت عليه فقال لا إكراه في الدين

فلما مات أعتقني وقال ابن أبي نجیح سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصراني يا جريبر أسلم ثم قال هكذا كان يقال أم لا يكرهون

(1/484)

---

وقال الزجاج وغيره هو من قول العرب أكرهت الرجل إذا نسبتة إلى الكره كما يقال أكفرتة وأفسقته وأظلمته إذا نسبتة إليها قال الكميت وطائفة قد أكفروني بحكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب ومعنى الآية لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الإسلام أنه دخل مكرها ولا تنسبوا فمن دخل في الإسلام إلى الكره يدل عليه قوله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قد تبين الرشد من الغي قد ظهر الكفر من الإيمان والهدى من الضلالة والحق من الباطل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله ورسوله فقد رشد وعن مقاتل بن حسان قال زعم الضحاك أن الناس لما دخلوا في الإسلام طوعا أو كرها ولم يبق من عدو نبي الله من مشركي العرب أحد إلا دخلوا في الإسلام طوعا أو كرها وأكمل الدين نزل لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي من شاء أسلم ومن شاء أعطى الجزية وقرأ الحسن ومجاهد والاعرج الرشد بفتح الراء والشين وهما لغتان كالحزن والحزن والبخل والبخل وقرأ عيسى بن عمر الرشد بضمين وقرأ الباقر بضم الراء وجزم الشين وهما لغتان كالرعب والرعب والسحت والسحت فمن يكفر بالطاغوت يعني الشيطان قاله ابن عمرو بن عباس ومقاتل والكلبي وقيل هو الصنم وقيل الكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله وقال أهل المعاني الطاغوت كل ما يغطي الإنسان وهو فاعول من الطغيان زيدت التاء فيه بدلا من لام الفعل كقوله حانوت وتابوت وقال أهل الإشارة طاغوت كل امرئ نفسه بيانه قوله إن النفس لأمارة بالسوء الآية ويؤمن بالله عن سعيد قال الإيمان التصديق والتصديق أن يعمل العبد مما صدق به من القرآن

(1/485)

---

وعن ابن عباس قال أخبر الله تعالى إن الإيمان هو العروة الوثقى ولا يقبل عمل إلا به وعن ابن عباس أيضا قال أخبر الله تعالى أن الإيمان لا إله إلا الله فقد استمسك تمسك واعتصم بالعروة الوثقى بالعصمة الوثيقة المحكمة لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولي أمرهم لا يكلهم إلى غيره يقال توليت أمر فلان ووليته ولاية بكسر الواو وقيل أولى وأحق بهم لأنه يربهم وقال الحسن ولي هداهم يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الكفر والضلالة إلى الإيمان والهداية وكذلك كانوا في علم الله عز وجل قبل أن يخلقهم فلما خلقهم مضى فيهم علمه فأمنوا وقال الواقدي كل شيء في القرآن من الظلمات والنور فإنه أراد به الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام وجعل الظلمات والنور فإنه يعني به الليل والنهار قال ابن عباس هؤلاء قوم كفروا بعيسى ج ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الكفر بعيسى إلى إيمانهم بالمصطفى وسائر الأنبياء عليهم السلام وقال غيره هو عام لجميع المؤمنين وقال ابن



عطاء هذه الآية تغنيهم من صفاتهم بصفة فيصرون قائمين بالحق للحق مع الحق الواسطي يخرجهم من ظلمات نفوسهم إلى آدابها كالرضا والصدق والتوكل والمعرفة والمحبة أبو عثمان يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المنن والأفضال وقيل يخرجهم من ظلمات الوحشة والفرقة إلى نور الوصيلة والقربة والذين كفروا أوليائهم الطاغوت هكذا قرأه العامة وقرأ الحسن الطواغيت على الجمع قال أبو حاتم العرب تجعل الطاغوت واحدا وجمعا ومذكرا ومؤنثا قال الله تعالى في الواحد والمذكر يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به وقال في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال في الجمع يخرجهم من النور إلى الظلمات قال ابن عباس يعني بالطاغوت الشيطان

(1/486)

---

قال مقاتل يعني كعب بن الأشرف ويحيى بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة يخرجونهم ويدعونهم من النور إلى الظلمات دليله قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور يعني أدعوهم فإن قيل ما وجه قوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط وكيف يخرجونهم مما لم يدخلوا فيه فالجواب ما قال مقاتل وقتادة هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به ووجدوا ما وجدوه في كتبهم من نعته وصفته ونبوته بيانه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فذلك خروجهم من النور يعني بإيمانهم بمحمد قبل البعث ويعني بالظلمات كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد البعث والإدخال والإخراج إلى الله عز وجل لا إلى غيره إلا علي سبيل الشريعة والتفريع قال الله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجراها أهل المعاني على العموم في جميع الكفار وقالوا منعه إياهم من الدخول فيه إخراج وهذا كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه فقال الله تعالى إخبارا عن يوسف إنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن أبدا على دينهم حتى تركه قال الله تعالى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ولم يكن فيه قط وقال أمرؤ القيس وبأكلون البديل قد عاد احما قط قال له الأصوات ذي كلا نجلي وقال آخر أطعت النفس في الشهوات حتى أعادتني عسيفا عبد عبد ولم يكن عبدا قط وقال الغنوي فإن تكن الأيام أحسن مرة إلي فقد عادت لهن ذنوب

(1/487)

---

ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين أو كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى

حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي خاصم وجادل وأصلها من الحجة وهو نمرود بن كنعان بن سخاريب بن كوش بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية أن أتاه الله الملك أي لأن أتاه الله الملك فطغى وموضع أن نصب بنزع حرف الصفة العلاء بن عبد الكريم الأيامي عن مجاهد قال ملك الأرض مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلیمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المناظرة فقال مقاتل لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعوننا إليه قال ربي الذي يحيي ويميت وقال آخرون كان هذا بعد إلقائه في النار عبد الرزاق عن معمر بن زيد بن أسلم أن أول جبار في الأرض كان نمرود بن كنعان وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام قال فخرج إبراهيم ج يمتار فإذا مر به أناس قال من ربكم قالوا أنت حتى مر به إبراهيم قال من ربك قال الذي يحيي ويميت كما ذكره الله تعالى قال فرده بغير طعام فرجع إبراهيم ج إلى أهله فمر على كتيب من رمل أعفر فقال ألا أخذ من هذا فأتني به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فأخذ منه فأتني به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو أجود طعام رآه أحد فصنعت له منه

(1/488)

فقربت إليه وكان عهد بأهله ليس لهم طعام فقال من أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعرف أن الله رزقه فحمد الله قال ثم بعث الله ملكا إلى الجبار أن آمن بي فأتركك على ملكك فقال نمرود وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك فأبى عليه ثم أتاه الثالثة فأبى عليه وقال لا أعرف الذي تقول ألبك جنود قال نعم قال فليقاتلني إن كان ملكا فإن الملوك يقاتل بعضهم بعضا قال له الملك نعم إن شئت قال قد شئت قال فاجمع جندك إلى ثلاثة أيام حتى تأتيك جنود ربي قال فجمع الجبار جنوده فأوحى الله عز وجل إلى خزنة البعوض أن افتحوا منها ففتحوا بابا من البعوض فلما أصبح اليوم الثالث نظر نمرود إلى الشمس فقال ما بالها لا تطلع وظن أنها أبطئت فقال الملك حال دونها جنود ربي قال فأحاطت بهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق من الناس والدواب إلا العظام ونمرود كما هو لم يصبه شيء فقال له الملك أتؤمن الآن قال لا فأمر الله عز وجل بعوضة فقرصت شفته السفلى فشربت وعظمت ثم قرصت شفته العليا فشربت وعظمت ثم دخلت منخره وصارت في دماغه وأكلت من دماغه حتى صارت مثل الفأرة فمكث أربعمئة سنة يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من كان يجمع يده ثم يضرب به رأسه فعذبه الله أربعمئة سنة كما ملك أربعمئة سنة قال الله عز وجل إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت وهو جواب سؤال سابق غير مذكور تقديره قال له من ربك قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت

(1/489)

---

قرأ الأعمش وحمزة وعيسى ربي الذي بإسكان الياء وقرأ الباقر بفتح  
لمكان الألف واللام فقال نمرود أنا أحبي وأميت قرأ أهل المدينة أنا بالمد في  
جميع القرآن وهو لغة قوم يجعلون الوصل فيه كالأصل وأنشد الكسائي أنا  
سيف العشرة فأعرفوني حميد قد تذريت السنما وقال آخر أنا عبيد الله يميني  
عمر خير قريش من مضى ومن غير إلا رسول الله والشيخ الأغر والأصل في  
أنا أن تفتح النون وابتغي لها الوقت فكتبت ألفا على نية الوقف فصار أنا وأكثر  
العرب يقول في الوقف أنه قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل  
أحدهما واستحيا الآخر فسمى ترك القتل إحياء كقوله ومن أحيائها فكأنما أحياء  
الناس جميعا أي لم يقتلها وقال السدي في قوله تعالى أنا أحبي وأميت قال  
أخذ أربعة نفر فأدخلهم بيتا فلا يطعمون ولا يسقون حتى إذا أشرفوا علي  
الهلاك أطعم اثنين وسقاها وتترك اثنين فماتا فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لا  
عجزا لأن له أن يقول فأحي من أمت إن كنت صادقا بل أيضا بالحجة فقال  
قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس كل يوم من المشرق فات بها من المغرب  
فبهت الذي كفر أي تحير ودهش وانقطعت حجتة يقال رجل مبهوت أي  
مدهوش قال الشاعر ألا إن لرائها فجأة فأبهت حتى ما أكاد أسير وقرأ محمد  
بن السميع اليماني فبهت بفتح الباء والهاء أي بهته إبراهيم تصديقه قوله  
تعالى بل تأتيهم بغتة فتبتهم أي تدهشهم

(1/490)

---

والله لا يهدي القوم الظالمين إلى الحجة أو كالذي مر على قرية هذا عطف  
على معنى الآية الأولى تقديره هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه أو هل  
رأيت كالذي مر على قرية قال بعض نحاة البصرة الكاف صلة كأنه قال ألم ير  
إلى الذي أو الذي واختلفوا في ذلك المار من هو فقال قتادة والربيع وعكرمة  
وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وسليم الخواص هو  
عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير هو أرميا بن  
خلفيا وكان من سبط هارون ابن عمران وهو الخضر وقال مجاهد هو رجل كافر  
شك في البعث واختلفوا في القرية التي عليها فقال وهب وعكرمة وقاتة  
والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال ابن زيد  
الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر موت وقال  
الكلبي هي دير سائداباذ وقال السدي هي سلماباد وقيل دير هرافيل وقيل  
قرية العنب وهو على فرسخين من بيت المقدس وهي خاوية ساقطة يقال  
خوى البيت يخوى خوى مقصورا إذا سقط وخوى البيت بالفتح خوا ممدود إذا  
خلا على عروشها سقوفها وأبنيتها واحدها عرش وجمعه القليل أعرش وكل  
بناء عرش يقال عرش فلان إذا بني فهو يعرش ويعرش عرشا قال الله وما  
كانوا يعرشون أي يبنون ومعنى الآية إن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان  
عليها وقيل على بمعنى مع أي خاوية مع عروشها قال الشاعر كان مصفحات  
في ذراه وأبراجا عليهن المآلي أي معهن نظيرها في سورة الكهف والحج

(1/491)

---

قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وكان السبب في ذلك على ماروى محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه إن الله سبحانه وتعالى قال لأرميا ج حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل يا أرميا من قبل أن خلقتك اخترتك ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدستك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ولأمر عظيم أحببتك فبعث الله أرميا إلى ناشئة بن أموص ملك بني إسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الأحداث في بني إسرائيل فركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فأوحى الله تعالى إلى أرميا أن ذكر قومك نعمي وعرفهم أحداثهم فادعهم إلي فقال أرميا إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تنصروني فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرميا فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها وإني أنا الله بعزتي لأقضين لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم فأوحى الله تعالى إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل بيافت وبيافت أهل بابل وهم من ولد يافت بن نوح فلما سمع ذلك أرميا صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرميا وهو الخضرج وبكاه ناداه يا أرميا أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به فقال الله عز وجل وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك ففرح بذلك أرميا وطابت نفسه وقال والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال إن يعذبنا ربنا فيذنوب كثيرة لنا وإن عفا عنا فبرحمته ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستمائة ألف راية تريد أهل بيت المقدس فلما

(1/492)

---

فصل سائرا أتى الخبر الملك فقال لأرميا أين مازعمت أن الله أوحى إليك فقال أرميا إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل وعزم الله تعالى على هلاكهم بعث الله إلى أمريا ملكا قد تمثل له رجلا من بني إسرائيل فقال يا نبي الله أستعينك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم أت إليهم إلا حيننا ولا يزيدون مع إكرامي إياهم إلا اسخاطا لي فأفتني فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرميا أوما ظهرت أخلاقهم لك بعد قال يانبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل فقال النبي أرجع إلى أهلك وأحسن إليهم وإسأل الله تعالى الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بخت نصر وجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ففرع بني إسرائيل وشق عليهم فقال الملك لأرميا يانبي الله أين ما وعدك الله قال إني بربي واثق ثم أقبل الملك إلى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس فضحك واستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه وقال أنا الذي أنبأتك في

شأن أهلي مرتين فقال النبي ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يانبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم أصير عليه فالיום رأيتهم في عمل لا يرضى الله عز وجل به فقال النبي على أي عمل رأيتهم قال عمل عظيم من سخط الله فغضبت لله ولك وأتيتك لأخبرك وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم فقال أرميا يا مالك السماوات والأرض إن كانوا على حق وصواب فابقهم وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فم أرميا أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء في بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف سبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السماوات

(1/493)

---

والأرض أين ميعادك الذي وعدتني فنودي أنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك ودعائك فاستيقن النبي أنها فتياه التي أفتى بها وأنه رسول ربه فطار أرميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقفذوا فيه التراب حتى ملاؤهم ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل واختار منهم مائة ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة أعلمة وفرق بخت نصر من بقى من بني إسرائيل ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا أسر وثلثا قتل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر عنهم راجعا إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرميا على حمار له معه عصير عنب في زكرة وسلّة تين حتى أتى ايليا فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وقال الذين قالوا إن هذا المار كان عزيزا إن بخت نصر لما خرب بيت المقدس وأقدم بسبي بني إسرائيل إلى أرض بابل كان فيهم عزيز وكان من علماء بني إسرائيل ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار حتى نزل على دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحد وعلم بخبرها فأكل من الفاكهة وعصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا رجعا إلى حديث وهب قال ربط أرميا حماره بحبل جديد فألقى الله عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة سنة وأمات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطيور لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله عز وجل ملكا إلى ملك من بني

(1/494)

---

اسرائيل عظيم يقال له يوسك فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تنفر قومك فتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى تعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه الله تعالى من بقى من بني إسرائيل ولم يمت ببابل وردهم جميعا إلى بيت المقدس ونواحيه فعمروه ثلاثين سنة وكثروا حتى صاروا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيا الله تعالى منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره وإذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء أيها العظام البالية إن الله يأمرك

(1/495)

---

أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي إن الله يأمرك أن تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي إن الله يأمرك أن تحيي فقام بأذن الله ونهق الحمار وعمر الله أرميا فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى فأماته الله مائة عام ثم بعثه أي أحياه قال كم إستفهام عن مبلغ العدد لبثت قرأ ابن محيص والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي لبث ولبثتم بالإدغام في جميع القرآن الباقون بالإظهار فمن أدغم فلا يجاوره في المخرج والمشاكلة في الهمس ومن أظهر فلاظهارها في المصحف وكلاهما غريبان فصيحان ومعناه كم مكثت وأقمت هاهنا يقال لبث يلبث لبثا واللباثا قال لبثت يوما وذلك إن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى إن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم بمعنى بل بعض يوم لأن قوله بعض يوم رجوع عن قوله لبثت يوما كقوله أو يزيدون قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك يعني التين وشرابك يعني العصير لم يتسنه قرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء وصلا وكذلك في قوله فبهدهم أقتده وقرأ الباقون بالهاء فيها وصلا ووقفا وذكر أبو حاتم عن طلحة لم يتسنه بادغام التاء في السين وزعم أنه في حرف أبي كذلك ومعناه لم تغيره السنون فمن أسقط الهاء في الوصل حول الهاء صلة زائدة وقال أصله لم يتسنني فحذف الياء بالجزم وأبدل منها هاء في الوقف وهذا على قول من جعل الهاء في السنة زائدة وقال أصلها يسنوه وجمعها سنوات والفعل منه سانيت مساناة وتسنييت تسنيا إلا أن الواو يرد إلى الباقي التفعّل والتفاعّل كقولهم التداعي والتداني لأن الياء أخف من الواو وقال أبو عمر وهو من التسنن بنونين وهو التغيير كقوله من حما مسنون أي

(1/496)

---

متغير ثم عوضت عن إحدى النونين كقول الشاعر فهلا إذ سمعت بحثت عنه ولم تمس الحكومة بالتطني أراد بالتعين قال العجاج تفصي البازي إذ البازي كسر أراد تفضض وتقول العرب نتلعي إذا خرجوا في إجتناء نبت ناعم يقال له المقاع قال الله تعالى وقد خاب من دساها أي دسها ومن أثبت الهاء في الحاليين جعلها هاء أصلية لام الفعل وعلى هذا قول من جعل السنة سنهية

وتصغيرها سنيهة والفعل منه المسانهة قال الشاعر ليست بسنها ولا رجبية  
ولكن عرايا في السنين الجوائح فإن قيل أخبر عن شيئين اثنين ثم قال لم  
يتسنه ولم يثنه قيل لأن التغيير راجع إلى أقرب اللفظين وهو السنوات واكتفى  
بذكر أحد المذكورين عن الآخر لأنه في موضع الفاني كقوله الشاعر عقاب  
عقبناه كان وظيفه وخرطوعة إلا على سنان فلوج ولم يقل سنانان فلوجان  
ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه  
وأنظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس قال أكثر العلماء في الآية تقديم وتأخير  
أي وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ولنجعلك آية للناس وأنظر إلى  
حمارك ويحتمل أن يكون المعنى فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وأنظر  
إلى حمارك وأنظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فأما تفسير الآية  
والقراءات فيها فقراً خارجة والأعرج وعيسى بن عمر وابن عامر وأبو عمرو  
وحمزة والكسائي حمارك والحمار بالأماله الباقون بالتفخيم وقوله تعالى كيف

(1/497)

---

ننشزها قرأ أبي بن كعب وعبد الله بن عامر والأعمش وحمزة والكسائي  
وخلف ننشزها بالراء وضم النون وكسر الشين وروى أبو العالية عن زيد بن  
ثابت قال إنما هي راء قرؤها زاء أي أنقطها وكذلك روى معاوية بن قره عن ابن  
عباس بالزاي واختاره أبو عبيدة وانشاز الشيء رفعه ونقله وإزاجه فقال  
أنشزته فنشز أي رفعته فارتفع ومنه نشز المرأة على زوجها ونشز الغلام أي  
ارتفع فمعنى الآية كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد  
ونركب بعضها على بعض قال ابن عباس والسدي نخرجها والكسائي فننبتها  
ونعظمها قتادة وعطاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب  
وأيوب ننشزها بالراء وضم النون وكسر الشين وأختاره أبو حاتم ومعناه نحيتها  
فقال أنشز الله الميت إنشازاً فينشز هو نشورا قال الله تعالى ثم إذا شاء  
أنشزه وقال هم ينشرون وقال بل كانوا لا يرجون نشورا وقال كذلك النشور  
وإليه النشور وقال حارثة بن بدر الغداني فأنشز موتاه وأفسط بينها فبان وقد  
ثابت إليها عقولها وقال الأعشى في اللزم حتى يقول الناس مما رأوا يا عجا  
للميت الناشر وقرأ الحسن والمفضل ننشزها بالراء وفتح النون وضم الشين  
قال الفراء ذهب إلى النشر والطي وقال بعضهم هو من الإحياء أيضا يقال  
أنشز الله الميت ونشزه إذا أحياه قال أبو حاتم وليس بالمعروف وقرأ النخعي  
بالراء وفتح النون وضم الشين قال أبو حاتم ذلك غلط وقال غيره يقال نشزه  
ونشطه وأنشزه بمعنى واحد ثم نكسوها لحما أي نكسوها ونواربها به كما  
نوارى الجسد بالثوب واختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم أراد به عظام  
حماره وذلك أن الله تعالى أمات حماره ثم أحياه خلقا

(1/498)

---

سويا وهو ينظر قال السدي إن الله أحيأ عزيرا ثم قال انظر إلى حمارك قد  
هلك ولبيت عظامه فبعث الله عز وجل ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل  
سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع واجتمعت فركب بعضها في بعض وهو

ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحما ودما فصار حمارا ليس فيه روح ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ منخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله ومعنى الآية على هذا القول وانظر إلى لحم حمارك وإلى عظامه كيف ننشزها فلما حذف الهاء من العظام أبدل الألف و وعلى هذا أكثر المفسرين وقال آخرون أراد به عظام هذا الرجل نفسه وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره فأحيا الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائما واقفا كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرقية في عنقه جديدا لم تتغير وتقدير الآية على هذا القول فانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشزها وهذا قول الضحاك وقتادة والربيع وابن زيد ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك لنجعلك وإن شئت جعلت الواو مفخمة زائدة كقول الشاعر الأسود بن جعفر فإذا وذلك لا مهاة لذكوره والدهر يعقب صالحا بفساد أي فإذا ذلك ومعنى الآية فعلنا هذا بك لنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقال الضحاك وغيره هذه الآية أنه عاد إلى قريته شابا وإذا أولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية وروى قتادة عن كعب وعن الحسن ومقاتل وجوبير عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله ابن إسماعيل السدي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس قالوا لما أحيا الله عزيرا بعدما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر منازلهم فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وكفلته فلما أصابها الكبر

(1/499)

أصابها الزمانة فقال لها عزير يا هذه أهذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فإني أنا عزير قالت سبحان الله إن عزيرا قد فقدناه من مائة سنة فلم نسمع بذكره قال فإني أنا عزير كان الله عز وجل أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فإن عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فادع الله حتى يرد علي بصري حتى أراك فإن كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح يده على عينها ففتحت وأخذ بيدها وقال قومي بإذن الله فاطلق الله عز وجل رجلها فقامت صحيحة بإذن الله كأنها نشطت من عقال فنظرت فقالت أشهد إنك عزير فأنطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه عز وجل فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم إن الله تعالى كان أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ابنه كانت لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير قال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي هو أن عزيرا رجع إلى قريته وقد أحرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله تعالى عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فاتاه ملك بأناء فيه ماء فسقاه من ذلك الإناء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد



علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير ولم يصدقون وقال حدثنا أبائنا إن عزيرا مات بأرض بابل فقال أنا عزير بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم فقالوا أملها علينا إن كنت صادقا فأملها عليهم من ظهر قلبه وقال رجل منهم حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم لأبي فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم فأروه فأخرجها لهم فعارضوها بما أملى عزير فما اختلفا في حرف ولم يقرأ التوراة منذ أنزلت عن ظهر قلبه إلى هذا

(1/500)

---

اليوم غير عزير فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعدما نسخت وذهبت إلا أنه ابنه فعندها قالوا عزير ابن الله وسنذكر هذه القصة بالاستقصاء في سورة التوبة إن شاء الله فلما تبين له ذلك عيانا قال أعلم أن الله على كل شيء قدير قرأ ابن عباس وأبو رجاء وحمزة والكسائي قال أعلم موصولا مجزوما على الأمر بمعنى قال الله له أعلم يدل عليه قراءة عبد الله والأعمش قل أعلم وقرأ الباقون قال أعلم معطوفا مرفوعا على الخبر عن عزير أنه قال لما رأى ذلك أعلم أن الله على كل شيء قدير عن المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار إلا كلب أصحاب الكهف وحمار أرميا الذي أماته الله مائة عام وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولاكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى الآية إن قيل ما السبب في مسألة إبراهيم ربه عز وجل أن يريه كيف يحيى الموتى وما وجه ذلك وهل كان إبراهيم شاكا في إحيائه الموتى حتى قال ولكن ليطمئن قلبي فالجواب عنه من وجوه قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريح كان سبب ذلك السؤال أن إبراهيم أتى على دابة ميتة قال ابن جريح كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطاء بحيرة الطبرية قالوا فراها وقد توزعتها دواب البر والبحر وكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير في الماء وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير ترابا فإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلن منها فما سقط قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك إبراهيم ج تعجب منها وقال يارب قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع وحواصل الطيور وأجواف دواب البر فأرني كيف تحيها لأعين ذلك فأزداد يقينا فعاتبه الله عز وجل فقال قال أولم تؤمن بإحياء الموتى قال

(2/1)

---

بلى يارب علمت وآمنت ولكن ليس الخبر كالمعاينة فذلك قوله ولكن ليطمئن قلبي أي يسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة فعلى هذا القول أراد إبراهيم ج أن يصير له علم اليقين عين اليقين كما أن الإنسان يعلم الشيء ويتيقنه ولكن يحب أن يراه من غير شك له فيه كما أن المؤمنين يحبون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ورؤية الجنة ورؤية الله تعالى مع الإيمان بذلك وزوال الشك فيه

قال ابن زيد مر إبراهيم ج بحوت ميت نصفه في البر ونصفه في البحر فما كان في

(2/2)

---

البحر فدواب البحر تأكله وما كان في البر فدواب البر تأكله فقال له الخبيث إبليس متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بذهب وسوسة إبليس منه وبصير الشيطان خاسرا صاغرا وقال بعضهم إن إبراهيم ج لما أحتج علي نمرود وقال ربي الذي يحيي ويميت وقال أنا أحيي وأميت وقتل ذلك الرجل وأطلق الآخر قال إبراهيم فإن الله عز وجل يحيي بأن يقصد إلى جسد ميت فيحييه ويجعل الروح فيه فقال له نمرود أنت عاينت هذا فلم يقدر أن يقول نعم رأيت فانتقل إلى حجة أخرى فقال إن الله عز وجل يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ثم سأل ربه فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حتى إذا قال لي قائل أنت عاينت أقول نعم قد عاينت ولا أحتاج إلى الإنصاف لأي حجة أخرى وليعلم نمرود إن الإحياء كما فعلت لا كما فعل هو وهذا معنى قول محمد بن إسحاق عن ابن يسارة روى في الخبر إن نمرود قال لإبراهيم ج أنت تزعم إن ربك يحيي الموتى وتدعوني إلى عبادته فسل لربك يحيي الموتى إن كان قادرا وإلا قتلتك فقال إبراهيم ج رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتى ونجاتي من القتل فإن عدو الله توعدني بالقتل إن لم تحيي له ميتا وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي لما أتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم ج أغبر الناس إذا خرج أغلق بابه فلما دخل وجد في داره رجلا فثار إليه ليأخذه فقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال ملك الموت أذن لي رب هذه الدار قال إبراهيم صدقت وعرف أنه ملك الموت فقال من أنت قال ملك الموت جئت أبشرك بأن الله عز وجل أتخذك خليلا فحمد

(2/3)

---

الله تعالى وقال له ما علامة ذلك قال أن يجيب الله دعائك ويحيي الموتى بسؤالك ثم أنطلق ملك الموت فقال إبراهيم ج رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بعلمي أنك تجيبني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك واتخذتني خليلا محمد بن مسلم عن سعيد بن المسيب وأبي عبيدة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله إبراهيم نحن أحق بالشك منه قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ثم قرأ إلى آخر الآية محمد بن إسحاق بن خزيمة قال سمعت أبا إبراهيم المزني يقول معنى قوله ج نحن أحق بالشك من إبراهيم إنما شك إبراهيم أجيبه الله عز وجل إلى ما يسأل أم لا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم النصر أباذي سئل عن هذه الآية فقال حن الخليل إلى صنع خليله ولم يتهمه فذلك قوله عز وجل أولم تؤمن يعني أنت مؤمن شهد له

بالإيمان كقول جرير أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح  
يعني أنتم كذلك قال بلى ولكن ليطمئن ليسكن قلبي بزيادة اليقين والحجة  
وحقيقة الخلّة وإجابة الدعوة قال الله تعالى لإبراهيم فخذ أربعة من الطير  
مختلفة أجناسها وطباعتها ليكون أبلغ في القدرة وخص الطائر من سائر  
الحيوان لخاصية الطيران واختلفوا في ذلك الطير ماهي فقال ابن عباس أخذ  
طاووسا ونسرا وغرابا وديكا مجاهد وعطاء بن يسار وابن جريح وابن زيد كانت  
غرابا وديكا وطاووسا وحمامة سعيد بن أيوب عن سعيد بن الحرث الغراب عن  
أبي هريرة السناني أنها الطاووس والديك والغراب والحمامة

(2/4)

---

قال عطاء الخراساني أوحى الله عز وجل لنبيه أن أحضر أربعة من الطير بطة  
خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر فصرهن إليك قرأ علي بن أبي  
طالب كرم الله وجهه وأبو الأسود الدؤلي وأبو رجاء العطاردي وأبو عبد  
الرحمن السلمي والحسن البصري وعكرمة والأعرج وشيبة ونافع وابن كثير  
وابن عامر وعاصم والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وأيوب بضم الصاد وأختره  
أبو عبيد وأبو حاتم إضممهن ووجههن إليك يقال صرت الشبيء أصوره إذا أملته  
قال امرؤ القيس وأفرع مبال يكاد يصورها وعجز كدعص أثقلته البوايص وقال  
الطرماح عفايف الأذبال أو أن يصورها هوى والهوى للعاشقين صروع أي يميلها  
هوى ويقال رجل أصور إذا كان مائل العنق ويقال إني إليكم لأصور أي مشتاق  
مائل وامرأة صورا والجمع صور مثل عوداء وعود قال الشاعر الله يعلم أنا  
في تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا صور وقال عطاء وعطية وابن زيد والمؤرخ  
معناه أجمعهن وأضممهن يقال صار يصور صورا إذا جمع ومنه قيل إني إليكم  
لأصور قال الشاعر وجاءت خلعة دهس صفايا يصور عنوقها أحوى زنيم أي بضم  
خلعة والخلعة خيار المال ودهس على لون الدهاس وهو الرمل صفايا غزار  
معجبة

(2/5)

---

قال أبو عبيدة وابن الأنباري معناه قطعهن وأصغر القطع قال به ابن الحمير  
فلما جذبت الحبل أطت نسوعه بأطراف عيدان شديد أسورها فأدنت لي  
الأسباب حتى بلغتها بنهض وقد كاد أرتقائي يصورها قال رؤبة صرنا به الحكم  
واعيا الحكمما أي قطعنا الحكم به وقرأ علقمة وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير  
وظلحة وقتادة وأبو جعفر ويحيى بن رثاب والأعمش وحمزة وخلف فصرهن  
بكسر الصاد ومعناه قطعهن وفرقهن يقال صار يصير صيرا إذا قطع وأنصار  
الشيء بنصار أنصارا إذا انقطع قالت الخنساء فلو تلاقي الذي لاقته مضر  
لظلت الشم منها وهي تنصار أي مقطوع مصدع وتمهيد وأنشد أبو سهيل محمد  
بن محمد الأشعث الطالقاني في العزائم وغلّام رأيت صار كلبا ساعتين صار  
غزالا وقال الفراء هو مقلوب من صرت أصري صريا إذا قطعت فقدمت هاويا  
كما يقال عوث وعاث يعني قطعهم ثم قلب فليل صار قال الشاعر يقولون إن  
الشام يقتل أهله فمن لي إذ لم آته بخلود تغرب أبائي فهلا صراهم من الموت

إن لم يذهبوا وجدودي وقال بعضهم معناه أملهن وهي لغة هذيل وسليم وأنشد  
الكسائي وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالج أي  
الجيد يميله من كثرته

(2/6)

وعن ابن عباس فيه روايتان فصرهن مفتوحة الصاد مشددة الراء مكسورة من  
التصرية وهي الجمع ومنه المصرة والثاني فصرهن بضم الصاد وفتح الراء  
وتشديدها من الصرة وهي في معنى الجمع والشد أيضا فمن تأوله على القطع  
والتفريق ففي الكلام تقديم وتأخير تقديره فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن  
ومن فصره على الضم ففيه إضمار معناه فصرهن إليك ثم قطعهن فحذفه  
فاكتفى بقوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا لأنه يدل عليه وهذا كما  
يقال خذ هذا الثوب واجعل على كل رمح عندك منه علما يريد قطعه واجعل  
على كل رمح علما ثم اجعل على كل جبل منهن لفظه عام ومعناه خاص لأن  
أربعة من الطير لا يبلغ الجبال كلها ولا كان إبراهيم ج يصل إلى ذلك فهذا كقوله  
عز وجل وأتيت من كل شيء كقوله تدمر كل شيء جزءا قرأ عاصم رواية أبي  
بكر والمفضل جزءا مثقلا مهموزا حيث وقع وقراء أبو جعفر جزءا مشددة الزاء  
وقرأ الباقون مهموزا مخففا وهي لغات معناها النصيب والبعض قال  
المفسرون أمر الله تعالى إبراهيم ج أن يذبح تلك الطيور بريشها ويقطعها  
ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ذلك  
إبراهيم ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الأجزاء  
والجبال قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن أبي إسحاق أمر بأن يجعل كل  
طائر أربعة أجزاء ثم يعمد إلى أربعة أجبل فيجعل على كل جبل ربعا من كل  
طائر ثم يدعوهم تعالين بإذن الله هذا مثل ضربه الله عز وجل لإبراهيم وأراه  
إياه يقول كما بعثت هذه الأطيار من هذه الأجل الأربعة فكذلك أبعث الناس  
يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها وقال ابن جريج والسدي جزأها سبعة  
أجزاء فوضعها على سبعة أجبل ففعل ذلك وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن  
تعالين بأمر الله سبحانه فجعل كل قطرة من دم طير تطير إلى القطرة  
الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يصير إلى الآخر وكل  
بضعة تذهب إلى الأخرى وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في

(2/7)

السماء بغير رأس ثم أقبلن إلي فكلما جاء طائر مال برأسه فإن كان رأسه دنا  
منه وإن لم يكن رأسه تأخر حتى يلقي كل طائر برأسه  
فذلك قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا هو مصدر أي يسعين سعيا وقيل نصب بنزع  
حرف الصفة أي بالسعي واختلفوا في معنى السعي فقال بعضهم هو الإسراع  
والعدو وقال بعضهم مشيا على أرجلهن كقوله سبحانه في سورة القصص  
وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى نظيره في سورة الجمعة فاسعوا إلي ذكر  
الله أي فامضوا والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبلغ في الحجة وأبعد  
من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير أو أن أرجلها غير

سليمة والله أعلم وقال بعضهم هو بمعنى الطيران وقال النضر بن شميل سألت الخليل بن أحمد عن قوله يأتينك سعيا هل يقال لطائر إذا طار سعي قال لا قلت فما معنى قوله يأتينك سعيا قال معناه يأتينك وأنت تسعى سعيا قال الثعلبي سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا الحسن الأقطع وكان حكيمًا يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع وظاهر الآية ما ذكره أهل التفسير وبطنها إن إبراهيم ج أمر بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين الأياس كما ذبح في الظاهر الأربعة الأطيوار بسكين الحديد فالنسر مثل لطول العمر والأجل والطاووس زينة الدنيا وبهجتها والغراب الحرص والديك الشهوة قال الله تعالى وأعلم أن الله عزيز حكيم مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلته كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا

(2/8)

لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين مثل الذين ينفقون أموالهم الآية فيها إضمار واختصار تقديرها مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم فإن شئت قلت مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع حبة أنبتت أخرجت سبع سنابل جمع سنبلة أدغمها أبو عمر وأبو غزيرة وحمزة والكسائي وأظهرها الباقون فمن أدغم فلأن التاء والسين مهموزتان ألا ترى أنهما متعاقبان أنشد أبو عمرو يالعين الله بني السعلاة عمرو بن ميمون لئام النات أراد لئام الناس فحول السين تاء ومن أبرز فلأنهما كلمتان وهو الأصل واللغة الفاشية في كل سنبلة مائة حبة أبو جعفر والأعمش يتركان خمس مائة ومائة حيث كانت استخفافا وقرأ الباقون بالمد فإن قلت هل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو هل بلغك ذلك قيل لا ننكر ذلك ولا يستحيل فإن يكن موجودا فهو ذلك وإلا فجاز أن يكون معناه كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة أن جعل الله سبحانه ذلك فيها ويحتمل أن يكون معناه أنها إذا بذرت أنبتت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضاهيا لها لأنه كان عنها وكذلك ما قاله الضحاك قال أنبتت كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ما بين سبع وسبعين وسبعمائة إلى ما شاء الله عز وجل مما لا يعلمه إلا الله والله واسع غني لتلك الأضعاف عليم بمن ينفق قال الضحاك في هذه الآية من أخرج درهما ابتغاء مرضاة الله فله في الدنيا لكل درهم سبعمائة درهم خلفا عاجلا ولقي ألف درهم يوم القيامة قال الكلبي في قوله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله الآية نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف أما عبد الرحمن فإنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة فقال كانت عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها ربي عز وجل

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك في ما أمسكت وفيما أعطيت فأما عثمان فقال علي جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك فجهز المسلمين ألف بعير بأحلاسها وأقتابها وتصدق برومة ركية كانت له على المسلمين فنزلت فيهما هذه الآية قال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل يده فيها ويقبلها ويقول ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم قال أبو سعيد الخدري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رافعا يده يدعو لعثمان رضي الله عنه يارب عثمان بن عفان رضيت عنه فأرض عنه وما زال يدعو رافعا يديه حتى طلع الفجر فأنزل الله تعالى فيه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أي في طاعة الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا وهو أن يمن عليه بعطائه ويعد نعمه عليه يكدرها يواصل المنة النعمة يقال من يمن منة ومنا ومنيتا إذا أنعم وأعطى قال الله تعالى هذا عطاءنا فأمن أي أعطى ثم كثر ذلك حتى صار ذكر النعمة والاعتداد بها منة ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزون بإظهار العطية وذكرها لمن لا يجب وقوفه عليها وما أشبه ذلك من القول الذي يؤديه قال سفيان والمفضل في قوله منا ولا أذى هو أن يقول أعطيتك فما شكرت قال الضحاك أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا وطننت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه قال ابن زيد فشيء خير من السلام قال وقالت امرأة لأبي يا أبا أسامة تدلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فإنهم لا يخرجون إلا ليأكلوا الفواكه فعندي جعبة وأسهم فيها فقال الله لا بارك لك في جعبتك ولا في أسهمك فقد أذيتهم قبل أن تعطيتهم فحظر الله عن عباده المن بالصنعة وأختص به صفتا لنفسه لأن من العباد تعبير وتكدير

ومن الله عز وجل إنعام وأفضال وتذكير وأنشد معاد بن المثنى العنبري عن أبيه محمود بن الوراق أحسن من كل حسن في كل حين وزمن صنيعه مربية خالية من المن قال الثعلبي أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي قال أنشدنا أبو ذر القرظبي ماتم معروفك عند أمري كلفته المعرف إعظامكا إن من البر فلا تكذب إكرام من أظهر إكرامكا والمن للمنعم نقص فلا تستفسدن بالمن إنعامكا والعز في الجود وبخل الفتى مذلة أحببت إعلامكا قال وأنشدني محمد بن القاسم قال أنشدني محمد بن طاهر قال أنشدني أبو علي البصري وصاحب سلفت منه إلي يد أبطا عليه مكافاتي فعاداني لما تيقن أن الدهر حاربنى أبدى الندامة فيما كان أولاني وقال آخر أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الكريم إذا أعطى بمنان قول معروف أي كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل حسن وقال الكلبي دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب قال الضحاك قول في إصلاح ذات البين ومغفرة أي مغفرة منه عليه لما علم

خلته وفاقته قاله محمد بن جرير وقال الكلبي والضحاك تجاوز عن ظلمه وقال يتجاوز عنه إذا استطال عليه عند رده علم الله تعالى إن الفقير إذا رد بغير نوال شق عليه ذلك مما يدعو إلى بذاء اللسان أو إظهار الشكوى وعلم ما يلحق المانع منه فحته على الصفح والعفو وبين أن ذلك خير له من صدقة يدفعها إليه يتبعها أذى من وتعبير السائل بالسؤال أو شكاية منه أو عيب أو قول يؤذيه والله غني عن صدقة العباد ولو شاء لأغنى جميع الخلق ولكنه أعطى الأغنياء لينظر كيف شكرهم وأخلى الفقراء لينظر كيف صبرهم وذلك قوله عز وجل والله فضل بعضكم

(2/11)

---

على بعض في الرزق بالفرض والصدقة والمعروف حلیم إذ لم يعجل على من يمن ويؤذي بصدقته وعن عبد الرحمان السليمانى مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين أو بذل يسير أو برد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بأنس ولا جان ينظرون كيف صنعتمكم فيما خولكم الله عز وجل وعن بشر بن الحرث قال رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ج في المنام فقلت يا أمير المؤمنين تقول شيئاً لعل الله عز وجل ينفعني به فقال ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله وأحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله عز وجل فقلت يا أمير المؤمنين زدني فولى وهو يقول قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قليل تصير ميتاً فاضرب بدار الفناء بيتاً وابن بدار البقاء بيتاً يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى أي لا تحبطوا أجور صدقاتكم وثواب نفقاتكم باليمن على السائل وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والأذى لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال كالذي ينفق ماله أي كإبطال الذي ينفق ماله رياء الناس مراعاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا أنه كريم سخي صالح ولا يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن كفره غير مرآئي فمثله أي مثل هذا المنافق المرآئي كمثله صفوان الحجر إلا ملس قال الشاعر مالي أراك كإني قد زرعت حصا في عام جذب ووجه الأرض صفوان أما لزري أبان فأحصده كما يكون لوقت الزرع أبان وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة بمنزلة تمره وتمر ونخل

(2/12)

---

ومن جعله واحدا قال جمعه صفي وصفى قال الشاعر مواقع الطير على الصفي وقال الزعري صفوان بفتح الفاء وجمعه صفوان مثل كروان وكروان وورشان وورشان عليه أي على ذلك الصفوان تراب فأصابه وابل وهو المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا وهو الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه قال تابط شرا ولست بحلب جلب ريح وقره ولا بصفا صلد عن الخير معزل وهو من الأرض مالا ينبت ومن الرؤوس مالا شعر عليه قال رؤبة لما رأنتي حلق المموه براق أصلاد الجبين الأجلة يعني الأجلح وهذا مثل ضربه الله

تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي يعني إن الناس يرون في الظاهر إن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا كان يوم القيامة أضمحل كله وبطل لأنه لم يكن لله عز وجل كأنه لم يكن كما أذهب الواابل ما كان على الصفوان من التراب فتركه صلداً مجرد لا شيء عليه لا يقدر على شيء على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا لأنهم لم يعملوه لله تعالى وطلب ما عنده وإنما عملوه رياء الناس وطلب حمدهم فصار ذلك معظم من أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين نظيره قوله تعالى في وصف أعمال الكفار مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الآية

(2/13)

---

عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع أهل الجمع أين الذين يعبدون الناس قوموا وخذوا أجوركم ممن عملتم له فإني لا أقبل عملاً خالطه شيء من الدنيا عبد الله المدني قال بلغني أن رجلاً دخل على معاوية قال مررت بالمدينة فإذا أبو هريرة جالس في المسجد حوله حلقة يحدثهم فقال حدثني أبو القاسم ثم استعبر فبكى فقال حدثني خليلي أبو القاسم ثم استعبر فبكى فقال حدثني خليلي أبو القاسم ثم بادره الرجل فقال إني رجل غريب لست من أهل البلد وقد أردت أن تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك تخنقك العبرة فأخبرني هذا الذي أردت أن تحدث به قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قد كان خوله مالا فيقال كيف صنعت فيما خولناك فقال أنفقت وأعطيت فقال أردت أن يقال فلان سخي فقد قيل لك فماذا يغني عنك ثم يؤتى برجل شجاع فيقال له ألم أشجع قلبك قال بلى فيقال كيف صنعت قال قاتلت حتى أحرقت مهجتي فيقال له أردت أن يقال فلان شجاع وقد قيل فماذا يغني عنك ثم يؤتى برجل قد أوتي علماً فيقال له ألم أستحفظك العلم قال بلى فيقال كيف صنعت فيقول تعلمت وعلمت فيقال أردت أن يقال فلان عالم وقد قيل فماذا يغني عنك ثم قال أذهبوا بهم إلى النار ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا أيها الذين آمنوا صلى الله عليه وسلم أن أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخديه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا صلى الله عليه وسلم أن الله غني حميد ومثل

(2/14)

---

الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله طلب رضا الله وتثبيتاً من أنفسهم قال الشعبي والكلبي والضحاك يعني تصديقاً من أنفسهم يخرجون الزكاة طيبة بها



أنفسهم يعلمون أن ما أخرجوا خيرا لهم مما تركوا السدي وأبو صالح وأبو روق وابن زيد والمفضل على يقين إخراج الله عليهم قتادة احتسابا بإيمان من أنفسهم عطاء ومجاهد مثبتون أي لا يضيعون أموالهم وكذلك قرأ مجاهد وتشبثا لأنفسهم قال الحسن كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت إن كان لله أعطى وإن خالطه شيء أمسك وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبيت كقوله عز وجل وتبتل إليه تبتلا أي تبتلا سعيد بن جبير وأبو مالك تخفيفا في ذنبهم ابن كيسان إخلاصا وتوطينا لأنفسهم على طاعة الله عز وجل في نفقاتهم الزجاج ينفقونها مقرين بأن الله عز وجل رقيب عليهم وأصل هذه الكلمة من قول السائل ثبت فلان في هذا الأمر إذا حققه وثبت عليه وعزمه وقوي عليه بذاته فثبت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصرنا كمثل جنة أي بستان قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإذا كان كرم فهو فردوس وقول مجاهد كمثل حبة بالحاء والباء بربوة قرأ السليمي والعطاردي والحسن وعاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء هاهنا وفي سورة المؤمنين وهي لغة بني تميم وقال أبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو ويعقوب وأيوب بضم الراء فيهما واختاره أبو حاتم وأبو عبيد لأنها أكمل اللغات وأشهرها وقول ابن عباس وأبو إسحاق السبيعي وابن أبي إسحاق بربوة وقرأ أشهب العقيلي برباوة بالألف وكسر الراء فيها وهي جميعا المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار ولا يخلو من الماء وإنما سميت ربوة لأنها ربت وطابت وعلت من قولهم ربا الشيء يربو إذا انتفخ وعظم وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى أصابها وابل مطر شديد كثير فأنت أكلها ضعفين قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أكلها بالتخفيف والباقون بالتشديد

(2/15)

وهو الثمر قال المفضل الأكل كثرة ما في الشيء مما يجود ويقوى به يقال ثوب كثير الأكل أي كثير الغزل ومعناه وأعطت ثمرها ضعفين والضعف في الحمل قال عطاء حملت في سنة من الربيع ما تحمل غيرها في سنتين قال عكرمة حملت في السنة مرتين فإن لم يصبها وابل فطل أي فطش وهو أضعف المطر وألينه

قال السدي هو الندى أبو سلام عبد الملك بن سلام عن زيد بن أسلم في قوله فإن لم يصبها وابل فطل قال هي أرض مصر إن لم يصبها مطر زكت وإن أصابها مطر ضعفت وهذا مثل ضربه الله عز وجل لعمل المؤمن المخلص يقول كما أن هذه الجنة تريع في كل حال ولا تخلف ولا تخيب صاحبها سواء قل المطر أو كثر كذلك يضاعف الله عز وجل ثواب صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يوذى سواء قلت نفقته وصدقته أو كثرت فلا تخيب بحال والله بما تعملون بصير أبود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب هذه الآية متصلة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى الآية أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وإنما قال أصابه فرد الماضي على المستقبل لأن العرب تلفظ توددت مرة مع لو وهي الماضي فتقول وددت لو ذهبت عنا ومرة مع أن وهي للمستقبل فتقول وددت أن تذهب عنا ولو وأن مضارعان في معنى

الجزء ألا ترى أن العرب فيما جمعت بين لو و أن قال الله تعالى وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه الآية كما تجمع بين ما و أن وهما جحد قال الشاعر ما أن رأيت ولا سمعت بمثله كاليوم طالي أينق جرب فلما جاز ذلك صلح أن يقال فعل بتاويل يفعل ويفعل بتاويل فعل وان ينطق ب لو عنها ما كان أن وب أن مكان لو فمعنى الآية أيود أحدكم لو كان له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية أولاد صغار ضعفاء عجزه فأصابها إعصار وهي الريح العاصف التي تهب من الأرض إلى السماء كأنها عمود قال الكميت

(2/16)

---

تسدي الرياح بها ذيلا وتلحمه ذا معتو من دقيق التراب موار في منخل جاء من هيف يمانيه بالسافيات وفي غربال إعصار وجمعه أعاصير قال يزيد بن المقرئ الحميري أناس أجارونا وكان جوارهم أعاصير من فسو العراق المبدر وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق المرائي يقول عمل هذا المرائي لي حسنة لحين الجنة فينتفع بها كما ينتفع صاحب الجنة بها وإذا كبر وضعف وصار له أولاد صغار أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت أخرج ما كان إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود على أولاده به ولا أولاده ما يعودون به على أبيهم فينتفي هو وأولاده فقرا عجزه متحيرين لا يقدرين على حيلة فكذلك يبطل الله على هذا المنافق والمرائي حين لا مستعتب له ولا توبة ولا إقالة من عبرتهما وديونهما قال عبيد بن عمير ضربت مثلا للعمل يبدأ فيعمل عملا صالحا فيكون مثلا للجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ثم يسىء في آخر عمره فيتمادي في الإساءة حتى يموت على ذلك فيكون الأعصار الذي فيه نار التي أحرقت الجنة مثلا لإساءته التي مات وهو عليها كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا أيها الذين آمنوا انفقوا تصدقوا من طيبات خيار وحياد نظير قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ابن مسعود ومجاهد حلالات دليله قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قال النبي صلى الله عليه وسلم قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا لا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار وأن لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن والخبث لا يمحو به الخبيث ما كسبتم بالتجارة والصناعة من الذهب والفضة قال عبيد بن رفاعه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر

(2/17)

---

التجار أنتم فجار إلا من أتقى وبر وصدق وقال هكذا وهكذا وقال قيس بن عروة الغفاري كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة نسمة أنفسنا السماسرة فسمانا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم هو أحسن من إسمنا فقال يا

معشر التجار إن هذا البيع يحضره اللهو والكذب واليمين فشوبوه بالصدقة مكحول عن أبي إمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير عشرة أجزاء أفضلها التجارة إذا أخذ الحق وأعطاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا يغلبنكم هذه الموالى على التجارة وإن البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر إلا تاجر خلاف مهين عاصم ابن أبي النجود عن أبي وائل قال درهم من تجارة أحب إلي من عشرة من عطائي الأعمش عن أبي إبراهيم عن عائشة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وقال سعيد بن عمير سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي كسب الرجل أطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور محمد بن الراضبي قال مر إبراهيم النخعي على امرأة من مزاد وهي تغزل على بابها فقال يا أم بكر أما كبرت أما أن لك أن تلقي هذا قالت كيف ألقيه وقد سمعت عليا رضي الله عنه يقول إنه من طيبات الرزق ومما أخرجنا لكم من الأرض يعني الحبوب والثمار التي تقتات وتدخر مما يجب فيه الزكاة عمر بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم معبد حائطا فقال يا أم معبد من غرس هذا أمسلم أم كافر قالت بل مسلم قال فلا يغرس المسلم غرسا يأكل منه إنسان ولا دابة ولا طائر إلا كانت له صدقة إلى يوم القيام هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوا الرزق في خبايا الأرض

(2/18)

قال مالك بن دينار قرأت في التوراة طوبى لمن أكل من ثمرة يديه ولا تيمموا قرأ ابن مسعود ولا تامموا بالهمز وقرأ ابن عباس ولا تيمموا مضمومة التاء مكسورة الميم الأولى يعني لا توجهوا وقرأ ابن كثير ولا تيمموا بتشديد الباء وفتحها فيها وفي أخواتها وهي إحدى وثلاثون موضعا في القرآن رد الساقط وأدغم لأن في الأصل تاء ان تاء المخاطبة وتاء الأمر فحذفت تاء الفعل وقرأ الباقون ولا تيمموا مفتوحة مخففة وهي كلها لغات بمعنى واحد يقال أمت فلانا وتيممته وتأممته إذا قصدته وعمدته قال الأعشى ميمون بن قيس تيممت قيسا وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شزن السدي عن علي بن ثابت عن الفراء قال نزلت هذه الآية في الأنصار كانت تخرج إذا كان جذاذ النخل من حيطانها أقناء من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين وكان الرجل يعمد فيخرج قنو الحشف وهو بظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يعني القنو الذي فيه الحشف ولو كان أهدى لكم ما قبلتموه عن باذان عن ابن عباس في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم إن لله في أموالكم حقا فإذا بلغ حق الله في أموالكم فاعطوا منه وكان الناس يأتون أهل الصدقة بصدقاتهم ويضعونها في المسجد فإذا اجتمعت قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم قال فجاء رجل ذات يوم بعد مارق أهل المسجد وتفرق هامهم بعدق حشف فوضعه في الصدقة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصره

فقال من جاء بهذا العذق الحشف قالوا لا ندري يارسول الله قال بئسما صنع صاحب هذا الحشف فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال علي بن أبي طالب والحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم

(2/19)

---

ورذالة أموالهم فيعزلون الجيد ناحية لأنفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي من أموالكم والخشف من التمر والعفن والزوان من الحبوب والزيوف من الدراهم والدنانير ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه محل أن نصب بنزع حرف الصفة يعني بأن تغمضوا فيه وقرأ الزهري تغمضوا بفتح التاء وضم الميم وقرأ الحسن بفتح التاء وكسر الميم وهما لغتان غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا فيه من التفعيل وقرأ أبو مجلن تغمضوا بفتح الميم وضم التاء يعني إلا أن تغمض لكم وقرأ الباقر تغمضوا والاعماض غمض البصر وإطباق جفن على جفن قال روبة أرق عيني عن الإغماض برق سرى في عارض نهاض وأراد هاهنا التجويز والترخص والمساهلة وذلك إن الرجل إذا رأى ما يكره أغمض عينه لئلا يرى جميع ما يفعل ثم كثر ذلك حتى جعل كل تجاوز ومساهلة في البيع إغماضا قال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضي م رجال يرضون بالإغماض قال علي والبراء بن عازب معناه لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه وهي رواية العوفي عن ابن عباس وروى الوالبي عنه ولستم بأخذي هذا الردي لو كان لأحدكم على الآخر حق بحساب الجيد حتى تنقصوه الحسن وفتادة لو وجدتموه بياعا في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد حتى يغمض لكم من ثمنه وروي عن الفراء أيضا قال لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ أنه بعث إليك بما لم يكن فيه حاجة فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم أخبر الله تعالى أن أهل السهمان شركاء رب المال في ماله فإذا كان ماله كله جيدا فهم

(2/20)

---

شركائه في الجيد فأما إذا كان المال كله رديا فلا بأس باعطاء الردي لأن الواجب فيه ذلك إلا أن تتطوع واعلموا إن الله غني عن نفقاتكم وصدقاتكم حميد محمود في أفعاله وعن معبد بن منقذ إن أبا شريح الكعبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتموني أتصدق شر ما عندي فاكووني واعلموا إنني مجنون الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير الشيطان يعدكم الفقر أي بالفقر فحذف الباء كقول الشاعر أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب ويقال وعدته خيرا ووعدته شرا قال الله تعالى في الخير وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها وفي

الشر النار وعدّها الله الذين كفروا فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته وأنشد أبو عمرو وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف أيعادي ومنجز موعدي والفقير سوء الحال وقلة اليد وفيه لغتان الفقر والفقير كالضعف والضعف وأصله من كسر الفقار يقال رجل فقار وفقير أي مكسور فقار الظهر قال الشاعر وإذا تلسنتي ألسنتها إنني لست بموهون فقر ومعنى الآية إن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك مالك فإن تصدقت افتقرت ويأمركم بالفحشاء أي البخل ومنع الزكاة وزعم مقاتل بن حيان أن كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في هذه الآية

(2/21)

---

والله يعدكم أي يجازيكم وعد الله إلهام وتنزيل ووعد الشيطان وساوس وتخيل مغفرة منه لذنوبكم وفضلاً أي رزقاً وخلفاً والله واسع غني عليم يقال مكتوب في التوراة عبدي أنفق من رزقي أسط عليك من فضلي يؤتي الحكمة من يشاء قال السدي هي النبوة ابن عباس وقتادة وأبو العالية علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه الضحاك القرآن والحكم فيه وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام ولا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن فيعلموهن ولا تكونوا كأهل النهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وشهدوا علينا بالضلال وانتهبوا الأموال فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيما أنزل لم يختلف في شيء منه نفع وأنتفع به مجاهد أما أنها ليست بالنبوة ولكنها القرآن والعلم والفقه وروي ابن أبي نجیح الإصابة في القول والفعل ابن زيد العقل ابن المقفع كل قول أو فعل شهد العقل بصحته إبراهيم الفهم عطاء المعرفة بالله عز وجل ربيع خشية الله سهل بن عبد الله التستري الحكمة السنة وقال بعض أهل الإشارة العلم الرباني وقيل إشارة بلا علة وقيل إلهاد الحق تعالى على جميع الأحوال أبو عثمان هو النور المفروق بين الإلهام والوسواس وقيل تجريد السر لورود الإلهام القاسم أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك ببنار بن الحسين وقد سئل عن قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء فقال سرعة الجواب مع إصابة الصواب وقال أهل اللغة كل فضل جرك من قول أو فعل وهي أحكام الشيء المفضل الحكمة الرد إلى الصواب وحكمة الدابة من ذلك لأنها تردّها إلى القصد منصور بن عبد الله قال سمعت الكتابي يقول إن الله بعث الرسل بالنصح لأنفس خلقه فأنزل الكتب لتنبه قلوبهم وأنزل الحكمة لسكون أرواحهم والرسول داع إلى الله والكتاب داع

(2/22)

---

إلى أحكامه والحكمة مشيرة إلى فضله ومن يؤت الحكمة قرأ الربيع بن خيثم تولي الحكمة ومن تؤت الحكمة بالتاء فيها وقرأ يعقوب ومن يؤت بكسر التاء أراد من يؤته الله وقرأ الباقون ومن يؤت بفتح التاء على الفعل المجهول و من في محل الرفع على اسم مالم يسم فاعله والحكمة خبرها الحسن بن دينار

عن الحسن في قوله ومن يؤت الحكمة هو الورع في دين الله عز وجل فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر يتعظ إلا أولوا الألباب ذوي العقول واللب من العقل ما صفا من دواعي الهوى وما أنفقتم من نفقة فيما فرض الله عليكم وأنذرتكم من نذر أو ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم فوفيتكم به والنذر نذران نذر في الطاعة ونذر في المعصية فإذا كان لله فالوفاء به واجب وفي تركه الكفارة وما كان للشيطان فلا وفاء ولا كفارة فإن الله يعلمه ويحفظه حتى يجازيكم به وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمها لأنه رده إلى الآخر منها كقوله ومن يكسب خطيئة أو أثما ثم يرم به بريئا قاله الأخفش وإن شئت حملته على ما كقوله تعالى ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بها وما للظالمين الواضعين النفقة والنذر في غير موضعها بالرياء والمعصية من أنصار أعوان يدفعون عذاب الله عز وجل عنهم والأنصار جمع نصير مثل شريف وأشرف وحبيب وأحباب إن تبدوا الصدقات فنعمما هي وذلك أنهم قالوا يا رسول الله صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فأنزل الله تعالى إن تبدوا الصدقات أي تظهروها وتعلنوها فنعمما هي أي نعمت الخصلة هي و ما في محل الرفع وهي لفظ في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فإذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد فأصله نعم ما فوصلت وادغمت وكان الحسن يقرأها فنعم ما مفصولة على الأصل وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع غير ورش وعاصم برواية أبي بكر وأبو عمرو وأبو بحرية فنعمما بكسر النون وجزم العين ومثله في سورة النساء واختاره أبو عبيدة ذكر أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن

(2/23)

العاص نعمما بالمال الصالح للرجل الصالح هكذا روي في الحديث وقرأ ابن عامر ويحيى بن ثابت والأعمش وحمزة والكسائي وخلف بفتح النون والعين فيهما وقرأ طلحة وابن كثير ويعقوب وأيوب بكسر النون والعين واختاره أبو حاتم وهي لغات صحيحة ونعم ونعم لغتان جيدتان ومن كسر النون والعين اتبع الكسرة الكسرة لئلا يلتقي ساكنان سكون العين وسكون الادغام وإن تخفوها تسروها وتؤتوها تعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر أفضل وفي الحديث صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفي الخطيئة كما يطفىء الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العدل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم يمينه ما ينفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ويكفر عنكم شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ ويكفر بالياء والرفع على معنى يكفر الله وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بالنون ورفع الراء على الاستئناف أي نحن نكفر على التعظيم وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع والأعمش وحمزة والكسائي وأيوب وأبو حاتم بالنون والجزم معا على الفاء التي في قوله فهو خير لكم لأن موضعها جزم الجزاء من سيئاتكم أدخل من للتبويض وعلته المشيئة ليكون العباد فيها على وجل ولا يتكوا وقال نحاة البصرة معناه الاسقاط تقديره ونكفر

عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير وقال أهل هذه المعاني هذه الآية في صدقة التطوع لإجماع العلماء إن الزكاة المفروضة إعلانها أفضل كالصلاة المكتوبة فالجماعة أفضل من أفرادها وكذلك سائر الفرائض لمعنيين أحدهما ليقتدي به الناس والثاني إزالة التهمة لئلا يسيء

(2/24)

---

الناس به الظن ولا رياء في الغرض فأما النوافل والفضائل فأخفاؤها أفضل لبعدها من الرياء والآفات يدل عليه ما روى عمار الذهبي عن أبي جعفر أنه قال في قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي قال يعني الزكاة المفروضة وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم يعني التطوع وعن معد بن سويد الكلبي يرفعه إن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الجهر بالقراءة والإخفاء بها فقال هي بمنزلة الصدقة نعمما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم كثير بن مرة عن عتبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة وروى علي بن طلحة عن ابن عباس في هذه قال جعل الله عز وجل صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة تفضل علانيتها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل ليس عليك هداهم ولاكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ليس عليكم هداهم قال الكلبي اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر فجاءتها أمها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا أعطيكما شيئا حتى أستامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية أن تتصدق عليهما فأعطتهما ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه آخر وذلك إن ناسا من المسلمين كانت لهم رضاع في اليهود وكانوا ينفقونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقونهم وأرادوهم أن يسلموا فاستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه

(2/25)

---

الآية فأعطوهم بعد نزولها وقال سعيد بن جبير كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم فأنزل الله ليس عليك هداهم فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها ولكن الله يهدي من يشاء وأراد بالهدى التوفيق والتعريف لأنه كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى البيان والدعوة وعن عمر بن عبد العزيز قال

بلغني أن عمر بن الخطاب رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب المسلمين فقال ما أنصفناك يأخذوا منك الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك اليوم فأمر أن تجرى عليه قوته من بيت المال وما تنفقوا من خير فلأنفسكم شرط وجزاء والخير ها هنا المال وما تنفقوا من خير شرط كالأول لذلك حذف النون منها في الموضعين يوف إليكم جزاؤه كأن معناه يؤدي إليكم فكذلك أدخل إلى وأنتم لا تظلمون لا تظلمون من ثواب أعمالكم شيئا وأعلم إن هذه الآية في صدقة التطوع أباح الله أن يتصدق المسلم على المسلم والذمي فأما صدقة الفرض فلا يجوز إلا للمسلمين وهما أهل السهمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة التوبة ثم دلهم على خير الصدقات وأفضل النفقات فقال الله تعالى للفقراء واختلف العلماء في موضع هذا اللام فقال بعضهم هو مردود على موضع اللام من قوله فلأنفسكم كأنه قال وما تنفقوا من خير للفقراء وإنما تنفقون لأنفسكم ثوابها راجع إليكم فلما اعترض الكلام قوله لأنفسكم وأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيها تركت أعادتها في قوله للفقراء إذ كان معنى الكلام مفهوما وقال بعضهم خبر محذوف تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من أربعمئة رجل ليس لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جعلوا أنفسهم في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم فثبت قلوبهم

(2/26)

فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنهم من رفقائي وروي إن عمر بن الخطاب ح أرسل إلى سعيد بن عامر بألف درهم فجاء كثيبا حزينا فقالت له امرأته حدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة فلما أصبح قام بالطريق فجعل ينفق كل صرة حتى أتى على آخرها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجيء فقراء المهاجرين يوم القيامة للحساب فيقولون هل أعطيتمونا شيئا فتحاسبونا عليه فيدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسة مائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ فيستخرج فأراد عمر أن يجعلني ذلك الرجل وما يسرني إني كنت ذلك الرجل وإن لي الدنيا وما فيها أحصروا في سبيل الله أي حبسوا ومنعوا في طاعة الله لا يستطيعون ضربا سيرا في الأرض وتصرفا فيها للتجارة وطلب المعيشة نظيره قوله تعالى وآخرون يضربون في الأرض قال الشاعر قليل المال يصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد وحفظ المال أيسر من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد قال قتادة معناه حبسوا أنفسهم في سبيل الله عز وجل للغزو والعبادة فلا يستطيعون ضربا في الأرض ولا يتفرغون إلى طلب المعاش وقال ابن زيد من كثرة ما جاهدوا لا يستطيعون ضربا في الأرض فصارت الأرض كلها حربا عليهم لا يتوجهون جهة إلا ولهم فيها عدو وقال سعيد هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمني فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض واختاره الكسائي قال أحصروا من المرض فلو أراد الحبس لقال



حصروا وإنما الإحصار من الخوف أو المرض والحصر الحبس في غيرهما  
يحسبهم قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعمش وحمزة وعاصم يحسب وبابه  
يفتح السين في جميع القرآن والباقون بالكسر واختاره أبو عبيد وأبو حاتم  
وقيل إنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن  
أبيه وافد بني المشفق قال

(2/27)

---

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وصاحب لي فذكر حديثا فقال  
صلى الله عليه وسلم للراعي أذبح لنا شاة ثم قال لا تحسبن أنا أنما ذبحناها من  
أجلكم ولم يقل يحسبن أنا إنما ذبحناها لك ولكن لنا مائة من الغنم فإذا زادت  
شاة ذبحنا شاة لا نريد أن تزيد على المائة الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من  
التعفف من تعففهم عن السؤال والتعفف التفعّل من العفة وهو الترك يقال  
عف عن الشيء إذا كف عنه وعفيف إذا تكلف في الإمساك قال رؤبة فعف عن  
إسرارها بعد الغسق وقال محمد بن الفضل يمنعهم علو همتهم رفع جوابهم  
إلى مولاهم تعرفهم بسيماهم قرأ حمزة والكسائي بالإمالة الباقون بالتفخيم  
والسيما والسيما العلامة التي يعرف بها الشيء وأصلها من السمة واختلفوا  
في السيميا التي يعرفون بها فقال مجاهد هو التخشع والتواضع الربيع والسدي  
أثر الجهد من الحاجة والفقر الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع والضر ابن زيد  
رثاة ثيابهم فالجوع خفي على الناس يمان التحول والسكينة الثوري فرحهم  
بفقرهم واستقامة أحوالهم عند موارد البلاء عليهم المرتضى غيرتهم على  
فقرهم وملازمتهم إياه أبو عثمان إيثار ما يملكون مع الحاجة إليه قال بعضهم  
تطيب قلوبهم وبشاشة وجوههم وحسن حالهم ونور أسرارهم وجولان أرواحهم  
في ملكوت ربهم لا يسألون الناس إلحافا قال عطاء يعني إذا كان عنده غداء لا  
يسأل عشاء فإذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء وقال أهل المعاني لا يسألون  
الناس إلحافا ولا غير إلحاف لأنه قال من التعفف والتعفف ترك السؤال أصلا  
وقال أيضا تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كان للنبي صلى  
الله عليه وسلم إلى معرفتهم بالعلامة والدلالة حاجة إذ السؤال يغني عن  
حالهم وهذا كما قلت في الكلام قال ما رأيت مثل هذا الرجل ولعلك لم تر مثله  
قليلًا ولا كثيرا قال الله عز وجل قليلا ما يؤمنون وهم كانوا لا يؤمنون قليلا ولا  
كثيرا وأنشد الزجاج على لا حب لا يهتدى لمنارة إذا ساقه العود

(2/28)

---

النباطي جرجرا  
معناه ليس له منار فيهتدي له كذلك معنى الآية ليس لهم سؤال فيقع فيه  
الحاف والإلحاف والإلحاح واللجاج في السؤال وهو مأخوذ من لحف الحبل وهو  
خشونته كأنه استعمل الخشونة في الطلب روى هشام عن ابن سيرين عن أبي  
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سأل وله  
أربعون درهما فقد ألحف قال هشام قال الحسن صاحب الخمسين درهما غني  
عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس

المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمررة والتمرتان إنما المسكين المتعفف اقرأوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يحب أن يرى أثر النعمة على عبده ويكره البؤس والتبؤس ويحب الحليم المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذي السائل للحف وعن قبيصة بن مخارق قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم استعنته في حمالة فقال أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة فإما أن نحملها وإما أن نعينك فيها وأعلم إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة لرجل يحمل حمالة عن قوم فسأل فيها حتى يؤديها ثم يمسك ورجل أصابته حاجة فأذهبت ماله فسأل حتى يصيب سدادا من عيش أو قواما من عيش ثم يمسك ورجل أصابته فاقة حتى تشهد له ثلاثة من ذوي الحجا من قومه فسأل حتى يصيب سدادا أو قواما من عيش ثم يمسك فما سوى ذلك من المسائل سحت يأكله صاحبه يا قبيصة سحتا وروى قتادة عن هلال بن حصن عن أبي سعيد الخدري قال أعوزنا مرة فقيل لي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنطلقت إليه معتفيا فقال أول ما واجهني به من استعفف عفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سألنا لم ندخر عنه شيئا نجده قال فرجعت إلى نفسي فقلت ألا استعفف فعفني الله فرجعت فما سألت نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا بعد ذلك من حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا إلا من عصمه الله محمد صلى الله عليه وسل

(2/29)

إن الله عز وجل كره لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ونهى عن عقوق الأمهات وواد البنات وعن منع وهات وقال صلى الله عليه وسلم الأيدي ثلاثة فيد الله العيا ويد المعطي الوسطى ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كدوحا أو خموشا أو خدوشا في وجهه قيل وما غناه يا رسول الله قال خمسون درهما أو عدها من الذهب وما تنفقوا من خير قال فإن الله به عليم وعليه يجازيه الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالو صلى الله عليه وسلم إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يحق الله الربوا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الآية مجاهد عن ابن عباس قال كان عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم سرا ودرهم علانية ودرهم ليلا ودرهم نهارا فنزلت الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وعن يزيد بن رومان قال ما نزل في أحد من القرآن ما نزل في علي بن أبي طالب ح أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبق الدرهم مائة ألف قالوا يا رسول الله وكيف يسبق الدرهم مائة ألف قال رجل له درهمان فأخذ أحدهما وتصدق به ورجل فأخرج من غرضها مائة ألف فتصدق بها وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال لما أنزل الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير

كثيرة إلى أصحاب الصفة حتى أغناهم وبعث علي بن أبي طالب ح في جوف الليل بوسق من تمر والوسق ستون صاعا

(2/30)

---

وكان أحب الصدقتين إلى الله عزوجل صدقة علي ح فأنزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم الآية فعني بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف وبالليل سرا صدقة علي ح وقال أبو امامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعي ورباح بن يزيد هم الذين يمتطون الخيل في سبيل الله ينفقون عليها بالليل والنهار سرا وعلانية نزلت فيمن لم يرتبط الخيل تخيلا ولا افتخارا يدل عليه ما روى سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال نزلت في أصحاب الخيل قال غريب والجن لا يقرب بيتا فيه عتيق من الخيل ويروى أنه أشار إلى بعض خيل كانت في الخيانة فأشار إلى عتاق تلك الخيل فقال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وعن حبس بن عبد الله الصنعاني أنه قال حدث ابن عباس في هذه الآيات الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فقال في علف الخيل وعن أبي سريح عمن حدثه عن أبي الفقيه أنه قال من حبس فرسا كان ستره من النار وسقطت منه حسنة وكان أبو هريرة إذا مر بفرس سمين تلا هذه الآية وإذا مر بفرس أعجف سكت شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتبط فرسا في سبيل الله فأنفق عليه احتسابا كان شبعه وجوعه وريه وظمؤه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة فلهم أجرهم قال الأخفش إنه جعل الخبر بالفاء إذا كان الاسم الذي وصل به لأنه في معنى من وجواب من بالفاء في الجزاء ومعنى الآيات من أنفق فله أجره عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربا ومعنى الربا الزيادة على أصل المال في غير بيع يقال ربي الشيء إذا زاد وأرعى عليه و عامل عليه إذا زاد عليه

(2/31)

---

في الربا قال عمر ح لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثل بمثل ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثل بمثل ولا تبيعوا الذهب بالذهب أحدهما غائب والآخر حاضر وإن استنظرك حتى يلج بيته فلا تنظره إلا يدا بيد هات وهذا أني أخاف عليكم الربا قالوا وقياس كتابته بالياء لكسرة أوله وقد كتبه في القرآن بالواو قال الفراء إنما كتبه كذلك لأن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ولغتهم الربوا فعلموهم صورة الحرف على لغتهم فأخذوه كذلك عنهم وكذلك قرأها الضحاك الربوا بالواو وقرأ حمزة والكسائي بالإمالة مكان كسرة الراء وقرأ الباقون بالتفخيم بفتحة الباء قالوا اليوم فانت فيه بالخيار إن شئت كتبه على ما في المصحف موافقة له وإن شئت بالياء وإن شئت بالألف ومعنى قوله الذين يأكلون الربا يأكلونه حق الأكل لأنه معظم الأمر والربا في أربعة أشياء الذهب

والفضة والمأكول والمشروب فلا يجوز بيع بعضها ببعض إلا مثلا بمثل وبدا بيد وإذا اختلف الصنفان جاز التفاضل في النقد وحرم في النسيئة ولا يجوز صاع بر بصاعين لا نقدا ولا نسيئة لأنهما جنس واحد وكذلك الذهب بالذهب مثقال باثنين لا نقدا ولا نسيئة وكذلك الفضة بالفضة وكذلك صاع بر بصاعين شعير وصاع شعير بصاعين بر نقدا ولا يجوز نسيئة ويجوز مثقال بعشرين درهما أو أقل أو أكثر نقدا ولا يجوز نسيئة وجماع ما شايع الناس عليه ثلاثة أشياء أحدهما ما يعتدي به مما كان مأكولا أو مشروبا والثاني ما كان ثمنا للأشياء وقيمة للمتلفات وهو الذهب والفضة فهذان فيهما الربا فلا يجوز بيع شيء متفاضلا نقدا ونسيئة والصنف الثالث ما عدا هذين مما لا يؤكل ولا يشرب ولا يكون ثمنا فلا ربا فيه فيجوز بيع بعضه ببعض متفاضلا نقدا ونسيئة فهذا جملة القول فيما فيه الربا على مذهب الشافعي وقال مالك كل ثمن أو بقات أو ما يصلح به القوت فهو الذي فيه الربا وقال أهل العراق كل مكيل أو موزون فيه الربا وقال أهل الحجاز ما روي محمد بن سيرين عن مسلم

(2/32)

بن يسار وعبد الله بن عبك قالوا جمع المنزل بين عبادة بن الصاحب ومعاوية فقال عبادة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الذهب بالذهب والورق بالورق والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر وقال أحدهما والملح بالملح وقال الآخر إلا مثلا بمثل وبدا بيد وأمرنا أن نبيع الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر وبدا بيد كيف شئنا قال أحدهما فمن ناد أو ازداد فقد أربى قوله تعالى لا يقومون يعني يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه أي يصرعه ويخبطه الشيطان وأصل الخبط الضرب والوطء ويقال ناقة خبوط التي تطأ الناس وتضرب بقوائمها الأرض قال زهير رأيت المنيا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطي يعمر فيهرم من المس الجنون يقال مس الرجل وألس فهو ممسوس ومالوس إذا كان مجنونا وأصله مس الشيطان إياه ومعنى الآية إن أكل الربا يبعثه الله يوم القيامة مجنونا وذلك علامة أهل الربا يبعثون وفيهم خيل من الشيطان قاله قتادة أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء قال فانطلق بي جبرائيل إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم متصددين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فتميل بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيطؤونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم يقال لهم ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قال قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به رأى في

(2/33)

---

السماء رجلا بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء أكلة الربا ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هكذا واستحللهم إياه وذلك إن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أجل ماله على غريمه فطالبه بذلك يقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل وامهلني حتى أزيدك في مالك فيفعلان ويقولان سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند محل المال لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى فقال وأحل

(2/34)

---

البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة تذكير وتخويف قال السدي أما الموعظة فالقرآن وإنما ذكر الفعل لأن الموعظة والوعظ واحد وقرأ الحسن فمن جاءته موعظة كقوله يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم من ربه فانتهي من أكل الربا فله ما سلف أي ما مضى من ذنبه قبل النهي فهو مغفور له وأمره إلى الله يعني النهي إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى يعود وقيل وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء وفيه يقول محمود الوراق إلى الله كل الأمر في كل خلقه وليس إلى المخلوق شيء من الأمر ومن عاد بعد التحريم والموعظة إلى أكل الربا مستحلا له فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون بابا أهونها عند الله كالذي ينكح أمه وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده الحسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرد الله بقرية هلاكها أظهر فيهم الربا يحق الله أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته وإن كان كثيرا كما يحق القمر وعن عبد الله بن مسعود رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قلة وروي جوبير عن الضحاك عن ابن عباس يحق الله يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهاد ولا حجا ولا صلة وبزكي الصدقات أي يزيدا ويكثرها وبارك فيها في الدنيا ويضاعف الأجر والثواب في العقبى وإن كانت قليلة قال عز من قائل فيضاعفه له أضعافا كثيرة

(2/35)

---

القاسم بن محمد قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب وبأخذها بيمينه ويرببها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وبأخذ الصدقات يحق الله الربا ويربي الصدقات قال يحيى بن معاذ لا

أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة والله لا يحب كل كفار بتحريم الربا مستحل له أثيم متماد في الإثم إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذرّوا ما بقى من الربوا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذرّوا ما بقى من الربا قال عطاء وعكرمة نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى ما يكفي عيالي إن أنتما أخذتما حكما كله فهذا لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما فقبا فلما جاء الرجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما وقال السدي نزلت في العباس عبد المطلب وخالد بن الوليد وكانا شريكان في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف ولهما أموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم وإن كل ربا

(2/36)

من ربا الجاهلية موضوع وأول الربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليث قتله هذيل وقال مقاتلان أنزلت في أربعة أخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعه وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف وصالح ثقيفا أسلم هؤلاء الأربعة الأخوة وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقالت بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله ورسوله عن المؤمنين فما جعلنا أشقى الناس بهذا فاختصموا إلى عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة وقال أبعثك على أهل الله فكتب عتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذرّوا ما بقى من الربا وذر لفظ تهديد وقرأ الحسن ما بقى بالألف وهي لغة طي ويقول للحجارية جارة وللناصية ناصاة قال الشاعر منهم لعمر ك ما أخشى التصعلك ما بقا على الأرض قيسي يسوق الأباعرا إن كنتم إذا كنتم مؤمنين كقوله وأنتم الأعلون إن كنتم فإن لم تفعلوا فإن لم تذرّوا ما بقى من الربا فاذنوا قرأ الأعمش وعاصم وحمزة رواية أبي بكر فاذنوا ممدودا على وزن آمنوا وقرأ الباقر فاذنوا مقصورا مفتوح إذال وهي قرأة علي وأختيار أبي عبيد وأبي حاتم فمن قصر معناه فاعلموا أنتم واسمعوا يقال أذن الشيء يأذن أذنا وأذانة إذا سمعه وعلمه قال الله وأذنت لربها وحقت ومن مد معناه فاعلموا غيركم قال الله تعالى قالوا أذناك ما منا من شهيد وأصل الكلمة من

الأذن أي أقعوه في الأذان بحرب من الله ورسوله سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لا تأكل الربا خذ سلاحك للحرب وروى الوالبي عنه قال من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه فحق

(2/37)

---

على إمام المسلمين أن يستتبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه وقال أهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف وإن تبتم فلکم رؤوس أموالكم لا تظلمون بطلب الزيادة ولا تظلمون النقصان عن رأس المال وروى أبان والمفضل عن عاصم بضم التاء الأولى وفتح الثانية قال أهل المعاني أنها شرط التوبة لأنهم أن لم يتوبوا كفروا برد حكم الله واستحلال ما حرم الله فيصير مالهم فياً للمسلمين فلما نزلت هذه الآيات قالت بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة بل نتوب إلى الله فإنه ليس لنا يدان بحرب الله وحرب رسوله فرضوا برأس المال وسلموا لأمر الله فشكى بنو المغيرة العسرة وقالوا أخرجونا إلى أن ندرک الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله وإن كان ذو عسرة رفع الكلام بإسمه كان ولم يأت لها بخير وذلك جائز في النكرة يقول العرب إن كان رجل صالح فأكرمه وقيل كان لمعنى وقع الحدث وحينئذ لا يحتاج إلى الخبر وقرأ أبي وابن مسعود وابن عباس إن كان ذا عسرة على إضمار الإسم وإن الغريم أو المطلوب ذا عسرة وقرأ أبان بن عثمان ومن كان ذا عسرة لهذه الغلة وقرأ الأعمش وإن كان معسر وهو دليل قراءة العامة والعسرة الفقر والضيق والشدة وقرأ أبو جعفر عسرة بضم السين وهما لغتان فنظرة أمر في صيغة الخبر والفاء فيه لجواب الشرط تقديره فعليه نظرة أي قال واجب نظره بالنصب على معنى فلينظر نظرة لكان صواباً كقوله فضرب الرقاب والنظرة الإنظار وقرأ أبو رجاء والحسن وقتادة فناظرة بكسر الصاد ورفع الراء والهاء أي منتظرة وقرأ عطاء بن أبي رباح فناظرة ساكنة الضاء وهي مصدر يجوز أن يكون من النظر والانتظار جميعاً إلى ميسرة قرأ عطاء وشيبة ونافع وحميد بن محيص ميسرة بضم السين والتنوين وقرأ عمر وعلي وأبو رجاء والحسن وقتادة وعبد الله بن مسلم وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو ويعقوب وأيوب ميسرة بالتنوين وفتح السين وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لأنها اللغة السائرة

(2/38)

---

وقرأ مجاهد وأبو سراح الهذلي ميسرة بضم السين مضافاً هو مثله روي زيد عن يعقوب وروى الأعمش عن عاصم عن زر عن عبد الله أنه كان يقرأها فناظروه إلى ميسورة وكلها لغات معناها اليسار والغنى والسعة وإن تصدقوا رؤوس أموالكم على المعسر فلا تطالبونه بها خير لكم إن كنتم تعلمون وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد الباقون بتشديده ذكر حكم الآية أمر الله تعالى بانظار المعسر فمتى ما أعسر الرجل وتبين أعساره فلا سبيل لرب المال إلى مطالبته بماله إلى أن يظهر يساره فإذا ظهر يساره كان عليه توفير الحق إلى

رب المال وعلم أن الحقوق تخلف وكل حق لزم الإنسان عوضا عن مال حصل في يده مثل قرض أو ابتياع

(2/39)

---

سلعة فإذا ادعى الإعسار لزمته البينة على الإعسار لأن الأصل فيه استغناؤه بحصول ما صار في يده وكل حق لزمه من غير حصول مال في يده كالمهر والضمنان فإذا ادعى الإعسار لزم رب المال أمامه البينة على كونه موسرا لأن الأصل في الناس الفقر وإذا لم يعلم له حالة استغناء كان الحكم فيه البقاء على أصل ما كان عليه إلى أن يتبين يساره وقال الحسن إذا قال أنا معدم فالقول قوله مع يمينه وعلى غرامه إظهار ماله بيينة أو عيان وكان أبو حنيفة يرى أن يحبس شهرين أو ثلاثة ثم يسأل عنه في السر فإن تبين أنه معسر خلى عنه ودليل من قال لا يحبس حديث أبي سعيد الخدري قال أصيب رجل في ثمار فكثرت دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا ما وجدتم ليس لكم إلا ذلك وكان أبو هريرة على قضاء المدينة فأتاه رجل بغريم فقال أريد أن تحبسه قال هل تعلم له عين مال نأخذه منه فنعطيك قال لا قال فهل تعلم له أصل مال فنيبعه ونعطيك قال لا قال فما تريد قال أريد أن تحبسه قال لكني ادعه يطلب لك ولنفسه وعياله فإذا أيسر لزمه قضاء الدين سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى إلى غريمه بحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وكتب الله عز وجل بكل خطوة شجرة يغرس له في الجنة وذنبا يغفر له فإن لم يفعل ومطل فهو متعد أبو الزباد الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم مطل الغني فإذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع في فضل إنظار المعسر زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله في ضل عرشه يوم لا ضل إلا ضله وعن ابن عمر قال قال رسول

(2/40)

---

الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يستجاب دعوته ويكشف كربته فلييسر على المعسر ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال أتى الله عز وجل بعبيده يوم القيامة فقال أي رب ما عملت لك خيرا قط أريدك به إلا إنك رزقتني مالا فكنت أتوسع على المعسر وأنظر المعسر فيقول الله عز وجل أنا أحق بذلك منك فتجاوزوا عن عبيدي قال فقال أبو مسعود الانصاري فاشهد على رسول الله أنه سمعه منه الأعمش عن أبي داود عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا كان له بكل يوم صدقة ثم قال بعد ذلك من أنظر معسرا كان له بكل يوم مثل الذي أنظره صدقة قال فقلت يارسول الله قلت من أنظر معسرا فله بكل يوم صدقة ثم قلت من أنظر معسرا كان له بكل يوم مثل الذي أنظره صدقة قال إن قولتي بكل يوم صدقة قبل الأجل وقولتي بكل يوم مثل الذي أنظره صدقة بعد الأجل وعن سعيد بن أبي سعيد عن أخيه عن أبيه أن جابر بن عبد الله خرج إلى غريم له يتقاضاه فقال هاهنا



حقي فقالوا لا فتنحى فلم يلبث أن خرج مستحيا منه فقال ما حملك على أن تحبسني حقي وتغيب وجهك عني قال العسرة قال قال الله فإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة فأخرج كتابه فمحاها فصل في الدين جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل مع الدائن حتى يقضي دينه ما لم يكن فيما يكره الله عز وجل قال فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه أذهب فخذ لنا بدين فأني أكره أن أبيت ليلة إلا والله عز وجل معي منذ سمعت هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدان دينا وهو ينوي أن لا يؤديه فهو سارق عثمان بن عبد الله عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه إن رجلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقال صلوا على صاحبكم فإن عليه دينا قال أبو قتادة فانا أكفل به قال بالوفاء قال بالوفاء فصلى عليه وكان عليه

(2/41)

---

ثمانية عشر درهما أو سبعة عشر درهما وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أعوذ بالله من الكفر والدين فقال رجل يا رسول الله يعدل الدين بالكفر قال نعم وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين راية الله في الأرض فإذا أراد أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله في عنقه وعن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من خطيئة أعظم عند الله بعد الكبائر من أن يموت الرجل وعليه أموال الناس دينا في عنقه لا يوجد لها قضاء يزيد بن أبي خالد عن ابن أيوب عن أنس بن مالك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار وأتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله قرأ أبو بحرية وأبو عمرو وسلام ويعقوب ترجعون بفتح التاء واعتبروا بقراءة أبي فاتقوا يوما تصيرون فيه إلى الله وقرأ الآخرون بضم التاء إعتبارا بقراءة عبد الله وأتقوا يوما تردون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وأتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله قال هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبرائيل ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة سفيان عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل في تفصيل آخر ما نزل من القرآن قال المفسرون لما نزلت هذه الآية إنك ميت وإنهم ميتون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتني أعلم متى يكون ذلك فأنزل الله تعالى سورة النصر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يسكت من التكبير والقراءة فيقول فيها سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقيل إنك لم تكن تقوله يا رسول الله قبل هذا قال إنها نفسي نعت إلي ثم بكى بكاء شديدا فقيل يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد عفا الله

(2/42)

---

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فأين هول المطلع فأين ضيق القبر وظلمة  
اللحد فأين القيامة والأهوال فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة  
أشهر ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع نزلت عليه  
في الطريق يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله إلى آخرها فسمى آية  
الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم الآية فعاش  
بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت عليه آيات الربا ثم نزلت بعدها واتقوا يوما  
ترجعون فيه إلى الله وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما قال ابن جريح تسع ليال سعيد بن  
جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول  
حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة وأحدى من ملك أردشير  
شبيرون بن أبرويز بن هرمز بن نوشروان يأبها الذين ءامنو صلى الله عليه  
وسلم إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل  
ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق  
الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا  
يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن  
لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما  
فتذكر إحداهما الاخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئمو صلى الله عليه  
وسلم أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم  
للشهادة وأدنى ألا ترتابو صلى الله عليه وسلم إلا أن تكون تجارة حاضرة  
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدو صلى الله عليه وسلم  
إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله  
ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم قال ابن عباس  
لما حرم الله الربا أباح السلم فقال يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم أي دابن  
بعضكم بعضا

(2/43)

والدين ما كان مؤجلا والعين ما كان حاضرا يقال دان فلانا يدينه إذا أعطاه  
الدين فهو دائن والمعطا مدين ومدبون قوله إذا تداينتم يدخل فيه الدين  
والنسيئة والسلم وما كان مؤجلا من الحقوق وإنما قال يدين والمدائنة لا تكون  
إلا بدين لأن المدائنة قد تكون مجازاة وتكون معاواة فأبان ذلك وقيدته بقوله  
بدين وقيل هو بمعنى التأكيد كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وقوله فسجد  
الملائكة

كلهم أجمعون إلى أجل مسمى أي وقت معلوم فاكتبوه أي اكتبوا الذي تداينتم  
به بيعا كان أو قرضا لئلا يقع فيه جحود ولا نسيان ولا تدافع واختلفوا في هذا  
الكتابة هل هي واجبة أم لا فقال بعضهم فرض واجب قال ابن جريح من أدان  
فليكتب ومن باع فليشهد وهذا القول اختيار محمد بن جرير الطبري يدل عليه  
ما روى الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كانت عنده امرأة سيئة  
الخلق فلم يطلقها ورجل كان له دين فلم يشهد ورجل أعطى سفيها مالا وقد  
قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال قوم هو أمر استحباب وتخبير  
فإن كتب فحسن وإن ترك فلا بأس كقوله وإذا حلتم فاصطادوا وقوله فإذا

قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض هو اختيار الفراء وقال آخرون كان كتاب الدين والإشهاد والرهن فرضا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فإن آمن بعضكم بعضا فليؤد الذين أؤتمن أمانته وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال عز من قائل وليكتب بينكم كاتب بالعدل وقرأ الحسن وليكتب بكسر اللام وهذه اللام لام الأمر ولا يؤمر بها غير الغائب وهي إذا كانت مفردة فليس فيها إلا الحركة فإذا كانت قبلها واو أو فاء أو ثم فأكثر العرب على تسكينها طلبا للخفة ومنهم من يكسرها على الأصل ومعنى الآية وليكتب كتاب الدين بيع البائع والمشتري والطالب والمطلوب كاتب بالعدل أي بالحق والإنصاف فلا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا يقدم الأجل ولا يؤخره ولا يكتب به شيئا يبطل به حقا

(2/44)

---

لأحدهما لا يعلمه هو ولا يأب ولا يمتنع كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وذلك إن الكتاب كانوا قليلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف العلماء في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد فقال مجاهد والربيع واجب على الكاتب أن يكتب إذ أمر وقال الحسن ذلك في الموضوع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضرب صاحب الدين إن امتنع فإذا كان كذلك فهو فريضة وإن قدر على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره وقال الضحاك كانت هذه عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد السدي هو واجب عليه في حال فراغه وليملل الذي عليه الحق المديون والمطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والإملال والإملاء لغتان فصيحتان جاء بهما القرآن قال الله تعالى فهي تملى عليه بكرة وأصيلا أصل الإملال إعادة الشيء مرة بعد مرة والإلحاح عليه قال الشاعر ألا يا ديار الحي بالسبعان أمل عليها بالبللى الملوان ثم خوفه فقال وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا أي لا ينقص من الحق الذي عليه شيئا يقال بخسه حقه وبخسه إذا أنقصه ونظائرهما في القرآن كثيرة فإن كان الذي عليه الحق يعني وإن كان المطلوب الذي عليه المال سفيها جاهلا بالمال قاله مجاهد وقال الضحاك والسدي طفلا صغيرا أو ضعيفا أو شيخا كبيرا السدي وابن زيد يعني عاجزا أحمق أو لا يستطيع أن يمل هو لخرس أو عي أو غيبة أو عجمة أو زمانة أو حبس لا يمكنه حضور الكتاب أو جهل ماله عليه فليملل وليه أي قيمه ووارثه ابن عباس والربيع ومقاتل يعني فليملل ولي الحق وصاحب الدين لأنه أعلم بدينه بالعدل بالصدق والحق والإنصاف واستشهدوا هذا السين للسؤال والطلب شهيدين شاهدين من رجالكم يعني الأحرار البالغين دون العبيد والصبيان ودون أحرار الكفار وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وسفيان وأكثر الفقهاء وأجاز شريح وابن سيرين بشهادة العبد وهو قول أنس بن مالك وأجاز بعضهم شهادتهم في الشيء

(2/45)

---

التافه فإن لم يكونا رجلين يعني فإن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان أو فليشهد رجل وامرأتان

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال واختلفوا في غير الأموال وكان مالك والأوزاعي والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وأحمد لا يجزونها إلا في الأموال وكان أبو حنيفة وسفيان وأصحابهما يجزون شهادتين مع الرجل في كل شيء ما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهداء يعني من كان مرضيا في ديانته وأمانته وكفائته قال عمر بن الخطاب ح من أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا فأجبناه عليه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه وإذا حمد الرجل جاره وقرائبه ورفيقه فلا تشكوا في صلاحه وقال إبراهيم النخعي العدل من لم يظهر منه ريبة وقال الشعبي العدل من لم يطعن عليه في بطن ولا فرج وقال الحسن هو من لم يعلم له خزية وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب عليه شهادة زور ولا التابع مع أهل البيت يعني الخادم لهم ولا الظنين في ولاء ولا قرابة وجملة القول فيمن تقبل شهادته أن تجتمع فيه عشر خصال يكون حرا بالغا مسلما عدلا عالما بما يشهد به ولا يجز بشهادته إلى نفسه منفعة ولا يدفع عن نفسه مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا يترك المروءة ولا يكون عنده لين ولا يشهد عليه عبده فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال كان مقبول القول جائز الشهادة وتقبل شهادة النساء على الإنفراد لا رجل معهن في أربع مواضع عيوب النساء وهو ما يكون عيبا في موضع هي عورة منها في الحرة في جميع بدنها إلا وجهها وكفيها ومن الأمة ما بين سرتها إلى ركبته وفي الرضاع وفي الولادة وفي الاستهلال ولا خلاف في ذلك كله إلا في الرضاع وإن أبا حنيفة ذهب إلى أن شهادة النساء على الإنفراد لا تقبل فيه حتى يشهد رجلان أو رجل وامرأتان وأما صفة الشهادة فروى طاووس عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

(2/46)

الشهادة فقال ترى الشمس قال نعم قال على مثلها فاشهد أو دع وعن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا الشهود فإن الله عز وجل يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم خارجة بن نور عن عبد الرحمن بن عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبس ذكر حق بعدما تقبض مافيه ثلاثا فعليه قيراط من الأثم أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى قراء الأعمش وحمزة أن بكسر الألف فتذكر رفعا ومعناه الجزاء والابتداء وموضع تضل جزم للجزاء إلا أنه لا يتبين في التضعيف فتذكر رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ وقرأة العامة بنصب الألف فالفاء على الإتصال بالكلام الأول وموضع أن نصب بنزع حرف الصفة يعني لأن و تضل محله نصب بأن فتذكر مسوق عليه ومعنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت وهذا من المقدم والمؤخر كقولك إنه ليعجبني أن يسأل فيعطى يعني يعجبني أن تعطي السائل إذا سأل لأن العطاء تعجب لا السؤال قال الله ولولا أن تصبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا الآية ومعناه لولا أن يقولوا إذا أصابتهم مصيبة هلا أرسلت إلينا رسولا ومعنى قوله أن تضل أي تنسى كقوله لا يضل ربي ولا ينسى وقوله قال فعلتها إذا وأنا من الصالحين و حقت عليه الضلالة فسيروا وذهب قول العرب ضل الماء في اللبن وقال الله وقالوا

أثذا ضللنا في الأرض وقرأ عاصم الجحدري أن تضل أحدهما بضم التاء وفتح الضاد على المجهول وقرأ زيد بن أسلم فتذكر من المذاكرة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو حاتم وقتيبة فتذكر خفيفه وقرأ الباكون مشددا وذكر وأذكر بمعنى واحد كما يقال نزل وأنزل وكرم وأكرم وهما معها الذكر الذي هو ضد النسيان قال الشاعر تذكروني الشمس عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا غربها أفل

(2/47)

قال أبو عبيد حدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر يعني أنها إذا شهدت مع أخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر قلت هذا القول لا يعجبني لأنه معطوف على النسيان والله أعلم ولا ياب الشهداء إذا مادعوا قال بعضهم هذا في محمل الشهادة وهو أمر إيجاب قال قتادة والربيع كان الرجل يطوف في الحي العظيم فيه القوم فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الشعبي هو مخير في تحمل الشهادة إذا وجد غيره فإن شاء شهد وإن شاء لم يشهد فإذا لم يوجد غيره فترك إلا ما فرض عليه وقال بعضهم هذا أمر ندب وهو مخير في جميع الأحوال إن شاء شهد وإن شاء لم يشهد وهو قول عطاء وعطية وقال أبو بحرية قلت للحسن أدعى إلى الشهادة وأنا كاره قال فلا تجب ولا تشهد إن شئت وقال مغيرة قلت لإبراهيم إني أدعى إلى الشهادة وإني أخاف أن أنسى قال فلا تشهد أن تحب وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا ياب الشهداء إذا مادعوا لإقامة الشهادة إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وروى سفيان عن جابر عن عامر قال الشاهد بالخيار ما لم يشهد وقال الحسن والسدي هذه الآية في الأمرين جميعا في التحمل والاقامة إذا كان فارغا ولا تساموا ولا تملوا يقال سئمت أسام سأمًا وسامة قال زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم وقال لبيد ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد وأن في محل النصب من وجهين إن شئت جعلته مع الفعل مصدرا وأوقعت السامة عليه تقديره ولا تساموا كتابته وإن شئت نصبت بنزع حروف الصفة تقديره ولا تساموا من أن تكتبوه والهاء راجع إلى الحق وقرأ السلمي ولا يساموا بالياء صغيرا كان الحق أو كبيرا قليلا كان المال أو كثيرا وانتصاب الصغير والكبير من وجهين أحدهما على الحال والقطع من الهاء والثاني أن تجعله خبرا لكان وأضمر يعني ولا تساموا أن تكتبوه

(2/48)

صغيرا كان الحق أو كبيرا إلى أجله إلى محل الحق ذلكم الكتاب اقسط أعدل لأنه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه وأقوم وأصوب للشهادة و أدنى وأحرى وأقرب إلى ألا ترتابوا تشكوا في الشهادة ومبلغ الحق والأجل إذا كان مكتوبا نظير قوله ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها وهو أفعل من الدنو ثم استثنى فقال إلا أن

تكون تجارة حاضرة قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم مجازة  
إلا أن تكون التجارة تجارة والمبايعة تجارة وأنشد الفراء لله قومي أي قوم  
بحرة إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا أي إذا كان اليوم يوماً وأنشد أيضاً أعيني هل  
تبكيان عفاً إذا كان طعنا بينهم وعناقاً أراد إذا كان الأمر وقرأ الباقر بالرفع  
على وجهين أحدهما أن يكون معنى الكون الوقوع أراد إلا أن تقع تجارة وحينئذ  
لا خبر له والثاني أن يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله تعالى  
تديرونها بينكم تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ومعنى الآية إلا أن  
تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل ولا نسيئة فليس  
عليكم جناح ألا تكتبوها يعني التجارة وأشهدوا إذا تبايعتم قال الضحاك هو عزم  
من الله عز وجل والأشهاد واجب في صغير الحق وكبيره نقده ونسأه ولو على  
باقة بقل وهو اختيار محمد بن جرير وقال أبو سعيد الخدري الأمر فيه إلى  
الامانة قال الله فإن أمن بعضكم بعضاً وقال الآخرون هو أمر ندب إن شاء  
أشهد وإن لم يشاء لم يشهد ثم قال ولا يضار كاتب ولا شهيد هو نهي الغائب  
وأصله يضارر فأدغمت الراء في الراء ونصبت لحق التضعيف لإجماع الساكنين  
والفتح أخف الحركات فحركت إليه وأما تفسير الآية فأجراها بعضهم على  
الفعل المعروف وقال أصله يضارر بكسر الراء وجعل الفاعل الكاتب والشهيد  
معناه ولا يضار كاتب فيكتب مالم يمل عليه يزيد أو ينقص

(2/49)

أو يحرف ولا شهيد فيشهد مالم يشهد عليه أو يمتنع من إقامة الشهادة وهذا  
قول طاووس والحسن وقتادة وابن زيد وأجراه آخرون على الفعل المجهول  
وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين وقالوا أصله لا يضار ومعنى الآية هو أن  
الرجل يدعوا الكاتب أو الشهيد وهما على حاجة مهمة فيقولان إنا مشغولان  
فاطلب غيرنا فيقول الذي يدعوه إن الله أمر كما أن تجيباً في الكتابة والشهادة  
ويبلغ عليهما ويشغلها عن حاجتهما فنهى الله عز وجل عن مضارتهما وأمر أن  
يطالب غيرهما وقال الربيع بن أنس لما نزلت هذه الآية ولا ياب كاتب أن يكتب  
كما علمه الله فليكتب ولا ياب الشهداء إذا مادعوا كان أحدهما يجيء إلى  
الكاتب فيقول له أكتب فيقول إني مشغول أو لي حاجة فانطلق إلى غيري  
فيلزمه ويقول إنك قد أمرت بالكتابة فلا يدعه فيضاره بذلك وهو يجد غيره  
وكذلك يفعل مع الشاهد فأنزل الله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد ودليل هذا  
التأويل قراءة عمر وأبي وابن مسعود ومجاهد ولا يضارر كاتب ولا شهيد باظهار  
التضعيف على وجه مالم يمنع ولا يضار وقرأ أبو جعفر ولا يضار مجزوماً مخففاً  
القي راء واحدة أصلاً وقرأ الحسن ولا يضار بكسر الراء مشدداً وإن تفعلوا ما  
نهيتكم عنه من الضراء فإنه فسوق بكم خروج عن الأمر وأتقوا الله وبعلمكم  
الله والله بكل شيء عليم وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة  
فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا  
الشهادة ومن يكتمها فإنه ءاثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في  
السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في صلب الله عليه وسلم أنفسكم أو  
تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء  
قدير ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته  
وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا  
لا

(2/50)

---

تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من  
قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا  
فانصرنا على القوم الكافرين وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً قرأ ابن  
عباس وأبو العالية ومجاهد كتاباً  
وقالوا ربما وجد الكاتب ولم يجد المداد ولا الصحيفة وقالوا لم تكن قبيلة من  
العرب إلا كان فيهم كاتب ولكن كانوا لا يقدرون على القلم والدواة وقرأ  
الضحك كتاباً على جمع الكاتب وقرأ الباقر كتاباً على الواحد وهو الأنسب مع  
المصحف فرهان مقبوضة قرأ ابن عباس وإبراهيم وزر بن حبيش ومجاهد وابن  
كثير وأبو عمرو فرهن بضم الراء والهاء وقرأ عكرمة والمنهال وعبد الوارث  
فرهن بضم الراء وجزم الهاء وقرأ الباقر فرهان وهو جمع الرهن ذلك نحو  
فعل وفعال وحبل وحبال وكبش وكباش وكعب وكعاب والرهن جمع الرهان  
جمع الجمع قاله الفراء والكسائي وقال غيرهما وأبو عبيدة هو جمع الرهن قالوا  
ولم نجد فعلاً يجمع على فعل إلا ثمانية أحرف خلق وخلق وسقف وسقف  
وقلب وقلب وجد وجد بمعنى الحظ وحث وحث وورد وورد ونسر ونسر ورهن  
ورهن قال الأخطل وعمرو بن أبي عوف به حتى يغادره العقبان والنسر وأنشد  
الفراء حتى إذا بليت حلاقيم الحلق أهوى لأدنى فقرة على شفق وقال أبو عمرو  
وإنما قرأنا فرهن ليكون قرفاً بينها وبين رهان الخيل وأنشد لقعبن ابن أم  
الصاحب بانث سعاد وأمسى دونها عدن وغلقت عندها من قلبك الرهن أي  
وحب لها والتخفيف والتثقيب في الرهن لغتان مثل كتب وكتب ورسل ورسل  
ومعنى الآية وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً الآن للكتابة فارتهنوا ممن  
تداينونه رهوناً ليكون وثيقة لكم بأموالكم وأجمعوا إن الرهن لا يصح إلا بالقبض  
وقال مجاهد ليس الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب وأجاز غيره في جميع  
الأحوال ورهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودي فإن أمن  
بعضكم بعضاً مدني حرف أبي فإن أمن يعني فإن كان الذي عليه

(2/51)

---

الحق أمينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئاً لثقتة وحسن ظنه فليؤد الذي  
أؤتمن أفتعل من الأمانة وهي الثقة كتبت همزتها واوا لاضمام ما قبلها أمانته  
وليتق الله ربه في أداء الحق ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال ولا تكتموا  
الشهادة إذا دعيتم إلى إقامتها وقرأ السلمي ولا يكتموا بالياء ومثله يعملون ثم  
ذكر وعيد كتمان الشهادة فقال عز من قائل ومن يكتمها فإنه أثم قلبه فاجر  
قلبه وهو ابتداء وخبر وقرأ إبراهيم بن أبي عيلة فإنه أثم قلبه على وزن أفعل  
أي جعل قلبه أثماً والله بما تعملون عليم من بيان الشهادة وكتمانها روى  
مكحول عن أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كتم  
الشهادة إذا دعي كان كمن شهد بالزور لله مافي السماوات وما في الأرض

الآية اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها يعني وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوه الكتمان يحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة ورواية مجاهد ومقسم عن ابن عباس يدل عليه قوله فيما قبله ولا تكتموا الشهادة وقال بعضهم نزلت هذه الآية فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين يعني وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تستروه يحاسبكم الله وهو قول مقاتل والواقدي يدل عليه قوله في آل عمران قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار يعلمه الله يدل عليه ما قبله وقال آخرون هذه الآية عامة ثم اختلفوا في وجه عمومها فقال بعضهم هي منسوخة روت الرواية بالفاظ مختلفة قال لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجتوا على الركب وقالوا يارسول الله والله ما نزلت آية أشد علينا من هذه الآية وأنا لا نسر أن يكون لأحدنا الدنيا وما فيها وأنا لماخوذون ما نحدث به أنفسنا هلكننا والله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت

(2/52)

قالوا هلكننا وكلفنا من العمل ما لا نطيق قال فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا واشتد ذلك عليهم فمكثوا بذلك حولا فأنزل الله عز وجل الفرج والراحة بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فنسخت الآية ما قبلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد تجاوز لأمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا به وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وابن عباس برواية سعيد بن جبير وعطاء ومن التابعين وأتباعهم محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وقتادة والكلبي وشيبة قال سعيد بن مرجانة بينما نحن جلوس عند عبد الله بن عمر إذ تلا هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فقال ابن عمر إن أخذنا الله بها لنهلكن ثم بكأ حتى سمع قال ابن مرجانة فذكرت ذلك لابن عباس فقال يغفر الله لأبي عبد الرحمن فقد وجد المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد فأنزل الله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وكانت الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها فصار الأمر إلى القول والفعل به فنسخت تلك الآية وقال بعضهم هذه الآية محكمة غير منسوخة لأن النسخ والأخبار غير جائز إلا في خبر فيه أمر أو نهي أو شرط ثم اختلفوا في وجه تأويلها فقال قوم من أهل المعاني قد اثبت الله عز وجل للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبهم وكل عامل مأخوذ بكسبه ومجازى على عمله فلا تظن الله عز وجل بتارك عبدا يوم القيامة أسر أمرا أو أعلنه من حركة في جوارحه أو همسة في قلبه دون أن يعرفه إياه ويخبره به ثم يغفر ما شاء لمن يشاء ويعذب من شاء بما يشاء معنى الآية وإن تظهروا ما في أنفسكم من المعاصي فتعملوه أي تضمروا إرادتها في أنفسكم فتخفوها يخبركم به ويحاسبكم عليه ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهذا معنى قول الحسن والربيع وقيس بن أبي حازم ورواية الضحاك عن ابن عباس يدل عليه قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع



والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وقال آخرون معنى الآية إن الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته إياهم على ما أخفوه مما لم يعملوها بما يحدث في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها ويألمون بها وهذا قول عائشة روي بأنها سألت عن هذه الآية فقالت ما سألت عنها أحد فقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا

عائشة هذه معاتبه الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكية حتى الشوكة والبضاعة يضعها في جيبه فيفقدتها فيفرغ لها فيجدها في جيبه حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكيس يدل عليه قوله من يعمل سوءا يجز به يعني في الدنيا وقال مجاهد في رواية منصور وابن أبي جريح قال وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يعني من اليقين والشك وقال جعفر بن محمد وإن تبدوا ما في أنفسكم يعني الإسلام أو تخفوه يعني الإيمان وقال بعضهم وإن تبدوا ما في أنفسكم يعني ما في قلوبكم مما عرفتم وعقدتم عليه أو تخفوه فلا تبدو وأنتم مجتمعون وعازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثتم به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يؤاخذ به ودليل هذا التأويل قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وعن عبد بن المبارك قال قلت لسفيان ليؤاخذ العبد بالهمة قال إذا كان عزما أخذ بها وعن عمرو بن جرير قال خرجت وأنا شاب لأمر هممت به فمررت بأبي طالب القاص والناس مجتمعون عليه وكان أول شيء تكلم به أن قال أيها الهام بالمعصية علمت أن خالق الهمة مطلع على همتك قال فخررت والله مغشيا علي فما أفقت إلا عن توبة وعن إسماعيل بن أبي خالد قال أصابت بني إسرائيل مجاعة فمر رجل على رمل فقال وددت أن هذا الرمل دقيق لي فأطعمه بني إسرائيل فأعطي على نيته وعن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه قال كان رجل يطوف على العلماء يقول من يدلني

على عمل لا أزال منه عاملا لله عز وجل فإني أحب أن لا تأتي علي ساعة من الليل والنهار إلا وأنا عامل فقيل له قد وجدت حاجتك فأعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله إن الهام بعمل الخير كعامله وهذا يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله لأن العمل ينقطع والنية لا تنقطع

وقال محمد بن علي معنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم من الأعمال الظاهرة أو تخفوه من الأحوال الباطنة يحاسبكم به الله العابد على أفعاله والعارف على أحواله وقال بعضهم إن الله يقول يوم القيامة يوم تبلى السرائر وتخرج الضمائر وأن كتابي لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها وأنا مطلع على سرائركم ما لم يعلموه ولم يكتبوه فإنا أخبركم بذلك وأحاسبكم عليه لتعلموا أنه

لا يعذب عني مثقال ذرة من أعمالكم ثم أغفر لمن شئت وأعذب من شئت  
فأما المؤمنون فيخبرهم بذلك ويغفر لهم ولا يؤاخذهم بذلك إظهاراً لفضله وأما  
الكافرون فيخبرهم بها ويعاقبهم عليها إظهاراً لعدله فمعنى الآية وإن تبدوا ما  
في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم وأسررتم وأردتم يحاسبكم به  
الله ويخبركم ويعرفكم إياه فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين وهذا معنى قول  
الضحاك والربيع ورواية العوفي والوالي عن ابن عباس يدل عليه قوله  
يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم والمحاسبة غير المعاقبة والحساب ثابت  
والعقاب ساقط ومما يويد هذا حديث النجوى وهو ما روى قتادة عن صفوان بن  
محرز قال بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمرو إذ عرض له رجل  
فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى  
فقال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى  
يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل أذنبت ببعض كذا فيقول رب أعرف  
فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا فيقول الله أنا الذي سترتها عليك في الدنيا فأنى  
أغفرها لك اليوم لم يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا وأما الكفار

(2/55)

---

والمنافقون فينادون على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة  
الله على الظالمين الأعمش عن معمر بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يؤتى الرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار  
ذنوبه فيعرض عليه فيقال عملت كذا وكذا يوم كذا وهو يقر ولا ينكر ويخبا  
عنه كبار ذنوبه وهو منها مشفق فيقول اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة  
فيقول إن لي ذنوبا ما أراها هاهنا قال قال أبو ذر فلقد رأيت النبي صلى الله  
عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقال الحسين بن مسلم يحاسب الله عز  
وجل المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل والكافرين بالحجة والعدل

(2/56)

---

فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء رفعهما أبو جعفر وابن عامر وابن محيصن  
والحسن وعاصم ويعقوب وأختره أبو حاتم ونصبتها ابن عباس وجزمها الباقون  
فالجزم على النسق والرفع على الإبتداء أي فهو يغفر والنصب على الصرف  
وقيل على إضمار أن الخفيفة وروى طاووس عن ابن عباس فيغفر لمن يشاء  
الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم  
يسألون والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه الآية روى  
طلحة بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى فأعطى لنا الصلوات الخمس وخواتيم  
سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً إلا المقحمت وعن علقمة  
بن قيس عن عقبة بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
أنزل الله عز وجل آيتين من كنوز العرش كتبهما الرحمن عز وجل قبل أن  
يخلق الخلق بألفي سنة من يقولها بعد العشاء الآخرة مرتين أجزاء عنه قيام  
الليل آمن الرسول إلى آخر السورة وروى أبو قلابة عن أبي الأشعث الهمداني

عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل فيه آيتين فحتم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال وروى عبد الرحمن عند ابن زيد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفياه موسى بن حذيفة عن ابن المنكدر قال حدثنا حديثا رفعه إلي النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخر سورة البقرة آيات أنهن قرآن وأنهن دعاء وأنهن يرضين الرحمن وفي الحديث أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن بيت ثابت بن أويس بن شماس يزهر الليلة كالمصاييح قال لعله يقرأ سورة البقرة فسئل ثابت فقال قرأت سورة البقرة آمن الرسول بما أنزل من ربه قيل إن هذه الآية نزلت حين شق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوعدهم الله عز

(2/57)

---

وجل به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلمكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو إسرائيل فقالوا بل نقول سمعنا وأطعنا فأنزل الله عز وجل ثناء عليهم وإخبارا عنهم آمن الرسول أي صدق بما أنزل إليه من ربه قال قتادة لما أنزلت آمن الرسول قال النبي صلى الله عليه وسلم وحق له أن يؤمن والمؤمنون وفي قراءة علي وعبد الله وأمن المؤمنون كل آمن بالله وحد الفعل على لفظ كل المعنى كل واحد منهم آمن فلو قال آمنوا لجاز لأن كل قد تجيء في الجمع والتوحيد فالتوحيد قوله عز وجل كل قد علم صلاته وتسيبته والجمع قوله كل إلينا راجعون وكل أتوه داخرين وملائكته وكتبه قرأ ابن عباس وعكرمة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وكتابه على الواحد بالألف وقرأ الباقر كتبه بالجمع وهو ظاهر كقوله وملائكته ورسله والتوحيد وجهان أحدهما إنهم أرادوا القرآن خاصة والآخر إنهم أرادوا جميع الكتب يقول العرب كثر اللبن وكثر الدرهم والدينار في أيدي الناس يريدون الألبان والدراهم والدنانير يدل عليه قوله فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ورسله جمع رسول وقرأ الحسن وابن سلمة بسكون السين لكثرة الحركات وكذلك روى العباس عن ابن عمرو وروى عن نافع وكتبه ورسله مخفين الباقرن بالاشباع فيها على الأصل لا نفرق بين أحد من رسله نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وفي مصحف عبد الله لا نفرقن قرأ جرير بن عبد الله وسعيد بن جبير وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ويحيى بن يعمر والجحدري وابن أبي إسحاق ويعقوب لا يفرق بالياء على معنى لا نفرق الكل فيجوز أن يكون خبرا عن الرسول

(2/58)

---

وقرأ الباقرن بالنون على إضمار القول تقديره وقالوا لا نفرق كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقوله وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم يعني فيقال لهم أكفرتم وقوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون

ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا أي يقولون ربنا والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أي يقولون ما نعبدهم وما يقتضي شيئين فصاعدا وإنما قال بين أحد ولم يقل أحد لأن الواحد يكون للواحد والجمع قال الله فما منكم من أحد عنه حاجزين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم قال رؤية ماذا أمور الناس ديكت دوكا لا يرهيون أحدا رواكا وقالوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك خلاف قول اليهود وروى حكيم بن جابر أن جبرائيل ج أتى النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت آمن الرسول فقال إن الله عز وجل قد من عليك وعلى أمتك فاسأل تعطى فاسأل رسول الله عز وجل فقال غفرانك غفرانك وهو نصب على المصدر أي أغفر غفرانك مثل قولنا سبحانك أي نسبحك سبحانك وقيل معناه نسألك غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ظاهر الآية قضاء الحوائج وفيها إضمار السؤال والحاجة كأنه قال لهم تكلفنا إلا وسعنا فأجاب الله فقال لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والوسع اسم لما يسع الإنسان وما يشق عليه وقيل يشق ويجهد وقرأ إبراهيم ابن أبي عبلة الشامي لا يكلف الله نفسا إلا وسعها بفتح الواو وكسر

(2/59)

---

السين على الفعل يريد إلا وسعها أمره أو أراد إلا ما وسعها فحذف ما واختلوا في تأويله فقال ابن عطاء والسدي وأكثر المفسرين أراد به حديث النفس وذلك أن الله تعالى لما أنزل وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء المؤمنون عامة وقالوا يارسول الله هذا لتتوب من عمل الجوارح فكيف تتوب من الوسوسة وكيف نمتنع من حديث النفس فأنزل الله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي طاقتها وكان حديث النفس مما لم يطبقوا قال ابن عباس في رواية أخرى المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم إلا ما هم له مستطيعون فقال يريد الله بكم اليسر وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال فاتقوا الله ما استطعتم قال الثعلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن نافع السجري بهراة قال سمعت أبا يزيد حاتم بن محبوب الشامي قال سمعت عبد الجبار بن العلاء العطار يقول سئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فقال إلا يسرها لا عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها قال الثعلبي وهذا قول حسن لأن الوسع ما دون الطاقة فقال بعض أهل الكلام يعني إلا ما يسعها ويحل لها كقول القائل ما يسعك هذا الأمر أي ما يحل الله لك فبين الله تعالى أن ما كلف عباده فقد وسعه لهم والله أعلم لها ما كسبت أي للنفس ما عملت من الخير والعمل الصالح لها أجره وثوابه وعليها ما اكتسبت من الشر بالعمل السيء عليها وزره ربنا لا تؤاخذنا لا تعاقبنا قال أهل المعاني وإنما خرج على لفظ المفاعلة وهو فعل واحد لأن المسيء قد أمكر وطرق السبيل إليها وكأنه أعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به فشاركه في أخذه إن نسيها جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو

(2/60)

---

قال الكلبي كانت نبو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به وأخطأوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك وقال بعضهم هو من النسيان الذي هو الترك والإغفال قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم والأول أجود أو أخطأنا جعله بعضهم من القصد والعمد يقال خطيء فلان إذا تعمد يخطأ خطأ وخطأ قال الله إن قتلهم كان خطأ كبيراً وأنشد أمية بن أبي الصلت عبادك يخطئون وأنت رب يكفيك المنايا والحتوم وجعله الآخرون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو وهو الأصح لأن ما كان عمداً من الذنب غير مغفور عنه بل هو في مشيئة الله تعالى ما لم يكن كفراً قال عطاء بن نسيان أو أخطأنا يعني إن جهلنا أو تعمدنا له وقال ابن زيد إن نسينا شيئاً مما أفترضته علينا أو أخطأنا شيئاً مما حرمته علينا وقال الزهري سمع عمر رجلاً يقول اللهم اغفر لي خطاياي فقال إن الخطايا مغفورة ولكن قل اللهم اغفر لي عمدي قال النبطي وحدثنا ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه قال حدثنا عبد الله بن المصفى السكري قال حدثنا محمد بن المصلى المحمدي قال حدثنا الوليد قال حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ربنا ولا تحمل علينا أصراً قال بعضهم يعني عهداً وعقداً وميثاقاً لا نطبق ذلك ولا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقصه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به فأهلكتهم وعذبناهم هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والضحاك والربيع ومقاتل والسدي والكلبي وابن جريج والفراء ورواية عطية وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس يدل عليه قوله وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي

(2/61)

---

وقال بعضهم الأصر الثقل أي لا تشقق علينا ولا تشدد ولا تغلظ الأصر علينا كما شددت على من كان قبلنا من اليهود وذلك أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربح أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب منهم ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الأثقال والأغلال التي كانت عليهم وهذا معنى قول عثمان بن عطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة والمؤرخ والقتبي وابن الأنباري يدل عليه قوله وبضع عنهم إصرهم والأثقال التي كانت عليهم وقال ابن زيد معناه لا تحمل علينا ذنباً ليس فيه توبة ولا كفارة وإلا يفعل في هذه كلها العقد والأحكام ويقال للشيء الذي تعقد به الأشياء الأصر ويقال بينه وبين فلان أصرة رحم وما تأصرتني أي ما يعطفني عليه عهد ولا قرابة وقال أنشدني أبو القاسم السدوسي قال أنشدني السميع بن محمد الهاشمي قال أنشدنا أبو الحسن العبسي قال أنشدنا العباس بن محمد الدوري الشافعي إذا لم تكن لأمرىء نعمة لدي ولا بيننا أصره ولا لي في وده حاصل ولا نفع في الدنيا ولا الآخرة وأفانيت عمري على بابه فتلك إذا صفقة خاسرة ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به أي لا تكلفنا من الأعمال مالا نطبق هذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن زيد وقال بعضهم هو حديث النفس والوسوسة وعن أبي ثوبان عن أبيه عن مكحول في قوله تعالى ولا تحملنا مالا

طاقة لنا به قال وعن أبي القاسم عن مالك الشامي أن أبا إدريس الحولاني كان يأتي أصحابه ويقول اللهم أعذني و جرف إلى جهنم سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم في قوله تعالى ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال المشقة وعن أبي القاسم عبد الله بن يحيى بن عبيد قال سمعت أبا القاسم عبد الله بن أحمد قال سمعت محمد بن عبد الوهاب ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال يعني العشق قال

(2/62)

---

خباب حضرت مجلس ذي النون المصري في فسطاطه فتكلم ذلك اليوم في محبة الله فمات أحد عشر نفسا في المجلس فصاح لا يحل من المزيد بر فقال يا أبا القيس ذكرت محبة الله فاذكر محبة المخلوقين فتأوه ذو النون تأوها شديدا ومد يده إلى وجهه ووقف منتصبا وقال له خلقت قلوبهم واستعبرت عيونهم وتألفوا السهاد وفارقوا الرقاد فليلهم طويل نومهم وقليل أحزانهم لا تعد وهمومهم لا تعقد أمورهم عسيرة ودموعهم غزيرة باكية عيونهم قريحة جفونهم عاداهم الرفاق والأهل والجيران وقال يحيى لو تركت العقوبة بيدي يوم القيامة ما عذبت العشاق لأن ذنوبهم اضطرارا لا اختيارا قال ابن جريج هو مسخ القردة والخنزير وقال بعضهم هو شماتة الأعداء وروي عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه قال قيل لأيوب ج ما كان أشق عليك في طول بلائك قال شماتة الأعداء وأنشد ابن الأعرابي كل المصائب قد تمر على الفتى فتهدون غير شماتة الحساد إن المصائب تنقضي أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد وقيل هو القطيعة والفرقة نعوذ بالله منها وقيل قطع الأوصال أيسر من قطع الوصال وقال النظام لو كان للبين صورة لما راع الذنوب ولهذ الجبال ولجمر الغضا أقل من ولو عذب الله سبحانه أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى حر العذاب وأعف عنا أي تجاوز واصفح عن تقصيرنا وذنوبنا وأغفر لنا واستر علينا ذنوبنا وتجاوز عنها ولا تعاقبنا وأرحمنا فإننا لا ننال العمل لطاعتك ولا ترك معصيتك إلا برحمتك وقيل واعف عنا من المسخ واغفر لنا عن السيئات وارحمنا من القذف وقيل واعف عنا من الأفعال واغفر لنا من الأقوال وأرحمنا من العقود والأضمان وقيل واعف عنا الصغائر وأغفر لنا الكبائر وأرحمنا بتثقل الميزان مع إفلاسنا وقيل واعف عنا في سكرات الموت وأغفر لنا في ظلمة القبر وارحمنا في ظلمة القبر أنت مولانا أي ناصرنا وحافظنا وولينا ووال بنا فأنصرنا على القوم الكافرين عطاء عن سعيد عن ابن عباس في قول الله تعالى أمن الرسول

(2/63)

---

إلى قوله وإليك المصير قال قد غفرت لكم لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال لا أوأخذكم ربنا ولا تحمل علينا أصرا قال لا أحمل عليكم ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم

ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وروى سفيان عن أبي إسحاق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال أمين يتلوه سورة آل عمران والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خير الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين وسلم قال مسروق نعم كنز الصلوك سورة البقرة وآل عمران يقرأهما من آخر الليل وقال وهب بن منبه من قراء ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور ما بين عجيبا إلى غريبا وعجيبا الأرض السابعة وغريبا العرش وقال مسروق من قرأ سورة البقرة في ليلة توج بها وفي الحديث السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن سؤال فإن قيل يجوز أن يحمل الله أحدا ما لا يطيق قال الزجاج قيل له إن أردت ما ليس في قدرته فهو محال وإن أردت ما يتقل عليه فله تعالى أن يفعل من ذلك ما شاء لأن الذي كلفه بني إسرائيل من قتل أنفسهم ثقل عليهم وهذا كقولك ما أطيق كلام فلان فليس المعنى ليس في قدرتك ولكن معناه أن يتقل عليك فإن قيل هل يجوز على العادل أن يكلف فوق الوسع قيل قد أخبر عن سعته ورحمته وعطفه على خلقه كما نفى الظلم عن نفسه وإن كان لا يتوهم منه الظلم بحال وقال قوم لو كلف فوق الوسع لكان له لأن الخلق خلقه والأمر أمره ولكنه أخبر أنه لا يفعله والسلام

(2/64)

---

سورة آل عمران  
روي أنها أربعة عشر ألف حرف وخميس مائة وخمسة وعشرون حرفا وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانين كلمة ومائتا آية فضلها روي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم روي عن أبي إسحاق عن سليمان بن حنظلة قال قال عبد الله بن مسعود من قرأ آل عمران فهو غني يحيى بن نعيم عن أبيه عن أبي المعرش عن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وإنهما يأتيان يوم القيامة في صورة ملكين شفعاء له جزاء حتى يدخله الجنة إبراهيم بن أبي يحيى عن أبي الحرين عن أبي عبد الله الشامي قال من قرأ سورة البقرة وآل عمران في ليلة الجمعة يبدل له يوم القيامة جناحات يطير بهما على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم آل صلى الله عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم الله لا صلى الله عليه وسلم إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في

(2/65)

---

الارحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم هو الذي صلى الله عليه وسلم أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون ءأمانا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب أخبرنا محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر الزبير ومحمد بن مروان عن الكلبي وعبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس قالوا نزلت هذه فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وفى الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد عالمهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم ويقال شرحبيل وأبو حارثة بن علقمة الذى يعتبر حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كهنتهم من حسن عمله فى دينهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنو له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحديد فى جمال رجال بلحرت بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا وصلوا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاء كما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا إن لم يكن ولد لله فمن أبيه وخاصموه جميعا فى عيسى عليه السلام فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يكون ولد إلا وشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وإن عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء

(2/66)

يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال أستم تعلمون إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال أستم تعلمون إن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة حملها ثم غذي كما يغذى الصبي وكان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله تعالى فيهم صدر سورة آل عمران الى بضعة وثمانين آية منها فقال عز من قائل ألم قرأ ابن جعفر بن زبير القعقاع المدنى ال م مفصولا ومثلها جميع حروف التهجي المفتوح بها السور وقرأ ابن جعفر الرواسي والاعشى والهرحمي ألم الله مقطوعا والباقون موصولا مفتوح الميم فمن فتح الميم ووصل فله وجهان قال البصريون لإلتقاء الساكنين حركت إلى أخف الحركات وقال الكوفيون كانت ساكنة لأن حروف الهجاء مبنية على الوقف فلما تلقاها ألف الوصل وأدرجت الألف فقلبت حركتها وهي الفتحة الى الميم ومن قطع فله وجهان أحدهما نية الوقف ثم قطع الهمزة للإبتداء كقول الشاعر لتسمعن وشيكا فى ديارهم الله أكبر يا ثارات



عثمانا والثاني أن يكون أجراه على لغة من يقطع ألف الوصل كقول الشاعر  
إذا جاوز الأثنين سر فإنه بنت وتكثير الوشاة قمين ومن فصل وقطع فلتتخيم  
والتعظيم تعالى الله ابتداء وما بعده خبر لا إله إلا هو الحي القيوم نعت له نزل  
عليك الكتاب قرأ إبراهيم بن أبي عبلة نزل بتحفيف الزاي الكتاب برفع الباء  
وقرأ الباقون بتشديد الزاي ونصب الباء على التكثير لأن القرآن كان ينزل  
نحوما شيئاً بعد شيء والتنزيل يكون مرة بعد مرة وقال وأنزل التوراة والأنجيل  
لأنهما نزلتا

(2/67)

---

دفعة نزل عليك يا محمد الكتاب القرآن بالحق بالعدل والصدق مصدقا موافقا  
لما بين يديه لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع  
وأنزل التوراة والإنجيل قال البصريون أصلها ووديه دوجله وحرقله فحولت  
إلواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفا فصارت توراة ثم كتبت بالياء على  
أصل الكلمة وقال الكوفيون هي تفعله والعلة فيه ما ذكرنا مثل توصية و توفية  
فقلبت الياء ألفا كما يفعل طي فيقول للجارية جارة وللناصية ناصاة وأصلها  
من قولهم وري الزند إذا أخرجت ناره وأولته أنا قال الله عز وجل أفرأيتم النار  
التي تورون وقال فالموريات قدحا فتسمى تورية لأنه نور وضياء دل عليه قوله  
تعالى وضياء وذكرى للمتقين قاله الفراء وأكثر العلماء وقال المؤرخ هي من  
التورية وهي كتمان الشيء والتعريض لغيره ومن الحديث كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذا أراد شيئاً وري بغيره وكان أكثر التورية معارض  
وتلويحا من غير إيضاح وتصريح وقيل هي بالعبرانية نوروثو ومعناه الشريعة  
والإنجيل أفضل من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلا لخروجه قال  
الأعشى أنجب أزمان والداه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا فسمي بذلك لأن الله  
تعالى أخرج به دارسا من الحق عافيا ويقال هو من المنتجل وهو سعة الجن  
يقال قطعنه نجلا أي واسعة فسمي بذلك لأنه أصل أخرجهم لهم ووسعه عليهم  
نورا وضياء وقيل هو بالسريانية انقليون ومعناه الشريعة وقرأ الحسن الأنجيل  
بفتح الهمزة يصححه الباقون بالكسر مثل الإكليل من قبل رفع على الغاية  
والغاية هاهنا قطع الكتاب عنه كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد وقال  
زهير وما كان من خير أتوه وإنما توارثه آباء آبائهم قبل

(2/68)

---

هدى للناس هاد لمن تبعه ولم ينته لأنه مصدر وهو في محل نصب على الحال  
والقطع وأنزل الفرقان الفرق بين الحق والباطل قال السدي في الآية تقديم  
وتأخير تقديرها وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للمتقين إن الذين كفروا  
بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو إنتقام إن الله لا يخفى عليه شيء  
في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ذكرا وأنثى  
قصيرا وطويلا أسودا وأبيضا حسنا وقبيحا سعيدا وشقيا لا إله إلا هو العزيز  
الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات متقنات مبينات  
مفصلات هن أم الكتاب أي أصله الذي يعمل عليه في الأحكام ويجمع الحلال

والحرام ويفرغ لأهل الإسلام وهن آيات التوراة والإنجيل والقرآن وفي كل كتاب يرضى به أهل كل دين ولا يختلف فيه أهل كل بلد والعرب تسمى كل شيء فاضل جامع يكون مرجعا لقوم كما قيل للوح المحفوظ أم الكتاب والفاتحة أم القرآن ولمكة أم القرى وللدماغ أم الرأس وللوالدة أم وللراية أم وللرجل الذي يقوم بأمر العيال أم وللبقرة والناقة أو الشاة التي يعيش بها أهل الدار أم وكان عيسى عليه السلام يقول للماء هذا أبي وللخبز هذه أمي لأن قوام الأبدان بهما وإنما قال أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالأية الواحدة وكلام الله واحد وقيل معناه كلمة واحدة فهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمّه آية أي كل واحد منهما آية وآخر جمع أخرى ولم يصرف لأنه معدول عن أواخر مثل عمر وزفر وهو قاله الكسائي وقيل ترك أخراه لانه نعت مثل جمع وكسع لم يصرفا لأنهما نعتان

(2/69)

---

وقيل لأنه مبني على واحدة في ترك الصرف وواحدة اخرى غير مصروف متشابهات تشبه بعضها بعضا واختلف العلماء في المحكم والمتشابه كليهما فقال فتادة والربيع والضحاك والسدي المحكم الناسخ الذي يعمل له والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به هي رواية عطية عن ابن عباس روى علي ابن ابي طلحة عنه قال محكمات القرآن ناسخة وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمر به ويعمل به والمتشابهها منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به زهير بن معاوية عن ابي إسحاق قال قال ابن عباس قوله تعالى منه آيات محكمات قال هي الثلاث الآيات في سورة الأنعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر الآيات الثلاث نظيرها في سورة بني اسرائيل وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه الآيات وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضها بعضا قد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال الحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه ما أحتمل من التأويل أوجها وقال ابن زبير من المحكم ما ذكر الله تعالى في كتابه من قصص الانبياء عليهم السلام وفصلت وتنته لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته كما ذكر قصة نوح في أربع وعشرين آية منها وقصة هود في عشر آيات وقصة صالح في ثمان آيات وقصة إبراهيم في ثمان آيات وقصة لوط في ثمان آيات وقصة شعيب في عشر آيات وقصة موسى في آيات كثيرة وذكر آيات حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع وعشرين آية والمتشابه هو ما اختلف به الالفاظ من قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح قلنا احمل وقال وفي موضع آخر فأسلك

(2/70)

---

وقال في ذكر عصا موسى فإذا هي حية تسعى وقال في موضع آخر ثعبان مبين ونحوها وإن بعضهم قال المحكم ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه والمتشابه ما ليس لأحد الى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه وذلك نحو الخبر

عن وقت خروج الدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا ومحوها وقال أبو فاختة المحكمات التي هن أم الكتاب فواتح السور منها يستخرج القرآن الم ذلك الكتاب لا ريب فيه منها استخرجت البقرة و الم الله أستخرجت آل عمران وقال ابن كيسان المحكمات حبتها واضحة ودلائلها لائحة لا حاجة بمن سمعها الى طلب معانيها في المتشابه الذي شك علمه بالنظر فيه يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم المحكم ما أجمع على تأويله والمتشابه ما ليس معناه واضح وقال أبو عثمان المحكم فاتحة الكتاب وقال الشعبي رأيت في بعض التفاسير أن المتشابه هو ما خفي لفظه والمحكم ما كان لفظه واضح وعلى هذا القرآن كله محكم من وجه على معنى بشدة قال الله تعالى كتاب أحكمت آياته والمتشابه من وجه فهو إنه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا وقال ابن عباس في رواية شاذان المتشابه حروف التهجي في أوائل السور وذلك بأن حكام اليهود هم حبي بن أحطب وكعب بن الأشرف ونظراءهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حبي

(2/71)

---

بلغنا أنه أنزل عليك ألم أنزلت عليك قال نعم فإن كان ذلك حقا فإني أعلم من هلك بأمته وهو إحدى وسبعون سنة فهل أنزلت عليك غيرها قال نعم والى المص قال هذه أكبر من تلك هي إحدى وستون ومائة سنة فربما غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر من مائة وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليلة ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق وقيل شك فيتبعون ما تشابه منه إختلفوا في معنى هذه الآية فقال الربيع هم وفد نجران خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ألسنت تعلم أنه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الكلبي هم اليهود أجهل هذه الأمة باستخراجهم بحساب الجمل وقال ابن جري هم المنافقون قال الحسن هم الخوارج وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ قال إن لم يكونوا آخرون فالسبائية ولا أدري من هم وقال بعضهم هم جميع المحدثه وروي حماد بن سلمة وأبو الوليد يزيد بن أبي ميثم وأبوه جميعا عن عبد الله بن أبي مليكة الفتح عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب فقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين يسألون عما تشابه منه ويجادلون فيه الذين عنى الله عز وجل فاحذروهم ولا تخالطوهم ابتغاء الفتنة طلب الشرك قاله الربيع والسدي وابن الزبير ومجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وابتغاء تأويله تفسيره وعلمه دليله قوله تعالى سأنبتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا وقيل ابتغاء عاقبته وطلب مدة أجل محمد وامته من حساب الجمل دليله قوله تعالى

(2/72)

---

ذلك خير وأحسن تأويلا أي عاقبته وأصله من قول العرب تأول الفتى إذا انتهى قال الأعشى على أنها كانت تأول جها تأول ربي السقاب فأصحا يقول هذا السجي لها فانقرت لها وابتغتها قال الله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم واختلف العلماء في نظم هذه الآية وحكمها فقال قوم الواو في قوله الراسخون في العلم واو العطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون أمنا به وهو قول مجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار القتيبي قالوا معناها يعلمونه ويقولون أمنا به فيكون قوله يقولون حالا والمعنى الراسخون في العلم قائلين أمنا به قال ابن المفرغ الحميري أضربت حبك من امامه من بعد أيام برامه الريح تبكي شجوها والبرق يلعب في الغمامة أراد والبرق لامعا في غمامه وتبكي شجوه أيضا ولو لم يكن البرق يشرك الريح في البكاء لم يكن لذكر البرق ولمعانه معنى ودليل هذا التأويل قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ثم قال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم الآية ثم قال والذين تبؤوا الدار والإيمان أي والذين تبؤوا الدار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم ثم أخبر عنهم أنهم يقولون ربنا اغفر لنا الآية ولا شك في أن قوله والذين جاءوا من بعدهم عطف على قوله والذين تبؤوا

(2/73)

الدار وانهم يشاركون للفقراء المهاجرين والأنصار في الفياء ويقولون ربنا اغفر لنا من جملة الذين جاءوا من بعدهم فمعنى الآية والذين جاءوا من بعدهم وهم مع استحقاقهم الفياء يقولون ربنا اغفر لنا أي قائلين على الحال فكذلك هاهنا في يقولون ربنا أي ويقولون أمنا به ومما يؤيد هذا القول أن الله تعالى لم ينزل كتابه إلا لينتفع له مبارك ويدل عليه على المعنى الذي اراده فقال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وقال بلسان عربي مبين والمبين الظاهر وقال بكتاب فصلناه فوصف جميعه بالتفصيل والتبيين وقال لتبين للناس ما نزل إليهم ولا يجوز أن تبين ما لا يعلم وإذا جاز أن يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوله لا يعلمه إلا الله جاز أن يعرفه الربانيون من أصحابه وقال إتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تؤمر باتباع ما لا يعلم ولأنه لو لم يكن للراسخين في العلم هذا لم يكن لهم على المعلمين والجهال فضل لأنهم أيضا يقولون أمنا به كل من عند ربنا ولأننا لم نر من المفسرين على هذه الغاية قوما يوفقوا عن شيء من تفسير القرآن وقالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله بل أعزوه كله وفسروه حتى حروف التهجي وغيرها وكان ابن عباس يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم وقرأ مجاهد هذه الآية وقال أنا ممن يعلم تأويله وروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كل القرآن أعلم ولا أعلم أربعة غسلين وحنانا والواو والترقيم وهذا إنما قال ابن عباس في وقت ثم علمها بعد ذلك وفسرها وقال آخرون الواو في قوله والراسخون في العلم واو الاستئناف وتم الكلام وانقطع عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله ثم ابتدأ وقال والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل

(2/74)

---

من عند ربنا ت والراسخون ابتداء وخبره في يقولون وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن ابن عباس واختيار الكسائي والفراء والمفضل بن سلمة ومحمد بن جرير قالوا إن الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به والآية راجعة على هذا التأويل الى العلم بما في أجل هذه الأمة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال وبأجوج ومأجوج وعلم الروح ونحوها مما استأثر الله لعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه وقال بعضهم إعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه دوننا ونفسه نحن ولم نتعبد بذلك بل ألزمتنا العمل بأوامره وإجتنب نواهيها ومما يصدق هذا القول قراءة عبد الله أن تأويله لا يعلم إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وفي حرف الراسخون في العلم آمنا به ودليله أيضا ما روي عن عمر بن عبد العزيز إنه قرأ هذه الآية ثم قال انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا وقال أبو نهيك الأسدي إنكم تصلون هذه الآية وإنما مقطوعة وهذا القول أقيس العربية وأشبهه مظاهر الآية والقصة والله أعلم والراسخون الداخلون في العلم الذين أتقنوا علمهم واستنبطوه فلا يدخلهم في معرفتهم شك وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته وأوجب فيه يقال رسخ الإيمان في القلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا وكذلك في كل شيء ورسخ رصخ وهذا كما يقال مسلوخ ومصلوخ قال الشاعر لقد رسخت في القلب منك مودة للنبي أبت آياتها أن تغيرا وقال بعض المفسرين من العلماء الراسخون علما مؤمنا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام و ابن سوريا وكعب قيل الراسخون في العلم هم بعض الدارسين علم التوراة وروي عن أنس بن مالك وأبي الدرداء وأبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من

(2/75)

---

الراسخون في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك الراسخ في العلم وقال وهيب سمعت مالك بن أنس يسأل عن تفسير قوله والراسخون في العلم من هم قال العالم العامل بما علم تبع له وقال نافع بن يزيد كما أن يقال الراسخون في العلم المؤمنون بالله المتدللون في طلب مرضاته لا يتعاضمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم وقال بعضهم الراسخون في العلم من وجد في عمله أربعة أشياء التقوى بينه وبين الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه وقال ابن عباس ومجاهد والسدي بقولهم آمنا به سماهم الله تعالى الراسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ما علمناه وما لم نعلمه قال المبرد زعم بعض الناس أن عند ههنا صلة ومعناه كل من ربنا وما يذكر يتعظ بما في القرآن إلا أولو الألباب ذووا العقول ولب كل شيء خالصه فلذلك قيل للعقل لب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا

وأولئك هم وقود النار كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغليون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم ءاية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ربنا لا تزغ قلوبنا أي ويقول الراخون كقوله في آخر السورة ويتفكرون في خلق

(2/76)

---

السموات والأرض ربنا أي ويقولون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب اليهود والنصارى والذين في قلوبهم زيغ يقال زاع يزغ ازاعة إذا مال وزاع تزغ زيغا وزيوغا وزيوغنا إذا حال بعد إذ هديتنا وفقنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من لدنك رحمة وأتينا من لدنك رحمة وتوفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الهدى والإيمان وقال الضحاك تجاوزا ومغفرة الصدق على شرط السنة إنك أنت الوهاب تعطي وفي الآية رد على القدرية وروى عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقلت يا رسول الله وإن القلوب لتقلب قال نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أزاعه وإن شاء أقامه على الحق فنسأل الله تعالى أن لا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب قالت قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي قال بلى قلبي اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني وعن أبي موسى الأشعري قال وإنما مثل القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض خالد بن معدان عن أبي عبيدة بن الجراح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات

(2/77)

---

ربنا إنك جامع الناس ليوم بالبعث ليوم القيامة وقيل اللام بمعنى في أي يوم لا ريب فيه لا شك فيه وهو يوم القيامة عندما قرأ الآية ولذلك انصرف عن الخطر الى الخبر إن الله لا يخلف الميعاد وهو مفعال من الوعد إن الذين كفروا لن تغني قرأ السلمي يغني بالياء المتقدمة من الفعل ودخول الحائل بين الاسم والفعل وقرأ الحسن لن يغني بالياء وسكون الياء الأخيرة كقول الشاعر كفى باليأس من أسماء كافي وليس لسقمها إذا طال شافي وكان حقه أن يقول كافيا فأرسل الياء وأنشد الفراء في مثله كأن أيديهن بالقاع القرقي أيدي جوار يعاطين الورق القرقي والقرقة لغتان في القاع ومعنى قوله لن يغني أي لن ينفع ولن يدفع وإنما سمي المال غنى لأنه ينفع الناس ويدفع عنهم الفقر والنوائب عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً قال الكسائي وقال أبو عبيدة معناه عند

الله شيئاً من بمعنى الحال أولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون نظم الآية إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النعمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية عاقبتناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم وأما معنى كدأب فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وأبو روق والسدي وابن زيد كمثل آل فرعون مع موسى يقول كعب اليهود لكفر آل فرعون والذين من قبلهم ربيع والكسائي وأبو عبيدة كسنة آل فرعون الأخفش كأمر آل فرعون قال أمرؤ القيس

(2/78)

---

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل وهذا أصل الحرف يقال دأب في الأمر أو أبة دأبا ودائب ويدأ ودعوبا إذا أدمنت العمل ونعيته وأدأب السير أدأبا وإنما يرجع معناه إلى النسب والحاك والعادة قال الشاعر لأرتحلن بالفجر ثم لادئين قال سيبويه موضع الكاف رفع لأن الكاف للتشبيه تقوم مقام الاسم وتقديره دأبهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كدأب الأمم الماضية كذبوا بآياتنا فأخذهم الله فعاقبهم بذنوبهم نظيره قوله فكلاً أخذنا بذنبه والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرأ إسحاق وثابت والأعمش وحمزة والكسائي وخلق بالياء فيهما الباقون بالتاء فمن قرأهما بالياء فعلى الأخبار عنهم أنهم يحشرون ويقلبون ومن قرأهما بالتاء فعلى الخطاب أي قل لهم إنكم ستغلبون وتحشرون وكلا الوجهين صحيح لأنه لم يوح إليهم وإذا كان المخاطب بالشيء غير حاضر وكانت مخاطبته في الكلام بالتاء على الخطاب وبالياء على الأخبار والأعلام كما تقول قل لغير الله ليضربن ولتضربن واختلف المفسرون في المعنى لهذه الآية من هم فقال مقاتل هم مشركو مكة ومعنى الآية قيل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الهجرة فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم للكافرين يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم دليل التأويل قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته

(2/79)

---

وصفته وأنه لا ترد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى إلى وقفة أخرى به فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وقالوا لا والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء ولم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد من أجله وإنطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن إسحاق عن رجاله لما أصاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم قريشا بيدر وقدّم الى المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود إحدروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم قد عرفتم إني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أن لقيت قوما أعماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة لك والله لو قاتلناك لعرف منا البأس فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون وتهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة وهذه رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهل اللغة إشتقاق جهنم من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر وبئس المهاد يعني النار قد كان ولم يقل كانت لأن آية تأنيهاً غير حقيقي وقيل ردها الى البيان أي قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ كقول أمرؤ القيس برهرة رادة رخصة كخر عوبة البانة المنقطر ولم يقل المنقطرة لأنه ذهب الى القضيب وقال الفراء ذكره لأنه فرق بينهما بالصفة فلما حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث ذكر الفعل وأنته إن أمرؤا غره منكروه واحدة بعدي وبعذك في الدنيا لمغرور وكل ما جاء في القرآن من هذا النحو فهذا وجهه فمعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول لكم ستغلبون

(2/80)

في فئتين فرقتين وجماعتين وأصلها في الحرب من بعضهم بقى الى بعض التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله طاعة لله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جاز معه إلا مؤمن سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومئتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار وكان صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم والمبارزين علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكانت الإبل في جيش النبي صلى الله عليه وسلم سبعين بعيراً والخيل فرسين فرس للمقداد بن عمرو الكندي وفرس لمرثد بن أبي فهد العنزي وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وجميع من أستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً من المهاجرين وثمانية من الأنصار وأخرى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً مقاتلاً وكانت خيلهم مائة فرس وكان حرب بدر مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سبب ذلك أعين بن سفين وإختلف القراء في هذه الآية قرأها منهم فئة بالرفع على معنى منهما فئة أو إحداهما فئة وقرأ الزهري بالخفض على البدل من الفئتين وقرأ ابن السميعة فما على المدح وقرأ مجاهد تقاتل بالياء رده الى القوم وجهان على لفظه وقرأ الباقر بالتاء يرونهم مثليهم قرأ أبو رجاء وأبو الحرث والحسن وأبو جعفر وشيبة ونافع ويعقوب وأيوب بالتاء وإختره أبو حاتم الباقر بالياء والباقر ممن قرأ بالتاء بمعناه ترون يا معشر اليهود والكفار أهل مكة مثلي المسلمين ومن قرأ بالياء فأختلف في وجهه فجعل بعضهم الخطاب للمسلمين ثم له تأويلان أحده ما يرى المسلمون المشركين مثلمهم في العدد ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير بخمس أمثال فتلك الآية فإن قيل كذا جاز أن يقول مثليهم وهم قد كانوا ثلاثة أمثالهم فالجواب أن يقول هذا مثل وعندك عبد محتاج إليه وإلى مثله إحتاج



الى مثليه فأنت محتاج الى ثلاثة ويقول معي ألف وأحتاج الى مثليه فأنت محتاج الى ثلاثة آلاف فإذا نويت أن يكون الألف داخلا في المثل كان المثل والاثنان ثلاثة

قاله الفراء التأويل الآخر أن معناه يري المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله في أعينهم حتى رأتها ستمائة وستة وعشرون وكانوا ثلاثة أمثالهم تسعمائة وخمسين ثم قللهم في أعينهم في حالة أخرى حتى رأتها مثل عدد أنفسهم قال ابن مسعود في هذه الآية نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضاعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا ولا واحدا ثم قللهم الله في أعينهم حتى رأتهم عددا يسيرا أقل عددا من أنفسهم وقال ابن مسعود أيضا لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا وقال بعضهم الروية راجحة الى المشركين يعني يري المشركون المؤمنين مثلهم قللهم الله في أعينهم قبل القتال يعني في أعين المشركين ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرهم في أعينهم ليجنوا وقللهم في أعين المؤمنين ليجتروا فذلك قوله وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا الآية محمد أبي الفرات عن سعيد ابن أبي أوس في قوله يرونهم مثلهم رأي العين قال كان المشركون يرون المسلمين مثلهم فلما أسروهم سألهم المشركون كم كنتم قالوا ثلاثمائة وبضعة عشرة قالوا ما كنا نراكم إلا تضاعفون علينا قال وذلك مما نصر به المسلمون وقرأ السلمي يرونهم بضم الياء على ما لم يسمي فاعله وإن شئت على معنى الظن رأي العين أي في رأي العين نصب ونزع حرف الصفة وإن شئت على المصدر أي ترونهم رأي العين أي في نظر العين يقال رأيت الشيء رأيا ورؤية ورؤيا ثلاث مصادر إلا أن الرؤيا أكثر ما يستعمل في المنام ليفهم في رأي العين بمعنى النظر إذا ذكر وقال الأعشى فلما رأى لا قوم من ساعة من الرأي ما أبصروه وما أكتنم والله يؤيد يقوي بنصره من يشاء

إن في ذلك التي ذكرت لعبرة لأولي الأبصار لذوي العقول وقيل لمن أبصر الجمعين زين للناس حب الشهوات جمع شهوة وهي نزوع عن النفس إليه وإنما حركت الهاء في الجمع ليكون فرقا بين جمع الاسم وبين جمع النعت لأن النعت لا تحرك نحو ضخمه

ضخمت وحيلة حبلات والاسم يحرك مثل تمرة وتمرات هو نفقة الجيل ونفقات فإذا كان ثاني الاسم تاء أو واوا فأكثر العرب على تسكينها إستثقالا لتحريك الياء والواو كقولك بيضة وبيضات جوزة وجوزات وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات من النساء بدأ بهن لأنهن حباثل الشيطان وأقرب الى الافتان والبنين عن القاسم بن عبد الرحمن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

للإشعث بن قيس هل لك من إبنة حمزة من ولد قال نعم لي منها غلام ولوددت أن لي به جفنة من طعام أطعمها من بقي من بني حيلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن قلت ذلك إنهم لثمرة القلوب وقرة الأعين وإنهم مع ذلك لمجنبة مبخلة محزنة والقناطير المقنطرة المال الكثير بعضه على بعض ابن كيسان المال العظيم أبو عبيدة تقول العرب هو أن لا يحد وقال الباقر فلا محدود ثم اختلفوا فيه فروى أبو صالح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال القنطار إثنا عشر ألف أوقية وعن يزيد الرقاشي قال دخلت أنا وثابت وناس معنا إلى أنس بن مالك فقلنا له يا أبا حمزة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قيام الليل قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية أعطي قيام ليلة كاملة ومن قرأ مائتي آية ومعه القرآن فقد أدى حقه ومن قرأ خمسمائة آية إلى أن يبلغ ألف آية كان كمن تصدق بقنطار قبل أن يصبح قيل وما القنطار قال ألف دينار سالم بن أبي الجعد عن معاذ بن جبل قال القنطار ألف ومائتا أوقية وهو قول ابن عمر ومثله روي زر بن حبيش عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(2/83)

---

عليه وسلم أنه قال القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية وروى عطية عن ابن عباس وعبدالله بن عمر عن الحكم عن الضحاك إن القنطار ألف ومائتا مثقال ومثله روى يونس عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلًا روي حمزة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القنطار ألف دينار سعيد بن جبير عن عكرمة هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل وعن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال القنطار مائة رطل فقال الحكم القنطار ما بين السماء والأرض من مال أبو نظرة مسك ثور ذهبًا أو فضة سعيد بن المسيب وقتادة ثمانون ألفًا ليث عن مجاهد القنطار سبعون ألفًا شريك أربعون ألف مثقال الحسن القنطار دية أحدكم ومثله روى الوالبي عن ابن عباس وجوبير عن الضحاك قال إثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وعن أبي حمزة الثمالي قال القنطار بلسان أفريقيا والأندلس ثمانية آلاف جروال من ذهب أو فضة وروى الثمالي عن السدي قال أربعة آلاف مثقال قال الثعلبي ورأيت في بعض الكتب أن القناطير مأخوذة من عقد الشيء وإحكامه وأصلها من الإحكام يقال قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه سميت القنطرة المقنطرة قال الضحاك المقنطرة المحصنة المحكمة قتادة هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض كأنها المدفونة يقال قنطر إذا كثر السدي المخزونة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير قال الفراء المضعفة كان القنطار ثلاثة والمقنطرة تسعة

(2/84)

---

أبو عبدة هو مفعلة من القنطار مثل قولك ألف مؤلف من الذهب والفضة  
قيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنه تنفض أي تفرق والخيل  
المسومة الخيل جمع هو لا واحد له من لفظه واحده فرس كالقوم والنساء  
والرهنط والجيش ونحوها واختلف العلماء في معنى المسومة فقال مجاهد  
وسعيد بن جبير والربيع هي الراعية ومثله روى عطية عن ابن عباس والحسن  
هي المرعية يقال سامت الخيل يسوم سوما فهي سائمة وأسمتها أنا إذا تركتها  
لذلك فهي مسامة وسومتها تسويماً فهي مسومة قال الله فيه تسمون وفيه  
قول الأخطل مثل ابن بزعة أو كآخر مثله أولى لك ابن مسيمة الاجال يعني ابن  
الابل حبيب بن أبي ثابت وابن أبي نجيع عن مجاهد المطهمة الحسان ليث عنها  
المصورة وعن عكرمة تسويمها حسنهما السدي هي الراعية وكلها بمعنى واحد  
أبو عبدة والحسن والافش والقتيبي المعلمة ومثله روى الوالبي عن ابن  
عباس قتادة شيباتها وألوانها المؤرج المكوية المبرد المعرفة في البلدان ابن  
كيسان اليلق وكلها قد قسارية وأصلها من السومة والمسيما وهي العلامة  
يقال سومت الخيل تسويماً إذا علمتها قال الله تعالى بخمسة آلاف من  
الملائكة مسومين قال النابغة في صفة الخيل بسمر كالقдах مسومات عليها  
معشر اشبها جن وقال الأعشى وفرسان الحفاظ بكل ثغر يقودون المسومة  
العرايا

(2/85)

وقال ابن زيد وأبان بن ثعلب المسومة المعدة للحرب والجهاد قل ليبد ولعمري  
لقد بلي كليب كل قرن مسوم القتال قال الثعلبي ورأيت في بعض التفاسير  
أنها الهمالخ فصل في الخيل صفة خلقها روى الحسن بن علي عن أبيه علي  
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لما أراد أن  
يخلق الخلق قال للريح الجنوب إني خالق منك خلقاً فأجعله عزا لأوليائي ومذلة  
على أعدائي وجمالاً لأهل طاعتي فقال الريح أخلق فقبض منها قبضة فخلق  
فيها فرسا فقال له خلقتك عربياً وجعلت الخير معقوداً بناصيتك والغنائم  
مجموعة على ظهرك عطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح وأنت  
للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجلاً يسبحوني ويحمدونني  
ويهللونني ويكبروني تسبحين إذا سبحوا وتهللين إذا هللوا وتكبرين إذا كبروا  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتمجيدة  
وتكبيرة يكبرها صاحبها وتسعه إلا وتجيئه بمثلها ثم قال لما سمعت الملائكة  
صفة الفرس عاتبوا خالقها قالت رب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا  
فخلق الله لها خيلاً بقاء أعناقها كأعناق البخت قال فلما أرسل الفرس إلى  
الأرض فأسوت قدماه على الأرض سهل فليل بوركت من دابة أذل بصهيله  
المشركين أذل به أعناقهم أملاً منه آذانهم وأرعب به قلوبهم فلما عرض الله  
على آدم من كل شيء قال اختر من خلقي ماشئت فاختار الفرس فقال له  
اخترت عرك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقياً ما بقوا يلحق فينتج منه أولادك أبد  
الآبدن بركتي عليك وعليه ما خلقت خلقاً أحب الي منك ومنه فضلها روى أبو  
صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل  
معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة

وعن سعيد بن عروبة عن قتادة عن أنس قال لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول اللهم خولتني من خولتني من بني آدم وجعلتني له فاجعلني أحب ماله وأهله إليه أو من أحب ماله وأهله إليه شأنها عن أبي وهب الحسيني وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبطوا الخيل وامسحوا نواصيها وأكفأها وقلدوها ولا تقلدوها الاوتار وعليكم بكل كميت أغر محجل أو أشقر محجل أو أدهم أغر محجل وروى أبو زرعة عن أبي هريرة قال كان النبي يكره الشكال من الخيل قال أبو عبد الرحمن الشكال من الخيل أن يكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقه أو يكون ثلاث قوائم مطلقه ورجل محجلة وليس تكون الشكال إلا في الرجل وروى سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في ثلاثة المرأة والفرس والدار وجوهها زيد بن أسلم عن أبي صالح التمار عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر ولرجل وزر فأما الذي هو له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج والروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فأستنتت شرفا أو شرفن كانت أن آثارها و أرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها منه كان ذلك حسنات له فهي لذلك أجر ورجل ربطها تقننا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها وظهرها فهي لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونوى لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر

وعن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان فأما فرس الرحمن فما اتخذ في سبيل الله وقتل عليه أعداء الله وأما فرس الإنسان فما استبطن ويحمل عليه وأما فرس الشيطان فما روهب ورهن عليه وقومر عليه والأنعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه والحرث يعني الزرع ذلك الذي ذكرت متاع الحياة الدنيا لا عتاد المعاد والعقبى والله عنده حسن المآب أي المرجع مفعل من أب يؤوب أوبا مثل المتاب زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عبد الله بن الأرقم وهو يقول لعمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين إن عندنا حلية من حلية جلود وأنية من ذهب وفضة فما رأيك فيها فقال عمر إذا رأيتني فارغا فائتني فقال يا أمير المؤمنين إنك اليوم فارغ قال فما نطلق معه فجيء بالمال فقال أبسطه قطعاً فبسط ثم جيء بذلك المال وصب عليه ثم قال اللهم إنك ذكرت هذه المال فقلت زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ثم قلت لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم اللهم إنا لا نستطيع أن لا نفرح بما آتينا اللهم انفقه في حق وأعوذ بك منه قال فأتى بابتن له يحمله يقال له عبد الرحمن فقال يا أبا

هب لي خاتما قال إذهب الى أمك تسقيك سويقا فلم يعطه شيئا قل أؤنبئكم  
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها  
وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إنا ءامنا  
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين  
والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما  
بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف  
الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله  
فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت

(2/88)

---

وجهى لله ومن  
اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن  
تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون  
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب  
أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين قل  
أؤنبئكم أخبركم بخير من ذلكم الذي ذكرت تم الكلام ههنا ثم ابتداء فقال للذين  
أتقوا عند ربهم جنات تقع خبر حرف الصلة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها  
وأزواج مطهرة ورضوان من الله قرأ العامة بكسر الراء وروى أبو بكر عن  
عاصم بضم الراء من الرضوان في جميع القرآن وهو لغة قيس وغيلان وهما  
لغتان كالعدوان والعدوان والطغيان والطغيان زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار  
عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز  
وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك  
فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد  
من خلقك فيقول ألا أعطكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك  
قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا والله بصير بالعباد الذين  
يقولون إن شئت جعلته محل الذين على الجر ردا على قوله للذين اتقوا وإن  
شئت رفعته على الابتداء كقوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم  
ثم قال في صفتهم مبتدئا التائبون العابدون ربنا إنا ءامنا صدقنا فأغفر لنا ذنوبنا  
أسترها علينا وتجاوزها عنا وقنا عذاب النار الصابرين في اداء الامر وعن  
ارتكاب الزنى وعلى البأساء والضراء وحين البأس وان شئت نصبتها وأخواتها  
على المدح وإن شئت خفصتها على النعت والصادقين في إيمانهم قال قتادة  
هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر  
والعلانية والقانتين المطيعين المصلين

(2/89)

---

والمنفقين أموالهم في طاعة الله وعن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملكا ينادي اللهم اعط منفقا خلفا  
واعط ممسكا تلفا والمستغفرين بالإسحار قال مجاهد والضحاك وقتادة  
والكلبي والواقدي يعني المصلين بالإسحار نظير قوله وبالأسحار هم

يستغفرون أي يصلون وقال يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي الزهري قال قلت لزيد بن اسلم من المستغفرين بالأسحار قال هم الذين يشهدون الصبح وكذلك قال ابن كيسان يعني صلاة الصبح في المسجد وقال الحسن صلوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا قال نافع كان ابن عمي يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة وإذا قلت نعم فيستغفر الله ويدعوا حتى الصبح وروى إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال سمعت رجلا في السحر يتهد في المسجد وهو يقول رب أمرتني فأطعتك وهذا سحر فاعفر لي فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه وروى صالح وحماد بن سلمة عن ثابت وأبان وجعفر بن زيد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل يقول إني لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت الى عمار بيوتي والى المتهددين والى المتحابين في والى المستغفرين بالاسحار صرفت عنهم محمد بن راذان عن أم سعد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ثلاثة أصوات يحبهم الله عز وجل صوت الديك وصوت الذي يقرأ القرآن وصوت المستغفرين بالاسحار حماد بن سلمة عن سعيد الجريري قال بلغنا أن داود نبي الله سأل جبرائيل عليه السلام أي الليل أفضل فقال ما أدري إلا أن العرش يهتز من السحر

(2/90)

وقال سفيان الثوري إن لله ريحا يقال لها الصباحية تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والاستغفار الى الملك الجبار قال سفيان انه إذا كان من أول الليل نادى مناد ألا ليقيم العابدون فيقومون فيصلون ما شاء الله ثم ينادي منادي في شطر الليل ليقيم القانتون فيقومون كذلك يصلون الى السحر فإذا كان نادى مناد ألا ليقيم المستغفرون فيقومون فيستغفرون ويقوم آخرون يصلون فيلحقون بهم فإذا طلع الفجر نادى مناد اللهم ليقيم الغافلون فيقومون من فراشهم كأنهم نشروا من قبورهم وقال لقمان لابنه يا بني لا يكون الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم شهد الله أنه لا إله إلا هو عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش وكنت اختلف إليه فلما كنت ذات ليلة اردت أن أنحدر الى البصرة قام من الليل يتهد فمر بهذه الآية شهد الله إنه لا إله إلا هو الآية ثم قال الأعمش وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعه أن الدين عند الله الإسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فما شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك نردها فما بلغك فيها قال والله لا أحدث بها الى سنة فلبثت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد مضت السنة فقال حدثنا أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عهدي عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبيد الجنة خالد بن زيد عن يزيد الرقاسي عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية عند منامه خلق الله عز وجل له سبعين ألف ملك يستغفرون له الى يوم القيامة وعن الزبير بن العوام قال قلت لأدنون هذه العشيّة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشيّة عرفه حتى أسمع ما يقول فحبست ناقتي من ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقة رجل كان الى جنبه فسمعتة يقول شهد الله أنه لا إله إلا

هو الآية فما زال يرددّها حتى دفع يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال كان حول الكعبة ثلاث مائة وستون صنما فلما نزلت شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية خروا سجدا

قال الكلبي قدم حبران من أهل الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة صفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له أنت محمد قال نعم قالوا وأنت أحمد قال إنا محمد وأحمد قالوا إنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به أمنا بك وصدقناك فقال بلى قالوا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله هذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية فأسلم الرجلان واختلف القراء في هذه الآية فقرأ أبو نهيك وأبو الشعثاء شهد الله بالرفع والمد على معنى هم شهداء يعني الذين مر ذكرهم وروي المهلب عن محارب بن دثار شهد الله منصوبة على الحال والمدح وقرأ الآخرون شهد الله على الفعل أي بين لأن الشهادة تبيين وقال مجاهد حكم الله الفراء وأبو عبيدة قضى الله المفضل لعلم الله ابن كيسان شهد الله بتدبيره العجيب وصنعه المتقن وأموره المحكمة من خلقه أنه لا إله إلا هو وهذا كقول القائل ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وقيل لعيسى الأعراب ما الدليل على أن للعالم صنعا فقال إن البعرة تدل على البعير وأثار القدم تدل على المسير وهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة وشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله أنه لا إله إلا هو وقرأ ابن مسعود أن لا إله إلا هو وقرأ ابن عباس شهد الله أنه لا إله إلا هو بكسر الألف جعله خيرا مستأنفا معترضا في

الكلام على توهم الفاء كأنه قال فإنه لا إله إلا هو قاله أو عبيدة والمفضل وقال بعضهم كسره لأن الشهادة قول وما بعد القول يكون مكسورا على الحكاية فتقديره قال الله أنه لا إله إلا هو والملائكة قال المفضل معنى شهادة الله للإخبار والإعلام ومعنى شهادة ملائكة

الله والمؤمنين إلا قرار كقوله قالوا شهدنا على أنفسنا أي أقررنا فنسق شهادة الملائكة وأولوا العلم على شهادة الله تعالى والشهادتان مختلفتان معنى لا لفظا كقوله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعاء وأولوا العلم يعني الأنبياء عليهم السلام وقال ابن كيسان يعني المهاجرين والأنصار مقاتل مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه نظيره قوله إن الذين أوتوا العلم وقوله ومن عنده علم الكتاب وقال السدي والكلبي يعني علماء

المؤمنين كلهم فاقرب الله تعالى شهادة العلماء بشهادته لأن العلم صفة الله العليا ونعمته العظمى والعلماء أعلام الإسلام والسابقون الى دار السلام وسرج الامكنة وحجج الأزمنة وروى صفوان عن سليم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من عالم متكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما المسيب بن شريك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لأهله قرينة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة والنار والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والميراث في الخلو والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقرب عند الغرباء يرفع الله به أقواما ويجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويبين آثارهم ويرموا أعمالهم وينهى الى رأيهم وترغب الملائكة في خلقتهم وبأجنتها تمسحهم وفي صلواتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر

(2/93)

لهم حتى حيتان البحر وسباع الأرض وأنعامها والسماء ونجومها ألا فإن العلم خير أنقاب عن الصمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الأحرار ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يعرف الحلال والحرام وبه توصل الأرحام إمام العمل والعقل تابعه يلهم السعد أو يحرم إذا شقى قائما بالقسط أي بالعدل ونظام الآية شهد الله قائما بالقسط وهو نصب على الحال وقال الفراء هو نصب على القطع كأن أصله القائم وكذلك هو في عبد الله فلما قطعت الألف واللام نصب لقوله تعالى وله الدين واصبا وقال أهل المعاني في قوله قائما بالقسط أي مدبر رازق مجازي بالأعمال كما يقال فلان قائم بأمره أي مدبر له متعهد لأسبابه وقائم بحق فلان أي بحاله لا إله إلا هو العزيز الحكيم كرر لأن الأولى حلت محل الدعوى والشهادة الثانية حلت في محل الحكم وقال جعفر الصادق الأولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم يعني قولوا لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام يعني بالدين الطاعة والملة لقوله ورضيت لكم الإسلام ديننا وفتح الكسائي ومحمد بن عيسى الاصفهاني ألف إن ردا على أن الأولى في قوله شهد الله أنه يعني شهد الله أنه وشهد أن الدين عند الله الإسلام وكسر الباقون على الإبتداء والإسلام من السلم الإيمان و الطاعة يقال أسلم أي دخل في السلم وذلك كقولهم استى وأربع وأمحط واخبت أي دخل فيها سفيان قال قتادة في قوله إن الدين عند الله الإسلام قال شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بأنها من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه ولا يقبل غيره ولا جرى إلا به وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الآية قال الربيع إن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا سبعين حبرا من أحبار بني إسرائيل واستودعهم التوراة وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة

(2/94)



---

بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين حتى أوقعوا بينهم الدماء ووقع الشر والإختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة بغيا بينهم أن طلبها للملك والرئاسة والتحاسد والمناقشة فسلط الله عليهم الجبارة

وقال بعضهم أراد وما أختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال محمد بن جعفر عن الزبير نزلت هذه الآية في نصارى نجران ومعناها وما أختلف الذين أوتوا الكتاب هو الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام وفرقوا القول فيه إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم أي للمعاداة والمخالفة ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب لا يحتاج إلى عقد وقبض يد وقال الكلبي نزلت في يهوديين تركوا اسم الإسلام وتسموا باليهودية والنصرانية قال الله تعالى وما أختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم قال دين الله هو الإسلام بغيا منهم فلما وجدوا نظيره قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة فقالت اليهود والنصارى لسنا على ما سميتنا به يا محمد إن اليهودية والنصرانية سب هو الشرك والدين هو الإسلام ونحن عليه فإن حاجوك خاصموك يا محمد في الدين فقل أسلمت وجهي أي انقدت لأمر الله له وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي إنما خص الوجه لأنه أكرم جوارح الإنسان وفيه بهاؤه وتعظيمه فإذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه التي هي دون وجهه وقال الفراء معناه أخلصت عملي لله يقال أسلمت الشيء لفلان وسلمته له أي دفعته إليه ومن هذا يقال أسلمت الغلام إلى وفي صناعة كذا أي أخلصت لها والوجه العمل كقوله يريدون وجهه أي قصده وعمله وقوله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ومن اتبعني من في محل الرفع عطفا على التاء في قوله أسلمت أي ومن اتبعني أسلم كما أسلمت وأثبت بعضهم ياء قوله اتبعني على الأصل وحذفه

(2/95)

---

الآخرون على لفظ ينافي المصحف إذا وقعت فيه بغير ياء وأنشد كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف دما وقال آخر ليس تخفى يسارتي قدر يوم ولقد يخف شيمتي إيساري وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين يعني العرب أسلمتم لفظ استفهام ومعناه أمر أي أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون أي نهوا فإن أسلموا فقد اهتدوا فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال للنصارى أتشهدون أن عيسى كلمة من الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال لليهود إن عزيز هو عبدالله ورسوله قالوا معاذ الله فذلك قوله فإن تولوا فإنما عليك البلاغ بتبليغ الرسالة والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن بالله ومن لا يؤمن بالله وبأهل الثواب وبأهل العقاب إن الذين يكفرون يجحدون بآيات الله بحجة وأعلامه وقيل هي القرآن وقيل هم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قرأ الحسن ويقتلون بالتشديد فهما على تكثير وقرأ حمزة وتقاتلون الذين يأمرون اعتبارا بقراءة مسعود وقاتلوا الذين يأمرون به ووجه

هذه القراءة يقتلون النبيين بغير حق وقد قاتلوا الذين يأمرون لأنه غير جائز  
عطف الماضي على المستقبل وفي حرف أي ويقتلون النبيين بغير حق والذين  
يأمرون بالقسط قال مقاتل أراد به ملوك بني إسرائيل وقال معقل بن أبي  
سكين وابن جريح كان الوحي يأتي إلى أنبياء بني إسرائيل ولم يكن يأتيهم  
كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون فيقوم رجال فمن اتبعهم وصدقهم فيذكرون  
قومهم فيقتلون أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس وعن قبيصة بن  
دويب الخزاعي عن أبي عبيدة الجراح قال قلت لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر  
ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين  
بغير حق إلى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو

(2/96)

---

إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا في أول النهار ساعة واحدة فقام مائة وإثنا عشر  
رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قبلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر  
فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله تعالى في  
كتابه فأنزل الآية فيهم وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بنس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس بنس  
القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وبنس القوم قوم يمشي  
المؤمن فيهم بالتقية والكتمان فبشرهم بعذاب أليم وإنما أدخل الغاء  
في خبرها لأنه قوله الذين موضع الجزاء وإن لا تبطل معنى الجزاء لأنها بمزلة  
الابتداء عكس ليت وقيل أدخل الغاء على الغاء أن وتقديره الذين يكفرون  
ويقتلون فبشرهم بعذاب أليم رجح أولئك الذين حبطت ذهبت وبطلت وقرأ أبو  
واقد والجراح حبطت بفتح التاء مستقبلة تحبط بكسر الباء وأصله من الحبط  
وهو أن ترعى الماشية بلا دليل ورديع فتنتفخ من ذلك بطونها وربما ماتت منه  
ثم جعل كل شيء يهلك حبطا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم إن مما  
ينبت الربيع ما يقتل حبطا إذ يلم أعمالهم في الدنيا أي نصيبا وحظا من الكتاب  
يعني اليهود يدعون إلى كتاب الله واختلفوا في هذا الكتاب الذي أخبر الله  
تعالى إنهم يدعون إليه فيعرضون عنه فقال قوم هو القرآن وروى جوير عن  
الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال إن الله عز وجل جعل القرآن حكما  
فيما بينهم وبين رسول الله فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير  
دين الهدى فأعرضوا عنه وقال قتادة هم أعداء الله اليهود دعوا إلى حكم  
القرآن واتباع محمد صلى الله عليه وسلم فأعرضوا وهم يجدونه مكتوبا في  
كتبهم

(2/97)

---

السدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام فقال له النعمان بن  
أبي أوفى هلم يا محمد نخاصمك إلى الأحبار فقال له رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بل إلى كتاب الله فقال بل إلى الأحبار فأنزل الله تعالى هذه الآية

وقال الآخرون هي التوراة روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمر وابن الحارث بن فهد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم كان يهوديا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكانا في شرف منهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لحالهما وشرفهما ورجوا أن يكون عند رسول الله رحمة في أمرهما فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكّم عليهما بالرجم فقال له النعمان ابن أبي أوفى ونخري بن عمر جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فإن فيها الرجم قالوا قد أنصفتنا قال فمن أعلمكم فقالوا رجل أعمى يسكن فدك يقال له ابن صوريا فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبرائيل عليه السلام قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله لأنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما أتى آية الرجم وضع كفه عليه وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها ووضع كفه عليها وقام ابن سلام الى ابن صوريا فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديان المحصنان إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله باليهوديين فرجما

(2/98)

فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآية ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء صلى الله عليه وسلم ء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب حضا من التوراة يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم فقد علمهم أنها في التوراة وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا

لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف إذا جمعناهم أي فكيف يصنعون ليوم لا ريب فيه وهو يوم القيامة ووفيت ذكرت كل نفس بر أو فاجر ما كسبت أي جزاء ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون لا ينقصون من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم روى الضحاك عن ابن عباس قال أول راية ترفع لأهل الموقف ذلك اليوم من رايات الكفار راية اليهود فيجمعهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم

(2/99)

---

الى النار قل اللهم مالك الملك قد روى الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك إلى غير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك ونحن متعلقات بالطيور والعرش فقال تعالى وعزتي وجلالي ما من عبد قرأ كن في دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه وإلا نظرت له بعيني في كل يوم سبعين مرة وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعدته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة إلا الشرك

(2/100)

---

وقال معاذ بن جبل أحتبست عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لم أصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما منعك من صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي علي أوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فأشفقت أن يحبسني دونك فقال أتحب يا معاذ أن يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب وقل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطي منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء أقض عني ديني فإن كان عليك ملىء الأرض ذهبا قضاه الله عنك قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وأنس بن مالك لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم قالت المنافقين واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس هم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق في عام الأحزاب ثم قطع أربعين ذراعا بين كل عشرة قال فاتح المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى بلغنا الصدى أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا

وشقت علينا فقلنا يا سلمان آت إلى رسول الله وأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمر فإننا لا نحب أن نجاوز خطة قال فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق وكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير

(2/101)

---

فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحب أن نجاوز خطك قال فهبط رسول الله مع سلمان الخندق وبقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيتها يعني المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيتها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه فأخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم فقال رأيت ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا وقد رأيناك تضرب فخرج برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيئا غير ذلك قال ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيت أضواءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيت أضواءت لي منها قصور نصرى من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيت أضواءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق بأن وعدنا النصر بعد الحصر فطبقت الأحزاب فقال المسلمون هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية وقال المنافقون ألا تعجبون يمينكم وبعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فأنزل القرآن وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وأنزل الله في هذه القصة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك

(2/102)

---

واختلف النحاة في وجه دخول الميم في هذا الاسم وأصله الله وفي نصبه وقال بعضهم إنما أدخل الميم في آخره بدلا من حرف النداء المحذوف من أوله لأن أصله يا الله فحذفت حرف النداء وأدخلت الميم خلفا منه كما قالوا قم ودم وزر قم محذف وستهم وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التي يحذف منها الحرف واحتجوا بأن نحوها من الأسماء والنعوت إذا حذف منها حرف أبدل

مكانه ميم ولما كان المحذوف من هذا الاسم حرفين كان البدل ميمين  
فأدغمت إحداها في الأخرى فجاء التشديد

(2/103)

لذلك وفي سائر أخواتها مخففة لأن المحذوف حرف واحد ثم نصب لحق  
التضعيف وأنكر الآخرون هذه القول وقالوا سمعنا العرب يدخل الميم فيه مع  
ياء النداء وأنشد الفراء وما عليك أن تقولي كلما سححت أو هللت يا اللهم ما  
أردد علينا شيخنا مسلما فإننا من خيره لن نعذما قالوا ونرى أنما أصله الله في  
الدعاء بمعنى يا الله ضم إليها أم وحذف حرف النداء يراد يا الله أتنا الخير أي  
أقصدنا به ثم ضرب في الكلام حتى اختلطت به فحذفت الهمزة استخفا  
كقولهم هلم إلينا كان أصله هل لم إلينا أي أقصد أو أسرع ثم كثرت هذه  
اللفظة حتى قالوا لاهم بمعنى اللهم وربما خفضوا ميمها أيضا والله أعلم وقال  
أبو رجاء العطاردي هذه الميم في قوله اللهم تجمع سبعين اسما من أسمائه  
عز وجل مالك الملك قال الله تعالى في بعض الكتب أنا الله مالك الملوك  
ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيها بيدي فإذا العباد أطاعوني جعلت عليهم  
رحمة وإذا العباد عصوني جعلت عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن  
توبوا إلي اعطفهم عليكم تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قال  
مجاهد وسعيد بن جبير يعني ملك النبوة الكلبي تؤتي الملك من تشاء محمد  
وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء أبي جهل وصناديد قريش وقال معتصم تؤتي  
الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء الروم والعجم وسائر الأمم  
السدي تؤتي الملك من تشاء أتى الله الأنبياء وأمر العباد بطاعتهم وتنزع الملك  
ممن تشاء نزع من الجبارين وأمر العباد بخلافهم وقيل تؤتي الملك من تشاء  
آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء إبليس وجنده وقيل تؤتي الملك من تشاء  
داود وتنزع الملك ممن تشاء جالوت وقيل تؤتي الملك من تشاء صخرا وتنزع  
الملك ممن تشاء سليمان عليه السلام كان يطعم الخبز الجواني ويأكل خبز  
الشعير وكان يلبس المرقعة ولم ينظر أربعين سنة إلى السماء تخشيا لله وكان  
يدخل المسجد فقيرا يقعد بجانبه ويقول مسكين جالس مسكينا وتنزع

(2/104)

الملك ممن تشاء ملك النفس حتى يغلبه هواه ويتخذها إلهة كما قال الله عز  
وجل أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال الشاعر ملكت نفسي فذاك ملك ما  
مثله للأنام ملك فصرت حرا بملك نفسي فما لخلق علي ملك آخر من ملك  
النفس فحر ضاهي والعبد من يملكه هواه وقيل هو ملك العافية قال الله تعالى  
وجعلكم ملوكا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه  
معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل هو  
القناعة قال النبي صلى الله عليه وسلم ملوك أممي القانع يوما بيوم فمن أوتي  
ذلك فلم يقبله بقبوله ولم يصبر عليه شاكرا قصر عمله وقل عقله وعن ابن  
المبارك قال دخلت على سفيان الثوري بمكة فوجدته مريضا شاربا دواء وبه  
غم شديد فسلمت عليه وقلت مالك يا عبد الله فقال أنا مريض شارب دواء

وبي غم شديد فقلت أعندك بصلة قال نعم فقلت آتيني بها فأتاني بها فكسرتها  
ثم قلت شمها فشمها فعطس عند ذلك فقال الحمد لله رب العالمين فسكن  
ما به فقال لي يا بن المبارك أنت فقيه وطيب أو قال عالم وطيب فقلت له  
مجرب يا أبا عبد الله قال فلما رأيته سكن ما به وطابت نفسه قلت إني أريد أن  
أسألك حديثاً فقال سل ما شئت فقلت أخبرني ما الناس قال الفقهاء قلت فما  
الملوك قال الزهاد قلت فما الإشراف قال الأتقياء قلت فما الغوغاء قال الذين  
يكتبون الأحاديث ليستأكلوا به أموال الناس قلت له أخبرني رحمك الله ما  
السفلة قال الظلمة ثم ودعته وخرجت من عنده قال يا ابن المبارك عليك بهذا  
الخبر فإنه موجود رخيص قبل أن يغلوا فلا يوجد بالثمن وقال عبد العزيز بن  
يحيى تؤتي الملك من تشاء يعني الملك على المهين وقهر الشيطان كما قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم

(2/105)

---

وقال تعالى تؤتي الملك من تشاء يعني ملك المعرفة كما أتى السحرة وتنزع  
الملك ممن تشاء كما نزع من إبليس وبلغام الحسين بن الفضل تؤتي الملك  
من تشاء يعني ملك الجنة كما أتى المؤمنين قال الله تعالى وملكا كبيرا وتنزع  
الملك ممن تشاء كما نزع من الكفار وأهل النار أبو عثمان أراد بالملك توفيق  
للإيمان والطاعة وحكى الاستاذ أبو سعيد الواعظ إنه سمع بعض زهاد اليمن  
يقول هو قيام الليل الشبلي الاستغناء بالمكون عن الكونين الواسطي افتخر  
الملوك بالملك فأخبرهم الله تعالى أن الملك زائل عندهم لقوله تعالى تؤتي  
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قالت الحكماء في هذه الآية هذا إخبار  
عن كمال القدرة وأن القادر على الكمال هو القادر على الشيء وضده فأخبر  
أنه قادر على أن يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وتعز من تشاء  
وتذل من تشاء قال عطا تعز من تشاء المهاجرين والأنصار وتذل من تشاء  
فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمداً وأصحابه حين دخلوا مكة وعشرة  
آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه حين حزوا رؤوسهم  
وألقوا في القليب وقيل تعز من تشاء بالإيمان والمعرفة وتذل من تشاء  
بالخذلان والحرمان وقيل تعز من تشاء بالتمليك والتسليط وتذل من تشاء  
بسلب الملك وتسليط عدوه عليه الوراق تعز من تشاء بقهر النفس ومخالفة  
الهوى وتذل من تشاء باتباع الهوى الكياني تعز من تشاء بقهره الشيطان وتذل  
من تشاء بقهر الشيطان لنا وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء  
بالخزي والطمع قال الثعلبي رحمه الله وسمعت السلمي يقول سمعت عبد  
الله بن علي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول سمعت الزبير بن عبد الواحد  
يقول سمعت بنان الحمال يقول الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع

(2/106)

---

وقال وهب خرج الغني والعز يجولان فلقيا القناعة فاستقرا وقال عيسى عليه  
السلام لأصحابه لأنتم أغنى من الملوك قالوا كيف يا روح الله ولسنا نملك شيئاً  
قال أنتم ليس عندكم شيء ولا تريدونها وعندهم أشياء ولا تكفيهم وللشافعي

رضي الله عنه ألا يا نفس أن ترضي بقوت فأنت عزيزة أبدا غنية دعي عنك المطامع والاماني فكم أمنية جلبت منية وقال الآخر أفادتني القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة فصيرها لنفسك رأس مال وصيرها مع التقوى بضاعة وقيل تعز من تشاء بالإخلاص وتذل من تشاء بالرياء وقال الحسن بن الفضل وتذل من تشاء بالجنة والرؤيا وتذل من تشاء بالنار والحجاب بيدك الخير يعني الخير والشر فأكتفي بذكر الخير فإنه الأفضل والأغلب كقوله تعالى سراويل تقيكم الحر أي الحر والبرد إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار أي تدخل ما نقص من أحدهما في الآخر حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشر ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص عن هذا زيد في الآخر نظير قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل

(2/107)

---

قال سعيد بن جبير يوم وليلة ويوم وليلة عند خلق السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة ثم قرأ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال ابن مسعود وابن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك وإبراهيم والسدي وإسماعيل بن أبي خالد وعبد الرحمن بن زيد يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان عكرمة والكلبي يخرج الحي من الميت أي الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير أبو مالك يخرج النخلة من النواة ويخرج النواة من النخلة ويخرج السنبل من الحبة والحبة من السنبل الحسن يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد يدل عليه قوله أو من كان ميتا فأحييناه معمر عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فإذا بإمرأة حسنة الهيئة فقال من هذه قالت إحدى خالاتك فقال إن خالتي بهذه البلاد كثير أي خالتي هذه قالت هذه خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث فقال سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة سالحة وكان مات أبوها كافرا الفراء يخرج الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب وقال أهل الإشارة يخرج الحكمة من قلب الفاجر حتى لا تستقر فيه والسقطة من لسان العارف وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد ظفروا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن حبيب وسعد بن جهيمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومخاطبتهم وملازمتهم فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقال المقاتلان نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة فنهاهم الله عز وجل عن ذلك

(2/108)

---

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين وبأتونهم بالأخبار وبرجون أن يكون



لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وروى يوسف بن داود الضبي عن بعضهم قال لا يتخذوا المؤمنين بالرفع خبرا عنهم وفيه معنى النهي كقوله تعالى لا ريب فيه جوهر عن الضحاك عن ابن عباس نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري وكان بدريا تقيا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب قال عبادة يا نبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فاستظهرتهم على العدو فأنزل الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء الآية ومن يفعل ذلك أي موالاته الكفار في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عدة المسلمين فليس من الله في شيء وفيه اختصار أي ليس من دين الله في شيء وقال الحسن والسدي ليس من الولاية في شيء فقد بريء الله منه ثم استثنى فقال إلا أن تتقوا منهم تقاة يعني إلا أن تخافوا منهم مخافة وقرأ أبو العالية عن الحسن والضحاك وأبو رجاء وجابر بن زيد وحמיד بن مجاهد تقية على وزن نقيه وخالفهما أبو حاتم قال لأنهم كتبوها بالياء مثل حصة ونواة إلا بالالف قرأ حمزة والكسائي وخلف تقيه بالاحتجاج فكان الياء وقرأ الباقون تقاة بالتضميم وأختره أبو عبيدة وقرأ الأخفش تقاة مثل تكاة ويؤده ونحوها وهي مصدر أتقى ومثال تقيه تقاة وتقيه وتقي وتقوى وإذا قلت اتقنت كان مصدره الاتقاء وإنما قال تتقوا من الأتقياء ثم قال تقاة ولم يقل أتقاء لأن العرب إذا كان بالكلمتين واحدا واختلف ألفاظها أخرجوا مصدر أحد اللفظين مصدر اللفظ الآخر فيقولون التقيت فلانا لقاء حسنا وقال القطامي في وصف غيث قد لج بجانب الجبلين ركام يحفر الترب احتفارا

(2/109)

ولم يقل حفرا قال الله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا وقال وتبتل إليه تبتلا وأما معنى الآية فقال المفسرون نهى الله عز وجل المؤمنين عن ملاطفة الكافرين وموالاتهم ومداهنتهم ومبايعتهم إلا أن يكون الكفار ظاهرين غالبيين أو يكون المؤمن في قوم كفار ليس فيهم غيره ويخافهم ويداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يسفك دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكافرين على عورة المؤمنين فالمتقي لا يكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية كفعل عمار بن ياسر عبد الرحمن بن حرملة عن ابن المسيب قال ورد رجل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال ما أراني إلا قد هلكت قال مالك قال قد عذبني قريش فقلت ما قالوا قال كيف كان قلبك قال مطمئن قال فإن عادوا لك فعد لهم مثل ذلك قالها ثلاث مرات المسيب بن عبيدة عن إبراهيم قال قال ابن مسعود خالطوا الناس ونائلوهم وصافحوهم بما يشتهون ودينكم لا يكون به ريبة وقال صعصعة بن صوحان لأسامة بن زيد أنا كنت أحب إلى أبيك منك وأنت أحب إلي من أبي ولذا أوصيك بخصلتين خالص المؤمن وخالق الكافر فإن الكافر يرضى منك بالخلق الحسن وبحق عليك أن تخالص المؤمن وروى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال التقية واجبة وإنني لأسمع الرجل في المسجد يشتمني فأستر بالسارية منه لئلا يراني وقال الرباء مع المؤمن شرك ومع المنافق في داره عباده وأنكر قوم التقية اليوم فقال معاذ بن جبل عن مجاهد كانت التقية في جدة الإسلام قبل استحكام الدين

وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله عز وجل الإسلام فليس ينبغي لأهل  
الإسلام أن يتقوا من عدوهم

(2/110)

---

وقال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول  
لكم التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان قال سعيد ليس في الإسلام تقية  
إنما التقية في أهل الحرب ويحذركم الله نفسه أي يخوفكم الله على موالة  
الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور من نفسه قال المفسرون من عذاب  
نفسه وعقوبته وبطشه وقال أهل المعاني معناه ويحذركم الله إياه لأن الشيء  
والنفس والذات والإسم عبارة عن الوجود ونفس الشيء هو الشيء بعينه  
كقوله أن أقتلوا أنفسكم أي ليقتل بعضكم بعضا وقال الأعشى يوما بأجود نائلا  
منه إذا نفس البخيل تجهمت سؤالها أراد إذا البخيل تجهم سؤاله وإلى الله  
المصير قل إن تخفوا ما في صدوركم يطلعكم الله وما في قلوبكم لرسول  
مواتهم قولا وفعلا يعلمه الله وقال الكلبي أي ستروا ما في قلوبكم لرسول  
الله من التكذيب ويظهرون بحربه وقال يعلمه الله ويحفظ عليكم حتى  
يحاربكم به ويعاقبكم عليه ثم قال ويعلم رفع على الاستئناف كقولهم قاتلوهم  
يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وبشف صدور قوم مؤمنين  
ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء بالرفع وقوله فإن يشاء الله  
يختم على قلبك ويمح الله الباطل ثم قال ويحق الباطل وكيف يخفى عليه  
موالاتكم الكافرين وميلكم إليهم مودة بالقلب أي معونة بالقلب والفعل والله  
على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس نصيبا يوم نزع حرف الصفة أي في يوم  
وقيل نصب بإضمار فعل أي إذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ما علمت من خير  
محضرا موفرا لم يخس منه شيء قراءة العامة بنصب الضاد على المفعول  
قد صددهم قوله

(2/111)

---

ووجدوا ما عملوا حاضرا وقرأ عبيد عن عمير محضرا بكسر الضاد يريد أن  
عمله يحضره الجنة يسرع به من الحضور أو الحضر وما عملت من سوء جعل  
بعضهم خيرا في موضع النصب وأعمل فيها الوجود وجعل عملت صلة لها أي  
ويجد عملها وجعله بعضه خيرا مستأنفا وحينئذ يجوز في تود الرفع والجزم دليل  
هذا التأويل قراءة عبد الله وما عملت من سوء تود لو أن بينها بين النفس وبينه  
يعني بين السوء أمدا بعيدا والأمد الأجل والغاية التي ينتهي إليها قال الله أم  
يجعل له ربي أمدا وقال فطال عليهم الأمد قال النابغة ألا لمثلك أو من أنت  
سابقة بسبق الجواد إذا إستويا على الأمد قال السدي أمدا بعيدا أي مكان بعيد  
مقاتل كما بين المشرق والمغرب قال الحسن ليس أحدهم أن لا يلقي عمله  
أبدا ولا يود لو أن يعلمه ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد أي بالمؤمنين  
منهم قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله الآية قال الحسن وابن  
جريح زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله  
فقالوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وجعل إتباع نبيه علما

لحبه تعالى وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بعض النعام وجعلوا في آذانها السيوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل ولقد كانا على الإسلام فقالت له قريش يا محمد إنا نعبدها حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى قل يا محمد إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام ليقربوكم إليه فاتبعوني يحببكم الله وأنا رسوله إليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من الأصنام وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إن اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود فأبوا أن يقبلوها

(2/112)

---

روى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر عن الزبير قال نزلت في نصارى أهل نجران وذلك أنهم قالوا إنا نعظم المسيح ونعبده حبا لله سبحانه وتعظيما له فقال الله قل يا محمد إن كنتم تحبون الله وكان عظيم قولكم في عيسى حبا لله سبحانه وتعالى وتعظيما له فاتبعوني يحببكم الله أي إتبعوا شريعتي وستتي يحببكم الله وحب المؤمنين لله إتباعهم أمره وقصدهم طاعته ورضاه ووجه عز وجل للمؤمنين منة عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وذلك قوله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قال الثعلبي أنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال أنشدنا أبو أحمد محمد بن إبراهيم الصريمي قال أنشدنا علي بن محمد قال أنشدني الحسن بن إبراهيم البجلي لعبد الله بن المبارك تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال قبيح لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع عروه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك أخف من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله قال الله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فلما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي لأصحابه إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم فنزل قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا أعرضوا عن طاعتهما فإن الله لا يحب الكافرين لا يرضى فعلهم ولا شيء لهم ولا يغفر لهم وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع الإمام فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى الإمام فقد عصاني إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما

(2/113)

---

وضعت وليس الذكر كالانثى  
وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها  
بقبول حسن وأنتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب  
وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق  
من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية  
طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله  
يبشرك ببيحى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحورا ونبيا من الصالحين قال  
رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما  
يشاء قال رب اجعل لى صلى الله عليه وسلم آية قال آيتك ألا تكلم الناس  
ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإيكار وإذ قالت الملائكة  
يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقتنى  
لربك واسجدى واركعى مع الراكعين إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم  
وآل عمران قال ابن عباس قالت اليهود نحن أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب  
ونحن على دينهم ومنهاهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني إن الله اصطفى  
هؤلاء الذين قالوا بالإسلام وأنتم على غير دين الإسلام واصطفى افتعل من  
الصفوة وهو الخالص من كل شيء يعني اختاروا واستخلصوا آدم أبو البشر  
ونوحا شيخ المرسلين وآل إبراهيم وآل عمران قال بعضهم أراد بآل إبراهيم  
وآل عمران إبراهيم وعمران نفسهما كقوله عز وجل وبقيّة مما ترك آل موسى  
وآل هارون يعني موسى وهارون عليهم السلام قال الشاعر ولاتبك ميتا بعد  
ميت أحبه علي وعباس وآل أبي بكر يعني أبا بكر قال الباقر آل إبراهيم  
إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وإن محمدا عليه السلام من آل إبراهيم  
وآل عمران وقال مقاتل هو عمران بن يصر بن فاهات بن لاوي بن يعقوب  
وأله موسى وهارون قال الحسن ووهب بن منبه هو عمران بن أشهم بن أمون  
من ولد سليمان بن داود وآله مريم وعيسى

(2/114)

وقيل هو عمران بن ماتان وامراته حنة وخصه من الأنبياء لأن الأنبياء والرسل  
بعضهم وقضيضهم من نسلهم على العالمين ذرية نصب على حال قاله  
الأحفش الفراء على القطع لأن الذرية نكرة وآل إبراهيم وآل عمران معرفة  
الزجاج نصب على البدل وقيل على النكرة أي اصطفى ذرية بعضها من بعض  
وقيل على الحال أي بعضها من ولد بعض وقال أبو روق بعضها على دين بعض  
والله سميع عليم قال الحروي لما مات الحسن البصري وكان مماته عشية  
الجمعة فلما صلى الناس الجمعة حملوه فلم تترك الصلاة في المسجد الجامع  
بالبصرة منذ كان الإسلام إلا يوم ممات الحسن فإن الناس إتبعوا جنازته فلم  
يبق أحد يصلي في المسجد صلاة العصر قال الجزائري سمعت مناديا ينادي إن  
الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى  
الحسن البصري على أهل زمانه الأعمش عن أبي وائل قال قرأت في مصحف  
عبد الله بن مسعود إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران فقال  
ابن عباس ومقاتل هو عمران بن مايان وليس هو بعمران أبو موسى وبينهما  
ألف وثلاثمائة سنة وكان بنو مايان رؤوس بني إسرائيل وأخبارهم وملوكهم  
وقال ابن إسحاق هو عمران بن أشهم بن أمون بن ميثا بن حوقتا بن إحرين بن

يونام بن عواريا بن إمضيا بن ياوس بن جربها بن يارم بن صف شاط بن  
لمساين بن يعمر بن سليمان بن داود عليه السلام إني نذرت لك ما في بطني  
محررا أي جعلت الذي في بطني محررا نذرا مني لك والنذر ما أوجبه الانسان  
على نفسه بشريطة كان ذلك أو بغير شريطة

(2/115)

---

قال الله فقولي إني نذرت للرحمن صوما أي أوجبت وقال النبي صلى الله  
عليه وسلم من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه قال  
الأعشى غشيت لليلي ليل خدورا وطالبتها ونذرت النذورا ومن هذا قولهم نذر  
فلان دم فلان أي أوجبت على نفسه قتله وقال جميل فليت رجالا فيك قد نذروا  
دمي وحموا لقائي يابئين لقوني محررا أي عتيقا خالصا لله خادما للكنيسة  
حييسا عليها مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا يشغله شيء من الدنيا وكلما  
أخلص فهو محرر يقال حررت العبد إذا أعتقته وحررت الكتاب إذا أخلصته  
وأصلحته فلم يبق فيه ما يحتاج إلى إصلاحه ورجل حر إذا كان خالصا لنفسه  
ليس لأحد عليه متعلق والطين الحر الذي خلص من الرمل والحصاة والعيوب  
ومحررا نصب على الحال وقال الكلبي وابن إسحاق وغيرهما فإن الحر رجل  
إذا حرر وجعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ  
الحلم ثم يخير فإن رغب أن يقيم فيها أقام وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء  
فإن أراد أن يخرج بعد التخير لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء  
إلا ومن نسل محررا بيت المقدس ولم يكن محررا إلا الغلمان وكانت الجارية  
لا تكلف ذلك ولا تصلح له لما يمسه من الحيض والأذى فحررت أم مريم ما في  
بطنها وكان القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا أختين وكانت إيشاع بنت  
فاقود أم يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقود أم مريم عند عمران وقد كان أمسك  
على حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فيبينما هي  
في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحررت لذلك شهوتها للولد ودعت  
الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على  
بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم فحررت ما  
في بطنها ولا تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت رأيت إن كان ما في

(2/116)

---

بطنك أنثى والأنثى عورة لا تصلح لذلك فوقعنا جميعا في هم من ذلك فهلك  
عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها أي ولدتها وإذا هي جارية فالهاء في  
قوله وضعتها راجعة إلى النذيرة أي مريم من حنة لذلك أنث قالت عذرا وكانت  
ترجوا أن تكون غلاما ولذلك حررت رب إني وضعتها أنثى أعتذار إلى الله  
عزوجل والله أعلم بما وضعت ما ظنت عن السدي وقرأ العامة بتسكين التاء  
وقرأ علي وأبو ميثم النجفي وابن عامر وأبو بكر ويعقوب وضعت بضم التاء  
جعلوها من كلام أم مريم وليس الذكر كالأنثى في خدمة الكنيسة والعباد الذين  
فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى وإني سميتها  
مريم وهي بلغتهم الخادمة والعبادة وكانت أجمل النساء في وقتها وأفضلها

روى أبو زرعة عن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وإني أعيذها بك أمنها وأجيرها بك وذريتها وأولادها من الشيطان الرجيم الطريد اللعين المرمي بالشهب ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وإبناها ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم سعيد عن قتادة قال كل آدمي طعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى ابن مريم وأمه جعل بينهما حجاب فأصاب الطعن الحجاب ولم ينفذ إليها منه شيء

(2/117)

---

قال وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم وقال وهب بن منبه لما ولد عيسى عليه السلام أتى الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام منكسة فقال هذا لحادث حدث وقال مكانكم فطار حتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثم جاء البحار فلم يجد شيئا ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد وإذا الملائكة قد حفت حوله فلم يصل إليه إبليس فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا أنا بحضرتها إلا هذه فأيسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة فتقبلها أي تقبل الله من حنة مريم ورضيها مكان المحرر يقال قبل ولأن الشيء إذا رضي يقبله قبولاً بالفتح مصدر مثل الزارع والزرور والقبول ولم يأت غير هذه الثلاثة والقياس الضم مثل الدخول والخروج قاله أبو عمر والكسائي والأئمة وقال بعضهم معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وقال الحسن قبوله إياها أنه ما عذبها ساعة من نهار ولا ليل ربهها بقبول حسن ولم يقل بتقبل وهذا النوع يقال له المصدر على غير المصدر قال الفراء مثل قولك تكلمت كلما قال الفطامي وخير الأمر ما استقلت فيه وليس بأن يتبعه إتباعا وقال آخر وإن مشيتم تعاودنا عوادا ولم يقل تعاودوا وأنبثها نباتا حسنا ولم يقل إنباتا جوبير عن الضحاك عن ابن عباس فتقبلها ربهها بقبول حسن يقول سلك بها طريق السعداء وأنبثها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان وكانت تنبت في اليوم كمثل ما ينبت المولود في عام واحد ابن جريج أنبثها ربهها في غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة تامة وكفلها زكريا قال المفسرون أخذتها أم مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أولاد هارون وهم يومئذ يكونون في بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا

(2/118)

---

أنا أحقكم بها لأن عندي خالتها  
فقال له الأحبار لا تفعل ذلك فإنها لو تركت وحق الناس بها لتركت لأمها التي  
ولدتها ولكننا نقرع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة

وعشرين رجلا إلى نهر جاري قال السدي هو نهر الأردن فألقوا أقلامهم في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر قاله ابن إسحاق وجماعة وقال السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب بها الماء فسهمهم وقرعهم زكريا وكان رأس الأحبار ونيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها إلى نفسه وقام بأمرها قال ابن إسحاق فلما كفلها زكريا ضمها إلى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى إذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أي غرفة في المسجد وجعل بابه إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا يعني وجد زكريا عندها فاكهة في غير أوانها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضا طريا قال يا مريم أنى لك هذا فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسألت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب أخبرنا عبدالله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئا فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء أكل فإني جائع فقالت لا والله بأبي أنت وأمي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين إلى شعبة من طعام فبعثت حسنا وحسنا إلى جدتهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت

(2/119)

بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمي به فأتي به فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنها من بركة الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت يرزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته جميعا حتى شبعوا قالت فاطمة وبقيت الجفنة كما هي فأوسعت منها على جميع جيراني فجعل الله فيها بركة وخيرا قال أهل التفسير فلما رأى زكريا ذلك قال إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي غلاما على الكبر فطمع في الولد وذلك إن أهل بيته كانوا قد إنقرضوا وكان زكريا قد شاخ وأبس من الولد قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه أي فعند ذلك وهنا إشارة إلى الغاية كما أن هذه إشارة إلى الحاضر والكاف اسم المخاطب وكسرت اللام لإلتقاء الساكنين قال المفضل بن سلمة أكثر ما يقال هنالك في الزمان وهناك في المكان وقد جعل هذا مكان هذا دعا زكريا ربه

فدخل المحراب وغلق الأبواب وناجى ربه قال رب أي يا رب فحذف حرف النداء من أوله والياء من آخره استغني بكسر الياء عن الياء هب لي أعطني من لدنك من عندك وفي لدن أربع لغات لدن بفتح اللام وضم الدال وجزم النون وهو أفصحها ولد بفتح اللام وضم الدال وحذف النون ولدن بفتح اللام وسكون الدال وفتح النون ولدن بضم اللام وجزم الدال وفتح النون قال الفراء وهي يخصص بها على الإضافة وترفع على مذهب مذ وأنشد

(2/120)

---

قول أبي سفيان بن حرب على الوجهين  
ما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب ذرية طيبة نسلا  
مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا أو جمعا ذكرا أو أنثى وهو ههنا  
واحد يدل عليه قوله فهب لي من لدنك وليا ولم يقل أولياء وإنما أنث طيبة  
لتأنيث لفظ الذرية كما قال الشاعر أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك  
الكمال فأنت ولدته لتأنيث لفظ الخليفة فكما قال آخر فما تزدرى من حية  
جبلية سكات إذا ما غض ليس بأدردا فأنت الجبلية لتأنيث لفظ الحية ثم رجع  
إلى المعنى فقال غض لأنه أراد حية ذكرا والحية تكون الذكر والانثى وإنما جوز  
هذا فيما لم يقع عليه فلأن من الأسماء كالدابة والذرية والخليفة فإذا سمي  
بشيء من ذلك رجل هو كان من معنى رجلان لم يجز تأنيث فعله ولا نعتة فلا  
تقول من ذلك حدثنا مغير الضبي ولا يجوز حدثتنا مغيرة الضبية إنك سمع  
الدعاء أي سامعه وقيل مجيبه لقوله تعالى إني آمنت بربكم فاسمعون أي  
فأجيبون وقولهم سمع الله لمن حمده أي أجابه وأنشد دعوت الله حتى خفت  
ألا يكون الله يسمع ما أقول أي بكيت قتادة عن أنس بن مالك قال قال صلى  
الله عليه وسلم أيما رجل مات وترك ذرية طيبة أجرى الله عليه مثل أجر  
عملهم لا ينقص من أجورهم شيئا فنادت الملائكة قرأ يحيى وثابت والأعمش  
وحمزة والكسائي وخلف فناديه بالياء وأبو عمار وأبو عبيدة وقرأ الباقر بالتاء  
وأخياره أبو حاتم فإذا تقدم الفعل فأنت فيه بالخيار إن شئت أنثت وإن شئت  
ذكرت إلا أن من قرأ بالتاء فلأجل تأنيث الملائكة للفظ والجمع مع إن الذكور إذا  
تقدم فعلهم وهو جماعة كان التأنيث فيه أحسن وأفصح كقوله قالت الأعراب  
أما ومن ذكر خلها

(2/121)

---

روى القاسم بن سلام عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال كان عبد الله يذكر  
الملائكة في القرآن قال أبو عبيدة إنما يرى أن الله اختار ذلك خلافا على  
المشركين في قولهم الملائكة بنات الله فأراد بالتذكير هاهنا إكذابهم وروى  
الشعبي أن ابن مسعود قال إذا اختلقتم في الياء والتاء فاجعلوها ياء وذكروا  
القرآن وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس قال إذا كان الحرف في القرآن تاء  
وباء فاجعلوها ياء وأراد بالملائكة ههنا جبريل وحده وذلك أن زكريا الحبر الكبير  
الذي تعهد بالقربان وفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول  
فبينما هو قائم في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم في



الدخول إذ هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل يا زكريا إن الله يبشرك بيحيى فذلك قوله فناداته الملائكة يعني جبريل وحده نظيره قوله في هذه السورة واذ قالت الملائكة يا مريم يعني جبريل وحده وقوله في النحل ينزل الملائكة يعني جبريل ما يروح بالوحي لأن الرسول إلى جميع الأنبياء جبريل عليه السلام يأت عليه قوله ابن مسعود فناده جبريل وهو قائم يصلي في المحراب وهذا جائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم ركب فلان في السفن وإنما ركب سفينة واحدة وخرج على بغال البريد وإنما على بغل واحد وسمعت هذا الخبر من الناس وإنما سمع من واحد نظير قوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود إن الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفيان ونحوها كثرة وقال المفضل بن سلمة إذا كان القائل رئيساً فيجوز الإخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه فلما كان جبريل رئيس الملائكة وكل ما يبعث إلا ومعه جمع منهم فهي على هذا وهو قائم يصلي في المحراب يعني في المسجد نظيره قوله فخرج على قومه من المحراب أي المسجد وقوله إذ تسوروا المحراب أي المسجد وهو مفعال من الحرب قيل سمي بهذا لأنه تحارب فيه الشيطان كما قيل مضمار للميدان الذي تضر فيه الخيل وأمال

(2/122)

---

ابن عامر المحراب في جميع القرآن وفخمه الآخرون إن الله قرأ ابن عامر وعيسى بن عمرو والأعمش وحمزة بكسر الألف على إضمار القول تقديره فناداته الملائكة فقالت إن الله لأن النداء قول وقرأ الباقون بالفتح بإيقاع النداء عليه كأنه قال فناداته الملائكة أن الله يبشرك وقرأ عبد الله وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا إن الله يبشرك اختلف الفراء في مستقبل هذا الفعل وجملها في القرآن عشرة موضعين ههنا وفي التوبة يبشرهم ومريم وفي الحجر إنا نبشرك بغلام عليم وفيم تبشرون وفي سبحان والكهف وبشر المؤمنين وفي مريم موضعين يا زكريا إنا نبشرك ولتبشرون به المتقين وفي حم عسق ذلك الذي يبشر الله عباده فهذه عشرة مواضع اتفقوا على واحد منها إنها مشددة وهو قوله فيم تبشرون واختلفوا في التسعة الباقية فقرأها حمزة كلها بفتح الباء وجزم الباء وضم الشين وتخفيفها وقرأ يحيى بن رثاب والكسائي خمسة منها مخففة موضعين ههنا وفي سبحان والكهف وعسق وخفف ابن كثير وأبو عمرو منها حرفاً واحداً وهو قوله في حم عسق ذلك النبي الذي يبشر الله عباده وقرأها كلها حميد بن قيس بضم الباء وجزم الباء وكسر الشين وتخفيفها الباقون بضم الباء وفتح الباء وكسر الشين وتشديده فمن خفف الشين وضم الباء وهو من أبشر يبشر قال الشاعر يا أم عمرو أبشري بالبشرى موت ذريع وجراد عظلي ومن قرأ بتخفيف الشين مع فتح الباء فهو من بشر يبشر وهو لغة أهل تهامة وقرأه ابن مسعود قال الشاعر نشرت عوالي إذ رأيت حيفة ماسك من الحجاج تعلی كتابها

(2/123)

---

وقال الفراء وإذا رأيت الباهشين إلى العلي غبرا أكفهم بقاع ممحل فأعنهم وأبشر بما بشروا به وإذا هم نزلوا بضنك فأنزل روي عبد الرحمن بن أبي حماد عن معاذ الكوفي قال من قرأ يبشرهم مثقلة فإنه من البشارة ومن قرأ يبشرهم مخففة ينصب الياء فإنه من السرور يسرهم وتصديق هذه القراءة ما روي ابن زيد بن أسلم عن أبيه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل إن الله يبشرك بسلامة ولدك فإنا والله لا يولدك ميتا ولا يحبب إليك آلها وهو أعرب اللغات وأفصحهم قال جرير يا بشر حق لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير ودليل التشديد إن كل ما في القرآن من هذا الباب من فعل واجب أو أمر فهو بالثقل لقوله فبشر عبادي الذين وبشرناه بإسحاق قالوا بشرناك بالحق يحيى هو اسم لا يجري لمعرفته والمزايد في أوله مثل يزيد ويعمر ويشكر وأماله قوم لأجل الياء وفخمه الآخرون وجمعه يحيون مثل موسون وعسون واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لأن الله أحيا به عقر أمه قتادة لأن الله أحيا قلبه بالإيمان بعضهم لأن الله أحيا قلبه بالنبوة الحسن بن الفضل لأن الله أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهمل بمعصية ما روي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا ويلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة قد عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهمل ولم يعملها قال الثعلبي سمعت الاستاذ أبا القاسم بن حبيب يقول سمي بذلك لأنه أستشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون

(2/124)

قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله إن يحيى بن زكريا قتله امرأة قال الثعلبي وسمعت أبا منصور الجمشاذي يقول عن عمر بن عبيد الله المقدسي أوحى الله إلى إبراهيم الخليل أن قل ليسارة وكذلك كان اسمها أني مخرج منكما عبدا لا يموت بمعصيتي اسمه حيي فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من اسمها فصار يحيى وصارت امرأة إبراهيم سارة مصدقا بكلمة نصب على الحال من الله يعني عيسى عليه السلام سمي كلمة لأن الله قال له كن من غير أب فكان فوقه عليه اسم الكلمة لأنه كان بها ويحيى أول من آمن بعيسى فصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام وقال أبو عبيدة وعبد العزيز بن يحيى بكلمة من الله وآياته يقول أنشدني كلمة فلان أي قصيدته وسيدا من فيعمل نحو ساد يسود أصله يسود وهو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله قال المفضل أراد سيدا في الدين شريك عن أبي روق عن الضحاك قال السيد الحسن الخلق وروي شريك بإسناده أيضا عن سالم الأبطس عن سعيد بن جبير قال السيد هو الذي يطيع ربه عز وجل سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم قتادة سيد في العلم والصوم سعيد بن جبير الحلیم الضحاك الثقي عكرمة الذي لا يغضب مجاهد الكريم على الله ابن زيد الشريف الكبير سفيان الثوري الذي لا يحسد روي يوسف بن الحسين الرازي عن ذي النون المصري قال الحسود لا يسود قال الخليل بن أحمد مطاعا الزجاج هو الذي ينوي وبكل شيء من الخير أقرانه أحمد بن عاصم السيد القانع بما قسم له أبو بكر الوراق الراضي بقضاء الله تعالى

محمد بن علي الترمذي المتوكل على الله أبو زيد البسطامي هو الذي قد عظمت همته ونبل قدره لم يحدث نفسه بدار الدنيا وقيل هو السخي روى ابن الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير أنه بخيل جبان قال وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم عمرو بن جموح روى عبد الله بن عباس إنه كان قاعدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بضعة عشر رجلا عليهم ثياب السفر فسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم ثم قالوا من السيد منكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فعرفوا أنه رسول الله فقالوا فما في أمتك سيد قال بلى رجل أعطى مالا حللا ورزق سماحة وأدنى الفقراء وقلت شكايته وروى أن أسد بن عبد الله قال لرجل من بني شيبان بلغني أن السوود فيكم رخيص فقال أما نحن فلا نسود إلا من يعطينا رحله ويفرش لنا عرضه ويعطينا ماله فقال والله إن السوود فيكم لغال وحصورا أصله من الحصر وهو الحبس يقال حصرت الرجل عن حاجته إذا حبسته وحصرت من كذا أحصر إذا امتنع منه وحصر فلان في قرأته إذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها ومنه احصار العدو قال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا ويقال للرجل الذي يكتم السر ويحبسه ولا يظهره حصر قال جرير ولقد تسقطني الوشاة فصادفوا حصرا بسرك يا أميم ضنينا فالحضور في قول ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطاء وأبي الشعثاء والحسن والسدي وابن زيد الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فهو على هذا القول مفعول بمعنى فاعل يعني أنه يحصر نفسه عن الشهوات وقال سعيد بن المسيب والضحاك هو العين الذي لا ماء له ودليل هذا التأويل ما روى أبو صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقي الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيذا وحصورا

ونبيا من الصالحين ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال كان ذكره مثل هذه القذاة وقال المبرد الحضور الذي لا يدخل في اللعب والعبث والأباطيل وأصله من قول العرب الذي لا يدخل في الميسر حضور قال الأخطل وشارب مريح بالكأس نادمني لا بالحضور ولا فيها بسوار فلما نادت الملائكة زكريا بالبشارة قال رب يا سيدي قاله لجبرائيل عليه السلام وهذا هو قول الكلبي وأكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل إنما قال زكريا لله يا رب لا لجبرائيل أنى يكون من أين يكون لي غلام ابن وقد بلغني الكبير قال أبو حمزة والفراء والمورخ بن المفضل هذا من المقلوب أي قد بلغت الكبير كما يقال بلغني الجهد أي إني في جهد ويقول هذا القول لا يقطعني أي لا يبلغ بي ما أريد أن يقطعه وأنشد المفضل كانت فريضة ما زعمت كما كانت الزناء فريضة الرجم وقيل معناه وقد نالني الكبير وأدركني وأخذ مني

وأضعفني قال الكلبى كان يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعون سنة فذلك قوله وامراتي عاقر أي عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامرأة عاقر وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة وقيل تكلم حتى أعقر بكسر القاف يعقر عقرا إذا أبقي فلم يقدر على الكلام وقال عامر بن الطفيل وليئس الفتى إن كنت أعور عاقرا جبانا فما عذري لدى كل محضر وإنما حذف الهاء لاختصاص الأناث بهذه وقال به تارة الخليل

(2/127)

---

وقال سيويه للنسبة أي ذات عقر كما يقال امرأة مرضع أي ذات ولد رضيع وكل امرأتي عنى عاقر وشخص عاقر وقال عبيد عاقر مثل ذات رحم أو خانم مثل من ينحب قال كذلك الله يفعل ما يشاء فإن قيل لم تنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعدما بشرته به الملائكة أكان ذلك شك في صدقهم أم أن ذلك منه استنكارا لقدرة ربه وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان فكيف الأنبياء عليهم السلام قيل إن الجواب عنه ما روى عكرمة والسدي إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذي سمعته ليس من الله إنما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه إليك خفيا كما ناداك خفيا وكما يوحى إليك في سائر الأمور فقال ذلك دفعا للوسوسة والجواب الثاني إنه لم يشك في الولد وإنما شك في كفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لي ولد أي فكيف يكون لي ولد أتجعلني وامراتي شابين أم ترزقنا ولدا على كبرنا أم ترزقني من امرأتي أو غيرها من النساء قال ذلك مستفهما لا منكرا وهذا قول الحسن وابن كيسان قال رب اجعل لي آية علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكرا لك قال أيتك ألا تكلم الناس تكف عن الكلام ثلاثة أيام إلا رمزا تقبل بكلمتك على عبادتي وطاعتي لا أنه حبيس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار قال بعض أهل المعاني وقال أكثر المفسرين عقد لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد مساءلة الملائكة إياه فلم يصدر على الكلام ثلاثة أيام إلا رمزا إشارة قال الفراء ويكون الرمز باللسان من غير أن يبين وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقرأ الأعمش رمزا بفتح الميم وهو الصلاة كالطلب به وقال عطا أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا واذ قالت الملائكة يعني جبرئيل وحده

(2/128)

---

يا مريم إن الله اصطفاك بولادة عيسى من غير أب وطهرتك من مسيس الرجل وقال السدي كانت مريم لا تحيض فاصطفاك بالتحريم في المسجد على نساء العالمين عالمي زمانها ولا يحزر غيرها يا مريم أقنتي أطيعي وأطيلي الصلاة لربك كلمت به الملائكة شفها قال الأوزاعي لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالتا دما وقيحا واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنبياء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك

بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذالك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى صلى الله عليه وسلم اسرايل انى قد جئتكم باية من ربكم انى صلى الله عليه وسلم اخلق لكم من الطين كهينة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحى الموتى باذن الله وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصداقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى صلى الله عليه وسلم إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا ءامنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ومن حديث ويحى ومريم وعيسى من أنباء أخبار الغيب نوحيه إليك رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكر وما كنت يا محمد لديهم عندهم إذ يلقون أقلامهم سهامهم وقداحهم للاقتراع في الماء واحدها قلم وقيل أقلامهم التي كانوا

(2/129)

---

يكتبون بها التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون في كفالتها وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه وقرأ أبو السماك وهب بن يزيد العدوي بكلمة مكسورة الكاف مجزومة اللام في جميع القرآن وهي لغة فصيحة مثل كتف وفخذ اسمه رد كناية إلى عيسى وكذلك ذكر وقيل رده إلى الكلام لأن الكلمة والكلام واحد المسيح قال بعضهم هو فعيل بمعنى المفعول يعني أنه مسح من الأقدار وطهر وقيل مسح بالبركة وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لأنه مسح القدمين لا أحمص له وقيل مسحه جبرئيل بجناحه من الشيطان حتى لم يكن للشيطان فيه سبيل في وقت ولادته وقال بعضهم هو بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم وسمي ذلك لأنه كان يمسح المرضى فيبرأون باذن الله قال الكلبي سمي بذلك لأنه كان يمسح عين الأعمى فيبصره وقيل سمي بذلك لأنه كان يسبح في الأرض يخوضها ولا يقيم في مكان وعلى هذا القول الميم فيه زائدة وقال أبو عمرو بن العلاء المسيح الملك وقال أبو تميم النخعي المسيح الصديق فإما هو المسيح بكسر الميم وتشديد السين وقال غيره هذا قول لا وجه له بل الدجال مسيح أيضا فعيل بمعنى مفعول لأنه ممسوح إحدى العينين كأنها عين طافية ويكون بمعنى السائح لأنه يسبح في الأرض فيطوف الأرض كلها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس قال الشاعر

(2/130)

---

إن المسيح يقتل المسيخا عيسى ابن مريم وجيها نصب على الحال أي شريفا  
ذا جاه وقدر في الدنيا و الآخرة ومن المقربين إلى ثواب الله ويكلم الناس في  
المهد صغيرا قبل أوان الكلام روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت مريم  
عليها السلام كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فإذا شغلني عنه إنسان  
سبح في بطني وأنا أسمع وكهلا قال مقاتل يعني إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى  
السماء وقال الحسن بن الفضل كهلا بعد نزوله من السماء وقال ابن كيسان  
أخبرهما أنه يبقى حتى يكتهل وقيل يكلم الناس في المهد صبيا وكهلا نيا ولم  
يتكلم في المهد من الأنبياء إلا عيسى عليه السلام فكلامه في المهد معجزة  
وفي الكهولة دعوة وقال مجاهد وكهلا أي عظيما والعرب تمدح بالكهولة لأنها  
أعظم علي في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة ومن  
الصالحين أي فهو من العباد الصالحين قالت رب يا سيدي بقولها لجبرئيل أنى  
يكون لي ولد ولم يمسنني بشر يعني رجل قال كذلك الله كما تقولين يا مريم  
ولكن الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون كما يريد قال  
بعض أهل المعاني ذكر القول ههنا بيان وزيادة إلى ذكره ليتعارف الناس به  
سرعة كون الشيء فيما بينهم وقال آخرون هذا وقع على الموجود في علمه  
وإرادته وتحت قدرته وإن كان معدوما في ذاته

(2/131)

---

ونصب بعض القراء النون في قوله فيكون على جواب الأمر بالفاء ورفع  
الباقون على إضمار هو أي فهو يكون وقيل على تكرير الكلام تقديره فإنما  
يقول له كن فيكون ويعلمه قرأ أهل المدينة ومجاهد وحميد والحسن وعاصم  
بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى كذلك يخلق ما يشاء قد جرى  
ذكره عز وجل وقال المبرد ردوه على قوله إن الله يبشرك ويعلمه وقرأ الباقون  
بالنون على التعظيم واحتج أبو عمرو في ذلك لقوله ذلك من أنباء الغيب نوحيه  
إليك الكتاب أي الكتابة والخط والعلم والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا أي  
ونجعله رسولا إلى بني إسرائيل فترك ذكره لأن الكلام عليه كقول الشاعر  
ورأيت بعلك في الوعى متقلدا سيفا ورمحا أي وحاملا رمحا وأنشد الفراء لرجل  
من عبد القيس علفتها تبا وماء باردا حتى شئت همالة عينها يعني سقيتها ماء  
باردا قال الأخفش وإن شئت جعلت الواو في قوله ورسولا مضخمة والرسول  
حالا للهاء تقديره ويعلمه الكتاب رسولا وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف  
وآخرهم عيسى عليه السلام روى محمد بن إسكندر عن صفوان بن سليم عن  
أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على أثر ثمانية  
آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل فلما بعث قال لهم

(2/132)

---

قال الكسائي وإنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه وقيل بأنى أو لأنى قد جئتكم  
بأية والآية من ربكم يصدق قولي ويحقق رسالتي قال الخليل والفراء أصلها  
بأية بتشديد الياء فثقل عليهم التشديد فأبدلوا لانفتاح ما قبل التشديد وتقديرها  
فعله وقال الكسائي هي في الأصل أيه مثل فاطمة فحذفت إحدى اليائين فلما

قال ذلك عيسى لبني اسرائيل قالوا وما هي قال إني قول نافع يكسر الألف على الإستئناف وإضمار القول وقرأ الباقون بالفتح على معنى باني أخلق أي أصور وأقدر لكم من الطين كهيئة الطير قرأ الزهري وأبو جعفر كهية بتشديد الياء و الآخرون بالهمزة والهيئة الصورة المهيأة وهي من قولهم هيأت الشيء إذا قصرته وأصلحته وقرأ أبو جعفر الطائر بالألف والباقون بغير ألف فأنفخ فيه أي في الطين فيكون طيرا بإذن الله قرأه العامة على الجمع لأنه خلق طيرا كثيرا وقرأ أهل المدينة طائرا على الواحد ذهبوا إلى نوع واحد من الطير لأنه لم يخلق غير الخفاش وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا ليكون أبلغ في القدرة لأن لها ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطير وقال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليميز فعل الخلق من خلق الله وليعلموا أن الكمال لله تعالى وأبرىء الأكمه و الأبرص أي أشفيهما وأصحهما فقال أبرأ الله المريض من أبرأ وبرئ هو يبرأ وبريء مبرأ برأوا فيهما جميعا واختلفوا في الأكمه فقال عكرمة والأعمش ومجاهد والضحاك هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ابن عباس وقتادة هو الذي ولد أعمى ولم يبصر ضوء قط الحسن والسدي هو الأعمى وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكمه هو الذي يولد أعمى وهو الذي يعمى وإن كان بصيرا هو المعروف من كلام العرب يقال كمهت عينه تكمه كمها وكمهتها إذا أعميتها

(2/133)

قال سويد بن أبي كاهل كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع قال رؤية وكيد مطال وخصم مبداه هذجن فإن تكلم الأكمه هرجت بالسبع وقد صحت به والأبرص الذي به وضح وإنما خص هذين لأنهما عميان وكان الغالب على زمن عيسى الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك داعيا لا دواء له وقال وهب ثم اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق أتاه عيسى يمشي إليه إنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان وأحيى الموتى بإذن الله قيل أحيى أربعة أنفس عازر وكان صديقا فأرسل أخته إلي عيسى أن أخاك عازر يموت فأتته وكان بينه وبين داره ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته انطلقى بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السماوات السبع و الأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني اسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم أنني أحيى الموتى بإذنك فأحيى عازر قال فقام عازر وودكه تقطر فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به ميتا على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى عليه السلام فجلس على سيريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له والبنت العاقر قيل له أتحيها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاشت فبقيت وولد لها وسام بن نوح دعا عيسى عليه السلام بإسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك بإسم الله الأعظم قال ولم يكونوا

(2/134)

---

يشييون في ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم قال مت فقال بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت فدعا الله عز وجل ففعل قال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيى الأموات ب يا حى يا قيوم وأنبئكم أخبركم بما تأكلون مما أعاينه وما تدخرون وما ترزموه في بيوتكم حتى تأكلوه وهو يفعلون من دخرت وقرأ مجاهد وأبواب السخنياني تذخرون بالذال المعجمة وسكونها وفتح الخاء من دخر يذخر ذخرا قال الكلبى فلما أبرأ عيسى الأكمه و الأبرص وأحى الموتى قالوا هذا سحر ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندخر وكان يخبر الرجل بما أكل من غذائه وبما يأكل في عشائه وقال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع أبوهم ويقول للغلام إنطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله ويبكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فحبسوه في بيت فجاء عيسى يطلبهم قالوا ليسوا عندنا فقال فما في هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ففتحوا عليهم فإذا هم خنازير ففجئنا لذلك في بأس بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمير لها وخرجت به هاربة إلى مصر وقال قتادة إنما هذا في المائة وكان خوانا ينزل عليهم إنما كانوا كالمن والسلوى وأمر القوم أن لا يخونوا لا يخبئوا لغد وحذرهم البلاء إن فعلوا ذلك وخونوا فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائة وما ادخروا منه فمسخهم الله خنازير إن في ذلك الذي ذكرت لكم لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا عطفها على قوله ورسولا لما بين يدي لما قبلي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم من اللحوم والشحوم وقالوا أيضا يعني كل الذي حرم عليهم من الأطباء و بعض يكون بمعنى كل ويكون كقول لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(2/135)

---

أي كل النفوس وقال آخر أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض يريد بعض الشر أهون من كله وقرأ إبراهيم النخعي حرم مثل كرم أي صار حراما وجئتكم بآية من ربكم يعني ما ذكرنا من الآفات وأما تعدها لأنها جنس واحد في الدلالة على رسالته فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى وقال أبو عبيد عرف مقاتل رأى نظر قرأه ضحك هل تحس منهم من أحد وقوله فلما أحسوا بأسنا منهم الكفر وأرادوا قتله استنصر عليهم وقال من أنصاري إلى الله قال السدي كان بسبب ذكر أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة نفته بنو إسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسبحون في الأرض فنزل في قرية على رجل فضافهم وأحسن إليهم وكان كبير المدينة جبار معتد فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت ما شأن زوجك أراه كئيبا قالت لا تسأليني قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت إن لنا ملكا يجعل على كل رجل يوما يطعمه هو وجنوده ويسقيهم من الخمر فإن لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا تهتم



فإني أمر إبنني فيدعو له فيكفى ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى إن فعلت ذلك كان في ذلك شر قالت لا تبال فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا قال عيسى فقولني له إذا اقترب ذلك فأملأ قدورك وخوابيك ففعل ذلك فدعا الله عيسى فحول القدر لحمًا ومرقًا وخبزًا وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال الملك فإن خمري

(2/136)

---

أوتى بها من هذه الأرض وليست مثل هذه قال هي من أرض أخرى فاختلط على الملك فشدد عليه قال أنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه وإنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق إليه فقال إن رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى فكلمه في ذلك فقال عيسى لا تفعل فإنه إن عاش كان شرا فقال الملك لا أبالي أليس أراه فلا أبالي ما كان فقال عيسى فإن أحببته تتركوني وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش بادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا إبنه فياكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه فمرا بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال عيسى ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا كيف ذلك قال من أنصاري إلى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فأمنوا به وانطلقوا معه فهم الحواريون وذلك قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال السدي وابن جريج والكسائي مع الله تقول العرب الذود إلي الذود إبل وقال النابغة فلا تتركوني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلبي به القار أجرب أي مع الناس وقال آخر ولوح ذراعين في بدن إلى جوجؤ رهل المنكب أي مع جوجؤ نظيره قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي مع أموالكم وقال الحسن وأبو عبيدة من أنصاري في السبيل إلى الله تعني في أي من أعواني في الله أي في ذات الله وسبيله

(2/137)

---

وقال طرفة وإن ملتقى الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الكريم المضمند أي في ذروة وقال أبو ذؤيب باري التي تاري اليعاسيب أصبحت إلى شاهق دون السماء ذؤابها درجها قال الحواريون اختلفوا فيهم فقال السدي كانوا ملاحين يصطادون السمك وكذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا صيادين سموا حواريين لبياض ثيابهم وقال أبو أرطاة كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها وقال عطاء سلمت مريم عيسى إلى أعمال سري وكان آخر ما دفعته إلى الحواريين وكانوا قوما قصارين وصباعين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر إلى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الألوان وقد اعلمت على كل صنف منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فيجب

أن تكون فارغا منها وقت قدومي فخرج وطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد أدخله جميع الثياب وقال لها كوني بإذن الله على ما أريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في جب واحد فقال ما فعلت قال قد فرغت منها قال أين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها أحمر في جب واحد فقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فأخرج عيسى ثوبا أحمر وثوبا أصفر وثوبا أخضر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها فجعل الحواري يتعجب ويعلم أن ذلك من الله وقال للناس تعالوا وانظروا إلى ما صنع فأمن به وأصحابه فهم الحواريون وروى يوسف الفريابي عن مصعب قال الحواريون إنا عشر رجلا اتبعوا عيسى بن مريم

(2/138)

---

وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين فيأكلوهما وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده إلى الأرض فيخرجون منه ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمنا وإذا شئنا سقينا وآمنا بك فاتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب بالكرماء وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وحسنها قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود وأصل الحور عند العرب شدة البياض يقال رجل أحور وامرأة حوراء شديد بياض نفلة العينين ويقال للدقيق الأبيض الحواري وكل شيء بيضته فقد حورته ويقال للبيضاء من النساء حوارية قال ابن حلزة فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النواج وقال الفرزدق فقلت أن الحواريات تغطية إذا زين من تحت الجلابيب وقال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس إليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال إني آتئك ملكي هذا واتبعتك فانطلق واتبعه ومن معه فهم الحواريون وقال الكلبي وأبو روق الحواريون أصفياء عيسى وكانوا إنا عشر رجلا الحسن الحواريون الأنصار والحواري الناصر النضر بن شميل الحواريون خاصة الرجل عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال الحواري الوزير

(2/139)

---

وعن روح بن القاسم قال سألت قتادة عن الحواريين فقال هم الذين تصلح لهم الخلافة والحواري في كلام العرب الضامن خاصة الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه يدل عليه ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارٍ وحواري الزبير بن العوام وروى أبو سفيان بن معمر قال قال قتادة إن الحواريين كلهم من قريش أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعباس وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عروة وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام قال الحواريون وأسماءهم في سورة المائدة نحن

أنصار الله أعوان دين الله ورسوله آمنوا بالله وأشهد بأننا مسلمون ربنا آمننا بما أنزلت من كتابك وأتبعنا الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق قال عطاء مع النبي لأن كل نبي شاهد أمته مع محمد وأمته ومكروا يعني كبار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر ودبروا في قتل عيسى والمكر اللفظ التدبير وذلك أن عيسى بعد إخراج قومه إياه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطأوا على القتل فذلك مكرهم به وقال أهل المعاني المكر السعي في الفساد في ستر ومداجاة وأصله من قول العرب مكر الليل ومكر الله قال الفراء المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة وهو من الله استدراجه العباد قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس معناه كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة

(2/140)

---

قال الزجاج مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمى باسم الابتداء كقوله الله يستهزي بهم وقوله وهو خادعهم وقال عمرو بن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قال الثعلبي سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله البغدادي يقول سألت رجلاً جليلاً كيف رضي المكر لنفسه وقد عاب به غيره فقال لا أدري ما يقول ولكن لسيد بني الطبرانية فديتك قد جعلت على هواك فنفسي لا تنازعني سواك أحبك لا بيعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي جراكا ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكاً فقال الرجل أسألك عن آية من كتاب الله وتجيبي بشعر الطبرانية فقال ويحك قد أحببتك إن كنت تعقل إن تخليتني إياهم مع المكر به مكر منه بهم ومكر الله تعالى خاص بهم في هذه الآية إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى إلى السماء قال ابن عباس إن ملك بني إسرائيل أراد قتل عيسى وقصده أعوانه فدخل خوخة فيها كوة فرفعه جبرئيل من الكوة إلى السماء فقال الملك لرجل منهم خبيث أدخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى الناس فخيرهم أنه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا أنه عيسى وقال وهب طرقتوا عيسى في بعض الليل فأسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه فلما أرادوا صلبه أظلمت الأرض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبينه وصلبوا مكانه رجلاً يقال له يهودا وهو الذي دلهم عليه وذلك أن عيسى جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن أحدكم قبل أن يصيح الديكويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى

(2/141)

---

أحد الحواريين إلى الجنود فقال لهم ماتجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا له مائتين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عليه شبه عيسى لما دخل البيت فرفع عيسى وأخذ الذي دلهم عليه فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب شبه عيسى

جاءت أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأ لها إبنة من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما علام تبكيان فقالتا عليك فقال إن الله قد رفعني ولم يصبني إلا خير وأن هذا الصبي شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم في المحراب موضع لأمه في خبائها فإنها لم يبك عليك أحد بكأها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين حيث هم في الأرض دعاه الله تعالى فاهبط الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين حيث هم في الأرض دعاه الله تعالى ثم رفعه إليه وتلك الليلة هي الليلة التي يدخل فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين والله خير الماكرين أي أفضل المعاقبين قال أهل التواريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاثة عشر سنة ودارت بعيسى بيت اللحم من أرض اورشليم لمضي خمسة وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ولإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الكلدانيين وأوحى الله عز وجل لأمه على رأس ثلاثين سنة ورفعه إليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفرو صلى الله عليه وسلم اوجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفرو صلى الله عليه وسلم ا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين ءامنوا

(2/142)

---

وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك اختلقوا في معنى التوفي ههنا

(2/143)

---

فقال كعب والحسن والكلبي ومطر الوراق ومحمد بن جعفر بن الزبير وابن جريج وابن زيد معناه إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت يدل عليه قوله فلما توفيتني أي قبضتني إلى السماء وأنا حي لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته وعلى هذا القول للتوفي تأويلان أحدهما إني رافعك إلي واقيا لن ينالوا منك من قولهم توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاما و الآخر إني

مسلمك من قولهم توفيت منه كذا أي سلمته وقال الربيع بن أنس معناه أي  
نميك ورافعك إلي من قومك يدل عليه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل أي  
ينمكم لأن النوم أخو الموت وقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم  
تمت في منامها وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال إنني مميتكم يدل  
عليه قل يتوفاكم ملك الموت وقوله وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك  
وله على هذا القول تأويلان أحدهما ما قال وهب توفى الله عيسى ثلاث  
ساعات من النهار ثم أحياه ورفعاه والآخر ما قاله الضحاك وجماعة من أهل  
المعاني إن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا معناه إنني رافعك إلي ومطهرك من الذين  
كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من  
ربك لكان لزامًا وأجل مسمى وقال الشاعر ألا يا نخلة من ذات عرق عليك  
ورحمة الله السلام أي عليك السلام ورحمة الله

(2/144)

---

وقال آخر جمعت وعيبا نخوة ونميمة ثلاث خصال لسن من ترعوي أي جمعت  
نخوة ونميمة وعيبا وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنبياء  
إخوة لعلات شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن  
بينني وبينه نبي وإنه عامل على أمتي وخليفتي عليهم إذا رأيتموه فاعرفوه فإنه  
رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره ممطر وإن لم  
يصبه بلل بين ممصرتين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال وليسلكن  
الروحاء حاجا أو معتمرا أو كليهما جميعا ويقاثل الناس على الإسلام حتى يهلك  
الله في زمانه الملك كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال  
ويقع في الأرض الأمانة حتى يرتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع  
الأغنام ويلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا ويلبث في الأرض أربعين  
سنة وفي رواية كعب أربعين سنة ثم يتزوج ويولد ثم يتوفى وبصلي  
المسلمون عليه ويدفنونه في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل للحسن  
بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن فقال نعم قوله وكهلا  
وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء وعن محمد بن  
إبراهيم أن أمير المؤمنين أبا جعفر حدثه عن الآية عن ابن عباس قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في  
آخرها والمهدي من أهل بيتي في أوسطها وقال أبو بكر محمد بن موسى  
الواسطي معناه أي متوفيك عن شهواتك وحطوط نفسك ولقد أحسن فيما  
قال لأن عيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة ورافعك إلي قال  
البشالي والشيباني كان عيسى على فهيت ريح فهرول عيسى عليه السلام  
فرفعه الله عز وجل في هرولته وعليه مدرعة من الشعر قال ابن عباس ما  
لبس موسى إلا الصوف وما لبس عيسى إلا الشعر حتى رفع

(2/145)

---

وقال ابن عمر رأينا النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم في الطواف فقيل له  
في ذلك فقال استقبلني عيسى في الطواف ومعه ملكان وقيل معناه رافعك

بالدرجة في الجنة ومقربك إلى الأكرام ومطهرك من الذين كفروا أي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الإسلام الذين اتبعوا دينه وسنته من أمة محمد فوالله ما اتبعه من دعاه ربا فوق الذين كفروا ظاهرين مجاهرين بالعزة والمنعة والدليل والحجة الضحاك ومحمد بن أبان يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل هم الروم وقال ابن زيد وجاعل النصارى فوق اليهود فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود واليهود مستذلون مقهورون وعلى هذين القولين يكون معنى الإتيان الإذعان والمحبة لا اتباع الدين والملة ثم إلي مرجعكم في الآخرة فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من الدين وأمر عيسى عليه السلام فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة والجزية والآخرة بالنار وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى بهم أجورهم قرأ الحسن وحفص ويونس بالياء والباقون بالنون والله لا يحب الظالمين ذلك أي هذا الذي ذكرته نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم قال النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن وقيل هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش في درة بيضاء والحكيم هو الحكم من الباطل قال مقاتل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية وذلك أن وفد نجران قالوا يا رسول الله مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنسانا قط من غير أب فإن كنت صادقا فأرنا مثله فأنزل الله عز وجل إن مثل عيسى عند الله في كونه خلقا من غير أب

(2/146)

كمثل آدم في كونه خلقا من غير أب ولا أم خلقه من تراب تم الكلام ثم قال له يعني لعيسى كن فيكون يعني فكان الحق من ربك قال الفراء رفع لخبر ابتداء مضمر يعني هو الحق أي هذا الحق وقال أبو عبيدة هو استئناف بعد انقضاء الكلام وخبره في قوله من ربك وقيل بإضمار فعل أي حال الحق وإن شئت رفعته بالضمة ونويت تقديمها وتأخيرا تقديره من ربك الحق كقولهم منك يدك وإن كان مثلا فلا تكن من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته لأنه لم يكن ينهاه في أمر عيسى فمن حاجك خاصمك وجادلك بأمر يا محمد فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله فقل تعالوا قرأ الحسن وأبو واقد الليثي وأبو السماك العدوي تعالوا بضم اللام وقرأ الباقر بفتحها والأصل فيه تعاليوا لأنه تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فسكنت ثم حذفت وبقيت اللام على محلها وهي عين الفعل ضم فإنه نقل حركة الياء المحذوفة التي هي لام الفعل إلى اللام قال الفراء معنى تعال كأنه يقول ارتفع ندع جزم لجواب الأمر وعلامة الجزم فيه سقوط الواو أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم وقيل أراد نفوسهم وقيل أراد الأزواج ثم نبتهل تنضرع في الدعاء قاله ابن عباس مقاتل نخلص في الدعاء الكلبي نجهد ونبالغ في الدعاء الكسائي وأبو عبيدة نلتعن بقول لعن الله الكاذب منا يقال عليه بهلة الله وبهلته أي لعنته قال لبيد في قدوم سادة من قولهم نظر الدهر إليهم فابتهل

فنجعل عطف على قوله نبتهل لعنة الله مصدر على الكاذبين منا ومنكم في أمر عيسى فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ماترى فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما لأعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن نعلم ذلك لنهلكن فإن رأيتم إلا البقاء لدينكم والإقامة علي ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله محتضنا الحسين أخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول لهم إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك وثبتت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أنا بذكم بالحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي سكة ألفا في صفر وألفا في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن العذاب قد نزل في أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قرده وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا قال الله تعالى إن هذا لهو القصص الحق إلى فإن تولوا أعرضوا عن الإيمان فإن الله عليم بالمفسدين الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غيره قل يا أهل الكتاب

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في إبراهيم فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد إنا اختلفنا في إبراهيم ودينه فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وأنهم على دينه وأولى الناس به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفا وأنا على دينه فأتبعوا دينه الإسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد إلا أن تتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى والله يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزيز

---

فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء عدل بيننا وبينكم وكذلك كان يقولها ابن مسعود قال دعا فلان إلى السواء أي إلى النصف وسواء كل شيء وسطه قال الله فرأه في سواء الجحيم وإنما قيل للنصف سواء لأن عدل الأمور وأفضلها أوسطها وسواء نعت للكلمة إلا أنه مصدر والمصادر لا تشي ولا تجمع ولا تؤنث فإذا فتحت السين مدت وإذا كسرت أو ضمت قصرت كقوله عز وجل مكانا سوى أي مستو به ثم فسر الكلمة فقال ألا نعبد إلا الله محل أن رفع على إضمار هي قال الزجاج محله رفع بمعنى أنه لا نعبد وقيل محله نصب بنزع حرف الصفة معناه بأن لا نعبد إلا الله وقيل محله خفض بدلا من الكلمة أي تعالوا أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضنا أربابا من دون الله كما فعلت اليهود والنصارى قال الله اتخذوا أربابهم وربانهم أربابا من دون الله قال عكرمة هو سجد بعضهم لبعض وقيل معناه لا تطع في المعاصي أحدا وفي الخبر من أطاع مخلوقا في معصية الله فكأنما سجد سجدة لغيره فإن تولوا فقولوا أنتم لهم اشهدوا بأننا مسلمون مخلصون بالتوحيد وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية إلى قيصر وملوك الروم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فلن تملكوا إلا أربع سنين فإن توليت فعليك إثم الاريبيين يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية يا أهل الكتاب لم تحاجون في صلى الله عليه وسلم إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هاؤلا صلى الله عليه وسلم ء حاجتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين ءامنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة

(2/150)

---

من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب ءامنوا بالذي صلى الله عليه وسلم أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا صلى الله عليه وسلم ءاخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا صلى الله عليه وسلم إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى صلى الله عليه وسلم أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وتزعمون أنه كان على دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده بعد مهلك إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة أفلا تعقلون بعرض حجتكم وبطلان قولكم ها أنتم قرأه أهل المدينة بغير همز ولا مد إلا بقدر خروج الألف



الساكنة وقرأ أهل مكة مهموزا مقصورا على وزن هعنتم وقرأ أهل الكوفة بالمد والهمز وقرأ الباقون بالمد دون الهمز واختلفوا في أصله فقال بعضهم أصله أنتم والهاء تنبيهها وقال الأخفش أصله أنتم فقلبت الهمزة الأولى هاء كقولهم هرقت وأرقت هؤلاء مبني على الكسر وأصله أولاء فدخلت عليه هاء التنبيه وفيه لغتان القصر والمد ومن العرب من يعضها أنشد أبو حازم لعمر ك أنا و الأحاليف هؤلاء لفي محنة أطفالها لم تغطم وهؤلاء ها ههنا في موضع النداء يعني يا هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم يعني في أمر محمد لأنهم كانوا يعلمونه مما يجدون من نعته في كتابهم فحاجوا به بالباطل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم من حديث إبراهيم فليس في كتابكم أنه كان يهوديا أو نصرانيا

(2/151)

---

والله يعلم وأنتم لا تعلمون نزه إبراهيم عليه السلام وبرأه من ادعائهم فقال ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فالحنيف الذي يوحد ويوح ويضحي ويختن ويستقبل القبلة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله وأهله أكرم الخلق على الله وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه قال ابن عباس قال رؤساء اليهود والله يا محمد لقد علمت أنا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك وأنه كان يهوديا وما بك إلا الحسد لنا فأنزل الله هذه الآية روى محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويونس بن بكير عن محمد بن اسحاق رفعه دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد ثارا بمن قتل منكم بيدر فاجمعوا مالا وهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم وليتندب لذلك رجلا من ذوي أرائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن أبي معيط بالهدايا الأدم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولصالحك محبون وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا فزعم أنه رسول الله ولم يبايعه أحد منا إلا السفهاء وأنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجاناهم إلى شعب أرضنا لا يدخل إليهم أحد ولا يخرج منهم أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الأمر بعث إليك ابن عم له ليفسد عليك دينك وملكتك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالبواب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا

(2/152)

---

الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يدخلون بحزب الله وما

أجابهم النجاشي فسأهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو ألا ترى إنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ألا تسجدوا لي وتحيونني بالتحية التي يحييني بها من أتى من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك

وملكك قال وإنما كان للملك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهو السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشي أن ذلك حق فيما جاء في التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال تكلم قال إنك ملك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فمن هذين الرجلين أن يتكلم أحدهما وينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فإن كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم فقال النجاشي أعبيد هم يا عمرو أم أحرار قال لا بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية ثم قال جعفر سلهما هل أهرقنا دما بغير حق فاقصص منا فقال عمرو لا ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا إيفاؤها فقال النجاشي قل يا عمرو وإن كان قنطارا فعلي قضاؤه قال لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا وتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه قال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا إليه فدين الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي

(2/153)

يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك فأمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى عليه السلام فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر هيه أي هات ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقالوا يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم ويأمر للوالدين واليتيم ويأمر بأن نعبد الله وحده لا شريك له فقال إقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم فغاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال إنهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون في هذا فقرأ جعفر عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفسه من سواكه قدر ما يقذي العين وقال ما زاد المسيح على ما يقولون ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو

(2/154)

---

آذاكم غرم ثم قال أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم عليه السلام قال عمرو للنجاشي ومن حزب إبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعه ولكنكم أنتم المشركون ثم رد النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه وقال إنما هديتكم رشوة إلي فاقبضوها ولكن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم بلد وأنزل الله ذلك اليوم في خصومتهم على رسوله وهو في المدينة إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه على مثله وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا والله ولى المؤمنين روى مسروق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي ولاء من النبيين وإن وليي منهم أبي و خليل ربي ثم قرأ الآية إن أولى الناس بإبراهيم و دت تمت طائفة من أهل الكتاب الآية نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار ابن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم قد مضت هذه القصة في سورة البقرة و دت تمت طائفة جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يزلونكم عن دينكم ويردوكم إلى الكفر وقال ابن جرير يهلكونكم كقول الأختل يهجو جرير بن عطية كنت القذى في موج أكرمزبد قذف الآتي به فضل ضللا أي هلك هلاكاً وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى لم تكفرون بآيات الله يعني القرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تشهدون إن نعتة مذكور في التوراة والإنجيل يا أهل الكتاب لم تلبسون تخلطون الحق بالباطل الإسلام باليهودية والنصرانية وقال ابن زيد التوراة التي أنزل الله على موسى بالباطل الذي غيرتموه وحرقتموه وضيعتموه وكتبتموه بأيديكم

(2/155)

---

وتكتمون الحق وأنتم تعلمون أن محمدا رسول الله ودينه حق وقرأ أبو مجلز تلبسون بالتشديد وقرأ حسن بن عمير تلبسوا وتكتموا بغير نون ولا وجه له وقالت طائفة من أهل الكتاب أمنوا بالذي أنزل على الذين أمنوا الآية قال الحسن والسدي تواطأ إثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عربية وقال بعضهم لبعض أدخلوا دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا إنهم أهل الكتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم وقالوا إنهم أهل وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في تبيان القبلة لما صرفت إلى الكعبة فشق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقال كعب بن الأشرف لأصحابه أمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا آخر النهار وارجعوا إلى قبلكم الصخرة لعلمهم يقولون أهل الكتاب هم أعلم منا فيرجعون إلى قبلكم فحذر الله نبيه مكر هؤلاء وأطلعه على سرهم فأنزل وقالت طائفة من أهل الكتاب أمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار أوله وسمى الوجه وجهها لأنه أحسنه وأول ما يواجهه به الناظر فيري ويقال لأول الشيب وجهه قال الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار واكفروا آخره

لعلهم يشكون يرجعون عن دينهم ولا تؤمنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم هذا من كلام اليهود أيضا بعضهم لبعض ولا تؤمنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم أي وافق ملتكم وصلّى إلى قبلتكم واللام في قوله لمن صلة يعني ولا تؤمنوا إلا من تبع دينكم اليهودية كقول الله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الآية اختلف القراء والعلماء فيه فقرأت العامة أن يؤتى بالفتح من الألف وقصرها ووجه هذه القراءة إن هذا الكلام معترض بين

(2/156)

---

كلامين وهو خبر عن الله تعالى أن البيان وما يدل قوله قل إن الهدى هدى الله متصل بالكلام الأول إخبارا عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والحجة في المن والسلوى وخلق البحر وغيرها من الفضائل والكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منه وهذا معنى قول مجاهد والأخفش وقال ابن جريج وابن زيات قالت اليهود لسفلتهم لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وأي فضل يكون لكم عليهم حيث علموا ما علمتم وحينئذ يحاجوكم عند ربكم يقولون عرفتم أن ديننا حق فلا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم ولا يحاجوكم عند ربكم ويجوز أن يكون على هذا القول لا مضمرا كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا يكون تقديره ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم لئلا يؤتى أحد من العلم مثل ما أوتيتم وألا يحاجوكم عند ربكم وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف ووجه هذه القراءة إن هذا كله من قول الله بلا اعتراض وأن يكون كلام اليهود تاما عند قوله إلا لمن تبع دينكم ومعنى الآية قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد أو يحاجوكم يعني إلا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولون نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فضل ربكم لكم ذلك ويكون أن على هذا القول بمعنى الجحد والنفي وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن وأبي مالك ومقاتل والكلبي وقال الفراء ويجوز أن يكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقه أي حتى يعطيك حقه وقال امرؤ القيس فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا أي حتى نموت والمعنى لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ما أعطى أحدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بالمد وحينئذ يكون في الكلام إختيار تقديرها أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر

(2/157)

---

اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونهم ولا تؤمنون بهم وهذا قول قتادة والربيع وإلا هذا من قول الله عز وجل قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله لما أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتهم به قل إن الفضل بيد الله الآية قال أبو حاتم إن معناه الآن فحذف لام الجزاء استخفافا وأبدلت مده كقراءة من قرأ أن كان ذا مال أي الآن كان وقوله أو يحاجوكم على هذه

القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين ويكون أو بمعنى أن لأنهما حرفا شك  
وجزاء ويوضع أحدهما موضع الآخر وتقدير الآية وإن يحاجوكم يا معشر  
المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن  
يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا  
معشر المؤمنين فلا تشكو عند تلبيس اليهود فقل إن الفضل بيد الله وإن  
حاجوكم فقل إن الهدى هدى الله فهذه وجوه الآيات باختلاف القرآن ويحتمل  
أن يكون تمام الخبر عن اليهود عند قوله لعلهم يرجعون فيكون قوله ولا تؤمنوا  
إلا لمن تبع دينكم إلى آخر الآية من كلام الله عز وجل وذلك إن الله تعالى مثبت  
لقلوب المؤمنين ومشحذ لبصائرهم لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في  
دينهم أي ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى  
أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند  
ربكم فيقدرون على ذلك فإن الهدى هدى الله وأن الفضل بيد الله يؤتية من  
يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاب الله عز وجل للمؤمنين عند  
تلبيس اليهود عليهم لئلا يزلوا ولا يرتابوا والله أعلم يدل عليه قول الضحاك قال  
إن اليهود قالوا إنا نجاح عند ربنا من خالفنا في ديننا فينبى الله تعالى أنهم هم  
المدحسون أي المغلوبون وإن المؤمنين هم الغالبون وقال أهل الإشارة في  
هذه الآية لا تعاشرُوا إلا من يوافقكم على أحوالكم وطريقتكم فإن من لا  
يوافقكم لا يرافقكم يختص برحمته بنبوته ودينه ونعمته من يشاء

(2/158)

والله ذو الفضل العظيم وقال أبو حيان إجمال القول يبقى مع رجاء الراجي  
وخوف الخائف  
ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا  
يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأمين سبيل  
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهدده وأتقى فإن الله  
يحب المتقين إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم  
فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب  
أليم وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من  
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب  
وهم يعلمون ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس  
كونوا عبادا لى من دون الله ولاكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما  
كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد  
إذ أنتم مسلمون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم  
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على  
ذالكم إصرى قالو صلى الله عليه وسلم أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من  
الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أغير دين الله يبغون وله  
أسلم من فى السماوات والارض طوعا وكرها وإليه يرجعون قل ءامنا بالله وما  
أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما  
أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له  
مسلمون ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من  
الخاسرين ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك الآية قال أكثر

المفسرين نزلت هذه الآية في اليهود كلهم أخبر الله تعالى إن فيهم أمانة وخيانة والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل فإن قيل فاي فائدة في هذه الأخبار وقد

(2/159)

---

علمنا أن الناس كلهم لم يزالوا كذلك منهم الأمين ومنهم الخائن قلنا تحذير من الله تعالى للمؤمنين أن ياتمونهم على أموالهم أو يفتروا بهم لاستحلالهم أموال المؤمنين وهذا كما روي في الخبر أتراعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يحذره الناس وقال بعضهم الأمانة راجعة إلى من أسلم منهم والخيانة راجعة إلى من لم يسلم منهم وقال مقاتل ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من الذهب فأداه إليه فمدحه الله ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك في مخاض بن عازورا وذلك أن رجلا من قريش استودعه دينارا فخان

(2/160)

---

وفي بعض التفاسير إن الذي يؤدي الأمانة في هذه الآية هم النصارى والذين لا يؤدونه هم اليهود وفي قوله تأمنه قراءتان قرأ الأشهب العقيلي تيمنه بكسر التاء وهي لغة بكر وتميم وفي حرف ابن مسعود مالك لا تيمنا وقراءة العامة تأمنه بالالف والدينار أصله دينار فعوض من إحدى النونين ياء طلبا للخفة لكثرة استعماله يدل عليه أنك تجمع دنانير وفي قوله يؤده وأخواته خمس قراءات فقرأها كلها أبو عمرو والأعمش وعاصم وحمزة ساكنة الهاء وقرأ أبو جعفر ويعقوب مختلصة مكسورة وقرأ سلام مضمومة مختلصة وقرأ الزهري مضمومة مشبعة وقرأ الآخرون مكسورة مشبعة فمن سكن الهاء فإن كثيرا من النحاة خطئوه لأن الجزم ليس في الهاء إذا تحرك ما قبلها والهاء اسم المكنى و الأسماء لا تجزم قال الفراء هذا مذهب بعض العرب يجزمون الهاء إذا تحرك ما قبلها فيقول ضربته ضربا شديدا كما يسكنون ميم أنتم وقمتم وأصلها الرفع وأنشد لما رأى أن لا دعه ولا شيع مال إلى أرطاة حقف فاضطجع وقال بعضهم إنما جاز إسكان الهاء في هذه المواضع لأنها وضعت في موضع الجزم وهو الياء الذاهب ومن اختلس فإنه اكتفى بالضممة عن الواو وبالكسر عن الياء وأنشد الفراء أنا ابن كلاب وابن أوس فمن يكن قناعه مغطيا فإني لمجتلى وأنشد سيبويه فإن يكن غثا أو سمينا فإنه سيجعل عينيه لنفسه مغمضا ومن أشيع الهاء فعلى الأصل لما كان الحرف ضعيفا قوي بالواو في الضم وبالياء في الكسر

(2/161)

---

قال سيبويه يجيء بعد هاء المذكر واو كما يجيء بعد هاء المؤنث ألف ومن ضم الهاء فعلى الأصل لأن أصل الهاء الضمة مثل هو وهما وهم ومن كسر فقال لأن قبله ياء وإن كان محذوفا فلأن ما قبلها مكسور إلا ما دمت عليه قائما قرأ يحيى وثابت و الأعمش وطلحة بكسر الدال والباقون بالضم من ضم فهو من دام يدوم ومن لغة العالية ومن كسر فله وجهان قال بعضهم هو أيضا من دام يدوم إلا أنه على وزن فعل يفعل يقول دمت تدوم مثل مت تموت قاله الأخفش وليس في الأفعال الثلاثية فعل يفعل بكسر العين في الماضي وضمها في الغابر من الصحيح الآخر فإن فضل يفضل ونعم ينعم ومن المعتل مت أموت ودمت أدوم وهما لغة تميم قال أكثر العلماء من كرام يدام فعل يفعل مثل خاف يخاف وهاب يهاب قائما قال ابن عباس ملحا مجاهد مواظبا سعيد بن جبير مرابطا قتادة قائما تقتضيه السدي قائما على رأسه العتيبي مواظبا بالإقتضاء وأصله إن المطالب للشيء يقوم فيه والتارك له يقعد عنه ودلالة قوله أمة قائمة أي عاملة بأمر الله غير تاركة أبو روق يعترف بما دفعت إليه ما دمت قائما على رأسه فإن سألته إياه في الوقت حينما تدفعه إليه يرده عليك وإن أنظرته وأخرته أنكر وذهب به وذلك الاستحلال والخيانة بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين أي في حال العرب نظيره هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم سبيل إثم وجرح دليله قوله ما على المحسنين من سبيل وذلك إن اليهود قالوا لا حرج علينا في حبس أموال العرب قد أحلها الله لنا لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم يقولون لم يجعل الله لهم في كتابنا حرمة الكلبي قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فما كانت في أيدي العرب منها فهو لنا وإنما ظلمونا وغصبونا ظلما فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم

(2/162)

الحسن وابن جريح ومقاتل بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تفاضوهم بقيمة أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لكم تركتم الدين الذي كنتم عليه وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا إنهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وفي الحديث لما نزلت الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها موفاة إلى البر والفاجر وروى أبو إسحاق الهمداني عن صعصعة إن رجلا سأل ابن عباس فقال إنا نصيب في الغزو من أموال أهل المدينة الدجاجة أو الشاة قال ابن عباس ويقولون ماذا قال يقولون ليس علينا بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم يحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم ثم قال الله تعالى ردا عليهم بلى أي ليس كما قالوا ولكن من أوفى بعهده الذي عاهد الله في التوراة من الإيمان بمحمد والقرآن وأداء الأمانة والهاء في قوله بعهده راجعة إلى الله عز وجل قد جرى ذكره في قوله ويقولون على الله الكذب ويجوز أن تكون عائدة إلى أوفى واتفق من الكفر والخيانة ونقض العهد فإن الله يحب المتقين من هذه صفته وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وإن صلى و صام وزعم أنه مؤمن إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وعن أبي

أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ائتمن على أمانة فأداها ولو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء الحسن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء وهب عن حذيفة قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر

(2/163)

---

حدثنا إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن فتعلموا من القرآن وتعلموا من أصل السنة ثم حدثنا عن رفعهما فقال ينام الرجل النومة فينزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها كأثر المجمل كجمر دحرجته على رجلك فتراه منتشرًا وليس فيه شيء ثم أخذ حذيفة حصة فدحرجها على ساقه قال فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال له فلان رجلا أمينا وحتى يقال للرجل ما أجده ما أعقله وأظرفه وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولقد أتى علي حين ولا أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردن علي إسلامه ولئن كان يهوديا أو نصرانيا ليردن علي ساعيه فأنا اليوم فما كنت لأباع رجلا منكم إلا فلانا وفلانا وقيل أكمل الديانة ترك الخيانة وأعظم الجناية خيانة الناس إن الذين يشتررون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا اختلفوا في نزول هذه الآية فقال عكرمة نزلت في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم من رئيس اليهود كتبوا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا إنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشني والمأكلي التي كانت لهم على أتباعهم وقال الكلبي إن ناسا من علماء اليهود أولي فاقة كانوا ذوي حظ من علم التوراة فأصابهم سنة فأتوا كعب بن الأشرف يستمرونه فسألهم كعب هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله في كتابكم فقالوا نعم وما تعلمه أنت قال لا قالوا فأنا نشهد إنه عبد الله ورسوله قال كعب قد كذبت علي فأنا أريد أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا قالوا فإنه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه قال فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته ثم أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فكتبوه ثم رجعوا إلى كعب فقالوا قد كنا نرى رسول الله فأتيناه فإذا هو ليس بالنعته الذي نعته لنا وأخرجوا الذي كتبوه ففرح بذلك كعب ومكرهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية نظيرها قوله إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب يشتررون به

(2/164)

---

ثمنا قليلا الآية وروى منصور بن أبي وائل قال قال عبد الله من حلف على عين يستحق بها مالا وهو فيها فاجر لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان فأنزل الله تعالى تصديق ذلك إن الذين يشتررون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية وقال الأشعث بن قيس في نزلت وكانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت إنه إذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على عين يستحق



بها مالا هو فيها فاجر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فأنزل الله تعالى إن الذين يشترون الآية وقال ابن جريج إن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض كانت في يده لذلك ليعزره في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقم بينك قال الرجل ليس يشهد لي على الأشعث بن قيس أحد قال لك يمينه فقام الأشعث وقال أشهد الله وأشهدكم أن خصمي صادق فرد إليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة مخافة أن يبقى في يده شيء من حقه فهو لعقب ذلك الرجل من بعده وروى بادان عن ابن عباس قال نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي استعدى عليه عبدان بن أشعر فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحلف فلما هم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرئ القيس أن يحلف وأقر لعبدان بحقه ودفعه إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عليها الجنة وقال مجاهد والشعبي أقام رجلا سلعته أول النهار فلما كان آخره جاء رجل فساومه فحلف لقد منعها أول النهار من كذا ولولا المساء لما باعها به فأنزل الله تعالى إن الذين يشترون بعهد الله أي يستبدلون بعهد الله وإيفاء الأمانة وأيمانهم الكاذبة ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ونعيمها وثوابها ولا يكلمهم الله كلاما ينفعهم وبسرهم قاله المفسرون وقال المفضل ولا يكلمهم الله بقبول حجة يحتجون بها ولا ينظر إليهم يوم القيامة أي لا يرحمهم ولا يعطف عليهم ولا يحسن

(2/165)

---

إليهم ولا يكلمهم خيرا يقال نظر فلان لفلان ونظر إليه إذا رحمه وأحسن إليه قال الشاعر فقلت انظري ما أحسن الناس كلهم لبني غلة صدبان قد شفه الوجد وعن أبي عمرو الجوني قال ما نظر الله إلى شيء إلا رحمه ولو قضى أن ينظر إلى أهل النار لرحمهم ولكن قضى أن لا ينظر إليهم روى عبد الله بن كعب عن أبي أمامة الخازني إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال رجل وإن كان شيئا يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك

(2/166)

---

وروى محمد بن زيد القرشي عن عبد الله بن أبي أمامة الخازني عن عبد الله بن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس والذي نفسي بيده لا يحلف أحد وإن كان على مثل جناح بعوضة إلا كانت وكنة في قلبه إلى يوم القيامة ولا يركبهم ولهم عذاب أليم رجل علي فضل ما بالطريق فمنع ابن السبيل ورجل باع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يف له ورجل يساوم سلعته بعد العصر فحلف بالله لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه الآخر وأخذها وروى الحارث الأعور عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم واليمين الفاجرة فإنها تدع الديار بلاقع من أهلها وروى معمر في رجل من بني تميم عن أبي الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول اليمين الفاجرة تعقم الرحم العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وإن منهم يعني من أهل الكتاب الذين تقدم ذكرهم وهم اليهود لفريقا طائفة وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصف وحيي بن الأخطب وأبو ياسر وحيي وسبعة بن عمرو الشاعر يلوون قرأ أهل المدينة يلوون مضمومة الياء مفتوحة اللام مشددة الواو على التثنية وقرأ حميد يلوون بووا واحدة على نية الهمز ثم ترك الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وقرأ الباكون بووين ولام ساكنة مخففة ومعناها جميعا يعطفون ألسنتهم بالتحريف المتعنت وهو ما غيروا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم يقال لوى لسانه عن كذا أي غيره ولوى الشيء عما كان عليه إذا غيره إلى غيره ولوى فلانا عن رأيه إذا أماله عنه ومنه لي الغريم قال النابغة الجعدي

(2/167)

---

لوى الله علم الغيب عم سواؤه ويعلم منه ما مضى وتأخرا ونظيره قوله وإن تلووا أو تعرضوا الآية لتحسبوه لتظنوا ما حرفوا من الكتاب الذي أنزله الله وما هو من الكتاب ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون إنهم كاذبون وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا والذين هم حرفوا التوراة والإنجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض وألقوا به ما ليس منه فأسقطوا منه الدين الحنفي فبين الله تعالى كذبهم للمؤمنين ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الآية قال الضحاك ومقاتل ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يؤتى الحكمة نزلت في نصارى أهل نجران وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود والرئيس من نصارى أهل نجران قالوا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن بلغني أن رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فأنزل الله ما كان لبشر يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا وكقوله ما يكون لنا أن نتكلم بهذا يعني ما ينبغي وقال أهل المعاني هذه اللام منقولة وأن بمعنى اللام وتقدير الآية ما كان لبشر ليقول ذلك نظير قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد أي ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله ما كان لنبي أن يغفل أي ما كان لنبي ليغفل والبشر جميع بني آدم لا واحد من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع

(2/168)

---

أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يعني الفهم والعلم وقيل أيضا الأحكام عن الله تعالى نظير قوله تعالى أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس نصب على العطف وروى محبوب عن أبي عمرو ثم يقول بالرفع

على الإستئناف كونوا عبادا لي من دون الله قال ابن عباس هذه لغة مزينة تقول للعباد ولكن كونوا أي ولكن يقول كونوا فحذف القول ربانيين إختلفوا فيه فقال علي وابن عباس والحسن والضحاك كونوا فقهاء علماء مجاهد فقهاء وهم دون الأحرار أبو رزين وقتادة والسدي حكماء علماء وهي رواية عطية عن ابن عباس وروى سعيد بن جبير عنه فقهاء معلمين وقال مرة بن شرحبيل كان علقمة من الربانيين الذين يعلمون الناس القرآن وروى الفضل بن عياض عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير حكماء أتقياء ابن زيد ولاة الناس وقادتهم بعضهم متعبدين مخلصين عطاء علماء حكماء نصباء لله في خلقه أبو عبيد لم يعرف العرب الربانيين أبو عبيد سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء الأمة وما كان وما يكون المؤرخ كونوا ربانيين تدينون لربكم كأنه فعلائي من الربوبية وقال بعضهم كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتضخيم وهو لسان السريانية ثم أدخلت النون لسكون الألف كما قيل صنعاني وبحراني وداراني المبرد الربانيون أرباب العلم واحدها ربان وهو الذي يرث العلم ويربب الناس أي يعلمهم ويصلحهم فيقوم بأمرهم و الألف والنون للمبالغة كما قالوا ربان وعطشان وشبعان وغوثان ونعسان من النعاس ووسنان ثم ضم إليه ياء النسبة كما قيل وقال الشاعر لو كنت مرتها في الحق أنزلي منه الحديث ورباني أحراري وقد جمع علي رضي الله عنه هذه الأقاويل أجمع فقال هو الذي يربي علمه بعمله وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة

(2/169)

بما كنتم معناه الوجوب أي بما أنتم كقوله وكانت امرأتي عاقرا أي وامرأتي وقوله من كان في المهدي صبيا أي من هو في المهدي صبيا تعلمون الكتاب قرأ السلمي والنخعي وابن جبير والضحاك وأهل الكوفة تعلمون بالتشديد من التعليم واختاره أبو عبيدة وقرأ الباقر تعلمون بالتخفيف من العلم واختاره أبو حاتم وقال أبو عمرو وتصديقها وبما كنتم تدرسون فلم يقل يدرسون وقرأ الحسن تعلمون التاء والعين وتشديد اللام على معنى تعلمون وقرأ أبو عبيدة تدرسون من أدرس يدرس وقرأ سعيد بن جبير تدرسون من التدريس الباقر يدرسون من الدرس أي يقرأون نظيره في سورة الأعراف ودرسوا ما فيه جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن ذكر ولا أنثى حر ولا عبد مملوك إلا ولله عز وجل عليه حق واجب أن يتعلم من القرآن ويتفقه فيه ثم تلا هذه الآية ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم قرأ الحسن وابن أبي إسحاق وعاصم وحمزة ولا يأمركم بالنصب عطفًا على قوله ثم يقول وقيل على إضمار أن وهو على هذه القراءة مردود على البشر وقرأ الباقر بالرفع على الإستئناف والإنقطاع من الكلام الأول يدل عليه قراءة عبد الله وطلحة ولن يأمركم ثم اختلفوا فيه فقرأ الأكثر على معناه ولا يأمركم الله وقال ابن جريح ولا يأمركم محمد عليه الصلاة والسلام وقيل ولا يأمركم البشر أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كقول قريش وبنو مليح حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون على ظهر التعجب والإنكار يعني لا يفعل هذا وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما

آتيتكم من كتاب وحكمة قرأ سعيد بن جبير لما بتشديد الميم وقرأ يحيى بن رثاب و الأعمش وحمزة والكسائي بجر اللام وتخفيف الميم وأما الباقر بفتح اللام وتخفيف الميم فمن فتح اللام وخفف الميم فقال الأخفش هي

(2/170)

---

لام الابتداء أدخلت على ما الخبر كقول القائل لزيد أفضل منك وما آتيتكم والذي بعده صلة له وجوابه في قوله لتؤمنن به فإن شئت جعلت خبر ما من كتاب الله وتقول من زائدة معناها لما آتيتكم كتاب وحكمة ثم ابتداء فقال ثم يعني ثم يجيئكم وإن شئت قلت ثم أن جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه اللام لام القسم تقديره والله لتؤمنن به فأكد في أول الكلام بلام التأكيد وفي آخر الكلام بلام القسم وقال الفراء من فتح اللام جعلها لاما زائدة لقوله اليمين إذا وقعت على جملة صيرت فعل ذلك الجزاء على هيئة فعل وصيرت جوابه كجواب اليمين والمعنى أي كتاب آتيتكم ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به للام في قوله لتؤمنن به وقال المبرد والزجاج هذه لام التحقيق دخلت على ما الجزاء كما تدخل على أن ومعناه مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به اللام في قوله لتؤمنن به جواب الجزاء ولئن شئنا لنذهبن ونحوه وقال الكسائي لتؤمنن متصل بالكلام الأول وجواب الجزاء في قوله فمن تولى بعد ذلك ومن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما الذي ومعناه الذي آتيتكم يعني أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي أمامهم من كتاب وحكمة ثم أن جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به من بعد الميثاق لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف وهو كما نقول في الكلام أخذت ميثاقك لتفعلن كذا وكذا كأنك قلت استحلفتك لتفعلن وقال صاحب النظم من كسر اللام فهو بمعنى بعد يعني بعد ما آتيتكم من كتاب وحكمة كقول النابغة توهمت آيات لها فعرفت لها لسنة أعوام وذا العام سابع أي بعد ستة أعوام ومن شدد الميم فمعناه حين آتيتكم لقوله تعالى آتيتكم قرأ أهل الكوفة آتيناكم على التعظيم وقرأ الآخرون آتيتكم على التفريد وهو الاختيار لموافقة الخط كقوله وأنا معكم والقول مثير في الآية على الأوجه الثلاثة تقديرها وإذ أخذ الله ميثاق النبيين واختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقال قوم

(2/171)

---

إنما أخذ الميثاق على الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض فذلك معنى آخر بالتصديق وهذا قول سعيد بن جبير وطاووس وقتادة والحسن والسدي يدل عليه ظاهر الآية وقال علي رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بأخذ العهد على قومه لتؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقال آخرون إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين وهو قول مجاهد والربيع قال مجاهد هذا خلط من الكتاب وهو من قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وإذ أخذ الله ميثاق

الذين أوتوا الكتاب قالوا ألا ترى إلى قوله ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيين وقال بعضهم إنما أخذ الميثاق على النبيين وأمهم ليؤمنن به ففرد الأنبياء عن ذكر الأمم لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على الأتباع وهذا معنى قول ابن عباس وهذا أولى بالصواب قال الله أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري أي وقبلتم على ذلك عهدي نظير قوله تعالى إن أوتيتهم هذا فخذوه أي فاقبلوه وقوله تعالى لا يؤخذ منها عدل أي لا يقبل منها فداء وقوله يأخذ الصدقات أي يقبلها قالوا أقررنا قال الله فاشهدوا على أنفسكم وعلى أتباعكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم قال ابن عباس فاشهدوا يعني فاعلموا قال الزجاج فاشهدوا أي فبينوا لأن الشاهد هو الذي عين دعوى المدعي وشهادة الله للنبيين بينوا أمر نبوتهم بالآيات والمعجزات وقال سعيد بن المسيب قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم فتكون كناية عن غير مذكور فمن تولى بعد ذلك الإقرار والإشهاد فأولئك هم الفاسقون العاصون الخارجون عن الإيمان أغير دين الله يبغون الآية قال ابن عباس اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم عليه السلام كل فرقة زعمت أنه أولى

(2/172)

---

بدينه قال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أغير دين الله يبغون وهو قراءة الحسن وحميد ويعقوب وسلام وسهل وصفوان بالياء لقوله أولئك هم الفاسقون وقرأ أبو عمرو يبغون بالياء وترجعون بالتاء قال لأن الأول خاص والثاني عام ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى وقرأ الباقيون بالتاء فيهما على الخطاب لقوله لما أتيتكم من كتاب وحكمة وله أسلم خضع وانقاد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً والطوع الانقياد والاتباع بسهولة من قولهم فرس طوع العنان أي منقاد وكرهاً والكرهاً ما كان بمشقة وإباء من النفس كرهاً بضم الكاف وهما مصدران وضعا موضع الحال كأنه قال وله أسلم من في السماوات والأرض طائعين وكرهين واختلفوا في قوله طوعاً وكرهاً فروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً قال الملائكة أطاعوه في السماء والأنصار وعبد القيس أطاعوه في الأرض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فإن أصحابي أسلموا من خوف الله وأسلم الناس من خوف السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لأهل السماوات خاصة وأهل الأرض منهم من أسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً ابن عباس عبادتهم لله أجمعين طوعاً وكرهاً وانقياداً له الربيع عن أبي العالية في قول الله تعالى وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً قال كل بني آدم أقر على نفسه أن الله ربي وأنا عبده فهذا الإسلام لو استقام عليه فلما تكلم به صار حجة عليه ثم أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرهاً ومنهم من شهد أن الله ربي وأنا عبده ثم أخلص العبودية فهذا الذي أسلم طوعاً وقال الضحاك هذا حين أخذ منه الميثاق وأقر به مجاهد طوعاً ظل المؤمن وكرهاً ظل الكافر يدل عليه قوله ولله يسجد

من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقوله يتفيؤا  
ظلاله عن اليمين والشمال سجدا لله الشعبي

(2/173)

---

هو استعازتهم به عند اضطرارهم يدل عليه قوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك  
دعوا الله مخلصين له الدين  
قتادة المؤمن أسلم طائعا والكافر كارها فإما المؤمن فأسلم طائعا فنفعه ذلك  
وقبل منه وأما الكافر فأسلم كارها في وقت البأس والمعاناة حتى لا يقبل منه  
ولا ينفعه يدل عليه قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا الكلي طوعا  
الذين ولدوا في الإسلام وكرها الذين أجبروا على الإسلام بكرمة وكرها من  
اضطرته الحجة إلى التوحيد يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم  
ليقولن الله وقوله ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس  
والقمر ليقولن الله ابن كيسان وله أسلم أي خضع من في السماوات والأرض  
فيما صيرهم عليه وصورهم فيه وما يحدث فهم لا يمتنعون عليه كرهوا ذلك أو  
أحبوه وإليه يرجعون الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال إذا استصعبت دابة  
أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ في أذنها هذه الآية قل أمنا بالله إلى قوله ومن  
يبتغ غير الإسلام دينا الآية نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا  
من المدينة ولحقوا بمكة كفارا منهم الحرث بن سويد الأنصاري أخو الحلاس  
بن سويد وطعمة بن أشرف الأنصاري ومقيس بن صبابة الليثي وعبد الله بن  
أنس بن خطل من بني تميم بن مرة ووجوح بن الأسلت وأبو عاصم بن النعمان  
فأنزل الله فيهم ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من  
الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا صلى الله عليه  
وسلم أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك  
جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالد بن خديف لا يخفف  
عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله  
غفور رحيم إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك  
هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض  
ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم

(2/174)

---

وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ ء  
فإن الله به عليم  
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم لفظه استفهام ومعناه جحد أي لا يهدي  
الله قال الشاعر كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء أي لا  
نوم لي نظير قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أي لا يكون  
لهم عهد وقيل معناه كيف يستحقون العبادة وقيل معناه كيف يهديهم الله  
للمغفرة إلى الجنة والثواب والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يرشدهم ولا  
يوفقهم وهو خاص فيمن علم الله عز وجل منهم وأراد ذلك منهم وقيل معناه لا  
يشبههم ولا ينجيهم إلى الجنة أولئك جزاؤهم إلى قوله إلا الذين تابوا وذلك أن

الحرث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه أن اسألوا رسول الله هل له من توبة ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم لما كان فحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحرث إنك والله ما علمت لصدوق وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك وأن الله عز وجل لأصدق الثلاثة فرجع الحرث إلى المدينة وأسلم وحسن إسلامه وقال مجاهد نزلت هذه الآية في رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه ولحق بالروم فتنصر فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآيات إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية في اليهود كفروا بعیسی عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أبو العالية نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه وعرفوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا ذنوبا في حال كفرهم مجاهد نزلت في الكفار كلهم أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا أي أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه الحسن كلما نزلت عليم آية كفروا بها فازدادوا كفرا قطرب كما

(2/175)

ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون الكلبي نزلت في أحد عشر أصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما أردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل في الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فإن قيل فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم وقد سبقت حكمة الله تعالى في قبول توبة من تاب قلنا اختلف العلماء فيه فقال بعضهم لن يقبل توبتهم عند الغرغرة والحشجة قال الحسن وقتادة وعطاء لن يقبل توبتهم لأنهم لا يؤمنون إلا عند حضور الموت قال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن الآية مجاهد لن يقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر ابن عباس وأبو العالية لن يقبل توبتهم ما أقاموا على كفرهم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا أي حشوها وقدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها ذهبا نصب على التفسير في قول الفراء وقال المفضل ومعنى التفسير أن يكون الكلام تاما وهو مبهم كقولك عندي عشرون فالعدد معلوم والمعدود مبهم وإذا قلت عشرون درهما فسرت العدد وكذلك إذا قلت هو أحسن الناس فقد أخبرت عن حسنه ولم تبين في أي شيء هو فإذا قلت وجهها أو فعلا منه فإنك بينته ونصبتة على التفسير وإنما نصبتة لأنه ليس له ما يخفضه ولا ما يرفعه فلما خلا من هذين نصب لأن النصب أخف الحركات فجعل لكل ما لا عامل فيه وقال الكسائي نصب ذهبا على إضمار من أي من ذهب كقولهم وعدل ذلك صياما أي من صيام ولو افتدى به روى قتادة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال لقد سئلت ما هو أبسر من ذلك قال الله أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من

ناصرين لن تنالوا البر يعني الجنة قاله ابن عباس ومجاهد وعمر بن ميمون والسدي وقال عطية يعني الطاعة أبو روق يعني الخير مقاتل بن حيان التقوى الحسن لن يكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون أي مما تهوون وبعبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم طيبة بها أنفسكم صغيرة في أعينكم مجاهد والكلبي هذه الآية منسوخة نسختها آية الزكاة وروى الضحاك عن ابن عباس قال أراد بهذه الآية الزكاة يعني حتى تخرجوا زكاة أموالكم وقال عطاء لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء تأملون العيش وتخشون الفقر وقال الحسن كل شيء أنفق المسلم من ماله يبتغي به وجه الله تعالى فإنه من الذي عنى الله سبحانه بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حتى التمرة وروي أن أبا طلحة الأنصاري كان من أكثر الأنصار دخلا بالمدينة وكان أحب أمواله إليه بئر ماء وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة فقال يا رسول الله إن الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلي بئر ماء وإنما صدقة أرجو برها وذخرها عند الله عز وجل فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال راجح لك وقد عرفت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال له أفعلم يا رسول الله فقسمها في أقاربه وبنو عمه وروى معمر عن أيوب وغيره قال لما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس كانت له يحبها وقال هذه في سبيل الله فحمل عليها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكان زيدا واجدا في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله قد قبلها منك وقال حوشب لما نزلت لن تنالوا البر قالت امرأة لجارية لها لا تملك غيرها أعتقك وتقيمين معي غير أنني لست أشترط عليك ذلك فقالت نعم

فلما أعتقتها ذهبت وتركها فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته به فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعيتها فقد حبتك عن النار وإذا سمعت بسبي قد جاءني فأتييني وروى شبل عن ابن أبي نجیح عن مجاهد قالوا كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبتاع جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فقال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر فأعجبه فقال إن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها وروى حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال خطرت على قلبي هذه الآية لن تنالوا البر فتذكرت ما أعطاني الله فما كان شيء أعجب إلي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله ولولا أنني لا أعود في شيء جعلته لله عز وجل لنكحتها ويقال ضاف أبا ذر الغفاري ضيف فقال للضيف إني مشغول فاخرج إلى أبواء فإن لي بها إبلا فأنتي بخيرها فذهب وجاء بناقة



مهزولة فقال له أبو ذر جئتني بشرها فقال وجدت خير الإبل فحلها فتذكرت يوم حاجتكم إليه فقال أبو ذر إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي مع أن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن رجل من بني سليم يقال له عبد الله بن سيدان عن أبي ذر قال في المال ثلاث شركاء القدر لا يستأمر أن تذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت أو فعل والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم والثالث أنت فإن استطعت أن لا يكون أعجب إليك ما لا فإن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن هذا الجمل كان مما أحب من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي وروي عن ربيع بن خيثم أنه وقف سائل على بابه فقال أطعموه سكرًا قليل ما يصنع هذا بالسكر فنطعمه خبزًا فهو أنفع له فقال ويحكم أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر وروي عن الربيع بن خيثم أيضًا أنه جاءه سائل في ليلة باردة فخرج إليه فراه كأنه مقرر قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فنزع برتسًا له وأعطاه إياه وذكر أنه كساه عروة وبلغنا أن زبيدة أم جعفر

(2/178)

---

اتخذت مصحفا في تسعين قطعة كتب بالذهب على الرق وجعلت ظهورها من الذهب مرصعة بالجواهر فبينما هي تقرأ القرآن ذات يوم فقرأت هذه الآية فلم يكن شيء أحب إليها من المصحف فقالت علي بالصاغة فأمرت بالذهب والجواهر حتى بيعت وأمرت حتى حفرت الآبار وأشرف الحياض بالبادية وقال أبو بكر الوراق دلهم بهذه الآية على الفتوة وقال لن تنالوا بري بكم إلا ببركم أخوانكم والإنفاق عليهم من أموالكم وجاهكم وما تحبون فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم أي فإن الله يجازي عليه لأنه إذا علمه جازى عليه وتأويل ما تأويل الشرط والجزاء وموضعها نصب لينفقوا المعنى وأي شيء ينفقون فإن الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني صلى الله عليه وسلم إسراويل إلا ما حرم إسراويل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك

(2/179)

---

فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا صلى الله عليه وسلم إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله

جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الآية قال أبو روق والكلبي كان هذا حين قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا على ملة إبراهيم فقالت اليهود كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله فقالت اليهود كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرما على نوح وإبراهيم هاجرا حتى انتهى إلينا فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم كل الطعام المحلل لكم اليوم كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل وهو يعقوب على نفسه من قبل أن تنزل التوراة واختلف المفسرون في ذلك الطعام فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وأبو مجلز هي العروق وكان سبب ذلك أن يعقوب عليه السلام اشتكى عرق النساء وكان أصل وجعه ذلك ما روى جويبر ومقاتل عن الضحاك أن يعقوب بن إسحاق كان قد نذر إن وهب الله له اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس

(2/180)

---

صحيحا أن يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب إنك رجل قوي هل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه ثم غمزه الملك غمزة فعرض له عرق النساء من ذلك ثم قال أما أني لو شئت أن أصرعتك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك قد كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك وجعل الله لك بهذه الغمزة مخرجا فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ابنه ونسي قول الملك فأناه الملك فقال أنا غمزتك هذه الغمزة للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك إلى ولدك

(2/181)

---

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي أقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيص وكان رجلا بطيشا قويا فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد إلى السماء ويعقوب ينظر إليه فهاج به عرق النساء ولقي من ذلك بلاء شديدا وكان لا ينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاء أي صياح فحلف يعقوب عليه السلام لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمها على نفسه فجعل بنوه يبتغون العروق يخرجونها من اللحم وقال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي كان ذلك لحمان الإبل وألبانها وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه عليه فنذر لله لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إلى نفسه وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وروى جويبر عن

الضحاك عن ابن عباس قال لما أصاب يعقوب عرق النساء ووصف له الأطباء أن يجتنب لحوم الإبل فحرم يعقوب على نفسه لحوم الإبل فقالت اليهود إنا حرمانا على أنفسنا لحوم الإبل لأن يعقوب حرّمها وأنزل الله تحريمها في التوراة فأنزل الله هذه الآية وقال الحسن حرم إسرائيل على نفسه لحوم الجزور تعبدًا لله عز وجل فسأل ربه عز وجل أن يجيز له ذلك فحرّمه الله على ولده وقال عكرمة حرم إسرائيل على نفسه زائدة الكبد والكليتين والشحم إلا ما على الظهر وروى ليث عن مجاهد قال حرم إسرائيل على نفسه لحوم الأنعام ثم اختلفوا في هذا الطعام المحرم على إسرائيل بعد نزول التوراة وقال السدي إن الله لما أنزل التوراة حرم عليهم ما كانوا يحرمونها قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب عليه السلام وقال عطية إنما

(2/182)

---

كان ذلك حراما عليهم لتحريم إسرائيل ذلك عليهم وذلك أن إسرائيل قال حين أصابه عرق النساء والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة لظلمهم وكفرهم وكان بنو إسرائيل كلما أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أو صب عليهم رجزا وهو الموت وذلك قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم إلى قوله وإنا لصادقون وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك علينا حراما ولا حرم الله عليهم في التوراة وإنما هو شيء حرموه على أنفسهم اتباعا لأبيهم وأضافوا تحريمه إلى الله فكذبهم الله تعالى فقال قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين أنه كما يقول لا كما قلت فلم يأتوا فقال الله فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون وروى أنس بن سيرين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرق النساء يأخذ إلية كبش عربي لا صغير ولا كبير فيقطع صغارا فيخرج أهالته فيخرج على ثلاث قسم ويأكل كل يوم على ريق النفس قال أنس فوصفته لأكثر من مائة فشفاهم الله وروى شعبة أنه رأى شيئا في زمن الحجاج بن يوسف يقول لعرق النساء أقسم عليك بالله الأعلى لئن لم تنته لأكونك بنار أو لألحقنك بموسى قال شعبة فإنه يقول ذلك ويمسح على ذلك الموضع فيبرأ بإذن الله قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس الآية قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقال اليهود بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنها مهاجر الأنبياء في الأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى إن أول بيت وضع للناس وقرأ ابن السميّقع وضع بفتح الواو والضاد يعني وضعه الله للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام

(2/183)

---

إبراهيم وليس ذلك في بيت المقدس ومن دخله كان آمنا وليس ذلك في بيت المقدس ولله على الناس حج البيت وليس ذلك في بيت المقدس واختلف العلماء في تأويل قوله إن أول بيت فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عندما خلق الله السماء والأرض فخلقه الله قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الأرض فدحيت الأرض من تحتها هذا قول عبد الله بن عمرو ومجاهد وقنادة والسدي وقال بعضهم هو أول بيت وضع بني في الأرض يروى أن علي بن الحسين سئل عن بدء الطوفان فقال إن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور الذي ذكره الله وقال للملائكة طوفوا به ودعوا العرش فطافت الملائكة به وتركوا العرش وكان أهون عليهم ثم أمر الله الملائكة الذين يسكنون في الأرض أن يبنوا له في الأرض بيتا على مثاله وقدره فبنوا واسمه الضراح وأمر من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وقيل هو أول بيت بناه آدم في الأرض قاله ابن عباس وقال الضحاک إن أول بيت وضع فيه البركة وأحسن من الفردوس الأعلى وروى سماك عن خالد بن عرعة قال قام رجل إلى علي رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت كان في الأرض قال لا فأين كان قوم نوح وعاد وثمود ولكنه أول بيت مبارك وهدى وضع للناس وقيل إن أول بيت وضع للناس يحج إليه لله وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وقيل هو أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والكلبي والفراء معناه إن أول مسجد وتمعبد وضع للناس يعبد الله فيه يدل عليه قوله أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يعني مساجدهم واجعلوا بيوتكم قبلة وقوله في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يعني المساجد إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس قال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون عاما حيث ما أدركتك الصلاة فصل فثم سجد للذي ببكة قال الضحاک والمدرج هي مكة والعرب تعاقب بين

(2/184)

الباء والميم فتقول سبد رأسه وسمد واغبطت عليه الحمى واغمطت وضربة لازم ولازب وقال ابن شهاب وضمرة بن ربيعة بكة المسجد والبيت ومكة الحرم كله وقال الآخرون مكة اسم البلد كله وبكة موضع البيت والمطاف وسميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون يبكي بعضهم بعضا ويصلي بعضهم بين يدي بعض ويمر بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك إلا بمكة قال الراجز إذا الشريب أخذته أكه فخله حتى ييك بكه قال عطاء مرت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي وهي تطوف بالبيت فدفعها فقال أبو جعفر الباقر إنها بكة يبكي بعضهم بعضا وقال عبد الرحمن بن الزبير سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبارة أي تدفها فلم يقصدها جبار يطلبها إلا وقصمه الله وأما مكة فسميت بذلك لقلتها ماؤها من قول العرب مكنت الفصيل ضرع أمه وامتكه إذا امتص كل ما فيه من اللبن قال الشاعر مكنت فلم تبق في أجوافها دررا عن الحسين عن ابن عباس قال ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة ترفع فيها الحسنات بكل واحدة مائة ألف ما يرفع بمكة وما أعلم بلدة على وجه الأرض يكتب لمن صلى فيها ركعة واحدة بمائة ألف ركعة ما يكتب بمكة وما أعلم بلدة على وجه الأرض

يكتب لمن تصدق فيها بدرهم واحد يكتب له مائة ألف درهم ما يكتب بمكة وما أعلم بلدة على وجه الأرض يكتب لمن فيها شراب الأحبار ومصلى الأخيار إلا بمكة وما أعلم على وجه الأرض بلدة ما مس شيئاً أحد فيها إلا كانت تكفير الخطايا إلا بمكة وما أعلم على وجه الأرض بلدة إذا دعا فيها أمن له الملائكة فيقولون آمين آمين ليس إلا بمكة وما أعلم على وجه الأرض بلدة إلا بمكة وما أعلم على وجه الأرض بلدة يكتب لمن نظر إلى الكعبة من غير طواف ولا صلاة عبادة الدهر وصيام الدهر إلا بمكة وما أعلم على وجه الأرض بلدة ورد إليها جميع النبيين ما قد صدر إلى مكة وما أعلم بلدة يحشر فيها من الأنبياء والأبرار والفقهاء والعباد من الرجال والنساء ما يحشرون من مكة أي يحشرون وهم آمنون يوم القيامة وما

(2/185)

---

أعلم على وجه الأرض بلدة ينزل فيها كل يوم من روح الجنة ورائحتها ما ينزل بمكة حرسها الله مباركا نصب على الحال وهدى للعالمين لأنه قبله المؤمنين فيه آيات بينات قرأ ابن عباس آية بينة مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا حدثنا ابن حميد قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثنا بن أبي حبيب عن مرثد بن عبدالله المزني عن أبي عبدالرحمن بن عسيلة الضاحي عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قيل أن تفرض الحرب على أن لا نشرك بالله بشيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتان نفتره بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلکم الجنة وإن غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم وكان مصعب يسمى بالمدينة المقرئ وكان أول مقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد بن زرارة فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق إلى هذين الرجلين الذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فإن أسعد ابن خالتي ولولا ذاك لكفيتك وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني الأشهل وكلاهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حرسه ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في حائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك والله فاصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس نكلمه قال فوقف عليهما مشتتا فقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن

(2/186)

---

كرهته كف عنك ما تكرهه قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن قال والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا له تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد بشهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق ثم قام وصلى ركعتين ثم قال لهما إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندكم فلما وقف على النادي

(2/187)

---

قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل إلا ما أحببت وفي الحديث أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك فقام سعد مغضبا مبادرا للذي ذكره له فأخذ الحربة منه ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئا فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما مشتما ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد قال لمصعب جاءك والله سيد قومه إن تبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته قد كفاك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة فجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالوا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالوا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد بشهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل فطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليه قال يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسيد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء من المسلمين إلا ما كان من بني أمية بن زيد وحطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من أوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(2/188)

---

المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل

الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من  
أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان شهد  
ذلك فلما فرغا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرنا فكننا نكتم عن معنا  
من المشركين من قومنا أمرنا وكلمناه وقلنا له يا جابر إنك سيد من ساداتنا  
وشريف من أشرفنا وإنك ترغب بك عما أنت فيه أن نكون حطبا للنار غدا  
ودعونا إلى الإسلام فأسلم فأخبرناه

(2/189)

---

بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان تقيا فبتنا تلك  
الليلة في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فنتسلل مستخفين تسلل القطا حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند  
العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة  
أحدى نساء بني النجار وأسما بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة وهي  
أم منيع واجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء  
ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن  
يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد  
المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من  
الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من  
قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى  
إلا الانقطاع لكم واللجوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له ما دعوتموه إليه و  
مانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه  
وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن دعوه فإنه في عز ومنعة قال فقلنا سمعا  
ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام وقال  
أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم قال فأخذ البراء بن معرور  
بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله  
فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة وإنا ورثناها كإبراهيم عن كابر قال فاعترض القول  
والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا  
رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلا يعني اليهود وإنا قاطعوها فهل عسيت إن  
نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم والدم والهدم والهدم وأنتم مني وأنا

(2/190)

---

منكم أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا كفاء على قومهم بما فيهم ككفالة  
الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من  
الخزرج وثلاثة من الأوس قال عاصم بن عمر بن قتادة إن القوم لما اجتمعوا  
ليبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن

عبادة بن نضلة الأنصاري يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون بالعهد له فيما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط يا أهل الجباب هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا والله زنا العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا إلى رحالكم فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيا فإنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم قال فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا عليها حتى أصبحنا ف غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا فإنه والله ما حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قوما يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا وبعضنا ينظر إلى بعض فقام القوم وفيهم الحارث بن

(2/191)

---

هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديان قال فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلي وقال والله لتنتعلنهما فقال أبو جابر والله أخفظت الفتى فاردد إليه نعليه قال قلت لا أردهما قال والله صلح والله لئن صدق لأسلبنه قال ثم انصرف أبو جابر إلى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشا فأذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تامنون فيها فأمرهم بالهجرة إلى المدينة والقوق بإخوانهم الأنصار فكان ممن هاجر أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة ثم عبد الله بن

(2/192)

---

جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إرسالا إلى المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة إلى أن أذن فقدم المدينة فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ورفع عنهم العداوة القديمة وألف بينهم وذلك قوله واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر الأنصار إذ كنتم أعداء قبل



الإسلام فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم فصرتم نظيره قوله في المائدة وأصبح من الخاسرين وقوله فأصبح من النادمين وفي حم السجدة فأصبحتم من الخاسرين وفي الكهف أو يصبح ماؤها غورا بنعمته بدينة الإسلام إخوانا في الدين والولاية نظيره قوله إنما المؤمنون إخوة وعن أبي سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا وأشار بيده إلى صدره حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم أبو بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه الشعبي عن النعمان بن بشير أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد قال المؤمنون كرجل واحد لجسد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائرته بالحمى والسهر وكنتم يا معشر الأوس والخزرج على شفا حفرة من النار قال الراجز نحن حفرنا للحجيج سجله نابتة فوق شفاها بقله ومعنى الآية كنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم فأنقذكم منها بالإيمان قال وبلغنا أن أعرابيا سمع ابن عباس وهو يقرأ هذه

(2/193)

الآية فقال والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوه من غير فقيه كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السماوات وما فى الارض وإلى الله ترجع الامور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو ءامن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفو صلى الله عليه وسلم إلا بحبل من الله وحبل من الناس وبأعوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا بسوءاء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ولتكن منكم أمة أي ولتكونوا أمة من صلة كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان ولم يرد اجتناب رجس الأوثان وإنما فاجتنبوا الأوثان وإنها رجس واللام فى قوله ولتكن لام الأمر يدعون إلى الخير الإسلام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعنا ابن الزبير يقرأ ولتكن منكم أمة يأمرن بالمعروف

وينهون عن المنكر ويستعينون على ما أصابهم وروي مثله عن عثمان فصل في الأمر بالمعروف

(2/194)

---

والنهي عن المنكر روى حسان بن سليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه

وعن عبد الله بن عمر عن درة بنت أبي لهب قالت جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله تعالى وأوصلهم لأرحامه عن ابن عباس قال قلنا يا رسول الله ما نعمل نأتمر بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف شيء إلا أئتمرنا به وننتهي عن المنكر حتى لا يبقى من المنكر شيء إلا انتهينا عنه ولم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر فقال مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الفاسق في القوم كمثل قوم ركبوا سفينة فاقتموها فصار لكل إنسان منها نصيب فأخذ رجل منهم فأسا فجعل ينقر في موضعه وقال له أصحابه أي شيء تصنع تريد أن تغرق وتغرقنا قال هو مكاني فإن أخذوا على يده نجوا ونجا وإن تركوه غرق وغرقوا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشنان الفاسقين فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ومن شنأ المنافقين وغضب لله عز وجل غضب الله تعالى له وقال أبو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجلب كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وقال حذيفة اليماني يأتي على الناس زمان لئن يكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقال الثوري إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند القوم فاعلم أنه مداهن ولا تكونوا كالذين تفرقوا الآية قال أكثر المفسرين هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الأمة عن

(2/195)

---

عبد الله بن شداد قال وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية بالشام عند باب حمص أو دمشق فقال لهم كلاب النار كلاب النار مرتين أو ثلاثة شر قتلى تظل السماء وخير قتلى قتلاهم قيل أشيء من قبل رأي رأيته أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هو من جل رأي رأيته إنني إذن لجريء إن لم أسمع من رسول

الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ما حدثت به فقال رجل فإني رأيتك دمعت عيناك قال هي رحمة رحمتهم إنهم كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم ثم قرأ ولا تكونوا كالذين تفرقوا إلى قوله بعد إيمانكم ثم

قال هم الحرورية وروى قبيصة عن جابر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزل بباب من أبواب دمشق يقال له الجابية حمد الله فأثنى عليه بما هو أهله ثم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم ثم قال من سره بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم نصب على الظرف أي في يوم وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول وقرأ يحيى بن وثاب تبيض وتسود بكسر التاءين على لغة تميم وقرأ الزهري تبياض وتسواد فأما الذين اسودت و المعنى تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل يوم تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وقال عطاء تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه قريظة والنضير سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال إذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم مما كانوا يعبدونه فيسعى كل قوم إلى ما كانوا يعبدون وهو قوله تعالى نوله ما تولى فإذا انتهوا إليه حزنوا فيسود وجوههم من الحزن ويبقى أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئاً مما رفع لهم فيأتهم الله عز وجل فيسجد له من كان سجد في دار الدنيا مطيعاً مؤمناً ويبقى أهل الكتاب والمنافقون كأنهم

(2/196)

لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤوسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضاً والمنافقون وأهل الكتاب قيام كان في ظهورهم السفافيد فإذا نظروا إلى وجوه المؤمنين وبياضها حزنوا حزناً شديداً واسودت وجوههم فيقولون ربنا سودت وجوه من يعبد غيرك فما لنا مسودة وجوهنا فوالله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله للملائكة انظروا كيف كذبوا على أنفسهم وقال أهل المعاني ابيضاض الوجوه إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وثواب الله عز وجل واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبغذاب الله تعالى يدل عليه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الآية وقوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة وقوله وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ باسرة ثم بين حالهم ومآلهم فقال فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم فيه اختصار يعني فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم واختلفوا فيه فروى الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنهم كل من كفر بعد إيمانه بالله يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وقال لهم ألسنت بربكم قالوا بلى فيعرفهم الله عز وجل يوم القيامة بكفرهم فيقول أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق قال الحسن هم المنافقون أعطوا كلمة الإيمان بالسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم وقال يونس بن أبي مسلم سألت عكرمة عن هذه الآية فقال لو فسرتها لم أخرج من تفسيرها ثلاثة أيام ولكني سأجمل لك هؤلاء قوم من أهل الكتاب كانوا مصدقين بأنبيائهم مصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ولما بعث كفروا به فذلك قوله أكفرتم بعد إيمانكم وقال الآخرون هم من أهل ملتنا قال الحارث الأعور سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به النار ثم قرأ

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ثم نادى الذين كفروا بعد الإيمان أكفرتم  
يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه

(2/197)

---

وسلم يأتي على أمتي زمان يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض  
يسير من الدنيا وقال أبو أمامة الباهلي هم الخوارج وقال قتادة هم أهل البدع  
كلهم ودليل هذه التأويلات قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله  
وجوههم مسودة  
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ليردن الحوض من صحبتي أقوام حتى إذا  
رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن أصحابي أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما  
أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديارهم القهقري وأما الذين ابضت وجوههم  
هؤلاء أهل طاعته والوفاء بعهده ففي رحمة الله جنة الله هم فيها خالدون إلى  
وما الله يريد ظلما للعالمين فيعاقبهم بلا جرم ولله ما في السماوات وما في  
الأرض وإلى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة أخرجت الآية قال عكرمة ومقاتل  
نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ وسالم مولى أبي حذيفة وذلك أن  
ابن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قال لهم إن ديننا خير مما تدعوننا إليه  
ونحن خير وأفضل منكم فأنزل الله تعالى هذه الآية سعيد بن جبير عن ابن  
عباس قال كنتم خير أمة أخرجت للناس هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله  
عليه وسلم إلى المدينة وروى جوبير عن الضحاك قال هم أصحاب محمد خاصة  
الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم يدل عليه ما روى السدي أن  
عمر الخطاب قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال تكون لأولنا ولا تكون  
لآخرنا وعن عمر بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى  
لمن رأني ولمن رأني ولمن رأى من رأى من رأى من رأني الأعمش  
عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما  
أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وقال آخرون هم جمع المؤمنين من هذه الأمة  
وقوله وكنتم يعني أنتم كقوله من كان في المهدي صيباً أي من هو في المهدي  
وإدخال كان واسقاطه في مثل هذا المعنى واحد كقوله واذكروا إذ كنتم قليلاً  
وقال في موضع آخر واذكروا

(2/198)

---

إذ أنتم قليل وقال محمد بن جرير هذا بمعنى التمام وتأويله خلقتهم ووجدتم خير  
أمة  
وقال معنا كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت للناس قال قوم  
للناس من صلة قوله خير أمة يعني أنتم خير الناس للناس قال أبو هريرة معناه  
كنتم خير الناس للناس يجيئون بهم في السلاسل فيدخلونهم في الإسلام قتادة  
هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فيسبون من  
سبي الروم والترك والعجم فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة أخرجت للناس  
مقاتل بن حيان ليس خلق من أهل الأديان ولا يأمر من سواهم بالخير وهذه

الآية يأمرهم كل أهل دين وأنفسهم لا يظلم بعضهم بعضا بل يأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فامة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمم الناس وقال آخرون قوله للناس من صلة قوله أخرجت ومعناه ما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم خير أمة أقامت وأخرجت للناس وعلى هذا تتابعت الأخبار روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وروى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومئة صف منها ثمانون من هذه الأمة نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة وأمتي كلها في الجنة ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وعن أنس قال أتى رسول الله أسقف فذكر أنه رأى في منامه الأمم كانوا يمنعون على الصراط حتى أتت أمة محمد صلى الله عليه وسلم غرا محجلين قال فقلت من هؤلاء الأنبياء قالوا لا قلت مرسلون قالوا لا فقلت ملائكة قالوا لا فقلت من هؤلاء قالوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم غرا محجلين عليهم أثر الطهور فلما أصبح الأسقف أسلم

(2/199)

عن سعيد بن المسيب عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي وروى أبو بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمتي أمة مرحومة إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلا من الكفار فيقول هذا فداؤك من النار وعن أنس قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بصوت يجيء من شعب قال يا أنس انطلق فانظر ما هذا الصوت قال فانطلقت فإذا برجل يصلي إلى شجرة فيقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمته ذلك فقال انطلق فقل له إن رسول الله يقرئك السلام ويقول من أنت فأتيته فأعلمته ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني مني رسول الله السلام وقل له أخوك الخضر يقول أسألك أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها وقيل لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعد هذه الأمة أمة قال علماء حلماء حكماء أبرار أتقياء كأنهم من العلم أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله وبلغنا أن كعب الأخبار قيل له لم لم تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وأسلمت على عهد عمر فقال لأن أبي دفع إلي كتابا مختوما وقال لا تفك ختمه فرأيت في المنام أيام عمر رضي الله عنه قائلا قال لي إن أبي خانك في تلك الصحيفة فكفكتها فإذا فيها نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال هو أن شعارهم أن يسلم بعضهم على بعض وعلماءهم مثل أنبياء بني إسرائيل وحكم الله لهم بالجنة ويتصافحون فيغفر لهم ويخرجون من ذنوبهم

كيوم ولدتهم أمهاتهم وقال يحيى بن معاذ هذه الآية مدحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن ليمدح قوما ثم

(2/200)

---

يعذبهم  
ثم ذكر مناقبهم فقال تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر إلي لن يضروكم إلا أذى الآية قال مقاتل إن رؤوس اليهود كعبا وعديا والنعمان وأبا رافع وأبا ياسر وكنانة وأبو صوريا عمدوا إلى مؤمنهم عبد الله بن سلام وأصحابه فأذوهم لإسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم إلا أذى يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان يعني وعيدا وطمعنا وقيل دعاء إلى الضلالة وقيل كلمة الكفر إن يسمعوها منهم يتأذوا بها وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين وهو جزم بجواب الجزاء ثم لا ينصرون استأنف لأجل رؤوس الآي لأنها على النون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون تقديرها ثم هم لا ينصرون وقال في موضع آخر ولا يقضى عليهم فيموتوا إذ لم يكن رأس آية قال الشاعر ألم تسأل الربع القديم فينطق أي فهو ينطق قال الأخفش قوله لن يضروكم إلا أذى استثناء خارج من أول الكلام كقول العرب ما اشتكى شيئا إلا خيرا قال الله تعالى لا يدوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ولأن هذا الأذى لا يضرمهم ومعناه لكن أذى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا حيثما وجدوا ولقوا يعني حيث ما لقوا غلبوا واستضعفوا وقتلوا فلا يؤمنون إلا بحبل عهد من الله وحبل من الناس محمد والمؤمنين يردون إليهم الخراج فيؤمنونهم وفي الكلام اختصار يعني إلا أن يعتصموا بحبل كقول الشاعر رأيتني بحيلها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق أي أقبلت بحيلها وقال آخر جنتني حانبات الدهر حتى كاني حامل أدنو لصيد قريب الخطو يحسب من رأيتني ولست مقيدا أنني بقيد

(2/201)

---

يعني رأيتني مقيدا بقيد وباؤوا بغضب من الله إلى ليسوا سواء الآية قال ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام وتعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسد بن عبيد ومن أسلم من اليهود قالت رؤوس اليهود ما أمن بمحمد إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حيث استبدلتم بدينكم دينا غيره فأنزل الله تعالى ليسوا سواء وسواء يقتضي شيئين اثنين فصاعدا واختلفوا في وجه هذه الآية فقال قوم في الكلام إضمار تقديره ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة فتزل الأخرى لاكتفائه بذكر أحد الفريقين كقول أبي ذؤيب عصيت إليها القلب إنني لأمرها مطيع فما أدري أرشد طلابها أراد أرشد أم غي فحذفه لدلالة الكلام عليه وهذا قول مجموع مقدم كقولهم أكلوني البراغيث وذهبوا أصحابك وقال تمام القول عند قوله ليسوا سواء وهو وقف لأن ذكر الفريقين من أهل الكتاب قد جرى في قولهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء يعني المؤمنين والفاسقين ثم وصف الفاسقين فقال لن يضروكم إلا أذى ثم وصف المؤمنين

فقال أمة قائمة الآية فهو مردود على أول الكلام وهو مختار محمد بن جرير والزجاج قال وإن شئت جعلت قوله من أهل الكتاب ابتداء لكلام آخر لأن ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس هذان الفريقان سواء وهم ثم ابتداء فقال من أهل الكتاب قال ابن مسعود معناها لا يستوي اليهود وأمة محمد القائمة بأمر الله تعالى يعني الثابتة على الحق المستقيم ابن عباس أمة قائمة مهتدية قائمة على أمر الله لن تنزع عنه ولم تتركه كما تركه الآخرون وضيعوه مجاهد عادلة السدي مطيعة قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده وقيل قائمة في الصلاة قال الأخفس أمة قائمة أي ذو أمة قائمة والأمة الطريقة من قولهم أمت الشيء أي قصدته قال النابغة وهل يأتين ذو أمة وهو طائع أي ذو طريقة

(2/202)

---

ومعنى الآية ذوا طريقة مستقيمة يتلون آيات الله يقرؤون كتاب الله قال مجاهد يتبعون يقال تلاه أي اتبعه قال الشاعر قد جعلت دلوي تسيليني ولا أريد تبع القرين إني لم أردهما أي تستبعني أثناء الليل أي ساعاته وإحداها إني مثل نحي وأنحاء وإني مثل معي قال الشاعر حلو ومر كعطف القدر شيمته في كل إني قضاء الليل ينتعل أي تسليه أثناء الليل بأمر مضى فيه ولم يتأخر قال الراجز في اللغة الأخرى لله در جعفر أي فتى مشمر عن ساقه كل إني وقال السدي أثناء الليل جوفه الأوزاعي عن حسان عطية قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن يشق على أمتي لفرضتهما عليهم وهم يسجدون أي يصلون لأن التلاوة لا تكون في الركوع والسجود نظيره قوله وله يسجدون أي يصلون وفي القرآن وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان أي صلوا وقوله فاسجدوا لله واعبدوا واختلفوا في نزول الآية ومعناها فقال بعضهم هي قيام الليل عن مجمع بن يحيى الأنصاري عن رجل من بني شيبه كان يدرس الكتب فقال إنا نجد كلاما من كلام الرب أي حسب راعي إبل وغنم إذا جنه الليل انخذل بكن وهو قائم وساجد أثناء الليل

(2/203)

---

ابن مسعود هو في صلاة العتمة يصلونها ومن حولهم من أهل الكتاب لا يصلونها عاصم عن زرين عن ابن مسعود قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة قال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله عز وجل هذه الساعة غيركم فأنزل الله هذه الآية ليسوا سواء حتى بلغ قوله والله عليم بالمتقين وروى الثوري عن منصور قال بلغنا أنها نزلت في قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء وقال عطاء في قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية تزيد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان من الأنصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم أسعد ابن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس هرمة بن أنس وكانوا

موحدين يغتسلون من الجنابة ويقرون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه قرأ الأعمش وحمزة ويحيى والكسائي وحفص وخلف بالياء فيهما اخبار عن الأمة القائمة وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيدة وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب كقوله كنتم خير أمة وهي اختيار أبي حاتم وكان أبو عمرو يرى القراءتين جميعا الياء والتاء ومعنى الآية وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يقدرُوا ثوابه ولن يجحدوا جزاءه بل يشكر لهم ويجازون عليه والله عليم بالمتقين المؤمنين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا صلى الله عليه وسلم أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولاكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء

(2/204)

من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات إن كنتم تعقلون هاأنتم أولا صلى الله عليه وسلم ء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالو صلى الله عليه وسلم ءامنوا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط وإذ غدوت من أهلك تبوى ء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أدلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة ءالاف من الملائكة منزلين بلى صلى الله عليه وسلم إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ءال صلى الله عليه وسلم ف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا صلى الله عليه وسلم ء أو يكتبهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شى ء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما فى السماوات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وإنما خص الأولاد لأنهم أقرب الأنساب إليه وأولئك أصحاب النار إنما جعلهم من أصحابها لأنهم من أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذي لا يفارقه وقربنه الذي لا يزايله يدل عليه قوله هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال يمان يعني نفقات أبي سفيان وأصحابه بيدر وأحد على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم مقاتل يعني نفقة سفلة اليهود على علمائهم ورؤسائهم كعب وأصحابه مجاهد يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم وضرب الله مثلا فقال كمثل ريح فيها صر قال ابن عباس

(2/205)



---

يعني السموم الحارة التي تقتل ومنه خلق الله الجان ابن كيسان الصريح فيها صوت ونار سائر المفسرين برد شديد أصابت حرث قوم زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ومنع حق الله عز وجل فأهلكته ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها وقت حاجتهم إليها بعد ما كانوا يرجون من عائدة نفعها كمثل زرع أصابه ريح بارد أو نار فأحرقته وأهلكته فلن ينتفع أصحابه منه بشيء بعد ما كانوا يرجون من عائدها نفعه قال الله تعالى وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون بالكفر والمعصية ومنع حق الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم قال هم الخوارج

(2/206)

---

قال ابن عباس كان رجل من المسلمين يواصل رجلا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ينهاهم عن مبايحتهم خوف الفتنة منهم عليهم مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادفون المنافقين وبخالطونهم فيهاهم الله تعالى عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم والبطانة مصدر يوضع موضع الاسم فسمي بها الواحد والاثان والجميع والمذكر والمؤنث قال الشاعر أولئك خلصاني نعم وبطانتي وهم عيبتني من دون كل قريب وإنما ما قيل لخليل الرجل بطانة تشبيها لما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه من أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه محل ما ولي جسده من ثيابه ثم ذكر العلة في النهي عن مبايحتهم وعرفهم ما هم منطوون عليه من الغش والخيانة والبيغي والغوائل فقال عز من قائل لا يألونكم خبالا أي لا يقصرون ولا يتركون عهدهم وطاقاتهم فيما يورثكم فوق الشر والفساد يقال ما ألوته خيرا أو شرا أي ما قصرت في فعل ذلك ومنه قول ابن مسعود في عثمان ولم تأل عن خير لأخرى بادية وقال امرؤ القيس وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آل أي مقصر في الطلب الخبال الشر والفساد قال الله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ونصب خبالا على المفعول الثاني لأن الإلو تتعدى إلي مفعولين وإن شئت المصدر أي يخيلونكم خبالا وإن شئت بنزع الخافض أي بالخبال كما يقال أوجعته ضربا أي بالضرب ودوا ما عنتم أي تمنوا ضركم وشركم وإثمكم وهلاككم قد بدت البغضاء قراءة العامة بالتاء لتأنيث البغضاء ومعنى الآية قد ظهرت أماراة العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقية في المسلمين وقيل بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين وقيل هو مثل قوله ولتعرفنهم في لحن القول

(2/207)

---

وما تخفي صدورهم من العداوة والخيانة أكبر أعظم قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون عن الأزهر بن راشد قال كان أنس بن مالك يحدث أصحابه فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو أتوا الحسن يفسره لهم فحدثهم ذات يوم وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فإنه يقول لا تنقشوا في خواتيمكم محمدا وأما قوله لا تستضيئوا بنور المشركين فإنه يقول لا تستشيروا المشركين في شيء من أموركم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية وقال عياض الأشعري وفد أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب فقال إن عندنا كاتبا حافظا نصرانيا من حاله كذا وكذا فقال مالك قاتلك الله أما سمعت قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء هلا اتخذت حنيفيا قال قلت له دينه ولي ديني ولي كتابته لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ قصاهم الله ها أنتم أولاء ها تنبيه و أنتم كناية للمخاطبين من الذكور أولاء اسم الجمع المشار إليه تحبونهم خير عنهم ومعنى الآية أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم من المصاهرة والمخالفة والرضاع والقرابة والجوار ولا تحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين هذا قول أكثر المفسرين وقال المفضل معنى يحبونهم يريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ولا تبخلون عليهم بدعائهم إلى الجنة ولا يحبونكم هم لأنهم يريدونكم على الكفر وهو الهلاك أبو العالية ومقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون بما أظهروا من الإيمان ولا يعلمون ما في قلوبهم قتادة في هذه الآية والله إن المؤمن ليحب المنافق ويلوي إليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه

(2/208)

وتؤمنون بالكتاب كله يعني بالكتب كلها ولا يؤمنون هم بكتابتكم فإذا لقوكم قالوا أمانا وإذا خلوا وكان بعضهم مع بعض عضوا عليكم الأنامل يعني أطراف الأصابع واحدها أنملة وأنملة بضم الميم وفتحها من الغيظ والحنق لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وهذا من مجاز الأمثال وإن لم يكن ثم عض قال الشاعر إذا رأوني أطال الله غيظهم عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم وقال أبو طالب وقد صالحوا قوما علينا أشحة يعضون غيضا خلفنا بالأنامل قال الله تعالى قل موتوا بغيضكم إن قيل كيف لا يموتون والله تعالى إذا قال لشيء كن فيكون فالجواب أن المراد ابقوا بغيضكم إلى الممات فإن مناكم عن الاسعاف محجوبة وقال محمد بن جرير خرج هذا الكلام مخرج الأمر وهو دعاء أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يدعو عليهم بالهلاك كمدا مما بهم من الغيظ قل يا محمد اهلكوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور بما في القلوب من خير وشر روى عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء قال ذكر أصحاب الأهواء فقال والذي نفسي بيده لئن تمتلئ داري قرده وخنازير أحب إلي من أن يجاورني رجل منهم يعني صاحب هوى ولقد دخلوا في هذه الآية ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم الآية إن تمسسكم قرأ السلمي بالياء الباقون بالتاء يعني

إن تصبكم أيها المؤمنون حسنة بظفركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم وتتابع من الناس في الدخول في دينكم وخفض في معاشكم تسؤهم تحزنهم وإن تصبكم سيئة مساءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو فيكم أو اختلاف يكون منكم أو حدث ونكبة يفرحوا بها وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا وتخافوا ربكم لا يضركم لا ينقصكم كيدهم شيئاً واختلفت القراءة فيه فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم بكسر الضاد وراء خفيفة واختاره أبو حاتم يقال ضار يضير ضيراً مثل باع يبيع بيعاً ودليله في القرآن لا ضير وهو جزم على جواب الجزاء

(2/209)

---

وقرأ الضحاك بضم الضاد وجزم الراء خفيفة من ضار يضور وذكر الفراء عن الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني وقرأ الباقر بضم الضاد والراء مشددة واختاره وهو من ضر يضر ضراً مثل رد يرد رداً وفي راءه وجهان أحدهما أنه أراد الجزم وأصله لا يضرركم فأدغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الراء الأخيرة إتياعاً لأقرب الحركات إليها وهي الضاد طلباً للمشاكلة كقولهم مر يا هذا والوجه الثاني أن يكون لا بمعنى ليس ويضمم الفاء فيه تقديره وإن تصبروا وتتقوا فليس يضرركم قاله الفراء وأنشد فإن كان لا يرضيك حتى تردني إلى قطري لا إخالك راضياً إن الله بما تعملون قراً الأعمش والحسن بالتاء الباقر بالياء محيط عالم وإذ غدوت من أهلك الآية نظم الآية وإن تصبروا وتتقوا لا يضرركم كيدهم شيئاً ولكن الله تعالى ينصركم عليهم كما نصركم ببدر وأنتم أذلة وإن أنتم لم تصبروا على أمري ولم تتقوا نهيتي فإنه نازل بكم ما نزل بكم يوم أحد حيث خالفتم أمر الرسول ولم تصبروا فاذكروا ذلك اليوم أو غداً بينكم تبوء المؤمنین واختلفوا في هذا اليوم الذي عنى الله تعالى بقوله وإذ غدوت من أهلك فقال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل هو الأحزاب وقال سائر المفسرين هو أحد وهو أثبت يدل عليه قوله في عقبه إذ همت طائفتان منكم أن تفتنلا وهذا إنما كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي غداً رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدراً خارجاً قال تأخر وذلك أن المشركين نزلوا بأحد على ما ذكر محمد بن إسحاق والسدي عن رجالهما يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها واستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط

(2/210)

---

إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من وفوقهم فإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا

فأعجب رسول الله بهذا الرأي وقال بعض أصحابه يا رسول الله أخرج بنا إلى هذه الأكلب لا يرون إنا جينا عنهم وضعفنا فأتى النعمان بن مالك الأنصاري فقال يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة فقال بما فقال بأني أشهد أن لا إله إلا الله وأني لا أفر من الزحف قال صدقت فقتل يومئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأيت في منامي بقرا فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولتها هزيمة ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا المدينة علينا قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتل في الأزقة فقال رجال من المسلمين ممن كان ذا سهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فلما رآوه لبس السلاح ندموا وقالوا بنسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا إليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال صلى الله عليه وسلم إنه ليس لنبي أن يلبس لامته أن يضعها حتى يقاتل وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وكان من أمر حرب أحد ما كان فذلك قوله وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين قرأ يحيى بن تاب تبوي

(2/211)

---